الجزء الثالث

رقم التسلسل

22

الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية

ليلى مقدسي

دار مجمع المعرفيين للإصدار للنشر الالكتروني

- اسم العمل: "الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي" الجزء الثالث
- اسم المؤلفة : ليلى مقدسي
- نوع العمل : أعمال أدبية
- رقم التسلسل : 22
- الطبعة: الطبعة الالكترونية الأولى-27-تموز- 2017م
-تصميم الغلاف: ريبر هبون
- الناشر : دار تجمع المعرفيين الأحرار للنشر الالكترونى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة
- حقوق نشر الكتاب محفوظة للمؤلفة والنسخة الالكترونية ملك لتجمع المعرفيين الأحرار

https://reberhebun.wordpress.com/
لنشر أعمالكم يرجى الاتصال ب:
reber.hebun@gmail.com

مقدمة لأعمال الكاتبة والشاعرة السورية ليلى مقدسي

-تعلمت من الحياة أن لا شئ يسمى بالمستحيل،قد نتعثر ونحن نخطو للأمام. .وقد نقع فإذا لم تكسرنا تلك العثرات فهذا يعني بأنها سوف تجعلنا أصلب .

-ربما تكون ابتسامة صغيرة وكلمة حلوة منحتُها لسيدة القلوب ليلى مقدسي التي "توزع الفرح والأمل للآخرين .

-جلساتها الراقية ..تجعلني أشعر بأنني أجالس إحدى سيدات البلاط الملكي في العصور الوسطى !!!...

-كلماتها لا تنبض حروفاً، وإنما تنبض أخلاقيات سامية .

الشاعرة والاديبة ليلى مقدسي، من مواليد الساحل السوري صافيتا ولدت عام 1946 مقيمة في حلب

عملت في مجال التدريس لأكثر من من ثماني وعشرين عاما" اول أعمالها "ثالوث الحب " صدر لها أكثر من خمس وأربعين كتابا" وهي ما بين شعر ونثر ولها العديد من المخطوطات

من مقولاتها المحببة : " يارب لا تعلمني الحكمة بل علمني المحبة "

من مؤلفاتها : غمامة ورد ،عرس قانا، وردة أخيرة للشعر، لغة الجمر ، أغصان الهوى ،تراتيل الهيام ،ابجدية الوصال، بعض الشوق لرواء. ..من رواياتها لأننا لم نفترق، ذاك...رة البحر ، ويبقى الغيم الأخضر يتيما"..

الجوائز التي نالتها :

جائزة الباسل للإنتاج الفكري في حلب عام 2000

تكريم من قبل نادي التمثيل العربي للآداب والفنون عام 2009 برئاسة العلامة المرحوم محمود فاخوري

تكريم من قبل إدارة الدليل عام 2006 برئاسة د. مأمون حلاق

جائزة اجليك باشا في لبنان -بيروت مؤسسة ناجي نعمان الأدبية عن كتاب

"ثلاث وثلاثون وردة " من شهيد لأمه عام 2008 ومعها درع تقدير

إلى اليوم ومازال مدادهاينضح بالعسل ..رغم كل الظروف الصعبة التي تعانيها ماتزال تنبض بحروف من أجزاء

جسدها،لتقدمها منارة لكل متذوق .. ما تزال تكتب وآخر واحب الاماني لقلبها..

أن تدفن بأوراق كتبها ...

ليلى مقدسي قصة عشق يطول شرحها ..

تقول :ترعرعت بين أحضان الطبيعةفي صافيتا..حيث البحر والشجر والريف بشكل عام جذبني بهدوئه وجماله البكر كانت طفولتي جميلة جداً

دخلت مرحلة الدراسة ،عملت في التدريس عند الراهبات وعمري 14 عامابعد عمل طويل لسنين عديدة استقلت لأسباب صحية بعد اصابتي في عيني اليسرى التي فقدت البصر بها منذ صغري عشقت المطالعة ولأنني وحيدة من بين أربع اخوة ذكور كنت منعزلة مع كتبي .

اكتب بصمت خواطري شجعني عمي وكان اديبا ونشر لي بعض الصحف وكذلك مدرس اللغة العربية نشر لي موضوعا عن الأمومة في كتاب من تأليفه وكنت على مقاعد الدراسة سجلت في الجامعة قسم اللغة العربية ولكن لم أستطع ان اتابع واجمع بين التدريس والمطالعة والجامعة بسبب ظرف عيني المؤلم لي كان الألم وكان معي القلم تحديت الطب وتابعت كتاباتي ...شعر نثر قصة رواية ودراسة عن الصوفية وعمل للأطفال وبدأت أنشر كتبي وحققت اجمل طموح لي لان الإبداع والمطالعة منحتني القوة والعطاء في أكثر من عشر مخطوطات للنشر واتابع ولن أتوقف الا حين يتوقف نبض الحياة لي عدة لقاءات تلفزيونية اخرها عن كتابي مهجة شعر لفيروز نشرت في العديد من الصحف والمجلات ..أخيراً اتمنى ان يغطى قبري بأوراق كتبي رسالتي الأدبية المحبة الإنسانية والتسامح ونبذ التعصب والحقد والشر من هذا العالم ..شكرا لكم جميعاً

-أشعر بسعادة بالغة وانا أخط. .بضعة حروف ..بضعة كلمات ...وهذه الكلمات ستلتصق بأعمالك التي سيكون لي شرف نشرها لجميع المتذوقين.

لقد **تشرفت** بالاحتفاظ بجزء **كبير** من مؤلفاتك **التي أهديتني** إياها **...**

أعدك أن اكون مرآة تعكس حروفك الراقية ،فقط **لأنك** راقية **!!**

أخيراً محبتي وشكري لكل ما قدمته للأجيال **...**

* بقلمي ماريا كبابة

حلب **17/7/2017**

الأعمال الأدبية الكاملة للكاتبة السورية ليلى مقدسي، الجزء الثالث، دار تجمع المعرفيين الأحرار للنشر الالكتروني

أنا والشعر

نصوص

ليلى مقدسي

كلمة

الشاعرُ طيرٌ مهاجرٌ أبداً

وكلمته الأولى مصطفاة من عظمة المعاناة الإنسانية

ما نذرت نفسي للشعر ..

بل ضحّيت بها في سبيله

ليلى

نغمة للشعر

لفّني ..

شال الشعر الليلكي

رندحني ..

شدو بلبل عاشق

هامتْ غيمٌ شاردة

تبحثُ لي عن حبيبي

* * *

قرب سدرة المرتجى

أصلّي

أرتّل

مزامير محبّتي

هل .. وجدتم لي .. حبيبي ؟

* * *

– نقطة البدء –

أتغايب مع نقطة انطلاق حرفي ، لأصنع تاريخاً من معنى اللامرئي في ذاتي، قد يهجرني الحرف حين لا أعصر له رحيق قلبي، لذا اتّخذت قانون الطبيعة في الرمز ، وانشقاقات الفروع :

بين انقباض وانبساط الخير والشر ، الفرح والحزن ، الدمع والابتسام متوحّدة بينبوع المحبّة ، وغراف الشعر يسكب في أقداحي خمر الروح .. أصبحت ضفّة شاردة قرب حانة : – **النديم والكأس** –

تناغمات

قالت **الطيور** :

لم أجد في الليل الضبابي البائس مكاناً لي ، لملمت أحزاني وغنّيت ..

قالت **الغيمة** :

خطط على كفّ الغيب : أن الألم لا ينفصل عن الإنسان . غضبت من انتظاري على الأرض الفانية .

قال **محبّ** :

غافلت الزمن لأحيا بعض اللحظات مع من أحب .. ترمّد الحبّ في تقلّب الجمر ، وشاخ الزمن ، ولم يبقَ لي سوى الحلم الذي يوقظ أهداب الذكرى بدمعي ..

قالت **الروح** :

أنا عذراء الأحاسيس ، ريّانة برقة الرؤيا . نشيدي صلاة حبّ صغيرة ، بخوري يشعّ دخانه من مقلتي ، فراشة محترقة بالنور ..

قال **الحلم** :

سوف أخرج من ممرّات العالم الغامض ، لأني تعبت من الواقع المر. أتسرى على هودج العشق والشعر .

قالت **السنبلة** :

أنا قامة ريح فارعة ، وديعة كالهدوء ، مثقلة بالحب ، فأحني شجوني على الأرض وأنتظر الحصاد لأني في تنور الرغيف يثمر عطائي ..

قالت **الخميلة** :

أطـرّز حـروف أزهـاري علـى منـاديـلٍ ترشـف همـس العشّـاق .. وأزركـش شـال الوصـل بالخضـرة .. أمـا زهـرة الزيتـون فـي صـرّة قلبـي يعتصر شوقه .. دمعتي على خدّ الأصيل حسرة على الشمس الغاربة

* * *

ضياع

يؤرجحني الضياع
على الأرض البكر
يفكفك ضفائر كلماتي
كزوبعة هدوء
شيء مخنوق ..
شيء محبوس ..
ينتفض في روحي السجينة
أغدق
ماء الحروف
على تربتي العطشى
ورحيق أحلامي
يذوب على خدّ سنبلة
مسكونة ..
في بيادر السأم والاغتراب

* * *

لقاء سرّي ..

خبأتك كبرعم اللوتس بين أغصان شجرة الحبّ ..

ينابيع مروجي لاهفة تحبو على طرقات مهجورة ..

أتسافر إليك وأنت تمعن في البعد ..

ألملم بأصابع الشوق نرجس بحيرة هائمة ..

يسقط الوجع ..

يسقط الحزن

يسقط الدمع

وتبقى .. نوافذ كلماتي تهدل عطر الياسمين على ستائرنا الوردية وروحك تبتسم على شفاه الصمت المرتعش ..

لم نتكلّم لحظة اللقاء ، لأن الأحاسيس تتشرّب من غيبوبة النشوة . تذوب النظرات ، ويسري دبيب الوصل في خمر الروح معتّقاً .. خميلة قلبي تمدّ الحروف غصوناً وتستقي من ينابيع عينيك ، وهمساتك تنام على صدري .

أعرّش أحلامي على أهداب ربيع العناق فتنتعش اللحظات ..

تركت الصبر يرشف رعشاته الوجدانية من رهبة الخشوع ..

جرح :

لا تجرح قلبي بسهام الأهداب (الشيرازي)

كلمة :

غرّد أيها الطير ، فالنهار معجوناً بنور الشمس ، وأنت أغنية الحياة الدائمة ، ورعشة الغصن من أنفاسك .. أنت زائر الموج المسافر على صدر المياه ..

غرّد لي ، فالقلب الحزين نسي الغناء ..

أسطورة النار ..

سرق بروميثوس النور من إله النار ، لينير لمن في الظلمة يتسكّعون ، ويحررهم من النير الذي يحملون .

وقع غضب الآلهة عليه ، فصلبوه فوق جبال القوقاس وسلّطوا على كبده نسراً شريراً ، ولكن الكبد كانت تتجدد كلّما ازدادت شراسة النسر ووحشيته .

فالنسر هو رمز عوالمنا المظلمة . ورمز إلى جلجلة الحق وإنارة الإنسانية بقوّة النور والمعرفة .

وبقي الإنسان عارياً إلا من لباس النور ..

ووحيداً إلا مع حريته ..

* * *

من الأجمل ؟..

أنت أجمل من رأيت ، ترسمك الغيوم الرمادية كقمر خجول . أضحك بين أجفاني وأغفو ..

هل يحسّ أحد بك إلا أنا ؟..

همسة ..

لا إبداع بلا معرفة . فالفنان سارق النور ، وباعث في تعبيره العميق الإحساس بالجمال ، فهو كالوثبة الخيالية التي تحترق بالنار ، وتنير العتمة الضالة .

ولا نغم للفن إلا إذا حلّق مع أجنحة الخيال ، وحلم مع الغمام المشتعل، وأشعل الرؤى الإنسانية .

الفن .. يجسّد أسرار الوجود ، وإشراق الفنان الداخلي يضيء حقائق الكون الغامضة .

الشاعر .. هو فارس الروح يمتطي صهوة خيوله الناريّة ويجرّ عربة الشمس ، ويختم نظرنا بخاتم الذهول .

وهل غير الشاعر يحوّل الدمع إلى نهر فرح ؟..

وهل غير الشاعر يحوّل الفكر إلى قوة ، والكلمة إلى حلم والحرف إلى أغنية ؟..

القصيدة .. طفل لا أحد يعرف حتى صاحبها متى تنتظم وكيف سيكون مولدها ..

* * *

دانية

تنفرط عناقيد الحلم
سبحة في الذاكرة
لم أعد أنتظر أحداً
علّقت ثوب النسيان
على جدار مسلوب

* * *

من صبوة الأعطاف
بحّة جرحي
رجّة حزني
وهن نفسي
كزورق غاصت حيرته
في وجع الحياة
أفتت على جسد الأرض
منثور حروفي
كوشاح لصدر الصخر

* * *

شربت كأسي الأخيرة
من أنامل العتمة
طأطأ وجهك الغائب
على أغصان الروح

وكأسي

لم يزل حزيناً

* * *

أوراق العمر ..

حين نحبّ لا نخاف الحياة ...

ككلّ صباح أقرأ على وجه شجرة العمر سطور الأغصان ودمع الشعر الرقراق ..

المحب – يحتاج إلى الوحدة

المتعب – ... إلى الراحة

المحروم – ... إلى العاطفة

الغريب – ... إلى وطن

الحزين – ... إلى حنان

اليتيم – ... إلى أم ..

أوراق العمر كقطار مسافر ، يبدل ركّابه في المحطات ويغيّر مدنه ، والساعة العتيقة تذكرنا بثقل الزمن . وحين نعجن الحب بماء الشمس تُضاء الحياة ويقف الزمن ..

العابرون – يخلعون علينا ركام أحزانهم

العاشقون – ... ركام ذكرياتهم

الحزانى – ... قميص همومهم

ممرّ النور ..

يتساقط الرذاذ ثقيلاً . والغيمة تعبر ممرات النور ، فيغسل النرجس وجنتيه بدموع الفجر ، أقترب من وردة الرؤى الغافية على جفن الشفق وأكتب :

أنت رقصة الخجل ، سرّ العطر ، نشيد الصباح .

دخل الليل في منفى العتمة ، تركت الوردة حالمة بين الغلائل البيضاء كعروس تتشرب نشوة كؤوس الضياء .

* * *

تشابه

تنعطف اللغة مع دورة الحب ، وترتدي ثوب الفصول . تصبح المفردات ثغراً للعاشق . والتعابير ترسم غابات السحر الغامضة . تصغر علامات التعجّب . وتكبر علامات الاستفهام ، فيقف الصخر في خطر اللحظات خائباً مترقّباً .

أما الحب .. يحرق الزمن ، والعُرف ، والمألوف ، ويدخل مناطق محرّمة من الأديان ، يرتبك ثم يرنو إلى الحرف ، ويحزم أمتعته عند مفترق الطرقات .

أقرأ على ألواح الغيب كلّ تفاصيل الاحتمالات بين صفحاتنا الخفية.

الحرف – يسافر بنا إلى مدن لا نعرفها ، وإلى أشخاص يتربّصون لنا في أنفاق العمر السريّة حين تحدث لحظة الدهشة ..

في حضورنا المربك ، علينا أن نخلق كائنات عشقية حتى لا نغادر منطقة الورق ، ومساحة القلب لا تضيق .

* * *

فلسفة الشعر

قالوا للشاعر – **كارل ساندبرغ :**

هل صحيح أن إحدى المجلات طلبت إليك أن تكتب لها مجموعة من القصائد على غرار قصائدك المشهورة ؟

أجاب : وهل سبق لكم أن سمعتم عن أمر يصدر إلى امرأة حامل أن تلد طفلاً ذكراً لون شعره كذا .. ولن عينيه كذا .. إنه شيء من صنع الله ..

الحب ..

احتراق للزمن ، والعُرف ، والمألوف ، ومناطق محرّمة من الأديان . يرتبك الحرف وهو يرنو إلى الحب ، ونقرأ على ألواح الغيب تفاصيل كل الاحتمالات من صفحاتنا الخفيّة . فالحرف كالحبّ يسافر بنا إلى مدن لا نعرفها وإلى أشخاص يتربّصون لنا في أنفاق سريّة حيث تحدث لحظة الدهشة في غيابك المربك عليّ أن أخلق كائناً عشقياً ولا أغادر منطقة الورق .. لأنك مقيم في مساحة القلب .

ثوابت ..

المحب – لا يضلّ مهما أظلمت الحياة حوله .

الشعر – يهجرك حين لا تعصر له قلبك .

الإنسان – يختنق فيما لو كان وحيداً في العالم .

الروح –تحترق حين يضلّ العقل .

الفكر – الخلاّق يتلهّف إلى الحرف .

الحياة – تبقى محاصرة بتلال الذكريات .

قصيدة – أجمل قصيدة نكتبها ، ولم نستطع الغوص في أعماقها هي – الإنسان – .

سردة الوجد :

وحّدني بأشجار طفولتي
قلب الشعر لا يكبر
وَرقْ بستان الفرح
على صدري المتعب
أهزّ سردة الوجد
حافية
في مسارات الذهول
لأني نسيت دمعتي
في جرح غيابك

* * *

جزيرة الحلم

أورق الأحلام على شجر عمري
أبتسم .. لحكايا العاشقين
وحدي .. في زحمة مراكب الراحلين
والغادين
فقدت ورقة انتمائي السريّة
وحدي .. في دوار التواصل أتكئ
على حافة كوني الروحي
أعطر الخيال بطيف كان ..
كامتداد الحنان ..
حين غاب ..
وحدي ..
جزيرة اغتراب

* * *

الشاعر

طائر مهاجر يعبر رمال الإنسانية ، هائماً في وحدته الذاتية ، معانقاً الريح ، يغزو في المجهول ، مفرداته الرعشة الشعرية للهواجس والطيوف ، هو قمر عاشق يسكب أنفاسه على موائد النجوم الخمرية ، ويلمس بحنان الحرف وجه الفجر البكر ، يغفو على وسادة الماء مع سيدة أحلامه . وحين يصحو تتوهّج وردة الشعر ، وتقبّل خدّ الشمس ، فيغرّد على أغصان الروح . الشاعر هو الحركة السرمدية بين الطبيعة

والإنسان ، ويبحث عن الغائية في المطلق . وفعل إبداع الشاعر شديد الشبه بفعل الحلم ، ويكون فيها الشاعر مجنوناً بأمان ...

الحلم هو الإيقاع الروحي للشاعر ، والخيال هو طفل الشاعر الذي يترعرع وينمو في أحاسيسه وذاكرته . ومفتاحه لتنمية الرؤية في مملكة المدهش . والصورة الشعرية هي كالضوء الذي يخترق ويكشف المجهول ، وصوره الخلاقة المتماوجة تجسّد معنى الجمال ، فالليل والنهار مسافران مع الشاعر وهو يمزّق أحدهما من أجل الآخر، وينظر إلى الحلم من أجل السر الذي لن يجده .

فالإبداع الشعري هو الخلق المتجدد ، ومن دون الشعر الذي يناشد المشاعر لا نستطيع أن نحتفظ بعلاقتنا الحيّة مع الأشياء ..

فصول ..

أسمع نداء ربّة الفصول ، أعود كالنجمة الهاربة إلى حضن الليل . أحسّ أن كلّ معاناة تصفّي الروح وتحوّلها إلى قوة مبدعة فأحيا مع :

الربيع – أزهاره وأغانيه .

الصيف – حصاده ورغباته .

الخريف – زيتونه وأعراسه .

الشتاء – زمهريراته وتقلّباته .

يتراءى وجه حبيب بين هالات الإلهام. أقف مذهولة بين :

صحوة الحلم ... وشهقة اللقاء

تتعاقب شتاءات واصياف ، أرجع وحيدة ، مغتمّة ، تواهة ، تزهر أحاسيسي حروفاً ، وقصائدي توزّعها السنونو ورسائلي الموجعة والمفرحة تبقى على ضفاف مهجورة .. ويبقى صدى السؤال حزيناً بين رجفة المفردات.

أيعود كلّ شيء كما كان ؟..

أدلق نبيذ الأمل المعتّق على غابات بنفسجي الكابي . وأتقلّب على جسور الفصول المتغيّرة ..

قول ..

النقّاد أكاديميون لا يطبقون إلا المعايير التي تعلّموها في الماضي والبعض أخلاقيون . وقلّة قليلة هم نقّاد مدربون محترفون مهمة الناقد مقارنة العمل بالمعيار الملموس لحقيقته .

مزهرية الذات ..

نخشى كشف الذات ، فلا نكتب عن ذواتنا .

أتمنّى أن أملأ مزهريتي بالخزامى ، لتتفتّح ورقات الذات من أصص الحروف وتكون مثل الخزامى منسجمة مع مزاجي . أبحث في هدوء الماء عن شيء ألمسه وأصبّ فيه فرحي ، وبقي الإحساس يهبط في أعماق الفكر حيث الحزن والحقيقة . كانت كلّ رقّة المياه في مزهريتي مدركة امتداد هذا العالم المادي ..

الفن والطبيعة ..

الفن يقلّد الطبيعة ، ولكن في هذا العصر الفن يخلق الطبيعة من جديد – **أرسطو**

كما أن المساء يحقق زواج النهار من الليل ويسمى – الشفق – كذلك المبدع يحقق هذا التزاوج بين الأحاسيس الانفعالية الصادقة ، ونبض الكلمات وأسلوب الشاعر هو كالموجة التي ترتفع إلى أقصى مرتفعها ولكنها دوماً تعود إلى الشاطئ . والشعر ينفذ من قلب الشاعر المتجدد . وغناء الشاعر يكون رخيماً مع طيور الحرية ، وحين يحبس في قفص ذهبي تبقى روحه متجددة بالغناء ، وتتفتّح حروفه ، ويبقى المعنى مختفياً بين الصور كما تختفي الصورة الجميلة حتى الغطاء . وكلماته دائماً رؤية مشرقة كماء الروح التي تنبجس من أعماق الجبال وتنقل إلينا أحاسيسه الخفيّة في رشفات قصائده .

فالقصيدة هي حلم اليقظة ، والحروف طيور مغرّدة بالرغبة الملونة وآلام الآخرين هي لغته الثانية .

أسطورة

نهضت الأرض الجميلة بصدرها العريض ، إنها القاعدة الوطيدة لكلّ الأشياء . والأرض أنجبت السماء المتلألئة بالنجوم لتغطّيها من كلّ الجهات ، وتكون بيتاً أبدياً للآلهة المباركة .

أما الشجرة فتتوثّب العصارة في جسمها ، ثم تزهر وتخضرّ بثوب الجمال حين تتفتّح أول البراعم ، وإذا ما اكتمل عودها أصبحت

هيفاء فارعة ، وحين تلتقي بالربيع يحمل الحبّ إلى جسدها حسناً جديداً وخلاباً ، فتثمر من دفء حبّه وتتدفق .

* * *

أغنية ..

تعالي أنت أغنية على لحن الاخضرار ، وأنت زهرة الأمواج التي تسكب خمورها على زنابق الحياة ...

تعالي أنت رموش الفجر ، وضحكة الضوء في كؤوس الشمس . الغيمة الوفية تقرأ لعينيك رسائل الشوق ، والصخرة التي حجبها البحر تغتسل بدمع الحب ..

غيابك يفتت الحزن ، ويبني للطيور أعشاش الغربة . وتبقى أيامي تتقلّب على خطوات المسافة ، وتتمطى لحظاتي مهاجرة على دروب الانتظار.

قول :

- الإنسان الذي يحلم بأرض الخيال لم يعد في وسعه تحمّل نور النهار العادي ..
- الذي يبحث وهو يتألم .. يكتب بدمه .
- الإنسان كالقصب المغبر تنفذ منه الروح .

حديث للوردة

لك العطر يترذذ على قشعريرة العشب

لك فوح الروح حين يتجلّى جمالك في طقوس الحب
لك الشوق وقد ضاق على شال النهار ..
لك همس الوصل مدروزاً على حرائر المساء

تأملتك وأنت بين حرائر حيرتك . تضحك ذرات التربة الحانية . وأصابع الندى تنبت وجعاً ناعماً على خديك حين تبكي السحاب من رعشة البرد والخوف على قامة الجفاف . أبحث عن ظل ابتسامة في براري الزعتر ، وزعفران الحنان يعتصر رحيق الشوق . غطّ حسون أليف على أوراقك فسألته: " هل ستجد لك مكاناً بين رفوف الأحزان ؟ .. " ارتعش ريشه الناعم بين ألوانك الغارقة في أهدام الشحوب ثم تابع نشيده مسكوناً بأمسياتك الهادئة ، وحفيف أوراقك الناعسة يستحم بالضوء الأخضر .

همست لك : لقد أفنيت نفسك بالتدفق ، سأمسح خدّك المتعب بمنديل الزرقة وأنت تغتسلين بأغاني المطر .

كلمات :

- الحلم هو معنى من المعاني للتوالد منه ذاتنا الأصلية .
- الإبداع هو الهروب الجريء من النماذج التقليدية الميتة .
- لكل إنسان خيال تبوح به أحلامه التي لا يثق بها دائماً .
- نشعر بعدم الرغبة في مواجهة التجربة التي تتحدانا ، ونلجأ إلى ما يريده الآخر منا .

* * *

خاطرة القرنفل

مرتبك فانوس الليل
بقلقي
خواطر القرنفل
تشكّل دهشة عطرها
دمعاً في مقلتي

* * *

أخض قلبي
يستفيق الحب ..
شعره الصنوبري
يسدل بوحه على أشجار
غابتي

* * *

أزيح عن بقعة الضوء
... برقع عتمتي
أنت النديم
كطيف تغيب في مرآة
كأسي

* * *

من غيرك قرأ

لغة شغفي ؟

من غيرك قرأ

همسة – حبيبتي

فكانت فاتحة لارتباك

خجلي ؟

* * *

وهدة ..

أقعي في وهدة الروح ، يحتلني رعب الهدوء ، ورحم العتمة يمنع عني عبير الزهور . كما جعل عبير الأحبّة يتلاشى في ضباب ذاكرة النسيان .

يبطئ النهار في رحيله لأنه مازال يمسح أنامل الليل من دمعي ، أرتق ثياب الخضرة لمواسم الجفاف ، أصغي لصلوات العصافير وخواطر البنفسج تملي مفرداتها على وريقات الأحلام .. فأكتب ..

لغة الحبّ أقصى درجات الوعي لدى الإنسان ، وهي أسلوب في الحياة لكل ما تفعله .

حزن ..

حزينة الأرض لأن مآسي البشر تحفر أخاديدها في التربة النضرة ، والنجمة متعبة ، والأشجار تتعرّى واقفة . طائر المساء يبكي ، الورود تدمع ، قلبي مثقل بالشجن حروفي تتمايل حول خواصر الأشجار .. والقلم مثقل بالشجن الناعس على صدر همومي..

بقيت أنت مظلماً بقسوتك ، بأنانيتك .. وبقيت أغسل ذنوبك في مياه الصفاء .

كلمات ..

- الكائن الإنساني رمز يمثّل الكائنات الإنسانية الأخرى .
- حياة الإنسان لا تجري على مستوى واحد . وليس باستطاعتنا التعبير عنها بخيط واحد .. فتمرّ بالكاتب لحظات : شلل ، وقلق ، وفراغ ، فيشعر أن نبع الإلهام قد نضب ، ولكن منبع الكتابة الأصيل لا ينضب أبداً ..

خاطرة ..

يجفّ برعم الحياة على أصابع زمني . والعصافير المرهفة تترنّح على نافذة الشحوب ، ثم تغادرني إلى نهايات لا أعرفها ..

ككل الذين عرفت وأحببت ، أرسل من غيوم أفكاري أحلاماً مفردة على أرضي الباهتة ، ربما تصبح الأرض أقلّ ثقلاً ، والعالم أكثر عذوبة ..

أحبّ أن أعطي دائماً ، ولا أنتظر من الحياة أن تعطيني شيئاً، يكفي أن فراشات الليل تؤنسني وتخفف عني بكاء الألم في الذات المنفية ، فأمسح دمعة الفجر وأكتب على وجه النهار – الفرح أندر وأصعب من الحزن –

نافذة ..

أغلق نوافذ الذكرى حتى لا تتسرّب الطيوف من عيون الليل الساهرة . تبدو أيامي خاوية ، والجوع يتلوّى في القلب ، والروح تائهة في انعكاسات الاتجاه البعيد ، يخطفني لون الزرقة المسترسل فوق هامات الجبال .. أحسّ أن غصن قلبي لن يذبل ، بينما زهرة الحب تذبل ..

لن أختم غيمة أوراقي بطقس الوداع ..

قول ..

الجسد عدوّ الإنسان على مرّ العصور ، والفقير يشغله تأمين عيشه أكثر من الاهتمام بجسده إلا ما كان غريزياً لذلك الفقير يكسو كفاحه بثوب من الروحانية ، ويموت من الجهد والإرهاق ، دون أن يعرف دقائق الجسد والمتعة

عذراء الشعلة ..

تلك الصبية المنذورة قبلاتها لعيني الفجر والمغيب ، كشجرة ضوء غارقة في زرقة الاخضرار . تضمّ بأصابعها البلورية شعلة الحب ، وتمجّد ببخور العبق آلهة الحبّ ..

الحبيب حاضر أبداً في طقوس هواها ، وبريق الزنبق يطهّر أجفان الليل ، وشالها الوجدي يلتفّ على أغصان الأمل .. ويبقى القلب مغمّساً بماء الوفاء ..

تمضي الأيام على أجنحة مفردة بالعشق ، والشحرور الوديع يحمل إليها الزهر المطروح من شجرة القلب . كلّ أمسية توزع هموم الحبّ مع حلم المغيب ، وتسكب عناقيد دمعها على جراح المياه المالحة ..

ويبقى الحبّ شعلة متأججة في قناديل الصلاة .

تأمّل ..

من .. قميص الليل أعصر عنب حزني
من .. دمع الغمام أسقي خدّي
من .. أغنية الطيور أشدو حروفي
من .. كؤوس النهار أرشف خمرة الألم
من .. مفارش الذكريات صرر الحزن
من .. صدر الشمس المذبوح على الغسق أصنع قوتي
من .. انتظار القادم أفتح نافذة الآتي

من .. الحبّ الذي كان أدفن طفل الحبّ في قلبي
وتبقى في حقائب النسيان حكايتنا .

* * *

فراغ ..

أتأمّل هذا العالم المادّي الذي جعل الإنسان يشتري لذّة دقيقة بندامة العمر . فالتقدّم الحضاري أغرى الإنسان بالمرئيات وجعله ينسى القوى الغامضة التي تحرّك ، وتغيّر ، وتحاسب حتى أصبح الشرّ يقتلع العواطف الإنسانية ، ويعرّي الإنسان من أثواب القيم السامية، وكثر العنف والمادية فهرب الإنسان إلى بوابات السأم والفراغ وتسرّب من سيطرة العقل والفكر وفيه تكمن القوّة الروحية ، وبدّل الجفاء بين الفكر والقلب ، لماذا لا يستعين القلب بالفكر ؟

ألا يتساهل الفكر أحياناً مع القلب في تنسيق الرغبات ، وتحليل الأمور، ومعالجة المواقف بحكمة ؟

ومهما كانت هزّة الإنسان قوية يظلّ القلب متيناً وقوياً لأن الشيء الجوهري في الإنسان هو الفعل الذي يتحقق . عصرت قلبي بمنديل ، وغطيته بوشاح الروح ...

مرآة ..

ككل ليلة أنزوي في وحدتي ، ترتعد روحي من قهر الصمت، أحدّق في مرآة العالم .. أغضب وأبكي ..

يتمدد الضجر في القلب ، والنفس ضائعة في شربكة التناقضات . تتعبني القسوة من الآخرين ، بعد أن سلبوا مني الكثير . وبقيت في مخاطر تعرّجات الحياة ..

أقرأ في مرآة الذات :

- الارتفاع ليس مخيفاً ، إنما السقطة هي المخيفة .

* * *

حزن خضرتي

أُجرَح بجديلة الصبار
الآتي منك
لِمَ تختلجُ خضرتي الحزينة
في فوضى الحبر
بارك معي .. خصل اصفرار
التي تشهد خطوات الهروب

* * *

الذي لا أعرفُه عنك
نامَ على صدر الصدأ
الذي أعرفه تمطى
قسوةً على جسد لغتي

تنويح الوتر

يغصّ في .. تداعي العنين

ظِلُّ الشمس الواهي

أطفأ الشروق

فتناثرت ..

حرائق كلماتي سراجاً للغروب.

* * *

انقطع الوقت

خفتَ وجيبُ

القلب

كلهاث العتمة وراء

حاجز النور

قرأت

في كتاب البعد ..

كيف أتكئ فرحنا

البريء

على خدّ خضرتي الحزينة

كيف سقى دمعه

لوردة الوجد

* * *

اكتب بلغة خضرة حزن

المعنى
أكتب بلغة ورقة تشرينية
شاحبة
على أرصفة معفّرة بالهجر ..

* * *

وتبقى أنت
مسكوناً في جروح الصبار
وتبقى
منفياً في تعاريج الذات
كزهرة مرصّعة
بأنفاس الثلج .

* * *

مع البحر ..

تقول الحكاية :

نزلت قطرة من غيوم العاصفة إلى حضن البحر المائج ، ولما رأت الأمواج تهدر بشكل مخيف توقفت فزعة ، وسكنت ثم صرخت..

آه ما أشقاني !..
بالأمس لمعت بين الغيوم
واليوم أشعر أني بالعدم

وحين أنهت كلماتها المتواضعة ، لمعت فجأة المحار الهادئة وغلّفتها بحنان ، فتحوّلت إلى لؤلؤة ، وقد وهبها البحر قوة ورسوخاً جزاء تواضعها ..

ألا يعلمنا البحر أن العالم يمضي غير عابئ بضحك الماء أم دمعه ؟

نخب ..

ألا تحترق روح الأرض حين تهجرها أنفاس الربيع ؟ أتأمّل الزهور السرية التي طهرها الجمال على جسد الطبيعة باللون والعطر، وتبارك الشمس الغنوج بأصابعها المشتعلة الشفق المبتسم للنهار .

تتهامس الورود مع الزنبق ، كلاهما رفع الكأس ، شربا نخب الحب .. افترقا مع رحيل الربيع ..

أسطورة النسيان ..

تقول الحكاية أن أحد العصافير نسي لون ريشه ، ولم يعد يسمع زقزقة حنجرته ، وكلّما نهض صباحاً فرد لون جناحيه وغنى قليلاً ، لكنه دائم الحزن لا يعرف أن الشمس تحسده على جمال ريشه، وأن الجداول تعشق جماله وصوته .

رآه شاعر وتأمّله وتغنى به بأشعاره ، فاستعاد وعيه ونظر إلى جسده فرأى لون ريشه جميلاً ، وسمع هديل حنجرته فأيقن أن تغريده ما زال ناعماً .

عاد إلى ملكوت طيوره ، وبدأ يغني معهم .

مدار الحياة ..

أجتاز مدار الحياة ، أمرّ بمنعطفات الأمل ، التمزّق ، الجراح، الفرح. تمتلئ جرار حروفي من جوهر الوجود .

على صفحات المياه تجذبني شرايين الصفصاف الباكي ، وهي تبدل أنغامها ، فأبدّل إيقاع نغماتي وأفتح بوابة مداري المغلق ، متجاوزة مساحة الذات الممزقّة ، والروح تتواصل مع رموز الحب التي تحوّلني إلى إحساس كياني وكوني ..

أنتشي متداخلة بين الوجود والموجود ، وأتابع رحلة التعب .. براري كلماتي واسعة .. وكلّ تجربة تنبثق من طفولة القلب وتتجسد في حرية الأفكار تبحث عن معنى الجوهر في الإنسان ..

حديث الشجرة ..

الشجرة رمز الخصوبة ، والتواصل بين السماء والأرض . وهي شجرة الكون ونور المعرفة ، وشجرة الخير والشر سدرة الحكمة. وشجرة سدرة المنتهى هي التي يسير الراكب في ظلّ غصنها ولا ينتهي ..

قالت لي الشجرة : تجمّع الألم حلقات وحلقات في هذا العالم ، وأصبحت الشكوى ترتعد على شفاه البشر .

قلت : المعاناة تعلّمنا حبّ الحياة ، والروح المحبّة تغسل السواد من الذات .

أجابت : أليس هناك سبيلاً لتدارك الشقاء ؟

- الحب هو شراع الحياة ، لأننا حين نحب لا نخاف الحياة. ويبقى الحبّ دائماً حمامة مرفرفة على خصل الرياح بأجنحة العطاء .

قول ..

إني لا أعيش الحياة ولا أعرفها ..

بل أعيش عالمي الداخلي ..

ذلك هو خداع الفن ، يوهم بالحياة ولكنه بعيداً عنها . إنها مجرّد عالم صمت يدور حوله الفن ..

الشمس – القمر – الزهرة ..

هم الثالوث السماوي ..

الشمس – رمز العقل المنظّم ، العدل ، الحق ، القانون . تنتقم من الظالم والمجرم .

القمر – سيّد الكواكب وله تأثير على الكائنات الإنسانية تقوى قوى الطبيعة بقوّته ، وتضعف معه .

آلهات القمر ..

مناة – القمر المظلم

اللات – القمر المنير

العزى – الاثنين معاً .

ويبقى القمر ، أمير الشعر ، وسيّد الإلهام والإبداع الغني .

رصيف التردد ..

من جسر العبور أقف على أرصفة التردد ، وجداني المنفي مهرولاً في محطات الضباب ، وحرفي رمز للصراع بين – الواقع والحلم – أمزّق كفن الرماد ، وأصرصر أوراق الذات والموضوع لأخرج من أرض الخراب ..

هذا المدّ الإنساني غارقاً في المتناقضات .

تبقى أفكاري تتشبّث بنور المعرفة . وغربة نفسي تشرق في الآتي الغامض من أيامي .. لا بد أن أصنع تاريخاً مشدوداً بخيط الالتزام .

* * *

ديمومة ..

دائماً .. عنفوان البحر

يجرّح أهداب الضفاف

دائماً .. أحلام الغيم

تذبل على غرّة مطر وضّاء
دائماً .. ينهمر انتظاري
على ضفيرة وعدك
متى أرجع صغيرة
أغضب ..
لأنك لا تطفئ شمعتي
بحضورك

* * *

شعاع ..

تعكس شفافية أيلول ما بداخل الطبيعة من عطاء والقمر يتجوّل وحيداً شاحباً ، وكأنّ قلبه ينثني ويذبل ببطء ، أغدقت نجمة ساهرة هالات الحبّ على عتمة أيلول الخائفة .

ليت الإنسان يمدّ خيطاً فاصلاً بين الحبّ والتملّك . ليته يتعلّم من النجوم عذوبة الحبّ الواسعة .

وادي الليل ..

في الأندلس يوجد وادي يسمّى – وادي الليل – لأن أشجاره الملتفّة تحجب ضوء الشمس فيخاله الجالس في ظلّها ، النهار ليلاً ..

وكان – مجمع السُمّار – وبقي في الأذهان والمغنون يرددون اسمه ..

أما – **عين الليل** – صنم إله الجمال والحب ورمز العرب . يقال أن أعرابياً هامَ بفتاة صدّته ، فرآها في المنام وفي الصباح جعل ينادي الليل ليحظى بمحيّاها .

أسطورة ..

تصادق رجلان اسم أحدهما – ليل – ولم يرق لإبليس هذا الوداد ، فتزيّا بزيّ فتاة حسناء ، وأغوى صديق – ليل – ثم أبى أن يواصله إلا إذا قتل صديقه ، فقتله .. ولما ثاب إلى رشده ندم .. وصار يبكي وينشد ..

ليل .. يا ليل – يا عيني

وزن ..

كان العرب يقيمون وزن الشعر بقولهم – نعم .. لا .. لا .. ولعلّ – ليلي – من لالا – يؤنس به الواشجة الوثقى بين العروض والغناء ..

ليلى ..

معنى النشوة . الخمر السوداء التي اسمها – ليلى – واستعيرت الخمر السوداء من الليل حيث يقال :

ليلة ليلاء .. وليلى أشد ليالي الشهر ظلمة .

* * *

ثغر الشرود

أنظر من تلال السنين ، منفي ذاك الحب في ذاكرة الغيم . متقلّباً على صدر الفصول ، يفرد خماره على بهاء النجوم وزنابق النور ترخي جدائلها على جبين قمر يحتضن أمومة النور . أستفيق مع الوداد ، وقد اتكأت همومي على ضلع الوجود العبق الشذي هالة شوق تحتضن لهفتي ..

أسل نفسي من أخاديد الليل .. ووجهي يفتق غلائل الذكرى .. ابتسم الكل يمضي ..

وتبقى براعم كلماتي تتفتّح على ثغر الشرود ..

ثورة ..

ثوري أحبّك أن تثوري ، ثوري على شرق السبايا والتكايا والبخور . ثوري على التاريخ ، ثوري على الوهم الكبير ، ثوري على شرق يراك وليمة فوق السرير ..

الحرية التي أطلبها للمرأة هي حريّة **الحب** حريّة أن تقول للرجل أحبّك دون أن تخشى شيئاً . وأريد أن نردّ جسد الأنثى إليها ، فهو حتى

الآن ملك الأعراف ، والتاريخ ، والمؤسسات الدينية والدنيوية ، لأن الرجل الشرقي يربط كل أخلاقياته بجسد المرأة لا بأخلاقياته هو .. فهو مباح له كلّ شيء ، ويبقى أطهر من ماء السماء حتى يعثر في درج ابنته أو أخته على رسالة حبّ فيشدّها من ضفائرها ، ويذبحها كالدجاجة ويلقي قصيدة شعر أمام قاضي التحقيق

/توفيق عواد/

مع الليل ..

يحتسي الصبح خمرة الليل ، حين تنشر العتمة جلباب الظلام حول سرادق الأفق ، وتدثّرني بثوبها الفضفاض ، وتوشي إليّ ببعض الأفكار وقلبي يتفتح كموجات جسد البحر ، متناغماً مع صوت نجمة حالمة تزحف نحو جفون السماء . والنهار يرحل وهو يقاوم مثلي يأس الانتظار . لمست روح الإنسان في صدر الليل ، وفرح الرند يرفرف بطيبه فوق مسبحات الروح يغسل الليل أضلع الياسمين بأريج الغار والآس ، ويلوّن شفاه النرجس ليخفي وجه عتمته بشذى زهر العسل والتين بينما الأقحوان يبكي حسداً ثم يغفو ..

دمعت عيون الصمت وهي تهصر للشفق ألوانه الخاطفة فالتف رأد النهار الأبلج بثنيات شاله المزركش والليل يودّع أناهيده مع رفرفة حلم النعاس

تركت الأرض تهمد في آخر كل نهار ، لقد أصابها الكلل من أقدامي الصاخبة في وجع التعب .

قول ..

خير وقت لاحتساء الخمر المضيئة كالصبح ، هو الوقت الذي ينشر فيه الليل ستائر الظلام حول سرادق الأفق .

/لشيرازي/

* * *

الغريب أليف

غصن شوقي رمى
اخضراره
على براءة التراب
معتصراً رحيق اللقاء

* * *

وجهك الذي كان
راحة وجدي

أصبح غريباً أليفاً .. كالفجر
كطائر حرّ يعشق الغمام
* * *
يستفيق وجع القصيدة
ونثيث الحرف يرتعش
بين أوراق النسيان
زهور الماضي
حطّت ..
تراتيلها في لغتي
حزنها عشب حرفي
* * *
حين التقينا ..
كغرباء ..
سرب السنونو
ودع ..
أغصان الشتاء ..

مع الفن ..

الفن – هو أن نتحدث عن الأشياء ونحاول فهم طبيعتها ، ونعبّر عن صورة الجمال الذي فهمناه ، وأن نجبل من الأرض الجافة عجينة الصوت ، والشكل ، واللون ، والحرف ، وهي نوافذ سجن أرواحنا لصورة الجمال ..

الفن – هو الخلق الإنساني للمادة المحسوسة أو المدركة من أجل غاية جمالية ، واللحظة السكونية الصامتة المضيئة للسرور الجمالي هالة روحية كالحالة العاطفية وتسمّى – افتتان الفؤاد – ويتجسّد الفن في – **الفكر** ، **الحلم** ، **الحب** – وبريشة الفن ننسى تعب الحياة .

أقوال ..

* عيناك عميقتان حتى أنني أفقد فيهما ذاكرت

(أراغون)

* شعر الأمير ليس بالضرورة أمير للشعر

(عينين)

* الفنان الذي يكتب عن نفسه وعن عصره هو وحده الذي يكتب عن كل الناس وكل العصور

(أرسطو)

* ليست مهمّة الفن تقديم الشكل الخارجي للأشياء ، إنما تقديم المدلول الداخلي لها .

برناردشو

* كل شيء يتغيّر . ويتساقط الواحد منا تلو الآخر

بيتس

* * *

في غابة الشعر ..

يضمّني الشعر إلى غابة حنانه ، مختلباً قلبي ، يضمّد القسوة المجرحة أحاسيسي ، يمسح عن جبين أيامي التعب . ثم يرحل بي في عربة النهار المسافرة إلى دروب الطمأنينة ، ومدن الأساطير ، وغدائر الكلمات ، وينابيع الفنون . نمرح مع الفجر الناعس ، نلعب في أرجوحة طفولتنا . ويعقص جدائلي بحرير همساته ، فتتطاير مع الرياح . يباغتني قرب سرير أحلامي ، كنجمة يشعّ في عتمة أفكاري، نتمرغ في حقول الزعتر البري والتوت الشامي، والخوخ والتفاح ، وثلج اللوز يتساقط على وجهي .

ينتظرني في مرافئ المدن الغافية على صدر غربتها ، وعصافيرنا ترتعش راقصة في أحضان المياه . يجدف بنغماته الجذلى فوق دفاتري ، ويختبئ بين أوراقي .. يمطر قطر الندى من عشقه في ذاتي .. يزرعني قمحه بين تلال الذهب ، يفرفط عناقيده في جرار العسل . ويسكب نقاط حروفي لؤلؤ في أجفان المطر .. أخبز في تنور المعاني إحساسي ، وأصنع منه رغيفاً عابقاً برائحة الحبر . وأوزّعه على قلوب متعطّشة للحب ..

أقوال ..

- لفرط الإيمان بالحياة أبدع الإنسان – الحب – . دون الإنسان ليس هناك – حب ، أو جوع ، أو شهوة .
- البلبل غناؤه رخيم في الليل ، ومع ذلك حبسه الإنسان في قفص ذهبي . وبقيت روحه تتجدد بالغناء ..

أسطورة الفجر ..

أورور – ربّة الفجر حبست زوجها العجوز في غرفة بيتها ، واندفعت مليئة بوهج هيامها تبحث عن حبيبها – هيروس – نجم المساء وأقدامها الرشيقة الوردية تهرع خلف حبيبها وهو هارب مع الشمس . وعلى الرغم من البريق الوردي الذي يلمع في الأصيل ، أورور لا تصل إلى حبيبها ، وقد خطفت الجمال الغجري وهي تبحث عنه ظناً منها أنه حبيبها ..

ويبقى الفجر يوقظ الحواس مع الشمس ، ويظل العقل المتعب من تفكير الليل نائماً ..

الهوى ..

سقوط الحبّ في القلب منذ أول نظرة ، وإذا خلص له سمّي حبّاً وإذا ثبت سمّي وداداً وإذا تغلغل في الفؤاد سمّي عشقاً ومن العشق – اللبلابة المشوكة .

أما القلب ما سمّي قلباً إلا من تقلّبه ، وهو يتنوّع من تنوع الواردات عليه ، وتنوّع أحواله .

حار أرباب الهوى في الهوى وارتبكوا
ليت شعري هل دروا أيّ قلبٍ ملكوا ؟
ابن عربي

بدء النسيان

من ذاكرة أبجديتي
ينزلق شوقي للجمل
وتتمطّى حروفي
أجنحة الرحيل
نفذ صبرها
من الهوامش .. والمقاطع
والصفحات ..
على ألواح غائمة
أرسم أول تاريخ
للنسيان
أينهار ما كان بيننا

توهج على خدر النار
صار مع الزمن
كفناً للرماد

قول ..

حين يشكو الحزين من حرمان الأمل والفرح ، يبقى له دائماً الكلمة الحلوة الحنونة .

إذا حلّت الشيخوخة محل الشباب صار النهار ليلاً .

من يخط غرزة بإبرة الإيمان ، يسرّ دائماً بالكلمة الطيّبة .

صلاة للغروب ..

أيتها الأحاسيس الهائمة على شواطئ المساء ، لِمَ تستحمين بجزنك ؟ هيا استرخي على جسد الغروب المضمّخ بخيوط الشمس التي يسترخي أرجوانها لهباً للنور ، ودخانه البنفسجي يتشرّب آخر رشفات الزرقة وهو يتلصص على العتمة من فجوات قامات البنفسج .

أيها الندى اغمرني بقبلاتك من السماء الوردية ، مازالت خصلة من عبير الغروب ترشق شذاها لذاك الحسون المغرّد الذي يغني أغنية الوجدان ويراقص الآمال الحريرية على بحيرة الغسق .. أمطري يا غيمة أفكاري أحزانك في الدروب المنفية ..

من لطائف الكلمات

- اللطائف : هنّ بنات **فينوس** من إله الخمر ، وهنّ عذراوات جميلات يخدمن فينوس – وقد شيّدت لهنّ منزلاً لا يهدم أبداً .
- قال الحب : ماذا تهدئون ؟..

  روحي تحترق وتشعّ بين نغمات الشعراء ..
- قلت : أيها الحب دائماً أتعرّض لإغراء رؤية من أحب ..
- قال محب : ما خفت من الموت .. إنما أكره الموت من أجل إن متّ لا أراها ..
- قال الشعر : الرعشة الشعرية هي ثورة الإنسان الداخلية في علاقته مع العالم .. والحب والفن نسيبان .. كلاهما لا يفسّر ..

لحظة كتابة ..

الإنسان المغلق على كلّ جديد ، والخائف من كلّ جديد ، يحاول قصّ جناح العقل والروح ، فلا يتمكّن من الخلق والإبداع . أما المبدع الخلاق يجب أن يكون وفق معطيات الواقع المتغيّر أبداً لأن الواقع ليس قالباً محنّطاً ، طالما أن حركة الحياة مستمرّة ومحور الأدب هو الإنسان . وهل هناك وثنية للغة والواقع والعصر ؟ .. أليست فنون

الأدب هي المدخل الحقيقي لمعرفة المجتمع حق المعرفة ، والأدب لا يكفي أن يصف الواقع بل يرفعه إلى مستواه ، لأن الكاتب قلب يخبر ، وعقل يفكر ، وقلم يسطر ، وهو ليس أداة في يد اللغة بل اللغة هي الأداة في يده .

أما الكتابة ليست زركشة لغوية بيانية تبهرنا لأول وهلة ، إنما الكتابة انعكاس ما في أعماق الإنسان وأعماق الوجود ، وتوسيع الآفاق الإنسانية . لأن الكتابة انفعالاً وفعلاً في آن واحد .. كما أن الروح والجسد .. والموت والحياة واحد .

همسة عاشق ..

قلنا لها :

عينيك النجلاء يا خلة

فيها الرنو إلى العشاق مفقود

فقالت :

العين قد جاءت مؤنثة

وفي الإناث طريق البخل محمود

كلمة صغيرة ..

حين يضيق عالمك ، خذ العالم كلّه في روحك ، مدّ ذراعيك ضاماً الجبال والماء والسماء إلى قلبك، واغرق في صلاة صغيرة إلى الأم الأرض .

إلى الشعاع المنعكس في البحيرة . وقدّم شيئاً من حريّتك .

رموز الرقم (7)

- الرقم /7/ رقماً قمرياً يدخل في صميم أسرار العبادات القمرية .
- الإله /بعل/ يجدد قواه عن طريق الموت والبعث في دورة مقدارها 7 سنوات . حياته 7 سنوات . اختفاؤه 7 سنوات.
- الملك /داؤد/ أعدم سبعاً من أبناء وأحفاد شاول .
- عند /الكنعانيين/ الرقم /7/ مقدس وهو رمز الصاعقة .
- حلم /فرعون/ الأول : البقرات الهزيلات تأكل السمينات وعددهن 7 بقرات .
- حلم /فرعون/ الثاني : السنابل السبع في ساق واحدة وعددهن .
- وفسّره يوسف /بسبع/ سنوات عجاف و/سبع/ سنوات خيرة .
- دورة الخصب مؤلفة من /سبع/ سنوات .

تحريض

يقول المتزمّتون : إني أحرّض النساء على الحب . إني أحرّضكنّ على أجمل ما فيكنّ ، وأنبل ما فيكنّ ..

أحرّضكنّ على الارتفاع إلى مستوى الإنسان ..

نزار قباني

خاطرة

يسيل عسل الروح
من كلّ الجراح
تتغنى صبابة أحلامي
في ملكوت الخيال
هل كانت خشخشة أوراقي
أغنية للفصول ؟
هل كانت تعرش أشجار اللغة
فوق غابة قلبي ؟.
هل كانت تجعلني بجعة ممسوسة
بسحر الماء ؟
أنهل من الشعر
رحيق كلماتي

* * *

حين سُئِلَ الشعر كيف تزلف طيب المعاني ؟
أجاب : هل يُسألُ عاشقٌ عن علّة وصله ؟

* * *

النقد ..

خلق وإبداع .. وليس استحسان أو استهجان

الإبداع ..

هو الهروب الجريء من النماذج التقليدية .

* * *

الإنسان هو الأسمى :

هل يفصح الشيء عن ذاته إلا في نقيضه ؟..

الموت في الحياة ، النهار في الليل ، الحركة في السكون ، الشرّ في الخير ، الحقيقة في الخيال ، الغموض في الوضوح . ويحيا الإنسان ضمن ملكات ثلاث منفصلة إحداها عن الأخرى وكلّ ملكة تسيطر على عالم مختلف كلّ الاختلاف عن عالم الأخرى وهنّ : العقل – الروح – الجسد .

ويبقى العقل هو المنظّم الثابت لأنه يتعمّق بالمعرفة ، ويحوّل وهم الزمن إلى معنى ، وقد سخّر الطبيعة ، وتوصّل إلى المخترعات والمعجزات ، وساهم في التطوّر الحضاري والتقدم . أما القلب أصل

الأفكار وتصدر منه أربعة فروع هي : الخير – الشر – الحياة – الموت .

والذات هي ذليل العاطفة التي نتواصل بها مع الآخرين ، وهي التي تخلق المودّة ، والمودّة تخلق الفهم ومعرفة الآخر .

وقد يتعذّر أن تنشأ مودّة مع أي كائن دون المعرفة بالذات الأخرى . والمعرفة هي التي تخلق المحبّة المتواصلة ..

أما الخير والشر الذي يأتيه الإنسان ، إنما يأتيه ضدّ ذاته ، ولو لم يكن في نفس الإنسان شرّاً لما رآه الناس . ولو لم يكن في الناس خيراً لما رآه في نفسه . فالإنسان يعطي مما فيه ويأخذ ما ينطبق على أخلاقه وجوهره ، ولكنّ مدارك الإنسان تختلف من إنسان إلى آخر ، فهناك إنسان يدرك بالعقل وآخر بالشعور ، وآخر بالجسد . والقلب يستعين بالعقل والعقل يتساهل ويسامح في أغلب الأحيان ...

* * *

أسطورة الزهرة ..

الزهرة هي التي أوقعت في بابل بالملاكين – هاروت وماروت – وبعد أن أوقعت طلبت منهما تعليمها الكلام الذي يصعدان به إلى السماء . ولكنها نسيت الكلام الذي تنزل به ، فبقيت مكانها . وجعلها الله ذلك الكوكب الجميل .

أما الملاكان فقدا حيّزاً بين عذاب الأرض والآخرة ، فاختارا عذاب الأرض لأنه ينقطع ، وجعلا في بابل يعذبان منكسين في بئر إلى يوم القيامة.

كوكب الزهرة ..

الزهرة آلهة الجمال والحب ، وفيها روح العشق والطبيعة البشرية والنظر إليها يجلب الفرح . وتخفف عن العاشق حرارات عشقه . والكلدانيون أول من درس السماء ، واهتموا بعلم الغيب ، فأوجدوا خريطة للأجرام السماوية . واعتقدوا أن الكواكب هي المدبرة لهذا العالم ، ومنها مصدر الخير والشر ...

وللزهرة أسماء متعددة :

الكلدانيون (عشتار) اليونان والرومان (فينوس – صوفيا) الأوربيون (أفروديت) المصريون (إيزيس) الآشوريون (أناتييس) الفرس (ميترا) العرب (الزهرة) أو العزى .

قال الهدهد ..

إنك تحبّ في أيام الفراق . انظر ماذا كتب في النجوم ؟

حبك انضمّ إلى القوى الخالدة ...

حب ..

خبريني .. ما معنى هذا الهمس
ولماذا هذه الحركة الرقيقة من الشفاه
أنت دائماً .. تتنفسين همساً
أرق من هزّة الخمر المذاق
أريد قبلة
انظري في الظلام المبهم
تتّقد كل الغصون المزهرة ..

(جوته)

خاطرة للحب ..

الحب أقصى درجات الوعي لدى الإنسان ، وهو أسلوب في الحياة لكلّ ما نفعله ، لا أنتظر من الحياة شيئاً ، وأمنح بكل استطاعتي فالعطاء يمنحني قوّة ، وكلّما اهترأت أثوابي أرتّقها بالخضرة ، وأحلام الحب تلتمع على بريق أغصاني .

حاجة ..

طالما دفعت بي حاجتي إلى الحنان لالتماسه عند أشخاص كانوا يحاولون تدميري .

(فان كوخ)

* * *

سـهر ..

عيون الحب ساهرة معي
في دار الحزن
تلفح عزلة الليل
أكانت ملامحك خرافة
أوهامي
أكان يعز على جبين القسوة
وجع أيامي
ألامس راحة أوراقي
لا بالكلام
ولا بالهمس
ولا بالغيث السجام
بل بشغف قلقي
وخفق الهدب يثرثر للسّهاد
" عذّب ما شئت في الهوى ولا تسل من منا الملام ؟ "

* * *

الفنان هو الذي خلق الجمال الإنساني
حتى ولو لم يكن موجوداً .

قول

الفرح أندر وأصعب من الحزن

دواء ..

داؤك فيك وما تعلم
داؤك فيك وما تبصر
أتحسب نفسك جرماً صغيراً
وفيك انطوى العالم الأكبر

* * *

الروح والمادة ..

يقول **يونغ :**

النفس هي القوّة الواقعة بين الشعور واللاشعور ، أما الروح فهي موضوعة في سجن الجسد ، لذلك هي في خطر ولا تستطيع أن تتمدد في حرية . والروح تعمّر أكثر من الأجساد الفانية ، والأجدر بالإنسان ألا ينهمك في متطلّبات الجسد ، لأن الروح لها القدرة على أن تتفوّق على المادة . فالمادة والروح عدوّتان ..

الروح تتأنّى وتصبر وترحم . والجسد يفرض حقّه . والإنسان قد يسيطر على جسده في التفكير ، الجلوس ، المشي ، الرغبة ، الشهوة . ولكنّه لا يستطيع السيطرة على المرض ، الشيخوخة ، الموت .

وقيل : إذا أراد الجسد أن يمزّق نفسه فدعه يشبع نهمه .

قول ..

يذوب ضجيج الصراع في الموت ، وتذوب الأنهار في البحر، وتذوب النجوم في الليل ، ويذوب القلب في الحب .

* * *

أسطورة < أفروديت > إلهة الحب ..

هي التي تجعل أفئدة البشر تفق خفق أجنحة الحمام ، عندما تضطرم العواطف . وابنها < كيوبيد >هو الذي يطير بشكل حمامة بجناحين بيضاويين، ويرمي سهامه بين قلوب البشر ليزرع فيها الحب والعشق . وحول تمثال أفروديت الحمام والطيور .

الحمامة .. رمز الألوهة ، والروح المقدسة ، والبشارة للسيدة العذراء، وهي التي عادت إلى نوح وفي منقارها غصن زيتون أخضر

الحمامة الستيتية .. هي التي وقفت عند غار حرّاء ...

كلمات ..

- هناك تزاوج أبدي بين النور والكلمات في روح الفنان الذي يعيش بالقيم الروحية ويعمل بها . ولكنّه لا يستطيع الانعزال عن الصراع الذي يهدد أعظم القيم الإنسانية والحضارة .
- التعبير الذاتي مستحيل مع الآخرين ، لأن تعبيرهم سيتدخّل فيه ويعرقله , إنما أسمى ما عبّر به البشر عن نفوسهم في الشعر ، والرسم ، والموسيقا .
- أليست الورقة المرتمية على غصنها يتمثّل فيها الخير والعطاء ؟
- كم هو معذّب أن يبقى الإنسان وحيداً وشقياً دائماً ، لكنّه السبب في سعادة غيره .

* * *

طيف

طيف شفيف زارني
نفض النعاس عن
أوراقي
خواطري تذري
الحروف ..
على وجه السراب
تشعل ومض الجمل

في جراح ذكرياتي

* * *

كيف أعتل رصفٌ الحزن

في بريق الأماسي

وحسر ستائر

الهمّ عن ذاتي ؟

* * *

لمن زهرة الحب

في محراب القلب

تصلي ؟

و تزف سرّ اعترافها

لغرّة مسائي

* * *

كلمة ..

– أريد أن أضمّ الجمال بين ذراعيّ ، الذي لم يأتِ بعد ، وهناك ثلاثة أشياء ضرورية للجمال ..

الاكتمال – التناسق – البهاء

– الطير للحرية – العنبر للخمر – الغصن للشجرة

– القلب للحب – الابتسامة للشفاه – الحزن للمغيب

– أغني أغنية ربة الفصول ، وأعود كالنجمة إلى ليل الحياة القصير

– أليس الليل حين يشتدّ الظلام ، يصبح كامرأة مهجورة تحوّلت دموعها ناراً ؟

– أتمنى أن أطلّ من الشحوب الكوني على كوّة صغيرة لأرى ما لم أعرف .

– الليل مظلم في قلوبنا . وعند الله نور .

– الإنسان هو الخيط السرّي الذي يربط بين الله والعالم ، والإنسان المثالي هو الشاعر المتأمل ، والحكيم الذي لا يريد من الحياة إلا ما يسدّ به الرمق ، والذي لا ينظر إلى الغد .

* * *

للشعر ..

نسمة الحياة ، وهو انعكاس ما في الداخل من عوامل الوجود وحين تتوهج العاطفة المشتعلة بالشعر ، يتفتّح الخيال على آفاق واسعة، وتزهر الروح من ألفاظ الرعشة الشعرية .

سؤال ..

أليست الصداقة أعمق من الحب ؟

– إنها تكسر عزلة القلب ، وتواصل الأحاسيس مع الصديق حين يشعر بالانسجام ، والبذل ، والوفاء ، والوضوح .

هنيئاً لمن يجد قلباً يفهمه ، وصديقاً يصدّقه ، وروحاً تتفهّمه ، فتصبح رحلة الحياة أقلّ قسوة وأكثر احتمالاً ..

فالصداقة قيمة إنسانية ، والصديق هو الذي يفهمك من غير كلام وتفهمه بالإشارة ، فتصبح روحك روحه ..

زهرتان أو ثمرتان على غصن واحد ..

غفوة ..

أغفو مع أحلامي كما يغفو النبع على جنبات الصخر ، وقرقعة أفكاري تتداخل في فجوات الحصى . أودّ لو أزرع زهرة فرح على كآبة التربة . ترتجف العتمة من تخيّلاتي ، بينما القمر يحلم، ويحب ، ويتألم . وقلبه غارق في الرغبة الصامتة .

أمسح دمعة النبع النقية ، لأنها وحيدة مثلي ، وتعكس ذكرياتي الأكثر نقاء .. والأكثر فتنة على جبهة الشاطئ التي تلامس أغصان النور ..

* * *

كلمة ..

- الحلم هو بمعنى من المعاني المفتاح الذي تولد منه ذاتنا الأصلية.
- هناك شيء ما في أعماق الإنسان يخبو لكن لا يموت ، ويظلّ هذا الشيء يحركه ويدفعه من مكان إلى آخر حتى يعود إلى منبعه

* * *

يخت اللحظات

أعرني .. اخضرارَ الفرح
جوارحي مشرّدة
على صدرِ الحياة

* * *

دُلَّني على قلبٍ
لا يتبدد في أوردةِ
المغيب
دُلَّني على حبٍّ
لا ينفرط كحبيباتِ العنقود
في دالية الروح
دُلَّني على قمرٍ .. لا يحبو
كالضرير في مويجاتِ النهار

* * *

كلُّ حدثٍ يتغيّر
في عوامة الحياة
كلُّ حدثٍ يتبدّل
في يختِ اللحظات

* * *

وتبقى جراحنا
طافيةً على زورق
الحياة

أسطورة القمر ..

كان القمر فتاة جميلة اسمها < رابية > تعيش على الأرض مع أهلها. وقع رجل الشمس < نويل > في حبّها ، وعندما صدّته قرر الانتقام وأغرق رابية في جوف الأرض عند جذور شجرة ، وفشل أهلها في إنقاذها ، وهم ينظرون إليها وهي تغيب . وعندما بلغ التراب عنقها ، طلبت من أهلها أن يذبحوا حيواناً ويقيمون مأدبة على روحها، وطمأنتهم أنها لن تغيب طويلاً في باطن الأرض ، وفي مساء اليوم الثالث عليهم أن يراقبوا السماء ، لأنها ستكون انتقلت إلى جرم سماوي منير هو < القمر > . وسوف تتألق وسط الليل الغامض ، وتسبح في قبّة معتمة ، إنها سيدة الليل ، وأنثى كونية حين تهبط إلى درجات الموت الأربع عشر درجة ، كلّ درجة تمثّل يوماً من أيام النصف الثاني القمري . ثم تبدأ بالظهور في قبّة السماء نحيلة .. هلالاً حتى الامتلاء .. وتبدو بدراً مشعّاً على قمّة زهرة – الوتس – المقدسة . وتصبح منبع خصب الأرض والزرع ، وترسل مياه المطر والينابيع ، وتحكم حركة المياه .

* * *

القمر أمير الشعر ، سيّد الإلهام والإبداع الفني والخلق .

البدء كانت الرغبة والظلام ، ومن اتحاد الرغبة والظلام نشأ العقل.

سدرة المنتهى شجرة الحكمة ، شجرة الحياة .

* * *

نجوم المساء ..

- أليست هي كالأم التي تحرس أطفالها النائمين ؟..
- أليس الطفل أسعد المخلوقات ؟..

إنه فراشة النور . له طيوره ، زهوره ، حقوله ، والوهم فرحه ..

- أليس اللقاء والفراق بعض هموم هذا العالم ؟..
- ألا تتعب النجمة وتفنى في الأفول ، والأمسية تغمض عينيها في أحضان الليل ، والدمع يكف ، والزفرات تهجع. ولكن هل يعود الإنسان كما كان ؟

موسيقى الطيور ..

العصفور يغني بنداءات طفولية تتسرّب إلى أوصال النبات وتفجّر المياه من عروق الأرض ، كأن الطير النائم على الأغصان

أجراس يعلوها الغبار ، ويهزّها الريح ، فتصبح زقزقة رجراجة على صفحات المياه .

وموسيقا الطيور ناي حنين يوقظ الغابة النائمة ، ويرقص الأغصان المسترخية ، فهي تخلق إنسان الفرح من جديد بدموع النشوة .

(فاليري)

سرّ الكتابة ..

تكمن في فكر الكاتب ، أما القالب الذي يسكن فيه فكره يتوقف على دقة ذوقه في انتقاء الألفاظ الأكثر فاعلية في تأدية المعنى ..

شحوب أفقي ..

كم أنا بحاجة إلى صمت النجوم كي أغتسل من هموم الأرض. وحتى يخفت نشيج الحب في روحي .. كان صوتك عذباً بريئاً ، يرتعش كبرعم خوف مغزول بندى الوسن ..

كم أنا بحاجة إلى الشحوب الخفيف الذي لا يفسر في الأفق ، ويصبح أكثر جمالاً حين أرجع إلى ضعفي الطفولي .

كم أنا بحاجة لأنسى نفسي في الحب ، لأني الوحيدة المجزأة على صدر الواقع . جذعي كالسنديان مغروساً في أرض فانية .

كان الحبّ خيال طير مهاجر بين الأرض والأفق ، وورود السماء تزهر عندما تختفي الكواكب في نور النهار .

أقرأ .. على فصول الأفق المتقلبة أن جميع الرجال أحبّوني لأجل ذواتهم . تمنيت أن تحبّني أنت لأجل ذاتي ..

وقبل أن يورق الحنين على براعم ألواني الناعسة بدأت أغادر الحقل لأن لون شجرتي من قلب حقل آخر ، وبقي الخجل كالمحبّة الشفافة يمرمر الروح ويعزل الحب .

أمدّ كفي إلى الأفق .. إنه كالشوق بعيد

أمدّ كفي إلى الحلم .. إنه نار لا نور فيها

من الصعوبة أن أكتشف أن الحبّ الحقيقي سراب . حلم لا مرئي لا نصل إليه إلا في أحلام يقظتنا ..

كنت أظنّك ذاتي البعيدة ، لذلك كان حزن القمر هادئاً . وبدأت أوراقه تتساقط ، وأنت تبتعد عن هالة النور التي رسمت اسمك حولها.

الأرض دوائر صاخبة ، وكوكب الأفق ثابت .

بقيت أصنع من الألم قوتي ... وأنظر إلى طيوف الحلم لأصنع الحبّ ، أنا ابنة هذه الأرض ، وشريان في قلب الحياة . ولأني أطمح إلى طريق الكمال أفشل ولكني محتفظة بحرية الفكر . القول والعقل .

اليونان توحّدوا مع آلهتهم ، وكانوا يرقصون ويغنون معهم . أما نحن لا نعرف إلا آلهة الرعب والخوف والألم لذلك نبكي دائماً ونندب .

لِمَ لا نتوحّد مع إله المحبّة ونفرح ؟!

* * *

كلمات ..

- المتصوّفة يمثلون غصناً من أغصان الشجرة الإنسانية .
- يرعبني الصمت الخالد الذي يتّصف به هذا الفضاء اللانهائي .
- مهما تألّقت المياه الواهية في الظلام ، فإن ظلال الظلماء تبقى هي في النور ، في نظرة الوداع الأخير نظرة أيامنا الغابرة ، ولا يبقى لنا إلا لطخات الظلام حولنا ..

شكل للكتابة ..

- ثمّة شكل للكتابة يشبه فنّ الموسيقى ، قد يؤثر في مشاعرنا دون اللجوء إلى الفكر
- الكاتب ليس زخرفياً ، إنما يعلمنا أن نتحدّث كما نشعر وكما نرى
- لكلّ إنسان خيال يتوّج به أحلامه التي لا يثق بها دائماً .
- من دون الشعر الذي يناشد المشاعر ، لا نستطيع أن نحتفظ بعلاقتنا الحيّة مع كلّ الأشياء .

هنيهة حزن

خمار النجوم يسربلني

بنمنماتِ حكايا بعيدة

متلامحة بنورك

هُنيهة يزورني فرح واهن

هُنيهات يُوسد الحزن رأسه

على مخدتي

أتفيأُ ظلالك المهدّمة ..

في جنح الدجى

تبارك أوهامي ذكراك بالدمع .

* * *

أحزم حقائب الكلمات

والنهار يلملم

أشجان المساء

انتظرني في المدى الخفي

أنت تنأى

وأنا أبحث عنك

* * *

عشتار ..

أنا ما كان .. وما هو كائن .. وما سيكون ..

رموز الكون مني ، من الزبد كانت أرضي ، من الأمواج الجبال ، والماء تطاير سماء فوق سماء ..

أنا امرأة عاشقة أبداً ، غارقة في الحبّ . أبعدوني عن تموز حبيبي وبقيت أنثاه الخالدة . ما من إنسان يستطيع رفع برقعي إلا حبيبي المقدس ، أنشد أغنيات تعطشي وفراقي عنه .

أنا سيّدة القدرة الأبدية ، والشعلة المقدّسة ، والنفس المتوقّدة ، وكاهنات معبدي عذراوات يوقدن ناري المقدّسة ليلاً نهاراً على مدار السنة .

أنا الرمز لوحدة العائلة واجتماعها حول الأم موقد البيت .

كلمات ..

- الأرض هي الفاتحة في مصحف الوجود . متى قرأها الإنسان كان في غنى عن كلّ ما احتوته الكتب .
- في التراب عطر لا تعرفه حوانيت العطارين .
- محور الأدب هو الإنسان ، فعلى قدر ما يتغلغل الأدب في حياة الإنسان يكون فيه قوى إنسانية ظاهرة أو باطنة .
- حين أستعيد الشعر الذي كتبت ، أدرك أنه يتململ مثلي تحت رماد السنين .

أسطورة ربّة الخصب ..

كانت الصبيّة الجميلة تجمع الزهور من الغابات ، وأيامها تمضي على أجنحة الفرح بين سنابل القمح . ومروج الخضرة ، وعطر الزهور المنوعة غارقة في أحلام الرؤى . تتذر قبلاتها بين عينيّ الفجر

والمغيب الحبيب يرقبها من خلف الأفق ، والقلب يرتعش مثل كوثر الكمان الحائر بين أغصان الأمل ، وضحكات الأصيل . اقترب ذلك الحبيب من الصبية وخطفها . غضبت الأم – ديمتر – ربّة الحقول والغابات لفقد ابنتها ، وجفّ قلبها حزناً ، وغضبت غضباً شديداً . ولردّ غضبها قررت الآلهة أن تعود إليها ابنتها كل ثلاثة أشهر من كلّ عام ثم تعود إلى العالم السفلي . وفترة غياب الابنة يجف الزرع ، تموت الأشجار . وتحزن الطبيعة . ومع قدوم الربيع تحلّ بركات الخير والرضى وينمو الاخضرار ، وتدرّ الأرض غلاتها حين تعود ابنتها إليها .

معنى ..

- الأيام التي عشتها هي التعبير الأروع على ما أردت أن يكون ، وكلّما انقضى يوم تزايدت رغبتي في الخلق ، وأشعر إنني لم أبدأ . ربما بدأت في اليوم الأخير من عمري .
- حين يتأجج في القلب شيء ما ، يشعر الإنسان أنه يكافح من أجل النور ، فيتوق إلى الحياة والحب حين يهتدي إلى النور .

سـر

جرح قلبي
على شفاه السحاب يهذي
ظمأ الفراق مرتبك
في هوة الصمت ...
يسكب ريق لغته
أرقاً في إناء الوجد

* * *

أ أفشي لسر الورود
أريج صدري المتعب ؟
هو الألم الممتلئ
محبة .. وترحاً
وفرحاً
يذوب في أغاريد الريحان
يرضع من حلمة الخضرة

خمرة أغصان الروح
وواكف ندى الصبح
من قال ذبل الياسمين
على أكتاف اليمام
وباح العطر ؟
من قال : جداول الفراق
تناغم أنفاسها
سرّ لموعد الحب ؟

* * *

الحياة ..

هدف ومعنى ، وكلّ حلم يتحوّل إلى خلق بإرادة القوة ، والحقيقة تكمن لا فيما نرى لأن المظاهر خدّاعة ، إنما تتوضّح من الداخل ، ورؤية الأعماق هي التي تضيء العقل الإنساني ، والتعمّق في الإنسان هو مفتاح أفعاله ، وجوهره جدول أعماله . وأما مفهوم حريّة الإنسان يجب ألا يختلط مع الفردية الفوضوية . فالالتزام والحرية لا يتناقضان بل يستلزم كلّ منهما الآخر بالضرورة . وما تذمّر الإنسان من هذا العصر إلا لأنه تجرّد من العاطفة ، وخضع لأفكار مشوّشة وخاطئة . ويبقى الحبّ في كلّ زمن الخير الأعظم ، لأبناء هذه الأرض خاصة حين يبذل في سبيل إنسانية الإنسان ..

كلمات ..

- أركض أحياناً على أرض الفرح ، أسابق الشمس والعشب والحرية. لكن زهور الشحوب تتفتح على دفاتري ، وتكبر فتصبح أوراقي غابة من الدمع .
- العلم شيء ، والتهذيب السلوكي شيء آخر ، وأقرب السبل للتهذيب المطالعة .
- سوء الظن يجرح . لاسيّما إذا كان من مصدر لا تتوقع منه إلا الخير ، والمحبّة ، والثقة .
- أريد أن أحترق لأضيء عطراً دفيناً سرياً في فوح حبك ، وكأني لن أراك مرّة ثانية ..

ناي الحزن

قلبي تائه ..
كحنان محروم
سقط غصنه
مطعوناً في رعب الهدوء

* * *

ناي حزني عليل
على عتبة فصولنا الباردة
والوقت باهت
كعزلة عندليب جريح

* * *

لأجلك غرّد الحب
لأجلك قرأت فاتحة القلب
لأجل الوفاء ..
اخضل كفّ الوجود
بشمع الليل
حين ستغيب
سأطوي زلفة كلماتي
في كتاب الرجاء

* * *

أسطورة عشتار ..

هي سيّدة الأسرار ، أحلامها نبوءة وكشف ، وهي :

الساحرة الأولى .. الأم الأولى .. والحبيبة الأولى ..

الكون خرج من لجّة العماد بواسطة العقل حين رافقته حركة الجسد ومن جسدها المتحوّل نشأت الأرض والسماء ، وفورة الطبيعة هي حركة جسد الأم الكبرى ، لأنها الأنثى المخصبة التي انبعثت منها الشعلة الأولى للنار ، ووهبت الشجر القدرة الكامنة بالعطاء . فهي رمز النفس المتوقّدة ، والقدرة الأبدية ، والحيّة من رموزها ، وهي مشتقة لفظاً من الحياة ، وخالدة لا تموت، وتبدّل جلدها متجددة مع دورة القمر . وقد اكتشفت الأدوية ، وفنون الطب ولا تزال شارة الطب والشفاء في كلّ أنحاء العالم رموز إليها .

- كأس تلتفّ حولها أفعى واضعة رأسها عند الفوهة . فالكأس جسد الأم الكبرى . وعندما يرتفع الهلال فوق الأفق متزايداً حتى الاكتمال ، تدير عشتار وجهها نحو العالم وهو وجهها المضيء بالخصب للحياة . وعندما يبدأ القمر بالتناقص وينحدر نحو الأفق تدير عشتار وجهها المعتم فترسل الأمراض والكوارث والعواصف . تشرق عشتار في الفجر وتسمّى **نجمة الصباح** ، وظهورها بشارة ميلاد جديد للحياة . وحين تظهر عند غروب الشمس تسمّى **نجمة المساء** . فهي التي تحيك نسيج الحياة ، وتغزل خيط القدر .

وفي معابد **عشتار** يوقدن نارها كاهنات عذراوات ليلاً نهاراً على مدار السنة . وكانت الفتاة تخدم في المعابد قبل أن تتزوج .

حكمة الصداقة ..

دخل رجل مسنّ إلى قاعة المحكمة التي كانت تنظر في قضية شاب متّهم بالقتل ، والقاضي يستمع إلى أقوال الشهود ، والحضور ينتظر الحكم . فطلب الرجل المسنّ الإدلاء بشهادته . وافق القاضي فقال الرجل :

إن المتّهم بريء ، وابني الوحيد هو القاتل الحقيقي .

ضجّت قاعة المحكمة ، واستغرب القاضي من موقف الرجل، لكنّ الرجل أجابه بهدوء :

أولاً – أدين ابني المجرم لأني أحبّ الصدق .

ثانياً – لأن والد الشاب المتّهم صديقي .

وقد اقترنت كلمة الصداقة بالصدق ..

لون ..

أطفئ الألوان السابحة في مدى الكون ليتحدد لون الزرقة الساجي في بحيرات الهدوء الأزلية ..

بعض المعتقدات القديمة تعتبر اللون الأزرق لون جهنّم أو لون الغضب والحزن .

أما في المعنى الصوفي فيعبّر عن التجرّد من مظاهر الحياة والاتجاه نحو السمو الإلهي ..

فهل أنت اللون المسرمد في سدرة المرتجى تزف خضرتك للنجوم الساجية ؟..

الإنسان

يتأرجح كخضرة شجرة

على قامة الرغبة

يقطف فاكهة الذات

من الغصن الأخضر

* * *

فوّار ذاك الوجد

كزوبعة عطر

موجع بالألم

يهمد في حقول

الثلج والنار

* * *

ما بين سورِ المَرئي

واللامرئي

من جوهر الإنسان

نكتشف ..

انكساراتِ وجهه المظلم

بالخفايا

ودهشةَ إعجاب

في وجهه المضيء بالمرايا

فتتساقط أوراقَه

على التواءاتِ معرفتنا

نقف مشدوهين

نلملم ذهولنا من خارطة

هذا الضياع

* * *

آلهات عشتار ..

تحيط بها ثلاث آلهات يمنحنها النعم ، ويشرفن على زينتها ويسمين – النعم الثلاث –

وهنّ مسؤولات عن تفتّح أزهار الربيع ، ونضج الثمر .

أجالا – المتألّقة دائماً

تالابا – واهبة الأزهار

أفروزينا – مسرّة القلوب

وهنّ عرائس – الشعر ، الموسيقا ، ربات الينابيع . ويلبسن أردية طويلة ، مبتسمات غارقات في التأمّل .

كلمات ..

الغيب هو ما يتجاوزه الإنسان وما يحتضنه ويحيط به ويحرّكه. إنه الأفق الذي لا يتحقق وجوده إلا في السير نحوه ليقترب من الغيب .

الفكر هو الوحدة العميقة التي تأتي من التجربة الحيّة ومن التواصل الحي مع الأشياء .. مع الكون .. والإنسان ظامئ أبداً إلى الوحدة والتوحّد والهيمنة خارج الوجود .

فراق

مهلاً قلبي
ليكن الفراق هادئاً وعذباً
عابراً من وحدة الصمت
لتكن آخر لمسة من يديك
كزهرة الليل رقيقة

* * *

الغيوم كبخور السماء
تتهامى في سكون
والحب المكتوم في فلك القلب
مقدّس ..
أصلي في قبة الله ..
عازفة
عن كلّ النهارات
في غيهب الصبر

* * *

كلمة ..

هل يستطيع الإنسان أن يمسّ زهرة ولا تذبل ؟
أما الروح تلمس كل الورود على أغصان الهيام وتنتعش !

لحظة للفن ..

لا إبداع بلا معرفة ، والفنان سارق النور ، ويبعث في الروح معنى الحرية ، والإحساس بالجمال .

أليس الفن هو التعبير العميق عن خلجاتنا الوجدانية ؟ ومشاعرنا الإنسانية ؟.. أليس هو الوثبة الخيالية التي تحترق لتنير ؟..

ولا نغم للفن إلا إذا حلّق على أجنحة الخيال ، واشتعل كحلم في الرؤى، لأن الفن هو الذي يجسّد أسرار الوجود بالإشراق الداخلي.

ولا تتجسّد الإنسانية ، وتضاء حقائق الكون إلا على مرمر الفن الخالد، لأنه يهب للإنسان الإحساس العميق بالحياة ، ويمنحهم مفتاح معانيها .

والفنان يقول :

< إنني أحبّ كلّ الأشكال ومنها أصنع الجمال .. عرفت النور، ورأيت الجمال ، فاحترقت > .

كلمة ..

- قرر البعض أن الحب الرومانتيكي وهم . وقد تناسوا أن ما نخاله وهماً يكون في بعض الأحيان حدساً وفي رؤية الممكن تكمن بذرة – العظمة والخلق .

- طبيعة الإنسان الروحية الصافية تمنعه من أن يقتل أشدّ البشر ضرراً .

انتظار

لا بدّ أن أحزم حروفنا
المجدولة ..
بقصب الشعر
في سلّة الذكريات
ضعها برفق ..
على شاطئ الانتظار
فالقلب المحبّ أكثر إحساساً
بالعذاب

* * *

لا بدّ أن تذكرني
أنا الصدى البعيد

من وجع أيامي
ألوّن الغمام
بماء الورد
أجرح المعاني
بنقاط الجمر

* * *

أتبكي غرّة حزني
وحبيب القلب ؟
أتبكي قلبك الراحل
وكم كان ناعساً بالوجد

قال :
لن أقول وداعاً
فالحياة تزداد متعة
في كلّ لقاء وغياب

* * *

سرّ قلبي ..

أحياناً يبزغ الفجر باهتاً مريضاً في غمرة أحزاني . هل هو سرّ قلبي حين يبتسم الجرح في شغافه ؟..

سأترك الحلم شعاعاً خجولاً بين حيرة وردتك . أتبكي دموع الغمام غربة زمني الواهن ؟..

تتلوى أماني لقياك في صدري المهموم ، وأحسّ بخيالك يؤرّق أمسياتي الهادئة .. خفق قلبي ينبئني أنك مقيم بين الضلوع، وألوان عينيك تذوب بين أجفاني .. حين افترقنا بكى الغروب وقشعريرة المساء غفت على صدر البحر متقلّبة على أمواج السهاد ..

كلمة ..

- المستغرب أن الخطيئة يدفعنا إليها المجتمع ، والأطر التي تُصنع لنا ، لها قوالب كالحذاء الصيني .. وهناك خطيئة مؤنثة .. وخطيئة مذكرة ، الأولى لا تغتفر ، والثانية تغتفر أليست الخطيئة هي الخطيئة ؟..
- كم من اللحظات نحسّ أننا ملك الآخرين أكثر من ملكنا لذاتنا ..
- هناك آلاف القيود التي تقيّد المرأة . وتبقى كالشتاء المتجمّد بلا ربيع ..

دعاء ..

يا إلهي .. أنت وحدك الباقي الذي لا يتغيّر .. لولاك لما وجد الإنسان ما يأمل فيه ويتعلّق به . هل أمل لي سواك ؟

هل يكون الأمل في الرجاء الذي أحبّ .. أم في الأب أم في الأم ، أم في الولد أم في البشر ؟.. كلّ شيء يذوي .. كلّ شيء يختفي.. كلّ شيء يتغيّر ، أنت وحدك الباقي الموجود ..

مطر..

أنصت لخرير ماء المطر المتساقط كشلالات ، وتسبح أفكاري مع المياه التي تفيض ، وتعكس على الأرض مراياها .. حزينة هي الأشجار التي تجود بعطرها وتخدر التربة برائحة غريبة كأنها شذى السماء .. اختلست الشمس نظرة بومضة فرح قوس قزح . مزّقت لي العتمة حولي حتى أراك ..

كلمة ..

- الخائفون من الذهاب إلى الداخل يتملّكهم الرعب من الموّدة أو الوصال بالكائنات الإنسانية ، ويشعرون أن مثل هذا الاقتراب يغشي أبصارهم ، ويستغرق مشاعرهم . فيدافعون عن أنفسهم ضدّ المشاعر في تهكم وفظاظة .
- في النثر الشعري يتكون السؤال من أحاسيسنا وخيالنا .

أغنية للرحيل

كخيطِ دخان
تنسلُّ راحلاً عن أيامي
لن أشتاقكَ
لأني عاشقة
في كلِّ الفصول
وأنت وردةُ قلبي

* * *

أنسيتَ أحاسيسك
هائمةً ..
على حبال الوصل ؟..
مجعّدة لغة الحب ..
لغة الورد ..
لغة الشعر
في خابية الشوق

* * *

اللحظات الأخيرة
قبل الوداع
تغرغر بسكون الهمس
وفتيل اللهفة

نحيل

عليل

يتذبذب في قناديل صمتي .

لن أبحثَ عن وجهك

شارداً

كرموش النجوم

من نوافذ سهري

* * *

لن أبحثَ عنك

سأغطي ..

نعاسَ الوجع

بمناديل دمعِ القلب

* * *

ماذا أقول للفرح

الذي تركته كالعجوز

متكئاً ..

على جدار حزني

كلمة ..

- تحت قميص الليل ، أعصر عنب الحزن ، وأشرب خمره.

- أليس البحر ملكاً على الجداول ؟.. ورغم ذلك يستلقي بصورة أخفض منها جميعاً . لذلك كي ترتفع فوق كل الناس ، عليك أن تتواضع ..
- أيتها الغمامة الشاردة ، داعبي الأزهار مع أغنية كلِّ صباح . فالوقوف يشلّ الحياة ويفقدها أهميتها ، ولا تدعي الماضي يستوقفك حين يكون الأمل الوردي غافياً على خدّك ..

لحظة للحب ..

أليس الحب أغنية الأزل ، وسرّ الخلق ، ونقرأ على ألواحه السرية رسائل الشوق ، وعطر براعم الروح . نقرأ أبجديته على شفافية النجوم ، وحروفه ترتسم على وجه قمر ساهر . وجه المحبّ يحترق دائماً في موقد الوداع واللقاء . العناق والفراق وما رماد الحب إلا من رموز الطير الأعنق المتجددة .

وكم يرزح الحبّ بين تعرّجات الخوف . وعناكب التقاليد ، وأصولية المجتمع ، وبعض النفوس تشوّه صورته الحقيقية بالأنانية والملكية التي تنخر الذات الضعيفة الجائعة . ولغة التملّك تكون في هيئة سحرية من الحنان ، أو هي خيط حريري يعيده ثانية إليه . ولا بدّ أن يوجد خيط فاصل بين الحبّ والتملّك ، ويحتاج الإنسان المحبّ إلى كثير من الشجاعة والكثير من السخاء وبذل الذات في سبيل رغبات من نحب . لأن الحبّ فعل صادق ، والحبّ الحقيقي هو التعمّق بمعرفة الآخر ، لأن المعرفة هي مفتاح الحبّ وقوّته . وكينونة الحبّ تضيء

آفاق الحرية النفسية والفكرية والذاتية . وقد يفشل الحب بسبب انعدام الوعي العاطفي ، والتفتّح الذهني ، والوضوح مع الآخر.

والحالة الانبهارية بالآخر دون العوامل السابقة تضفي على المحبوب صفات الكمال فيرى السلبيات إيجابيات . وحين تزاح الأقنعة تنشب الخلافات ويموت الحب ، لأن العاطفة غير ثابتة وهي خاضعة للتغيير والتبدّل والانعطاف . وهل هناك شيء ثابت في حركة الحياة ؟

- كم أحلم بالحبيب الذي في عينيه تساؤل طفل ، وعلى شفتيه ابتسامة صدق وحريته المهادنة تحمي الحب بالبذل والعطاء !..

* * *

خفقة قلب

أتسألني كيف تهلّ تباريح
الصبابة
على أغصان حزني ؟..
أتسألني كيف يتعسّل نبع الشعر
من شهد الكوثر ؟

* * *

يكفي أو لا يكفي
بوح قلبي
في القرب والنأي ؟.
يكفي أو لا يكفي
أنّ دفاتري وأوراقي
تعنبر الروح
فواحّة على جسد خافيتي

* * *

ألم تشهد كيف أزف
أحلام الورد
من زيزفون قلبي ؟
وهل كان قميص الهوى
يشجر أعطافي
إلا بقطيفات الحبّ ؟

* * *

رنّح هواك
على أغصان عمري
هل سواك

قطف سلاف وجدي ؟

* * *

إن كنت بالغيب

محتجباً

مرقدك قلبي

* * *

كلمة ..

- حين أتأمل النهر الجاري ، يلوح لي أنني قعر النهر ، والتيار يتدفّق بالألم .
- الحلم ينمي القوانين المنطقية والعقلية ، ويسلم الإنسان إلى كون خاص من الصور الداخلية ، وإلى المدّ اللاشعوري . هكذا الإنسان لعبة لذاكرته .. والذاكرة هي التي تلغي قيمة الحلم وتقتله . وحالة الحلم أكثر قرباً إلى التفكير الأصيل ، وإلى طبيعة الإنسان العميقة .
- الإنسان ليس شكلاً ثابتاً ، إنه تجربة وانتقال . إنه لا شيء أكثر من جسر ضيّق خطر بين الطبيعة والروح والمصير الكامن فيه يدفعه إلى الروح إلى الله . أما حنينه الكامن فيه يعود به إلى الطبيعة ..

في سواقي الهدوء

طريح صمتي
في خوابي الكلام
مزاريب شوقي
تشعل سنابل الأيام
ألم أعجن خبز حروفي
كل شتاء بغيث المدام ؟

* * *

أشتاقك كرائحة ماء الورد
في كأس الصباح
أشتاق ابتسامة الطفل
حين يجفّ الصدق على أكثر الشفاه
وأشتاق للزرقة الهاربة بآمالي
حين تطفئ بقية الألوان
أرمش أحلامي
في جزر الخيال
تتهدّل هادئة
كمآقي المساء
لتسقي أشجاني
من طفولة السراب

* * *

وقد أحتاج لكلّ حنان الأطفال
لأحتمل الحياة
فالنفس قد ماجت
في سواقي الهدوء
فهل أضحك لأني تعبت
من البكاء ؟

* * *

قد لا أحتاج إلا لأكفّ
الشعر
كي تسترسلَ على جدائل
كلماتي
وتعمّدَني بأنهار الحب

* * *

كلمة ..

لا أحد يعلم غير الإنسان المبدع الخلاق ما هو الألم العميق ؟

الألم الذي لا يطاق لولا ومضات الفرح العابرة ممرّاته الحالكة والمظلمة ..

والإنسان المبدع الخلاق ، هو الإنسان الأكمل ..

لحظة للغة ..

اللغة كلمات تتسرّب منها الحياة ، وتصاغ روح اللغة لتتحوّل إلى فنّ عميق معناه الإنسانية . فاللغة رقّة ، ورمز ، وغضب ، وفرح، وحزن ، وحبّ . لا قيود للنحاة وقواعدهم الصارمة . قد نغيّر حرفاً ، ونجدد حرفاً ، لنعيد صياغة الكلام .

اللغة هي الإنسان وهاجسه المصيري ، وحركة الحياة المتحوّلة دائماً والثابتة دوماً . وهي التي تخيط غرزات القلوب فتسحرها ويشجو حفيفها على الأوراق ، فتتموّج في مراكب العشاق ، كبجع يراقص المياه . وللغة لمسات فتنة تشعّ من صبوة الإحساس وتحرر الذات الداخلية من قهر الصمت ، وتطير مع غمامات الأحلام، لتحطّ في قلب شاعر . وهي التجربة والشعور ونقطة الانطلاق ، والوسيلة للتعبير ، وهي حركة الزمن في كتب المبدعين ، ونظريات الفلاسفة . والشاعر يقرأ بها نص العالم ، ويدرك القوانين الخفيّة للكون بطريقته الحدسية لتحقيق التواصل ..

سؤال ..

من جعل الكلمة هي الإنسان ؟

في طقوس – الولادة ، الحب ، والموت .

ومن خلّدها غير ناي الشاعر ؟..

* * *

كنار الشعر

غريد ..

فريد ..

في فراغات المدى

حروفه أغانٍ للمطر

في مزارع الغيم الأخضر

هائم ...

متيّم ... بالندى

يورد خدود القصيدة

وجداً

* * *

قلبه قلبي ..

محارة ضائعة

في بحار الهوى

كلماتنا أفياء

لأغصان النوى

* * *

غرّد معي

على راحة مسائي

حروفي في معبد عشتاري

مسبيّة

* * *

وشموع المعاني
على حنان الأرض
شجية

* * *

اجعلني طفلة الأمس
لأرسم ...
بالأخضر .. والأحمر ..
والأبيض ..
مراكبي الورقية

* * *

أنا سنبلة محترقة
كقمح البيادر
ورغيفي ..
ذاتي المنفيّة

وحدة ..

وحيداً .. هو الشاعر في حضرة الشعر
وحيداً .. هو الإنسان في طقوس الحب
وحيداً .. دمع التراب يساهر وحدة القبر
وحيدة أنا .. حين أحبّ .. وحين لا أحب .

* * *

لحظة للموسيقا ..

تقرأ أبجديتها في كلّ لغات العالم . وترافقنا في كلّ فصول الحياة . تأخذنا من عالمنا المألوف لتصل بنا إلى حالة النشوة الخارقة . أليست هي .. نبض الوجد ، ودمعة القلب ، وتغريد الروح وتراويح الصوفي ، وتراتيل القديس ، وغنوة الطفل ، ونشيد الوطن ، وزقزقة العصفور ، وصلاة خرير المياه ، وحفيف الفصول ، ونشيج قبر مهجور .

ألا يرثي البجع نفسه بالغناء حين يدنو أجله ؟..

ألا يترقرق دمع الزهور للمسات الريح ؟..

فالموسيقا لغتها أشدّ تأثيراً في الذات ، فهي تمسّ الأحاسيس السرية الغافية على وسد الروح .

كلمة ..

- الشعر ظمأ الإنسان إلى المعرفة في حركة اللانهاية .
- الإنسان مفتاح الطبيعة ، ومفتاحها السري الشعر .
- الشاعر – ساحر اللغة ، ومبتكر الحياة ، زوّادته :

الحلم ، الفكر ، الصور

- والشاعر عاشق العالم ، ووحده القادر على جعلنا نحب لأنه يرسم لنا الكون بريشة كلماته ، ويضع للضجر جزراً من النور الغارق في أحلام المجهول ..
- والحرف ريشة الشاعر الناعمة لأنه .. انفعال ، وخلق ، وغضب وشوق .

* * *

فصول

الصيف الصنوبري
يحرق أجنحته
بخضاب دم الهيام

* * *

والشتاء الغبوق
يرتق ريح العتب
لدمع الغمام

* * *

اسكبي يا أفكاري
هواجس الليلك
على وجه ربيع خجول

* * *

وترقّقي بخريف مقهور

يدندن

نجواه الخجول

كبحر مسلوب

لعري المياه

* * *

حنان البراعم ..

تتعرى البراعم خجلة من قبلات الربيع السرية ، والفراشات ترسم ألوانها للغمائم المتعانقة والهاربة مع أحلام النور ، تتألق عتمة الروح في حنايا الليل ، فأنثر زرقة الأمل من نظراتي الهادئة التي تسبل أجفانها على أضمومة اللحظات المرتعشة بين غلالات الحروف.

كلمة ..

- تظهر البروق الإشراقية في انسحاب الإنسان إلى داخل ذاته وبذلك يزداد توغّلاً في أعماق الوجود .

- يذوب ضجيج الصراع في الموت ، وتذوب الأنهار في البحر ، ويذوب تلألؤ النجوم في الليل .
- في لحظة الانخطاف والنشوة أدخل مساحة مجهول غامض في الهدوء ، فأصبح أنا هذا المجهول الغامض .
- الفراغ شبيه باللهب ، وغياب الشيء يكشف عن اللهب الذي يسكر ويضيء ..
- الخطر يعطي العاقل عبقرية يسمو بها فوق ذاته .
- لا يمكن إصدار فتوى ضد من استولى عليه الوجد والإلهام .
- حين أفتح الحرف يختفي المعنى ، كما تختفي الصورة الجميلة تحت الغطاء .
- للزهور سرية اللون ، ولفوح عطرها لغة قلب محب

لحظة للطبيعة ..

الطبيعة هي التي تعلّم الخلق والتدمير . والطبيعة الإنسانية لها القدرة ذاتها . والواقع الإنساني ليس فقط لنحسّ به أو نتأملّه بل لنعيشه ونغيّره نحو الأفضل في ضوء القيم الجوهرية ، والقيم الحضارية والتي تقوم على النظرة إلى الله .. والإنسان .. والوجود .

والجوع الروحي جعل الإنسان المعاصر يحسّ بالخوف من الوجود ، ويحكم على ذاته بالضجر ، والقلق ، والضياع . وأصبح المال

دم الحياة الاجتماعية ، وقوّتها الدافعة ، وكلّ شيء يتجدد بقيمته. وكلّ عاطفة تتجدد بضحاياها المادية ، ولكنّ الروح الصافية تمنع الإنسان أن يقتل أشدّ البشر ضرراً ، لأن العاطفة توافق في الجوهر ، وانسجام في الفكر . ولا تموت العاطفة بالموت الطبيعي إنما تموت من الأخطاء والخيانة والجراح .

أما الجوهر هو الفعل الذي يحقق به ذاته ، والعالم يدور حول الإنسان وهذا يؤدي إلى تغيير عميق في الأشياء . والزمن لا يتوقّف .

كلمة ..

- المعرفة الحقيقية معرفة الشيء من الداخل ، وإلغاء المسافة بينه وبين العارف . فغاية المعرفة – الدهشة والحيرة .
- التوحيد يتمثّل في فعل الحب ، حين لا تتميّز لذّة الحس عن صبوات الروح .
- حالة الحلم هي أكثر قرباً من الفكر الأصيل ، وإلى طبيعة الإنسان العميقة .
- الحرية جوهر الإنسان ..
- الحاضر الذي نحياه أجمل من الذكرى .
- كلّما أزهر الشيء أصابه ذبول .
- تنظر الأزهار إلينا بتباه وكبرياء ، ولكنها تستوقفنا لنقطف منها ما نهواه ..

لحظة للشعر ..

جعل **رامبو** الشاعر رائياً . والكتابة الشعرية وسيلة لتغيير الإنسان . وكيف يعيش الشاعر شعره إذا لم يعد ابتكار الحياة ..

إلى متى يبقى الشعر مزروعاً على عامود الوثنية ، ويحيا في ليالٍ متشابهة ، ونهارات متشابهة ، ويكرر نفس توقيع الأجداد ، ونفس غناء ذاكرتهم ؟

ألم تتحطّم الأصنام ؟ والخيمة القبلية تبددت !.. هل نمنع شجرة أن تورق وتلد ثماراً بعيداً عن مجموعة العادات اللغوية والوزنية والبلاغية ..؟

وهل يبقى الشعر يسقى من بحر الخليل مسمراً في زمن الربابة والخيمة ؟.. لِمَ لا ندع روحه تتحرر وتورق زهوراً ملوّنة ، وثماراً منوّعة ، وطيوراً مغرّدة ؟..

لا بدّ أن يتألّق الشعر في كلّ الأزمنة ، تاركاً الموسيقا تصنع إيقاعها من فعل الكتابة ، وعمق الأحاسيس والصور الإشراقية . لمَ لا يغرف الشعر من تربة اللغة ألوان فصوله المتجددة ، بعد أن أرهق جسد القصيدة بالثوب المفرط بالطول والاتّساع والقماش التقليدي . ألا يكون أجمل لو طرّز ثيابه بقطائف مخملية ، وخرزات برّاقة وزهور مفعمة بعطر المشاعر؟..

ألا يكون أجمل لو سبح في جزر الحرية ، وموانئ القلب وشواطئ مدن جديدة ؟..

البحر بحر ولكنّ عيون البحر تغيّر ألوانها ، وألوان الخضرة ليست واحدة .. ألا يموت الشعر بالعبودية ، ويقتل بالتكرار والعادة ؟.

فراغ الدفء

أنا ابنة الفصول
متأرجحة
كالعتمة والنور
حين يقسو الحبّ
على قلبي ..
أحزم أوراقي
وأذري بأكفّي الناحلة
رماد الحزن
بين السطور ..

* * *

في فراغ الدفء
خواطري
كحلم مخطوف
يكتب رسائلي

بشفافية
عطر البنفسج والريحان
كتموّجات شروق
على لهفة غروب مقهور
وأنت ! توقظ ذاتي
بالمسكر الروحي
في ارتعاشات الغيب
فيصبح الحبّ .. نقطة معرفة
تزهر ..
الديمومة .. والخلود

الشاعر ..

الشعر نسمة تنعش الحياة ، وهو انعكاس بعض ما في الداخل من أحاسيس ، لأنه يفتح الخيال على آفاق واسعة ويوهج العاطفة الصادقة . لأن الشعر خلق وإبداع والنثر الشعري يتكوّن من أحاسيسنا وخيالنا ، وفي الشعر كما في الحياة يصحّ تطبيق عبارة **برناردشو** < اللاقاعدة هي القاعدة الذهبية >

فالشعر وليد أحداث هامّة في الحياة ، وليس للحياة قاعدة معيّنة نتبعها في ترتيب الأحداث ، ولا نماذج معيّنة للألوان . وأصالة الإبداع لا تمثل فيما عرفناه ، ولا فيما نعرفه بالتقليد ، إنما هو البحث عن استشفاف هذا الجمال في كلّ ما يخلق من صور الفنون الأدبية .

والصورة الشعرية قوّة القصيدة ، وجوهر الشعر . أما الإيقاع فهو انفعال ودعاء سابق للكلمة يستدعيها ويجعلها ضرورية ففي الإيقاع شكل الشعر .

ولا يتألّق الشعر باللغة الطنانة فقط ، إنما بالروح التي تجعل من قول ما قولاً شعرياً ، لأن الشعر نبض الإنسانية والشاعر هو الذي يؤثر في زمانه .

والكتابة الشعرية تحرر الروح من الشكل المغلق إلى الشكل المفتوح ، لأنه لا يوجد شكل مقدس وثابت للقصيدة . وكلّ كتابة صادقة تمتلك جدلها الخاص بها لأن الشاعر ضمير التاريخ لا آلة داخله ، وهو الذي يحرر التاريخ من بعض أوهامه ، وكلّ شاعر يشعر بأن على الآخرين أن يؤمنوا بكتابته وشكل قصيدته وهذا يؤدي إلى عدم الاكتراث بالآخرين ، أو تجريح الآخرين بما يسمّى (النقد) .

الليل والنهار

جراح أحزاني راعفة
حرَّ هاجرةِ
الوحدة العذراء
تهصر أفكاري

تلفُّها .. بعذوبة التأملات

* * *

ماذا يصنع عطشُ الأرض
لينبوع الحنان ؟
ماذا تصنع الريحُ
لغربةِ خضرة آبدة
على مدى الدرب ؟
ماذا يصنعُ رحيقُ الوجد
لوردةٍ مزروعة
في جزر الشوك ؟
وماذا يصنعُ الشوقُ
لغريب ضائع
في وطن الحب ؟

* * *

قلت : اهدئي يا جراح
وتجمّلي بالصبر

مثلك .. الغسق في كلِّ
العشيات
مثلك .. الشفق في كلِّ
الأصباح

وكلُّ شيء يدور
في فلك الحياة
إلا هذا الليل الزاجل
بأطواق الوفاء
على قوارب النهار
يضمّه .. معانقاً
كل الفصول ..
في أرجوحة حنان

* * *

الحداثة ..

المبدع الحقيقي هو المجدد من منبع أصالته ، لغته ، تراثه . والحداثة ليست حداثة غريبة نقلّدها ، إنما الحداثة بمعناها الحضاري هي عدم فقدان الكاتب هويّته ، تاريخه ، حضارته . لأن الحداثة هي حداثة إنسانية فكرية تعبّر عن الجوهر الأعمق للإنسان ، وتحرره من كلّ ما يمكن أن يشكّل عائقاً في تطوّره ..

والشاعر طائر حرّ في مساحاته على الورق ، وله طقسه الخاص ، وأسلوبه الخاص . فالحداثة إبداع . والمبدع خلاّق . والتجربة لا تنفصل عن التعبير عنها .

والشاعر مبدع الجمال – والشعر عذابه الجميل .

يقول الناقد الفرنسي **مور** :

< الشعر هو ما أبدعه الشاعر معبّراً فيه عن شخصيته >

ويقول **نزار قباني** :

< أليس العطر فضيحة ؟ والحب المدهش فضيحة ؟ والجمال المذهل فضيحة >

لغة الصبح

أحسس لغة الفرح
لعزلة الصباح
قلبي ناغل ..
بدبيب الهدوء

* * *

لموسيقا الشعر
رنات طيور
على قوافي الوقت
تناغي صغارها
كصلاة أمّ حنون

* * *

أطفئ فانوس انتظاري
بمناديل اللهفة
ومجداف أيامي
على أهداب المياه
كخيال بحار سارح
يرشق الأمواج
بزبد الأحلام

* * *

أيتها اليمامة الأنيسة
لِمَ تنقرين نافذتي
ساكنة ...
كهنيمة مساء
أتسامريني
بريّان همسك ؟
رقراق
كأنفاس الشجر
على أوراقي

* * *

وذاك الحفيف مستغرقاً
كلحن هادئ
في ذاكرة عزلة ناعمة

يرنحها
دجى الغياب

كلمة ..

- العين التي تحدّق في الشمس كي تراها ، يعميها البريق والتوهّج . إنها تزيد الرائي جهلاً ..

هكذا يزداد الظلام بقدر ما نعتمد العقل في معرفة الوجود (فالنور حجاب) (ابن عربي)

* * *

- الطبيعة لا تعرف الموت . وكل موت يغرق في لامبالاة الطبيعة المطلقة . نحن وحدنا نعطي حياتنا قيمة ما ولو فني النوع البشري بأكمله ، لراحت الطبيعة تراقب ذلك بصمت .

الأحاسيس ..

لماذا تركتني سحابة محلّقة بين إيقاع أمطاري ؟..

أراك في انطلاقة أفكاري قصيدة للروح نثارها ذاك الدخان الذي يلمّ قلبي العاري ..

اهدأ أيها الحب .. فالسرّ في صمتي ، ووحدة الروح تشيع الدمعة الأخيرة .. اهدأ سأراه في قلبي .

* * *

تتغلغل الأحاسيس الشفّافة في الطبيعة ، وتستيقظ شيئاً فشيئاً كأنها مويجات ناعمة تنتقل من باطن الشجرة – فيمتلئ الجسد بتلك التيارات اللطيفة وكأنّ الجسد صار روحاً .

وكلّ ساعة تتحدد في المدى ، تلوح كأنها متّصلة ببعضها تاركة حولها فراغاً كباطن الزهرة ، فراغاً يجد الإنسان نفسه فيه هادئاً ساكناً . فما أجمل أن يحصل الإنسان على الانفراد الذي يمكنه من النظر إلى أعماق نفسه .

وكلّ شجرة من أشجار العالم تمثّل عالماً منفصلاً في استطاعته أن يهب الإنسان متعة لا حدّ لها فينظر إلى روحه ليصلح ما فيها من أخطاء برقّة ولطف . والحياة ليست سوى حلم تعود صوره في أغلب الأحيان ، وبعضها نادراً ما يعود . وقد يتغيّر بعضها ويختفي البعض الآخر .

أليست الشجرة المورقة متفجّرة بالحياة ؟ وحين نشعر بوجودها تلوح لنا كأنها مشتعلة باللهب .

* * *

أنا والشعر

يزورني طيف الشعر
منهمراً كالغيم الأخضر
دندنة أنغامه
تلامس طفولة قلبي

* * *

في حدائق كلماتي
يحط قمرية غريدة
على أصابعي
لغته الناعسة

عطر على صدري

* * *

يعاودني ..

حروفه كمزمار راعٍ

تثغو شجوها

في مروجي ..

في حقولي ..

وخلجان اللازورد

* * *

نمرح في كروم

التين والعنب

طيرين عاشقين

مدارنا اخضرار حلم

يرفّ في جفن هائم

يباغتني ..

وجهي خجل ياسمين

مستغرقاً

بكلّ أحزان الأرض

بمنديل الورد

يمسح هموم الحب

عن مرفق شوقي

* * *

يغضبني ..

ألوذ خائفة

بعتبة الحرد

يرش نعناع حنانه

على أسى عمري

* * *

يهجرني ..

أعصر من عنب الليل

حزني

وقبل أن يرحل

يقول : اقرئي نصّي

لغته سكرى من دنّ

مشاعري

أكبر جريمة في الأرض

حين يشيخ الحبّ في القلب

* * *

مهمّة الفن ..

متى نتوصّل إلى درجات أعلى في نضارة الرؤيا ، ودقّة الوعي ، وإشراق المعرفة ؟.. لأن الواقع الإنساني ليس فقط لنحسّ به أو نتأمّله ، بل نعيشه ونغيّره . فلا بدّ من نوع من الإيقاع الغريب ومن الإحساس بنبض الأشياء حتى نشعر بالفرح . ومهمّة الفن ليست نقل الطبيعة بل التعبير عن حركتها وواقعها وتجاوزها بالأسطورة التي تنبئ عن المستقبل ، وبذلك نستطيع أن نغيّر العالم أو نفسّره لا وفقاً لقوانين الطبيعة أو المجتمعات ، ولكن وفقاً لقوانين الإنسانية ، فنعيد خلق كلّ شيء من صنع الحب ، والقلب والتفكير . والحياة الحقيقية لا توجد في الأشياء ، بل في الإنسان وبذلك نمنح المادة بعض النبضات الإنسانية الحسيّة . ألا يتيح لنا الفن التعرّف على أنفسنا في هذا العصر المتخم بالعنف ، والفوضى والأمل والعبث .

أرغب دائماً أن أتوغّل أكثر أكثر في المعرفة الثقافية والإنسانية ، بالكلمة الملونة بحروفي وهي التي تسلّحني في هذه السبل، لأن الفنان الحقيقي يكون داخل الأشياء لا أمامها ...

* * *

كلمة ..

البساطة هي الجمال ، والبساطة وحدها تستطيع أن تكبح رغبات الناس، فيعمّ الهدوء ، ويستقرّ العالم من تلقاء نفسه .

شجن الشعر

في ذاكرة القصيدة
تسامر
أفكاري الصامتة
دهشة رؤى الحرف

* * *

ريشة القافية
تخاصر شجني
في حيرة الشعر
قلقة ..
وبرج الحب أطول
من قامة خوفي

* * *

ذاك التغريد
يتناغم في شجن شعرك
يجعلني ..
غيمة عطر
تلاعب فراشة الحقل
لا فرق لديّ
إن كنت أغني
وظلّ الدمع على خدي

* * *

يتفتّح بنفسج فرحي
في أقداح اللقاء
أصبّ لماء الورد
لهفتي

* * *

كنا نخاف كغربين
خطوات المسافة
عرشتني ..
في كروم خضرتك
دالية مكحلة
بزرياب الوعد ..

* * *

نتيتمْ ..
من لهفة القرب
نصبح ..
أصغر طفلين مختبئين
في جزيرة الحب

* * *

في زمن هجرتك عني
ساهرة ..

على حافة الفجر
يألفني ..
ضباب لغتي
وزيزفون دمعي
يكتبني الشاطئ ..
حبّة رمل في موقد الماء
يكتبني النبع
خريراً لجرح الشمس
يكتبني العاشق
قصيدة لامعة
في محبرة الوقت

* * *

أحتاج لعينيك
المسافرتين عن وطني
لأسكب شهد الروح
في كأس الشعر

* * *

لتكتبني ..
في أشجان قلبك
براعم كلمات

تستحم بخجل الوصل .

* * *

نور للنهار ..

أستطيع أن أرى نور النهار بين حواف الأهداب وأفكاري مرصّعة بخطوط البرق ، فتصفو الصور على قامات الحلم والفكرة الخيالية ، لأن الحلم هو القاع الروحي ونبع الإبداع للأدباء والشعراء.

وأحياناً تتلاشى ثقتي بالحياة ، وحين أحبّ بصفاء أنزع عن عيني الكآبة والاعتلال ، وأتعلّم كيف أنسى وكيف أسامح . ولا تبقى حقيقة الحب حقيقة إلا إذا تجرّدت من الشرّ والأذى . وبذلك أبقى مع إيجابية الحياة .

سؤال ..

سُئِلَ الشبلي : متى تستريح ؟

أجاب : إذا لم أرَ له ذاكراً غيري .

ثم أنشد :

وكدت بلا وجد أموت من الهوى وهام على القلب بالخفقان

من أوراق الأسئلة

تورق ظلال لغتي
لطيف مغرّد
على أغصان قلبي
* * *
فأقرأ في دورة الأبراج
إيماءات القمر البرعمي
وللأغاني النجوم
رذاذ نور
يحطّ
على حزن شرفتي
* * *

أتملى طلول الخضرة
على لباب الشعر
وأكتب .. بلون البحر
حروفي
وأكتب .. نقاطي كرقصة فراشة
في جزر الأشواق

* * *

من ترك الزهرة نحيلة
على خصر الذبول ؟
من جعل البلبل الجريح
مبحوح الصوت
في حانة وحدته
مثلي ؟..
من ترك أوراق الشوق
مرتجفة في شتاء قلبي
من أحنى فستقة الوعد
على أشجار أيامي ؟

* * *

من ترك شفاه الشمس
تغبّ ضنى أفكاري
ورعاف العزلة
يضجرني ..
أو يؤنس فراغ السكون

* * *

أ أحاور أسئلة مسدلة
حيرتها على داليات الضباب ؟
تضمّ شهد حزني

من خابية الانتظار

* * *

أيرجع الحبّ عليلاً

خفوتاً

من سبات الهجر؟

على ملامح الغياب

تركت ..

أحلامي الكفيفة

تسري

* * *

صديقي والشعر

سألني صديقي :

- **هل الشعر مسكون في القلب المستهام ؟**

الشعر يا صديقي .. وردة جورية ، مغارة طيوب ، حورية بحر تحت ارتفاف شالها اللازوردي مس السحر الشعر في حجرات الفصول ، دموع شتاء وزهور السماء ، وخيال سارح في آفاق الحياة .

- **هل الشعر عشب القلب ؟**

الشعر غابة وجدان مغردة بأحاسيس الطيور ، أغنياته لقمر هموم ، وحكاياه للنجوم .

- **هل يتفتّح الشعر في حفر الهموم ؟**

الشعر زهر محروق في نشوة الوجع يهوم . وحزنه براءة على وجه طفل محروم .

- **هل يمثل الشعر الجمال ؟**

الشعر يخلق الجمال . ونواس يدقّ في حركة الوقت في حقائب السفر زنابق ودّ، وفي صدفات البحر ضحكة موج .. شراع ضجر من السفر والرجوع مغتال في غربة قلب محب .

- **هل الشعر فصوله متقلّبة ؟**

الشعر كفّ الشمس في جزر ومد الخلجان . الشعر سرّ العذارى ، ونجوى العرافات ، نورسه القوافي واللغات .

- **هل الشعر هو الرائي ؟**

الشعر ، زائر مباغت بلا استئذان ، يغوص في المجهول ، وفي مدن الأساطير يحوم .

الشعر يا صديقي ..

جعلني صوفية مخطوفة بجذبة وجد ، استوسن الكلمة في محراب الكتاب والأوراق والمحبرة . نار الشعر شعلة في معابد عشتار ..

منذ بدء الكلمة ولم يزل .

* * *

سيدة الحروف ..

الألـف تتـآلف معهـا كـلّ الحـروف ، كـأوالف الطيـور ، وأريـج طيبها يأنس مدار الأبجدية . ترى هل ترعرعت – **الشين** – بين حروف الشجرة لتزرع شجرة الحياة ؟ وشجرة المعرفة ؟. فكانت تتلمّس وجع – **الجـيم** – وتسكن بالحنـان قهـر – **اليـاء** – وتسـتغرم – **واو** – الوصـل بسكون الحب ليل نهار ؟..

فالأم السورية **عشتار** ولدت من شجرة الحياة رمز الخصوبة .

بـوذا جلس تحت شجرة المعرفة حتى تأتيه الاستنارة ، وتتفتّح بصيرته، ويضيء قلبه الساكن كبرعم اللوتس فوق بحيرة صافية كزهرة كونية تتفتح ..

أسطورة النخل ..

كان فتى عذب الصوت ، يسرع الناس لسماع أغانيه الشجيّة ، وذات مرّة مات عدد منهم بداء غريب ، وحمّلوا الفتى مسؤولية ما حدث

بعد خروجهم من عنده ، فقتلوه ودفنوه . ونبتت فوق قبره شجرة هي أول **نخلة** في العالم .

مغزل الحياة ..

قال المتصوّفة : نقطة المطلق صدر الوجود . والنقطة فوق النون هي إشارة إلى ذات الله . والنون مصدر المخلوقات ومنها كلمة الله – **كن** – والهاء استدارت كدوران رحى المخلوقات . فالدائرة **حق** وجوفها **خلق** .

ودائرة الوجود : أولها حبّ وافتراق ، وآخرها حبّ وتلاق . خرج الكلّ من العماء المغلق ، وتمّ الخلق ، وبالحب التحمت الموجودات ، وبالحب تحيا الموجودات ، وبالحب تموت .

الرقص الصوفي ..

الرقص الديني عند المتصوّفة هو السعي الروحي للوصول إلى المطلق بإدراك سرّ الدائرة ، وسرّ حركة الدوران .

فرقة المولوية – والتي أسسها جلال الدين الرومي – ترقص على إيقاع الدفوف بالدوران على قدم واحدة باسطاً ذراعيه ليرسمان دائرة يضع نفسها على محورها ويسرع بالحركة ليرحل من محيط الدائرة إلى مركزها أي من الظاهر إلى الباطن ، من محيط الخلق إلى مركز الحق .

أسطورة مغزل الحياة ..

رزق أحد الملوك بابنة جميلة بعد عقم طويل ، وكانت في البلاد /12/ ساحرة كلّهن طيّبات إلا واحدة شريرة . دعاهن الملك إلى الاحتفال بالطفلة ، ولتهب كلّ منهنّ نعمة لها . فجأة هبّت عاصفة قوية ودخلت الساحرة الشريرة وقدّرت للفتاة أنها ستموت بوخزة مغزل . فأمر الملك بإحراق كلّ المغازل ، لكنّ الساحرة الماكرة وضعت في طريق الطفلة مغزلاً ، فأمسكت به الفتاة وماتت وهي التي غرزت خيط مغزل القدر في نسيج الحياة . والرقم /12/ يحمل عدد أشهر السنة .

أسطورة الخلق البدئية ..

شقّ جسد الآلهة البدئية إلى نصفين : السماء والأرض . وعندما غضبت الأرض حاولوا إرضائها فصنعوا :

من شعرها الأشجار – الأزهار – الأعشاب

من عيونها الينابيع

من أفواهها الأنهار – الكهوف

من أنفها الوديان

من كتفيها الجبال

أسطورة صداع الجنسين :

النساء الأمازونيات ، هنّ قبيلة محاربة أتين من شواطئ البحر الأسود وسكنّ بلاد الإغريق ، تحكمهنّ ملكة . وإذا أردن الإنجاب ذهبن إلى بلاد مجاورة وضاجعن رجالاً ثم عدن ، فإذا وضعن ذكوراً قتلنهنّ في المهد وأبقين الإناث . وكنّ يقطعن النهد الأيمن ليستطعن استعمال القوس بسهولة .

هكذا كانت المرأة هي المسيطرة على القوى الخفية ومن بينها السحر . وعلاقتهن غامضة بالقمر ، لأن القمر هو مصدر القوة السحرية . وهناك نساء تستلقي تحت القمر ساعات طويلة لامتصاص قوّة القمر .

حكمة الأنثى : أدبت سقراط أبو الفلسفة اليونانية ، ونقلت **أنكيدو** من مستوى الحيوان إلى مستوى الإنسان **(جلجامش)** ، وفتحت عين حواء وآدم على شجرة المعرفة .

أسطورة الجسر ..

جسر – **درينا** – يربط بين البوسنة والصرب . أثناء بناء هذا الجسر كانت قوى خفية تخرّب في الليل ما بني في النهار . فنصح المشرف على بنائه أن يجيء بتوأمين رضيعين (أخ وأخت) ، وأن يدفنا في جدران أعمدة الجسر . وعثر عليهما وجاءوا بهما عنوة وتبعتهم الأم متعثّرة باكية لا تحسّ بالشتم والضرب من جنود الوزير. ورقّ المهندس للأم فترك في العمود فتحتين ، كانت الأم البائسة ترضع منهما طفليها ، وتتخذ منهما اليمامات أعشاشاً لها ولبن الأم كان يسيل من الجدران

مئات السنين . وثمّة قطرات صغيرة بيضاء تتضح من الحجارة في موعد معيّن كل عام ، والناس يحكّون هذه الآثار اللبنية، ويجعلون منها مسحوقاً طبيّاً يبيعونه للنساء اللواتي ينضب لبنهنّ بعد الولادة .

* * *

الإبداع ..

دخول في مغامرة مع المجهول ، نكتب مسافة لحظة مضت ، لندخل مسافة لحظة تأتي .

الحدود تقسم الكتابة ، لِمَ لا نكتب بلا حدود ونلتمس فعل الكتابة في حضورها الإبداعي . الكتابة بلا خارطة ترسم لها الحدود والأنواع لتخلق زمناً ثقافياً متحرراً . والتراث ليس ما يصفني بل ما أصفه أنا لأنه فعل لا ينقل بل يخلق .

الزهرة ..

تتألق الزهرة وتسكب مشاعرها من ثقوب العطر ناعمة مهجورة ، والزهرة تقول :

أنا أتأرجح في جزيرة الضياء ، أحيا الظلام والنور وما بين الزرقة والخضرة يحدث شيئاً خفياً ثم تطبق أجفاني . ربّما أنفاس العطر هي المعنى للطف ، والتسامح ، والرقّة .

حكمة ..

الشيخوخة لا تحمي الحبّ .
إنّما الحب يحمي الشيخوخة .

الخوف ..

يحدث أشياء غريبة ، وأشياء مذهلة خصوصاً عندما يكون الخوف غير طبيعي عندما نجهل أننا خائفون ، عندما يصبح الواقع مخيفاً ، يبحث الإنسان عن السلام في واقع يختلف تماماً عن الواقع الذي يعيشه البحث عن الوهم المريح في عالم من الواقع المزعج .

الحداثة ..

التفاعل والتبادل من خصائص الحركة الثقافية في العالم . ونمارس الحداثة في وسائل الحياة اليومية ونرفضها في تحسين وتطوير الفكر والعقل . الإنسان العربي ليس متحرراً داخل ذاته جوهر الثقافة في الإبداع المغيّر والمتغيّر .

اخلق جمالك الخاص ، فالجمال يكون إبداعاً أو لا يكون .

كلمة ..

الشعر ذات تعاني ، وطاقة حلم ، وحلم وقوة تحوّل ..

أبحث عن ذاتي في الطبيعة مع الفن ، والطبيعة هي المسافة الصامتة .

* * *

قرأت ..

ليس الشعر نمطاً وظيفياً مسخراً فقط لموضوع معيّن في قالب معيّن ، لأن الشعر هو اللغة الإنسانية الحرّة والتي ترفض كلّ شكل من أشكال القمع .

واللغة الشعرية تحويل دائم : للعالم ، للواقع والإنسان . والشعر هو الشوق إلى اللانهائي .

ولا يمكن تعريف الشعر لأنه ينفلت من كلّ تحديد ، ويتجه نحو أفق لا ينتهي . ..

الشعر لا يسرد وينقل بل يومئ فاتحاً أفقاً من الصور والتخيلات . ولغة الشاعر نسيج خصوصي يصهر فيها الكلمات ، والأفكار ، والمشاعر والرؤى .

والشعر – رؤيا الحياة – والإنسان ، والطبيعة . ولكل مبدع فرادة إبداعه ، وعالم الشعر عالم الإنسان والطبيعة والحب ، حيث يتلاقى الحسّ والعقل ، والفطرة والثقافة في وحدة وانسجام واطمئنان

* * *

ما قالته

أوراق المعرفة

" نصوص "

ليلى مقدسي
حلب

قال النفري :

الجنة اثنان: جنة النعيم ، وجنة المعرفة

فالمعرفة . شجرة الإنسانية
تعطينا في كل الفصول ثمارها.
والحروف رذاذ يتساقط
على شواطئ الحياة
وبيداء الإنسان

* * *

1- مغزل الحياة ..

تقول الأسطورة أن أحد الملوك رُزِقَ بابنة جميلة بعد عقم طويل وكانت في البلاد /12/ ساحرة كلهنّ طيّبات إلا واحدة شريرة ، دعاهن الملك إلى الاحتفال بالطفلة ، ولتهب كلّ منهنّ نعمة لها . فجأة هبّت عاصفة قوية ، ودخلت الساحرة الشريرة ، وقدّرت للفتاة أنها ستموت بوخزة إبرة المغزل ، فأمر الملك بإحراق كل المغازل ، ولكنّ الساحرة الماكرة ، وضعت في طريق الطفلة مغزلاً ، فأمسكت به الفتاة وماتت .. وهي التي غرزت خيط مغزل القدر في نسيج الحياة . والرقم /12/ يحمل عدد أشهر السنة .

صدر الوجود ..

قال المتصوّفة : نقطة المطلق صدر الوجود ، والنقطة فوق النون هي إشارة إلى ذات الله . والنون مصدر لمخلوقات ومنها كلمة الله . كن .

والهاء استدارت كدوران رحى المخلوقات فالدائرة حق وجوفها خلق .

ودائرة الوجود أولها . حب وافتراق . وآخرها حب وتلاق خرج الكل من العماء المغلق ، وتمّ الخلق .

وبالحب . التحمت الموجودات ، وبالحب تحيا. وبالحب تموت.

معنى الرقص الصوفي :

الرقص الديني عند المتصوّفة هو السعي الروحي إلى المطلق بإدراك سر الدائرة وسر حركة الكون ، فرقة المولوية التي أسسها جلال الدين الرومي ترقص على إيقاع الدفوف بالدوران على قدم واحدة باسطاً ذراعيه ليرسمان دائرة يضع نفسه على محورها ، ويسرع بالحركة يدخل من محيط الدائرة إلى مركزها . أي من الظاهر إلى الباطن . من محيط الخلق إلى مركز الحق .

أسطورة الخلق لبدئية :

شُقَ جسد الآلهة البدئية إلى نصفين :

السماء والأرض ، وعندما غضبت حاولوا إرضاء الأرض فصنعوا من شعرها الأشجار، الأزهار ، الأعشاب .

عيونها	الينابيع
أفواهها	الأنهار والكهوف
أنفها	الوديان
كتفيها	الجبال

أسطورة النخل

كان فتى عذب الصوت ، يسرع الناس لسماع أغانيه الشجيّة وذات مرة مات عدد منهم بداء غريب بعد خروجهم من

عنده وحمّلوا الفتى مسؤولية ما حدث . فقتلوه ودفنوه ونبتت فوق قبره شجرة هي أول نخلة في العالم .

سيدة الحروف

الألف . تتآلف معها كل الحروف ، كأوالف الطيور ، وأريج طيبها يأنس مدار الأبجدية ، وترعرع حرف الشين في حروف الشجرة . فكانت شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر. فالشجرة . رمز الخصوبة ، ورمز الأم السورية .

وعشتار الأم الكبرى ولدت من شجرة الحياة .

بوذا . جلس تحت شجرة المعرفة حتى تأتيه الاستنارة، وتتفتح بصيرته ، ويضيء قلبه الساكن كبرعم اللوتس فوق بحيرة صافية كزهرة كونية تتفتح .

السيدة العذراء ولدت عند شجرة النخلة .

* * *

2- عشتار ..

لها رموز وأسماء متعددة

عند البابليين . عشار

عند السومريين . إنانا

عند الكنعانيين . عشتارت

عند الرومان . أفروديت . فينوس

عند المصريون . إيزيس

في الهند . كالي

عند العرب . الزهرة

عند اليونان . صوفيا

في أوربا . ديانا

هي سيدة الأسرار

الكون لم يخرج من لجة العماء بواسطة العقل ، بل بحركة الجسد وعشتار .. بتحوّل جسدها نشأ عنه الأرض والسماء ، فحركة الطبيعة حركة جسد الأم الكبرى ، وغياب عشتار هو غياب روح الخصوبة الكونية . ففي الخريف تهبط . عشتار . إلى العالم السفلي وتموت لنباتات ، وترقد طيلة الشتاء وفي الربيع تنتفض من مضجعها ملوّنة الأرض بالاخضرار . والشعلة المقدسة دائمة في معابد عشتار يوقدن نارها كاهنات عذراوات ليلاً

ونهاراً على مدار السنة وكانت الفتاة تخدم في المعابد قبل أن تتزوج ، ولا تعود إلا بيتها قبل أن يمر غريب ، ويرمي لها قطعة فضية ويضاجعها ، وقد تنتظر سنوات خاصة إن لم تكن جميلة .

الحية . مشتقة من الحياة ، وهي من رموز عشتار وخالدة لا تموت تبدل جلدها ، وتتجدد مع دورة القمر، وما تزال إشارة الطب والشفاء كأس تلتف أفعى واضعة رأسها عند الفوهة فالكأس . جسد عشتار . والحية قوّتها وقدرتها الشافية والحمامة . من رموز الآلهة.

وتظهر افروديت آلهة الحب وحولها الطيور والحمام . وابنها كوبيد يطير بشكل حمامة ويرمي سهامه بين قلوب البشر، ليزرع الحب والعشق .

والحمامة رمز بشارة العذراء وهي التي حملت غصن الزيتون . لنوح . وحمت الرسول الكريم في غار حراء وفي الفن الإسلامي تظهر رسوم كوكب الزهرة على شكل حسناء فاتنة تعزف على العود .

وكوكب . الزهرة أو العزى . كان يجلب السعادة والحظ ونسبوا إليه العشق وأسموه كوكب الحب . فالزهرة امرأة جميلة فاتنة تعيش على الأرض ، وهي التي أغرت . هاروت وماروت . عندما أرسلهما الله إلى الأرض ، وطلبت منهما شرب الخمر، قتل النفس أو عبادة الأوثان . فاختارا شرب الخمر وعاقبهما الله وتركهما في الأرض. وطلبت منهما أن يعلماها الكلام الذي تعرج به إلى

السماء ، فعرجت ولكنها نسيت الكلام فبقيت معلقة بين السماء والأرض . كوكب الزهرة .

سيدة الإلهام ..

تحيط بـ عشتار ثلاث آلهات يمنحها النعم وهن يشرفن على زينتها ويسمين . النعم الثلاث . ومسؤولات عن تفتح أزهار الربيع والبراعم ونضج الثمار في الصيف .

أجالا . المتألقة

تالابا . واهبة الأزهار

افروزينا مسرة القلوب

وهنّ عرائس الشعر والموسيقى . وربات الينابيع والذاكرة وعشتار سيدة الإلهام في نفوس الشعراء ، والفنانين ، والحكماء . فهي الأنثى الخالدة . وجسدها مستودع الأسرار. وأحلامها نبوءة وكشف ..

أسطورة الأمومة ..

جسر درينا الذي يفصل بين البوسنة والصرب يُقَال :

أثناء بناء هذا الجسر كانت قوى خفيّة تخرب في الليل ما بني في النهار. إلا أن نصح المشرف على البناء أن يخبئ بتوأمين رضيعين (أخ وأخت) وأن يدفنا في جدران أعمدة الجسر، وعثر عليهما وجاءوا بها عنوة وتبعتهم الأم باكية لا تحس بالشتم والضرب من جنود الوزير . ورقّ المهندس للأم فترك في العمود فتحتين .

كانت الأم البائسة ترضع منها طفليها ، وتتخذ منها اليمامات أعشاشاً لها ولبن الأم كان يسيل من الجدران مئات السنين ، وثمة قطرات صغيرة بيضاء تنضح من الحجارة في موعد معين كل عام .

والناس يحكوّن هذه الآثار اللبنية ، ويجعلون منها مسحوقاً طيباً يبيعونه للنساء اللواتي ينضب لبنهن بعد الولادة .

أسطورة صراع الجنسين

النساء الأمازونيات هنّ قبيلة محاربة أتين من شواطئ البحر الأسود وسكن بلاد الإغريق ، تحكمهن ملكة ، وإذا أردن الإنجاب ذهبن إلى بلاد مجاورة ، وضاجعن رجالاً ثم عدن.

فإذا وضعن ذكوراً قتلهن في المهد وأبقين الإناث .

وكنّ يقطعن النهد الأيمن ليستطعن استعمال القوس بسهولة.

هكذا كانت المرأة هي المسيطرة على القوى الخفية أيضاً.. ومن بينها السحر ، وعلاقتهن غامضة بالقمر، لأن القمر هو صدر القوة السحرية وهناك نساء تستلقي تحت القمر ساعات طويلة لامتصاص قوة القمر..

حكمة الأنثى ..

أدبت سقراط أبو الفلسفة اليونانية . يونيما

نقلت أنكيدو من مستوى الحيوان إلى مستوى الإنسان . جلجامش .

فتحت عين حواء . آدم . على شجرة المعرفة .

أسطورة السعادة ..

من شأن كل إنسان أن يصنع سعادته كما يصنع حكمته.

كانت سيلينه . آلهة القمر تفتح عينيها كل مساء ، وترسل نورها الوردي إلى الأرض ، وذات مرة ساقت جيادها البيض للتنزه ، فلمحت على سفح الجبل شاباً من الرعاة فاتن الجمال هو . إنديمون . وكان نائماً نوماً عميقاً ، فانحنت تقبّله، وتوسّلت إلى كبير الآلهة أن يلبّي أمنية واحدة للشاب ، فتمنى أن ينام نوماً أبدياً كي يحتفظ بشبابه ، وحقق كبير الآلهة أمنيته ، وكانت سيلينه تقف كل ليلة في المكان ذاته وتقضي مع الشاب الفاتن لحظات قصيرة وممتعة هي عندها لحظة السعادة .

أما الشاعر يتوجينس . في القرن السادس ق.م

سأل الآلهة: " لِمَ ينتصر الظلم على العدل ، ويسود الشرّ على الخير؟ ومضى في طلب الجواب وحين قنط من رحمة الآلهة قال :

ليس الأجدر بسكان الأرض أن يولدوا ، ويبصروا أشعة الشمس وإذا ولد الإنسان فالأفضل له أن يجتاز بأسرع ما يمكن بوابات الغيب وينام مضجعاً تحت الأرض .

* * *

3- الحلم ..

هو الفكرة والصورة التي تنجو من سيطرة الذهن العقلي والمنطقي .

والحلم ربما يكون فكرة خيالية ، تصوّر ، حلم يقظة . تجربة وينبثق من مملكة ما وراء الشعور . وهو ضرورة للإنسان ليحافظ على حياته النفسية في جو مميز . فالحلم هو القاع الروحي للمبدع ، لأنه ينفذ من مملكة الحلم إلى إشراقات المعرفة . ويصب أحلامه في مملكة أوراقه أو لوحاته ...

كل نظرة إلى الحلم تجعلنا في حالة تأمل ، ورؤيا ، أن الحلم يدخلنا كوننا الخاص بعيداً عن الضغوط الاجتماعية ..

فتصبح الذاكرة في حالة إشعاع صور متواصلة من المد اللاشعوري ، والحلم يلتصق بالفكر الأصيل وبأعماق الإنسان المبدع.

وهل نستطيع تحمل الواقع لولا صبوات الأحلام ؟..

أليس الحلم هو الذي يضفي الجمال والفنان يكتشفه أو يبتدعه . ويعبّر عنه بطريقته الخاصة. وحين يلمس الجمال كأنه يضيء النور الخفي ثم يحترق بدهشة حيرته فيحسّ أنه في فراغ شبيهاً باللهب . وهذه الحالة من اللهب الجمالي هي التي تسكره فينتشي ويضيء بها . والمبدع يفهم بعمق ويخلق الجمال ولو لم يكن موجوداً فيخلق للمادة المدركة صورة مذهلة من الجمال ، ويبقى الجمال الذي يخلقه الفنان هو الذي يحقق الخلود . وقد قال

فولتير : نطلق كلمة جمال على كل ما يثير في نفوسنا السعادة والإعجاب .

* * *

4- الفن ..

الفن هو لحظة إبداع ، وعملية خلق للمبدع .

والفنان يقول : ماذا تهدئون .. وروحي تحترق .

فالفن مغامرة في غابة السر ، والأفق المجهول ، لأن القول المكتشف الذي يحقق نفسه في الحرية ، وإعادة خلق الحياة بالكتابة . لأن كل تجربة على الورق تصبح نصاً يقرأه العالم ، لأن مقياس الفن العظيم مدى تغلغله في النفس الإنسانية لا مدى قدرته على التقاط الظواهر السطحية ، لأن الإبداع هو حركة الكيان الإنساني شعوراً وفكراً في فهم الأشياء ، وبقدر ما يتغلغل الأدب في حياة الإنسان تكون فيه قوى إنسانية ظاهرة أو باطنة، لأن التجربة لا تنفصل في الأثر الأدبي أو الفني عن أسلوب التعبير عنها . وهي ذات قيمة أدبية بقدر ما هي أسلوب يثير فينا العاطفة التي بفضلها نصدق التجربة على علاتها ، وبذلك نتجاوز الواقع الفعلي إلى الواقع الحدسي ، ونجد فيه التآلف الذي هو المعنى الحقيقي وراء كل معنى . والموهبة الأصيلة تثير النفوس . وتمسّ المشاعر وهي في تواصل مستمر مع الفن لأن الفن هو حياة المشاعر والأحاسيس وهو الذي يوقظ الأشياء المدفونة ويفجر أسرارها . وهو أرقى المجالات للاتصال بين البشر . وكلما كانت صلة الكاتب بالواقع أوثق كان إبداعه أشد حيوية ، وأكثر صدقاً ، لأن المبدع يستطيع أن يعبّر عن كل شيء ، عن المرئي والخفي ، من نقطة مضيئة في داخله تشع حالة الإلهام. وكلما

تحلّى أسلوب المبدع بالصدق والبساطة أعطى للقارئ إحساساً أعمق وأدق . فالأسلوب النقي هو الذي يشع في الفكر الإنساني . والعمل الأدبي كلمة تحتوي العالم سواء كان امرأة أم رجل . لأن المبدع هو المحور الحقيقي لبعض أوهام التاريخ وأشكاله الخارجية لأنه يحس إحساساً حضارياً ويغمس قلمه في أعماق الأجيال مع الوعي والعاطفة ، والمعرفة واللغة . وفي مرحلة التطور التي تمرّ بها تتبلور اتجاهات لمفكرين والأدباء بأن يكون التطور نقطة تحّول هامة ، حتى ينصهر الكاتب فيها ، ومراحل الانصهار تتميز باختلاف الأجناس الأدبية ، وأجمل ما في الفنان أن يعرف ماذا يفعل ، وماذا يكتب ، وماذا يحقق من أفكار وهذا يؤدي إلى تغيير عميق في الأشياء، في الحياة. في المفاهيم. في الإبداع. والزمن لا يتوقف .

يقول باوند . أبو مدرسة الشعر الحر..

إننا نتألم من استخدام اللغة بغية إخفاء الفكر، فالغموض هو إعلان عن أغوار النفس الخفية ، وغموض الكون .

أما النقد ، لا يخضع لمدارس فنية مختصة ، هناك ناقد مجرّح ، وناقد متعالي ، وناقد يطبّق مصطلحات ، متى يكون النقد استكشاف ، والناقد يصبح رائياً ويحسّ بإحساس الكاتب ويخلق من نصه نصاً آخراً حيوياً وهادفاً يوصله إلى القارئ ، ويفتح مزيداً من الآفاق والرؤيا .

فالنقد لدينا لا وسط لديه . إما يصنع مجداً للكاتب ، أو يحكم عليه بقرار قطعي .. وكأنه في معركة حياة أو موت ..

ويبقى القارئ هو الناقد الموضوعي، والمجرد من كل اعتبارات أخرى .

أما هكسلي . فيقول

المعاصرون يهربون إلى الإبهام خوفاً من الوضوح الذي هو الصفة الإنسانية في الأدب . ويطلقون صوراً غامضة لا لون لها، ولا شكل ولا معنى .

ويبقى الفن.. الإنسان العاشق مضافاً إليه الطبيعة .

ولا يستطيع المبدع أن يدهش بأفكاره ، ولغته ، مجتمعه دون أصالة ، فالأصالة ليست بتقليد ما عرفه وكرره بل هي عملية خلق وتجديد ، وهذه القدرة هي ما يسمى بالإلهام والإشراق وقد يحسّ المبدع بالغربة عن وطنه حين يحسّ بعدم اكتراث الآخرين به أو النفور منه وعدم التآلف مع أفكاره وإبداعه ، فيحس بعزلة ذاتية وروحية .. ولكنه يخلد بفنه ..

* * *

5- عبقر ..

منذ أقدم العصور وعبقر شغل الذهن العربي ، وبعض الآراء والأفكار اعتبرته جوهر الإلهام . في الموسيقا والشعر .

والعرب يقولون . جن عبقر ، وقد نسبوا كل شيء في الجودة إلى عبقر حتى قيل : لم أر عبقرياً مثله ، ولكن اختلفت الآراء في فهم هذا المعنى ومعرفة نسبته منهم من قال :

إن عبقر في أرض اليمن . ومنهم من قال في اليمامة . ومنهم من قال في جبل يقع بالجزيرة العربية .

أما ياقوت . في معجم البلدان يقول :

لعل عبقر كان بلداً قديماً وتخرّب ، ولما لم يعرفوه نسبوه إلى الجن ومن ثم نسب كل شيء مبدع إلى عبقر. وبعض المعاجم اللغوية تقول :

إن عبقر قرية يسكنها الجن وينسب إليها كل عمل دقيق وعظيم أما الأب الكرملي يقول :

إن عبقر يونانية الأصل ، هي بمعنى . الحامية القوية القديرة . ولقّبت الآلهة . هيرا . عند اليونانيين بالتفوّق والقوّة والكمال . أما الثعالبي . في ثمار القلوب يتحدث عن شياطين الإلهام فيقول :

كان الشعراء يزعمون أن الشياطين تلقى على أفواههم الشعر وتلقنه لهم . وأن لكل فحل شيطاناً يقول الشعر على لسانه،

ومن كان شيطانه أمرد كان شعره أجود، وبلغ من تصديقهم أن ذكروا لهم أسماء فقالوا : إن اسم شيطان الأعشى . مسحل . واسم شيطان الفرزدق . عمرو والفرزدق كان يقول : . شيطان جرير هو شيطاني إلا أنه من فمي أخبث . فالعرب في الجاهلية ، وفي العصور الأدبية الأولى عرفوا صلة الشاعر بمصدر وحيه . وهذا المصدر هو منهل العبقرية ، وأن عبقر جني ذكر ولكن مع تقدم العصر بدأ الكشف عن جوهر الإلهام من الناحية النفسية فالشاعر قد يتأثر بذات أخرى وتكون مصدر فنه.

يقول أحد الشعراء :

حالة الشاعر في معاناته الشعرية أشبه بحالة الأشياء التي تلد . فالمعاني ، والصياغة ، واللغة ، والصور تتمخض عن انفعالات نفسية وتكون ميلاداً لبنات أفكاره. ولهذا يحب الشاعر شعره، كما الأم تحب أولادها.

ويقول ميخائيل نعيمة :

المهم أن أخلق لا أن أتجسس على كل حس من أحاسيس وخلجة من خلجاتي .

والثقافة العربية تجاوزت اليوم الأمس ، فلم تعد حالة الإلهام من عبقر ، ولا إلى شيطان ذكر ، إنما من نفس الشاعر وخياله وثقافته وإطلاعه ، وقدرته الخارقة في الإبداع .

أما أفلاطون..

مشكلة الإلهام لديه وقف على الأنوثة الخالدة ومفتاحها الحب وتلتقي الثقافة العربية ، مع الثقافات الأخرى في نقطة عميقة تجعل الشاعر أو الفنان يستمد العون لإبداعه من ذاته الخلاقة الإنسانية .

* * *

6- الحداثة والتراث ..

يقول صلاح عبد الصبور..

لا يتصلب أدبنا الحديث ، وتستقيم مفاهيمه إلا إذا واجهنا تراثنا
مواجهة شجاعة ، وألقيناه من فوق ظهورنا ثم تأملناه ، لنأخذ منه ما يصلح لنا في مستقبل أيامنا ..

الحداثة كمفهوم عام حضاري لا يقتصر على الشعر ، والأدب ، والفكر . بل هي تحرير الإنسان من كل ما يمكن أن يشكل عائقاً أمام تطوره ولها صياغة جديدة تهدم كل ما هو ميت من الأضاليل والأوهام .

يعني أن تشكّل حضارتك من خلال ثقافتك ، فالحداثة ليست لها مفهوماً ثابتاً ، إنما لكل عصر حداثته ، ولكل مجتمع حداثته ، ولكل ثقافة حداثتها ، فالحياة تتطور ، والطبيعة تتغيّر وتتبدّل فالماضي لا يحيا إلا في الحاضر ، وعندما نتأمل التاريخ القديم نصنع منه تاريخاً جديداً ، وذلك بالاطلاع على الفكر الإنساني لأن التطور بناء داخل الإنسان ، وليس التطور صراعاً تائهاً مع قشور الحضارة متذرعاً بالحداثة ، بل إبداع شكل جديد يتناسب مع الإنسان المعاصر.

أما الحداثة الإبداعية حالة فكرية تبدأ من أفق الحلم الإنساني ، وليست حداثة المبدع في تحطيم الشكل فقط إنما في هي إبداع شكل آخر من الجديد والكاتب الحقيقي يستطيع أن يوقظ أمة بكاملها ، ويطورها .

وقد قيل : الفن يزدهر في ظل روح المغامرة .

أما الثقافة العربية تستطيع أن تتحول إلى قوة اجتماعية متطورة ومغيرة عندما يثق بها الناس ، ويؤمنون بقدرتها على فتح طريق المستقبل ، ولا تتطور الثقافة إلا من داخل المجتمع وداخل الإنسان ويعتقد البعض أن الحداثة هي إلغاء الإمكانيات الإبداعية الموجودة في الفكر العربي وإدخال التيارات الفكرية الغربية عليها وهذا ليس سوى تعبيراً عن عدم القدرة على تفهم المرحلة الإنسانية المعاصرة التي وصل إليها الفكر الإنساني ، وما زالت الحداثة العربية نصفها في الماضي ونصفها في الحاضر. ولا تتم الحداثة إلا في مدى فهمنا لها، وهي حديث مع أنفسنا بقدر ما هي حديث مع الآخر، وعندما تطوق الحرية الفكرية يؤدي هذا إلى التشوه الثقافي ، والروحي ، والنفسي . فالذات المبدعة تكون في شمولية تبادل الأفكار والثقافات ومدى التفهم لها . وهي قوة ليس فقط في تغيير الأفكار وتطور المجتمع ، إنما تظل قوتها مؤثرة حتى بعد قرون . فالإبداع ليس باللغة الطنانة فقط . بل بالروح التي تنمي الفكرة وتنبتها للوصول إلى منطقة الابتكار والتجديد. لأن الحداثة ليست فقط كلمة قاموسية إنما هي مفهوم يكتسب عمقاً من العصر الجديد . فالحداثة هي حداثة تطور وتغيير من أجل الإنسان .

الحداثة لكلاسيكية في عصرها حداثة ، والرومانسية حداثة عصرها ، وكل كتابة جديدة حداثة، وحركة الشعر الحر حداثة . ألم يكن طاغور قطعة من روح الهند، فأصبح قطعة من روح العالم لوركا . الذي غنى حريته في اسبانيا تمايلت لها كل أغصان

الزيتون في العالم . أما زلنا نقرأ شكسبير ، الخيام دوستوفسكي ، أراغون ، ناظم حكمت ، جبران ، المتنبي ، المعري ، ابن الرومي ..؟

والحركة الفنية . الفراهيدية . هل يضايقها لو تحولت البحور الشعري إلى مساحة أوسع من الحرية ؟. فالتراث هو الشرارة الأولى التي تضيء المستقبل، وقد كانت المعلقات محطة من محطات التاريخ فهل يبقى الشاعر فيها؟.. ألا يحق للشاعر أن يتغير ويتبدل وكل الظروف والبيئة قد تغيرت وتطورت ؟.. فالتراث لي مجموعة من الثوابت بل مجموعة من الإجابات والاقتراحات وذلك باستيعاب التراث وجعله رافداً لحياة متجددة.

الشعر في ذلك الزمن لم يكن موجوداً للتعبير عن الداخل الذاتي للإنسان بل كان اهتمامه مصبوباً على الإطار الخارجي للحركة في الزمان والمكان، ويعبر عن تلك الفترة . بالمديح. الهجاء . الحرب الرثاء. الحب. وكأنه مرآة تعكس صورة العصر وأغراضه وحياته وضمن القوالب الخارجية توضع القصيدة ، فتختنق أحياناً روح الشاعر مع أفكاره ضمن البديع ، والطباق ، والسجع ، والجناس ، والوزن ، والقافية ، وحين يلهث الشاعر وراء خياله المتدفق تصرخ به القافية فيقف وهو في ذروة اندفاعه . ليلتقط أنفاسه أمامها . وظروف الشاعر القديم، وحياته المتنقلة وعدم توفر أدوات الكتابة جعلت الشاعر يحفظ في ذاكرته شعره ويغني مع موسيقا البحور ليحفظ. والقصيدة ليست وثناً ضمن لغة

بل هي حالة من أحاسيس الشاعر ومعاناته الفردية. وحين تسكب على الورق تمس أحاسيس الإنسانية أو تعبر عنها .

فالنص الشعري طفل الحريةة يتفتح مع الذات والخيال في آفاق لا تحد كانت الربابة إرثاً موسيقياً جميلً لكنها تبدلت وتوزعت على الآلات منوعة. ومختلفة ومهما تغير قانون الشعر فالمبدع هو ابن عصره وهو الذي يستطيع أن يخلق أدباً لكل العصور. لأن حداثته مفهوماً نسبياً يتغير من عصر إلى عصر آخر.

ويبقى انعكاساً لكل عصر وقد تحرر الشاعر من الشكل الذي التصق به. وتبقى الثقافة رئة الفن التي تقود المبدع إلى نضارة الرؤيا عن طريق المعرفة، والغوص في أسرار الكون. النفس. الأشياء. والمعرفة كمدى الأساطير لا تنتهي والإعلام أحد الأساليب التروجية للثقافة، ولكنه لا يصنع مبدعاً، وقد يغفل أو يتناس الكثير من المبدعين.

ومتى يصبح الإعلام مركزاً من مراكز الإشعاع الفني العادل؟

* * *

7- العقل والإبداع ..

العقل هو القوة التي تدفع قوى الإنسان لتحقيق عمل عظيم، وابتكار أفكار صحيحة ومتجددة ومنطقية وذلك عندما يتحرر من تقاليد وعادات موروثة وضعت في عصرها. ولكل عصر مستلزماته وتقاليده وتطلعاته. لذلك فالعقل حركة دائمة تعمل ولا تهدأ وقوة المنطق والإرادة في مناقشة الأمور، وضع الأسس الصحيحة المتطورة لبناء المجتمع والحضارة والإنسان . أما الإبداع هو خلق كل جديد، في مختلف أنواع الفنون ..

. الفكر . الفلسفة . والعلوم . والأدب والرسم .

وقوة العقل والإبداع موزعة على مختلف الشعوب، وفي كل الأزمنة وهذه القوة ليست على نسبة واحدة عند الأفراد، بل هي متفاوتة في الضعف والعطاء والقوة.

الإبداع نور ومعرفة ، والمبدع الحقيقي هو مرآة الكون لأن قدرته يعبر عنها بإحساسه بالواقع . بالأحداث . بالإنسان فيخلق عالماً جديداً ، ويعبر عن طموح الإنسان وثقته بنفسه والإبداع في كل زمن استطاع أن يبني أبراج الحضارة الإنسانية ويساهم في تطورها ..

أليس الإبداع هو الذي خلق المخترعات. والاكتشافات وهو الذي أغنى اللغة وارتقى بها ، ولونها بأفكار وتعابير مشرقة . والكتابة هي ينبوع يتدفق من ذات المبدع، وكل ما ينبع من القلب يصب في قلوب الآخرين وفي كل الأزمنة ظهر الإبداع معبراً عن زمنه . ومجتمعه وإنسانه لأن الإبداع مرآة العصر، وهو الذي ارتقى بأشكال الوجود الإنساني والمتمثل في كل عمل فني عظيم، لأن الإبداع أسلوب الحياة. وأسلوب المبدع انعكاس وخلق نحو الانطلاق ونحو بناء الشخصية الإنسانية.

وقد قيل: كل عمل إبداعي هو تطهير للعالم. لكن العبرة تكمن في وجود هذا الإبداع وبالإبداع يستطيع لإنسان ممارسة حياته، وحريته واستمراريته تكون بالتغلب على كل ما هو سيء وسلبي في العالم.

* * *

8 – انطباعات شعرية

الشعر أرقى مراتب الفكر، والشاعر يتبدع الكتابة بإيقاع حقيقة التجربة مع المعنى، فالشاعر مع النص الذي ايتدعه، والقارئ مع الصفحات التي يكتشفها، والشعر كما الذات بحر لاوزن ولا قياس له. وهو جسد الأحلام العاري. فالشاعر يمشي في كل المسافات والأوطان. وينطوي على ذاته، وسكينة وحدته مرآة تعكس صورة الشعر في ذواتنا.

يقول ابن سينا .

إن كل كلام غير متخيّل ليس شعراً ، وإن كان موزوناً مقفّى وإن الشعر يراد به التخيّل لا إفادة الآراء .

فالشعر ، لغة عشق وثورة ووطن . لغة فوضى وماء ونار والشاعر طائر المسافات المجهولة يمرّ بعرائش الياسمين ، واعتلال الخزامى ، ودمع البنفسج ، وبوح الزنبق. ودم الجوري المسفوح ويدخلنا غابات الحلم اللامرئية . حيث موجة الينابيع حائرة . وبحيرة النور تصلي ، وعبق اللغة يهمس لعصافير الكلمات . وزهرة الشعر الأسطورية تنبت في طفولة القلب . وبياض الروح فتكون القصيدة رحلة في مدن الأساطير اللانهائية. والصور هي التي تطلق نار الشعر وتشعل الخيال بجمر الكلمات والشاعر المبدع مساحة كلماته على الورق أصغر بكثير من التجربة التي يعيشها. ولا يستطيع الشاعر أن ينفصل عن التجربة والتعبير عنها. ولا يستطيع أيضاً أن يحكم على مساحة الكلمة حين يكون بين الكلمات ، وحالة التجربة الشعرية كحالة الحب لا تفسر ، ومن يستطيع أن يسأل عاشقاً عن أسباب عشقه؟..

فالشاعر هو الجرح والسكين، وهو كالطفل الذي يلمس النار ويحدث الدهشة من احتراق أصابعه على الورق .

فالشعر هو همسة الإنسان للآخر بحرية ، والسفر مع الآخر عبر المجهول ، والغربة ، والمغامرة ، وكل كلمة شعرية تتحول على طقس من طقوس العبادة ، والكشف والتجلي ، وهو

الذي يعطينا الإحساس بتذوق الجمال ، والإحساس بالمشاعر الإنسانية لأن الشعر ليس فناً فقط بل حضوراً ورؤيا، وإبداع حلم اليقظة.

والشاعر مصدر الإلهام وألفاظه الرعشة الشعرية.

القصيدة العربية حتى العشرينات كانت تلبس عباءة البادية ومدقوقة على عمود الشعر، وتعنى بشؤون الحياة، والموت والحكمة ، والحرب ، والأخلاق ، وإن زحزحت أي بيت منها تبقى محافظة على كونها قصيدة ، وظروف الشاعر غير المستقرة جعلت شعره وفق الأوزان الخليلية ليسهل حفظه .

ثم بدأت القصيدة تحرر من الموسيقا الجبرية، فأصبحت شرارة تضيء الحاضر وتورق اخضرارها على شجرة جديدة تتفرع وتثمر، وهربت من الشعراء الذين يسكنون زمناً واحداً قرب البحور الخليلية ووثنية القافية.

فالشعر هو لفوضى الجميلة التي تعيد تشكيل الزمن.

وموسيقا القصيدة الحديثة تأتي من لغة الشاعر، من احتراقه ، من خلجاته ، لأن الشعر أصبح لغة النفس، وليس الشاعر هو الذي يكتب إنما هي التي تكتبه، رغم أن القصيدة الحديثة متعبة ولا تعرف الطمأنينة، وتحدث خللاً في ترتيب الكلمات والأشياء. وفي كل تجديد كشف عن مكنونات الخفايا لأن الشعر نبتة داخلية تطهر الإنسان وتنمي نقاءه.

أما قصيدة النثر فهي ثمرة الحرية. وصورة للعصر الجديد المتطور.

يقول الأديب الناقد . فخري صالح

الكتابات النقدية حول قصيدة النثر تعدها خارج حقل الكتابة الشعرية العربية وتنطلق من مفهوم تقليدي للشعرية. وتنفي شعرية قصيدة النثر عن مفهوم للنوع الأدبي حدد انطلاقاً من تأسيس وتعقيدات بنيت على أساس من عمود العروض العربي. فإذا انتفى عمود العروض واستبدل بنسق إيقاعي مختلف انتفى كون الشعر شعراً.

هذا المفهوم يتمسك بموسيقا العروض، ويلغي ما يحقق شعرية الشعر ويستبدله بالنسق العروضي الذي هو شرط ثانوي لأنه مجتلب من حقول الموسيقا فقط.

ويقول الناقد الروسي . يوري لوتمان .

الشعر يخرق مبدأ مراعاة القواعد التي تمنع ضم عناصر معينة في نص أدبي .

هو ينشئ انساقاً جديدة من العلاقات بين الألفاظ ، وهو بهذا المعنى يثري اللغة، وينحو إلى إنشاء فضاءات مجازية خاصة به .

ويقول الجرجاني

إن الشعر يجمع أعناق المتنافرات، المتباينات في ربقة. ويوجد الائتلاف في المختلفات.

فالشرط العروضي لا يقع في أساس تعريف الشعر، بل هو شرط زائد يقوم به وبدونه...

* * *

9- الكلمة .. هي البدء

في البدء كانت الكلمة ، ولكن ما هي الكلمة ؟ الكلمة لها معنى إبداعي ومعنى إنساني . الكلمة التي تنطق بها الشفاه ، تمثّل بحروفها الإنسان وشخصيته، والكلمة تدل على عظمة الأخلاق، وقوة الفعل، واحترام النفس.

فالكلمة هي علاقة الإنسان بالإنسان ، وهي مخزون الأحاسيس والوعد الصادق ، واكتشاف الجوهر في الإنسان والكلمة هي الإنسان وهي مخزون الأحاسيس ، والوعد الصادق. وهي التي تولد الثقة مع الآخر. ومن لا قيمة لكلمته لا قيمة لرأيه ، فإذا أعطيت وعداً لصديق ، أو لأي كائن من البشر، كلمتك

هي الوعد احتراماً لنفسك، واحتراماً للآخر. والكلمة لها أثراً عميقاً في النفس والاستدلال التاريخي يدلنا على أن جميع العظماء ، والناجحين في أعمالهم كانوا يحترمون كلمتهم ، ويتمسكون بها ، ويقدرون معنى هذه الحروف القليلة. والكلمة الصادقة هي التي تخطو معنا في الشارع. في العمل، في البيت، في الكتابة وفي جميع اتصالاتنا مع غيرنا. أما كلمة المبدع هي هاجسه المصيري، وهي التي تشع من إشراقة المعرفة، وتتعرج مع الحالة الإنسانية . والوجدانية . والواقعية. وكلمة المبدع هي التي تقتات من عشب القلب، لأنها فيضان داخلي وهي فعل حقيقي، ولذة خاصة في التعبير عن مشاعر البشرية، وآلامهم، ومعاناتهم، وطموحهم، وأيضاً هي البوح بكل مكنونات الطبيعة الخلاقة، والكلمة يجب أن تعبر عن كل الأزمنة، والعصور. أما كلمة المحبة الإنسانية، هي نقطة انطلاق الزمن، لأنها تحررنا من بعض الموروثات الخاطئة.. من الحقد، من الضعف، من الشر وهي الوسيلة للتواصل مع البشر. وفصول المبدع.. لغته وأسلوبه.

قال شاتو بريان :

حياة المبدع هي خليط من طبيعتين :

أن يكون المبدع قادراً عل الإلهام. وعلى الحركة. فالأولى تولد الفكرة. والثانية تحققها.

ومحور الأدب هو الإنسان. فعلى قدر ما يتغلغل الأدب في حياة الإنسان . شعره ونثره . يكون فيه قوى إنسانية ظاهرة أو باطنة.

وتبقى الكلمة هي الدعامة الأولى لعلاقة الإنسان بالإنسان.

* * *

10- الإنسان الحضاري

قال النفري: الجنة اثنان..جنة النعيم. وجنة المعرفة.

الإنسان ممزق من الداخل، ولكن لكل مخلوق معاناته الصامتة، وقلق الإنسان المعاصر يجعله في حالة من الضياع، والعبث والتمزق. والحرية التي يملكها هي . فعل ومسؤولية . تجاه الفكر. والموقف والمعرفة. وجنة المعرفة هي التي تغص بمناهل الكتب، وتعصر القلب البشري ينابيع المعرفة. والإطلاع. والتطور.. لأن المعرفة شجرة تعطينا في كل الفصول ثمارها.

وحين يختار الإنسان طريق الفكر والمعرفة يبدأ بالتطور من ذاته فيمتلك الوعي المنطقي الذي يطرح عنه التخلف والجهل، فينضج حين يحقق مستوى الفكر والثقافة والعلم.

وهي أهم الأسلحة لمحاربة التخلف والتطور. ولا يتم هذا إلا إذا واجهنا أنفسنا بالنقدية الفاعلة. والفكر النقدي الذاتي الموضوعي. والبعض يرى في التطور ثقلاً على الماضي أو إلغاء الماضي ، لأن العقل القديم لا يستطيع بسهولة أن يتطابق مع العقل المتطور، وعندما نرضخ للفكر التقليدي كيف يمكننا أن نتابع التيارات الإنسانية المتجددة والمتطورة ولا يتم التطور إلا من خلال الإنسان. والمعرفة. والعلم.

قال أندريه مالروا :

الفرد يعارض المجموع ولكنه يتغذى منه، المهم معرفة مصدر غذائه ، أكثر من معرفة ماذا يعارض؟.. فالأفكار لم تخلق لنتأملها بل لنحياها.

والإنسان العربي مخزون من الروحانيات، وأرضه أرض الحضارات والديانات، وهو الذي يستطيع وقف الزحف المادي ويحافظ على توازن القيم التي بدأت تنهار وتفكفك في داخل الإنسان ونبذ الصراع الطبقي، والصراع الديني، وصراع الإنسان مع الإنسان وذلك بالمحبة الإنسانية، فالإنسان الحضاري مهمته بناء الإنسان من الداخل، حين يتطابق وعيه وسلوكه وفكره مع

مواقفه. فيصبح هو نقطة البداية من خلال الفكر المتطور.. والإرادة الحرة.

والحياة الحقيقية لم تنشأ بعد. وهي لا توجد في الأشياء بل في الإنسان وحده. وبذلك نمنح المادة نبضات إنسانية حية.

أليس المفروض أن يكون الإنسان أرق كلما أوغل في الحضارة والتطور؟..

* * *

11- الشعر .. والنظم ..

يقول جيته .

الحياة وحدها هي التي تعطينا الحياة لأن غاية لحياة هي الحياة نفسها. والشعر الذي نحياه بتجاربنا الحية هو الذي يؤثر في الشخصية الإنسانية ويعطينا الشعر. فالشعر الحق هو الذي يصدر من معاناة الشاعر نفسه ويعزف شعره على أوتار حياته، وبذلك يخرج الشعر من ذاته بمعانيه الخلاقة، وصوره الملونة المتناسقة، ولغته الرنانة التي تجعل القصيدة الشعرية تنساب على

الورق كزورق حالم بين المياه فتمس شفاف الذات، وتعبر عن الإنسان ذاته.

فالقصيدة هي التي تدهش بانخطافاتها القارئ.

وهل نستطيع أن نعتبر كل كتابة تسلك طريق الوزن شعراً لمجرد أنها تتقيد في بحور معينة. وحروف متشابهة، وقافية واحدة؟ بحور الشعر وأوزانه يستطيع كل فرد أن يتعلمها، واللغة غنية بالمفردات. والقاموس مزدحم بالكلمات، وما على الناظم إلا أن يجمع الألفاظ، ويرتبها على الوزن الذي يريد، ويختار لقافية التي تروق له، فتخرج القصيدة لها رنين متكرر، وقافية واحدة.

ولكن هل تثير إحساس القارئ، أو تحمله إلى آفاق الخيال. أو تقربه من معاني الحياة، ومعاناة الإنسان؟..

لأن النظم تصبح فيه القيود والأوزان هي الغاية وليست الوسيلة ويظهر النظم في مناسبات عديدة يستطيع الناظم فيها أن يصورها . والمتلقي يستطيع أن يميز بسهولة بين الشعر والنظم.

لذلك قفزت القصيدة إلى رحاب الشاعرية لتبرهن أن ليس كل ما نظم شعراً ، وليس كل ما جرد من الأوزان والقوافي لا يصح أن يكون شعراً ، فالشعر هو كل ما صدر عن الشعور، وأثر في مشاعر الآخر وموسيقاه الداخلية تنبع من انفعال لشاعر، من مفرداته من شاعرية المعنى، وبذلك يصبح إضاءة خفية في النفس المعتمة ، ولون البياض يعانق الظلمة، وناي أنفاسه تلامس أوتار

الطبيعة وتثير الأحاسيس الخفية. وتضيء الأفكار بلمسة سحرية قد توقظ القوى الخفية الكامنة في الذات.

فالشعر يرهف الشعور، ويلون أجنحة الخيال، ويرسم هياكل الجمال.

وقد قال عمر الخيام

الشعر لا يعرف قانون. إنه لا ينكر ما سبقه. ولا ينكر ما تبعه. وهو يجتاز العصور في دعة تامة.

* * *

12- المحبة – صلاة للإنسانية

يحتفل العالم بعيد الحب ، ولهذا العيد أصل شرقي يسمى تكريس الربيع – حين ينتهي فصل الشتاء . وتتفتح الطبيعة ، وتورق مشاعر الانسان .

والعرب – كوكب الزهرة اسموه كوكب الحب لأنه يجلب الحب ، والسعادة ، والحظ .

وفي الأساطير اليونانية كانت آلهة الحب – افروديت – تجعل افئدة البشر تخفق تخفق كالحمام ، عندما تضطرم العواطف

وابنها كوبيد هو الذي يطير بشكل حمامة ليزرع في القلوب الحب والعشق وتماثيل افروديت محاطة بالطيور والحمام

أما في الغرب يروى أن انساناً اسمه – فالنتين – هام حباً بأبنة الامبراطور ، وحين غضب الأمبراطور وقرر قتله, انزوى في دير وتنسك . وكان الشفيع لكل المحبين ، يوفق بينهم ويوصل رسائلهم ، ويحل مشاكلهم ، وحين أفتضح أمرهم حكم الكهنة عليه بالموت وقتل يوم /14/ شباط واعتبر شهيد الحب .

فالمحب في هذا العيد يكون استمرارياً بمحبته ، وتتعمق أواصر المحبة بين البشر,ويرمز لهذا العيد بالشمس المضيئة وقلبين متحابين ويكرم فيه كل من لم يتزوج مهما كان سنه ويقدمون له الهدايا والزهور فالحب صلاة سرمدية للانسانية وهو قوة الكون ، وسبب وجوده ، وقوة القلب أيضاً ، لان المحبة حضور لانهائي هي بذل الذات في التضحية والعطاء ، ومساعدة الآخرين .

إن أحبك الناس فإن لذلك بعض الأثر الجميل ، وإن أحببت وأحببت فتلك القوة التي تكمن فيها كل بذور الإنسانية الخيرة. وحين نمشي في دروب المحبة نستطيع أن نفعل فعلاً واحداً في كل يوم من أيام حياتنا يعبر عن المحبة و لنشفق على الأشرار ونظهر لهم محبتنا. وبذلك نستطيع أن نهديهم إلى طريق الخير لان المحبة ربيع العدل الالهي. ولا تعرف الطبقات ولا العنصرية أو الجنسية أو الدين ، المحبة تتغلب على كل شيء ،

وترفض العنف ، والحرب ، والإرهاب ، والأنانية ، والجشع ،, والحقد ، والتعصب وهي أقوى من الموت .

وقد قال سقراط :

المحبة والسعادة مترادفتان ...

لقد كان بيتهوفن أصمّ . وطه حسين اعمى ، وباستور مفلوجاً ، ولكن محبتهم للانسانية لم تقف بل تقلّبت المحن ، وابتسمت للالم ، وتغلبت عليه بالعطاء والابداع .

المحبة انعكاس على وجه الفقير والمتألم والمضطهد ، فلا القوة ولا المال ينتصران إنما الحب وحده هو الذي ينشر العدل والسلام ، وأعظم أثر نتركه في الحياة هو الخير الذي نعمله ، وبذلك نرد للعالم شعوره بالله تعالى مع بهجه محبته للمطلق . وربما يشرق يوم لاتبقى فيه إلا اواصر المحبة الانسانية ، تضم الجميع ليعم الرخاء والسلام

* * *

13- تجليات المرأة

في الغابر قالت عشتار : أنا الكائن اللغز , أنا سيدة الأسرار أنا وجه الأنثى الخالدة في ضمير الأنسانية

هي المبدأ الامومي الذي يجمع , و يوحد , ويخصب , ويتجدد ..

كانت المرأة رمزاً للطبقية,ولها قوانينها المطلقة,والرجل في المبدأ الأبوي أراد لها الخروج من مسارها وأخضعها إلى قوانين مصطنعة ولكنها بقيت كشجرة دائمة الأخضرار, وفي أعماقها

محيطاً بلا حدود ولكنه مسّور بأسوار من كل نوع , وظلت حياتها زبداً عائماً إلى أن بدأت تحطم السدود, وبدأت تخرج أيضاًمن قوس المحرمات خشية ان يدنس الجسد وكأنها لا تملكه , أو ليست هي شكله ومضمونه كانت مملكة المرأة مغلقة بالسياج , وكأنها وردة تستغيث والأشواك تزحف حولها, وبقيت داخل الأشياء لا أمامها , كالنجم الذهبي المحفور بين جدران قلعة محصنة , وتحرير المرأة من الداخل أهم من تحريرها ظاهرياً وشكلاً , حين يتحرر عقلها ومفاهيمها تحقق تاريخاً خاصاً بها , وتحررها يكون بسعة الاطلاع , والثقافة والمعرفة, والعلم فالمرأة الواعية المثقفة عندما تملك حريتها تكون أكثر حرصاً نقائها وصفائها,وأكثر قوة وأبداعاً وكلما تدرجت في دروب حريتها كانت مسؤوليتها اكبر ..

ويقول نابليون ..

لا حياة لمجتمع إذا لم يكن فيه نساء راقيات, لأن المرأة روح الجتمع .. أما في الأدب هناك أبجدية واحدة ليست مؤنثة ولا مذكرة, فالمرأة تكتب بإحساسها عن واقعها, والرجل يكتب بفكره وجرحهما واحد .

ويجمعهما الأبداع, فالقرآن الكريم خاطب الجميع بلغة واحدة ..

والمرأة المبدعة تكتب ولا تشكو الشعور بالنقص , وتبحث عن خلاصها الفردي ,أليس حصارها هو حصار ضد إنسانية الإنسان ؟ والمبدع مبدع في كل زمان ومكان , وهو الذي يتوسع

في مسافة الوعي الكوني ويكتب من أجل ولادة إنسانية جديدة وعندما يخلق المبدع عملا أبداعياً يكون من أجل المحبة الكونية .

وهناك شعر أو لا شعر . مبدع أو غير مبدع ....

وهناك أدباء عبروا عن الآلام الإنسانية التي تعيشها المرأة مثل – تولستوي – آنا كارنينا .

وفلوبير – مدام بوفاري – غوته آلام فرتر .

* * *

14- الطفولة

لقد أفردت أساطير الإغريق فصلاً غزيراً بين أساطيرها لتتحدّث فيه عن جمال الطفولة وسحرها . وهذه الأساطير مليئة بالحكمة , والمشاعر الإنسانية الراقية والخيالات , ونسجت حول عالم الأطفال القصص الخرافية الجميلة التي غذت عصوراً كاملة بالفلسفة والمعرفة وكل من يقرأ تاريخ الإغريق, وأسرار فلسفتهم , يذكر قصة الآلهة التي أصابتها الوحشة عندما خلت حديقتها من الأطفال, فالزهور ذبلت والندى جف. وزرقة السماء غابت, ولون الشفق تغير, والعصافير صمتت, وألحان الطبيعة همدت, والحسان ذبل جمالهن , وزبد البحر تحول لونه إلى سواد, وأكاليل الغار سقطت من رؤوس الأبطال وانقطع النسيم العليل, وخف حفيف الأغصان , وزالت عن جوبيتر قوته وتصدعت جدران القصور في

أثينا , وأوشكت سلالة الملوك والآلهة أن تنقطع إلى الأبد . استغربت الآلهة مما أصاب حضارة الإغريق وإنسانيتها فبدأت تنادي إلى محبة الطفولة, واكرامها. وعادت الحدائق وامتلأت بالأطفال وهم يمرحون, وعاد كل شئ في بلاد الإغريق إلى بهجته وجماله وقد أوحت جميع الأديان السماوية إلى محبة الطفولة وإكرامها لأن فيها يتجلى الطهر. والبراءة والصدق وقد قال السيد المسيح :

دعوا الأطفال يأتون إليّ ، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السماوات . فالأطفال هم براعم الغد , ومثل الإنسانية بكل ما تتوج من مبادئ . وعالم الطفولة عالم صامت لا يستطيع التحدث عن نفسه , وهذا العالم أدق تعبيرا عن الحياة بمفهومها الروحي.

وكانت عاطفة الابوة نحو الأطفال تؤثر تأثيراً كبيراً في سلوك الحكام والاباطرة لأن هم مستقبلاً.

وقد قال القائد الأغريقي الشهير – بركليس – لزوجته :

– أن أبنك يحكم الاثنين – قالت : كيف ؟

قال : أنا أحكم أثينا. وأنت تحكمينني,و أبنك يحكمك وقد نبغ الكثيرمن الاطفال في الموسيقى , والشعر , والرسم , والرقص , والغناء . وهم في سن الطفولة,فالذكاء الفطري يسبق لديهم النضج العقلي , والتحليل المنطقي, لذلك هم أكثر ألتصاقاً بالمواهب الفنية , وقد أثبت علماء النفس أن تجارب الأطفال وميولهم تظهر في لعبهم ومنافستهم لبعضهم البعض .

والطفل لا يربى بالقمع والخوف من العقاب لأن هذه التربية تخلق في عالم الطفل التردد . وعدم الثقة بالنفس والعقد الذاتية وليس المهم عدد الأطفال الذين ننجب بقدر العدد الذي نؤهل, ونربي ونعتني بكل ما يحتاجون ويرغبون .

وإلى متى يبقى الطفل في مجتمعنا شقياً ومهملاً؟..

* * *

15- الموسيقا

قيل الفن وسيلة للتغلب على الزمن. ولبلوغ لحظة الأبدية .

ولقد اهتمّت كافة الشعوب بالموسيقا ، وقال فيها المبدعون أشياء كثيرة .

- الموسيقا زمن عامودي لغرق القلوب – (ريلكه)
- الموسيقا تحقق للإنسان لحظة الحاضر ، لأن الإنسان محكوم عليه أن يعاني جريان الزمن ، ولا يمكن أن يجعله ثابتاً حتى في الحاضر فالموسيقا غايتها إنشاء نظام بين الأشياء .. ونظام بين الإنسان والزمان – (سترافنسكي)
- الغبطة التي تنقلها الموسيقى كأن هناك زمناً آخر ، وديمومة الموسيقا الضيقة تخترق زماننا من طرف إلى

طرف ، ترفضه ، تمزقه ، تسحق على الجدران زماننا البائس وهذا الفرح هو التحرر من ربقة الزمن – (سارتر)

فالموسيقا تعلو بنا إلى آفاق سابحة مع النغم فوق الواقع، وفوق الزمن . وحضورها يعطي الحياة معنى وصدقاً ، لأنها تحيي الروح وتحقق نوعاً من اللذة الخاصة حتى وكأن الإنسان يشعر نحوها بنوع من الحب المسحور له وهي تخرج الفرح من الذات ، أو تزرف الحزن من الذات ، أو تثير انفعال الذات .

للموسيقا معازف متعددة ، وتعابير منوّعة ، تخترق الماضي والحاضر والمستقبل ، متخذة لهجة الكائن البشري ذاته بأبعاده الداخلية ، وتعبّر عن ذكرياته ، أحلامه ، رغباته . فهي مرآة لتجاربه الإنسانية والروحية ، وتموجاتها الحميمية هي المحتوى النفسي الدفين والمغلق ..

رافقت الموسيقا الإنسان منذ بدء العصور ، ومرّت بمراحل متعددة عبر التاريخ . وتطوّرت عبر الأزمنة وحافظت على استمراريتها العميقة مع كل الحضارات ، وامتزجت وتلوّنت وأشرقت وكانت موضع اهتمام الأمبراطوريات والملوك والخلفاء . وصرف للموسيقيين جوائز ومكافآت سخيّة ، واهتموا في ثقافتهم ومعرفتهم ومهارة إبداعهم .

وقام صوفيون مشهورون ، بنشر رسالة المحبّة الإنسانية على أوتار موسقاهم ، ولعبت الموسيقا دوراً هاماً في تجمّعاتهم وكانت تعقد الحلقات الموسيقية الدورية عند قبور الصوفيين . وقد

ترك الصوفيون سمة سامية على الموسيقى عن طريق ابتكاراتهم ، واستخدموها كوسيلة لتوصيل رسالتهم حول الأخلاق والسمو الروحي بالإنسان نحو المطلق ولا تزال الأغاني التي ألّفوها لها جاذبيتها وحيويتها وإيمانهم أن الموسيقى غذاء الروح البشرية ، ووسيلة لنشر الفلسفة الصوفية .

في البنجاب ، كان الشيخ قطب الدين بختيار كاكي مولعاً جداً بالموسيقا ، وأثناء حفلة موسيقية سقط في حالة من النشوة ومات .

أما (الحلاج) فكان الملهم الأكبر لمواجيد الشعراء وألحانهم وأغانيهم في الأفق الصوفي ، والمزمار الرئيسي في الحفلات الروحية عند المولوية يدعى باسم ناي المنصور .

وتلاميذ الحلاج يكونون جماعات روحية حلاجية . وفي تركيا والسند طائفة من القوالين والموسيقيين يطغون البلاد ويغنون وكذلك فرق – الشيشيتون – والسهروديون .

وكان الأمير – خسرو – يعتبر من عباقرة القرن /13/ وكان ذهنه واسع الخيال ويبتكر إشكالاً جديدة في الموسيقا والشعر . وكان كل ليلة يحضر قصائد غزل جديدة إلى اجتماع الملوك . – ومحمد شاه – الموسيقي الشهير في عصره يعزف بينما راقصات جميلات مثل – فتوحة وخاتون – يغنين فيجلبن الطيور من السماء ويسلبن أحاسيس السامعين .

فالموسيقا هي وسيلة قوية للتكامل الثقافي . والتناغم الاجتماعي والتواصل الإنساني والشاعر نظر الإسلام – في الأدب البنغالي – له أكثر من ثلاثة آلاف قطعة موسيقية يتغنى بها أهل بنغلادش .

* * *

16- الانفعال اللاواعي

قال بوذا : من يتغلّب على نفسه خير له أن يقهر ألف جندي ألف مرة .

الإنسان هو أجمل صورة خلقها الله على هذه الأرض ، وقد خلقها على صورته ومثاله ، ولكن هذه الصورة تاهت في عقبات كثيرة وتشوّهات نابعة من التربية الخاطئة ، أو البيئة ، أو المتاعب التي تنبثق من صميم معاناة الإنسان ، أو متاعب تنبع من ذاته . وكل هذه المراحل التي يمرّ بها قد تسبب له المتاعب والاضطراب والتعثّر في دروب الحياة ، فيقع في مشكلة سيطرته على نفسه وقد لا يستطيع التغلّب عليها ، أو البحث عن حلّ لها ، وتبقى هذه المشكلة تتحداه ، وتصارع إرادته حتى تصبح علّة نفسية مزمنة ، وقد تورث الإنسان الكثير من الشرور التي تنعكس على صفحة الحياة الاجتماعية ، لأن السيطرة على النفس تمنع

اعتداء فرد على فرد أو شعب على شعب ، وتمنع الحقد والعنف والغضب ، فلا يتعامل الإنسان مع الآخر برد فعل ، بل بصفاء وهدوء واتزان وبفعل الإرادة والقوة قد يتغلّب على الكثير منها ويستطيع أن يسمو فوق صغائر الأمور ، وتحرره من الحسد والجشع والقلق. أما عندما يفقد السيطرة على نفسه يصبح مخلوقاً ضعيفاً ، فكره مشوّش ، ويقظة الوعي غافية ، فلا يتصرّف بوعي هادئ ومنطق سليم ، وهذا ما يوقعه في تناقض مع ذاته ، ومع ردود فعله وأقواله مع الآخرين ، والكلمة الصارخة التي تضجّ بالغضب والانفعال تدل على عدم الثقة بالنفس ، ونقص في الشخصية يعوّضها بالصوت المرتفع والانفعال اللاواعي ، وتسبب جروحاً نفسية لا تزول (جرح الجسد قد يشفى أما جرح النفس يحفر آثاره العميقة ويترك شروخاً لا تشفى) فالسيطرة على النفس تنبع من قوة الشخصية ، والثقة بالنفس وصفاء الوجدان ونقاء القلب . والثقافة الفكرية رافدها الأسمى هو السلوك الراقي ، والإنسان المثقف يستطيع التمييز بين الكلمة الناعمة والكلمة الجارحة .

وقد قال برناردشو : (البقعة تظهر جلياً في الثوب النظيف) .

والخوف والقلق يجعل الإنسان فظّاً قاسياً . ومعرفة الإنسان دوافع غيره من الناس ، تحمله على التسامح ورحابة الصدر . لكن يضاف إلى هذا جهل الإنسان بدوافعه الخاصة ،

والتي هي مصدر لكثير من متاعبه ومشاكله وأزماته النفسية . وكثير من ألوان الشقاء فيما يكابده الإنسان يرجع إلى أنه لا يعرف ما يريد .

والعظيم هو الذي يجتاز التجارب الخطرة والمواقف الصعبة ويبقى متمسكاً في السيطرة على النفس فيصبح إنساناً جديداً والإنسان الكبير بوسعه احتمال زلات البشر .

ألا يجدر بنا أن نفكر بعقولنا لا بأعصابنا ، وأن نتكلّم بعقلنا لا بلساننا ، وأن نتصرّف بفعل لا بردّات فعل .

* * *

17- محاورة الروح

الانبهار لحظة نعيشها بدهشتها وقد تجذبنا إلى الآخر ، ولكن هذه اللحظة هل هي أنقى صورة للمعرفة الجوهرية ، أي لكشف الذات وما تخفيه وراء هذا الجمال ؟

إننا نختفي وراء الخيال ونبوح بأحلام لا نثق بها دائماً ، ونتعامل مع الذات الخارجية ، لأننا في معرفتنا للروح الداخلية نمسّ منطقة الحقيقة ، والتي لا يمكن لمعظمنا أن يتحمّلها ، لأن حياة الإنسان معترك كخيوط متشابكة ، وقد نشعر أحياناً بعدم الرغبة في مواجهة هذه الشبكة أو تفكيك ما فيها أي بعدم مواجهة التجربة التي تتحدانا ، ونلجأ إلى ما يريده الآخر منا ، لا ما نريده نحن لأننا نخشى كشف الذات ، ولا نكتب أيضاً عن ذواتنا . وقد كان الفن الحقيقي هو أبلغ الطرق للتغلب على ضعف الإنسان أمام حقيقته الداخلية . فاكتشاف الذات تمنحنا مفتاح أعماله لأن

أعماقه هي جدول أفعاله وبذلك نخلق حالة من فهم الآخر والانسجام والتواصل مع إنسانيته .

والكثير يختفي في ثوب الهروب لضعفهم في تحمل مسؤولية ما حدث لأن الإنسان الأناني يقع في الخطأ ليقنع نفسه أنه الأصح ولكنه يخاف من حركة الضعف التي انتصرت وأوهمت الآخر أنه يملك القوة . والإنسان كلّما أعطى أكثر كلّما كان قوياً ، وكلّما فقد المعطيات يصبح الأضعف ...

لماذا نقرأ التاريخ ولا نقرأ الإنسان ؟

نتوهّم إننا نعيش ولكن ليس بحقيقتنا . ونتوهم الأصدقاء ونتوهم أهميّتنا بالنسبة إليهم في حين لا يهتموا بنا كما نرغب ونتوهم الصفاء في الصداقة في حين لا تتعدى حدود المصلحة . وهكذا نبقى في نسيج الأوهام ونلقي من هذا النسيج على الواقع لتغطية الحقائق ، لأن الطبيعة البشرية دائرة مغلقة . ومعظم تصرفات الإنسان لا تتطابق مع ميوله ورغباته فالذات دائماً في قفص (المجتمع ، الأعراف ، التقاليد). والإنسان لا يشعر بذاته ومعناها إلا إذا تحرر .. ومشكلة الإنسان اغترابه النفسي مع جوهره الإنساني وتبقى البيئة هي الأساس في السلوك الإنساني وتغيير البيئة تغيّر الإنسان ، والإنسان الذي يريد أن يغيّر ذاته عليه أن يعرف كم يملك من القوة لذلك كان الفن دائماً يعمل على تغيير الإنسان .

* * *

18- أعظم امرأة ..

قيل لسقراط : من هي أعظم امرأة في نظرك ؟

قال : هي التي تعلمنا كيف نحب . وكيف نكره . وكيف نضحك وكيف نبتسم ونحن نتألم .

أليست الأم هي أعظم امرأة ؟ لقد كانت عشتار في الحضارات القديمة هي الأم الكبرى ، وهي النسّاجة التي تغزل نسيج الحياة ، وهي روح الخصوبة ، وشجرة الأم الكبرى هي شجرة المعرفة التي جلس تحتها – بوذا – وأقسم ألا يبرح مكانه حتى تأتيه الاستنارة وتنفتح بصيرته . ورفض إغراء رئيس الأبالسة وبقي ساكناً كبرعم اللوتس فوق مياه بحيرة صافية فأضاء قلبه كزهرة كونية تنفتح ، وحكمة الأنثى هي التي أدّبت سقراط أبو الفلسفة اليونانية . وهي التي نقلت – أنكيدو – من مستوى الحيوان إلى مستوى الإنسان في ملحمة – جلجامش – وهي التي فتحت عيني حواء على شجرة المعرفة . حتى القرن التاسع عشر

أسلم الرجل القيادة للمرأة وذلك لخصائصها الإنسانية وقواها الروحية ، وقدرتها الخالقة وإيقاع جسدها مع إيقاع الطبيعة . فكانت الكاهنة والعرّافة ، وحرّة في اختيار زوجها وتركه متى شاءت ، والأولاد ينسبون إليها .

واعتبرت في البدء إلهة الخصب ، ورموز الطبيعة ذات العطاء الذي لا ينضب ، ثم أصبحت في أثينا إلهة الحكمة . وقد أحاطها الرجل عبر العصور بالإجلال والتقدير . فالعنصر الأمومي يمثل الطبيعة في حين العنصر الأبوي يمثل التاريخ .

وحب الأم هو أعلى صورة من صور الحب ، فالأمومة امتزاج وجداني ، واعتبر حبها في كل زمان ومكان حباً فريداً من نوعه . فالأم توفر للطفل العسل ، أي حب الحياة والتمتع بالوجود ، وتوفّر له اللبن أي الرعاية والمسؤولية والتربية . لذلك حب الأم غير مشروط . والكتب السماوية أوصت بالأم ، لأن الأم هي الحياة ، والحياة هي الأم ، وهي التي يبنى عليها صرح الأسرة وهي نواة المجتمع والوطن .

الأم كالصخرة الصلبة لا تذروها الرياح ، ولا تنال منها الأعاصير . إنها تتدفق محبة وعطاء وتضحية ، وتبذل ذاتها بسخاء ويبقى قلبها نابضاً بالحياة والديمومة . إنها النور الذي يضيء للرجل ظلمات الحياة . وارفة الظلال يفيء إليها كلّما اشتد سعير الحياة حوله . وهو اليد الرقيقة التي تهدهد آلامه والبلسم الذي يمسح جراح قلبه .

ومن الذي يستطيع أن ينكر نور الشمس وابتسامة القمر وأنفاس الربيع ؟

هي صانعة الأجيال ، وملهمة الشعراء والفنانين وفي ذاتها سديم بزغ منه كل شيء وينتهي إليه كل شيء. فما أحوجنا إلى الأم الواعية المثقفة القوية الناضجة.

غفرانك أيتها الأم لما سببناه من شقاء وعناء لكِ. ولعل في أداء رسالتنا نحو البشرية – كما فعلت – خير تكفير عن خطايا الطفولة ، ورعونة الصبا .

* * *

19- (1) أسطورة يا ليل يا عين

أسطورة شعبية في تعليل ما جرت عليه عادة المغنين العرب من ترديد يا ليل يا عين في مطلع أغانيهم .

سألت الأم ابنتها " عين الحياة " : إلى متى تبحثين عن شيء لا وجود له ؟

أجابتها عين الحياة : إن الذي يستحقني لا يسعى إليّ وإن الذي يسعى إليّ هو الذي يستحقني . واقترحت على والدتها أن تهبط إلى وادي النيل الجميل ... لأن الحبيب الذي أنشده موجود فيه ، وسأبحث عن الملاحين السعيدين اللذين استرعيا انتباهي في المرة الأولى. هل تذكرين اسميهما ؟ أجل ، ليل وشهاب . ولمحت " عين الحياة " سفينتهما راسية قرب النهر وهما يغنيان غناءً شجياً ثم انقطع الغناء. وبدأ شهاب يحادث صديقه ليل عن حبيبته الضائعة والتي أمست في عصمة زوج آخر ، ولكن اقتطع كلامه وطلب منه أن ينظر إلى فتاة جميلة كأنها حديقة ورد وريحان ، ووالدتها تناديها : " عين الحياة " وظن أن صديقه يحلم ثم توارت عن ناظريه. وطلب من صديقه أن ينام ولكن شهاب كان يخشى

لو استسلم للنوم أن تجيء عين الحياة ولا يراها . ووعده صديقه ليل أن يوقظه . تظهر فجأة عين الحياة وتنادي : يا ليل ... يا ليل ويسألها من تكونين ؟ تقول له إنها عين الحياة ويحاول أن يوقظ صديقه لكنها ترفض وتقول له: دعه ينام وتدعوه إلى مرافقتها إلى الشاطئ فيتردد في ترك صديقه ولكنها تطلب منه أن تحادثه قليلاً ريثما يستيقظ شهاب . فتقول له : كيف تراني يا ليل ؟.. يجيب : معذور صديقي لافتتانه بك .. تقول : أنا أحبك أنت لكنه يرفض إكراماً لصديقه. ولكنها تؤكد له أنها جاءت من أجله هو .. ويشتدّ الحوار وتبقى مصرّة على إعجابها بليل وتغريه بسفينتها المرصعة بالذهب والياقوت والزمرد والحرير ولكنه يصمم على رفضه فتختفي عين الحياة ... ويوقظ صديقه شهاب ويخبره بما حدث ، ويلومه شهاب لأنه لم يوقظه ثم تظهر عين الحياة لشهاب مرة أخرى وتسأله إن كان يقبل أن يترك صديقه ، فيرد أنه يذهب معها إلى آخر الأرض .

تستغرب عين الحياة كيف ينسى إخلاصه لصديقه وترفض أن تقبل تبريره بأن حبه لها يدفعه إلى هذا الموقف . فترد عليه : أنا لا أنشد الحب .. كل من يراني يحبني . أنا أبحث عن الإخلاص والوفاء .. وترسل رجالها فيحملون ليل إلى قصرها وهو نائم .. وسيكون أسعد زوج معها . أما شهاب يرتمي على ظهر السفينة في نشيج وعويل .. وشطآن النيل تردد الصدى : يا ليل ... يا عين ...

وهو يهيم بسفينته من مكان إلى آخر .. ونغمة يا ليل يا عين الحزينة تعبّر عن وجده وحزنه .

(2) أسطورة يا ليل يا عين ..

تعيش أسرة صعيدية على شاطئ النهر . وقد وعد العم خضرة أن يزوّجها ابنه " ليل " وكان ليل يخرج كل أمسية ويتمشى على الشاطئ ، فتظهر له – الجنية عين – وقد أحبّته وأحبّها ... وتشكو خضرة لعمها أنها رأتهما معاً ، يطيّب العم خاطرها ويقترح أن يذهبوا إلى القاهرة ، ويقرر العم أن يتم الزواج وتبدأ ليلة الفرح ، وينفرد ليل بعروسه خضرة ، وفجأة يسمع صوت " عين " تناديه ذلك النداء السري الذي لا يسمعه إلا هو فيترك خضرة ويذهب إلى البحر ، وتهرع وراءه خضرة وتخرج عين من البحر وتراقصه ، ويناضل ليل كي يبتعد عنها لكنها تأخذه معها إلى العالم المجهول .. وتصرخ خضرة العروس المكلومة في ليلة زفافها : يا ليل .. يا عين .. – يا عين .. يا ليل ويردد خوار البحر الصدى .

لفظة ومعنى :

لفظة ليلى – وثيقة المعنى بالطرب ، ذلك أن ليلى بمعنى النشوة والقول بمعنى النشوة مجاز حقيقته – المحدثة النشوة – واستعير معنى النشوة من الخمر السوداء التي اسمها – ليلى – كما استعير الخمر السوداء من الليل ، حيث يُقال : ليلة ليلاء . وليلى أشد ليالي الشهر ظلمة .

قال الأسدي : سألتني طالبة كسلى من طالباتي عن معنى اسمها – ليلى – فقلت : النشوة ، فسرت النشوة إليها وتاهت وباهت ، وازدهرت بهذا الشعار وغدت من يومها تصلح زيّها وترسل الكلام همساً ناعماً فيه الدلال والمرح . أما زميلاتها فأخذت الغيرة مآخذها منهن ، وكتبن لليلى سوء الحظ إذ رسبت آخر العام الدراسي وبدأت تبكي وتبكي ، مما أعطى لزميلاتها فرصة للكيد بها وقلن : " لأن تسمى بلوى خير من ليلى " فثارت عليهن وهات يا سباب ثم باللطم وبالكم وتنتيف الشعور . عوقبت ليلى ..

* * *

ملاحظة : الأساطير – ولفظة ليلى ، عن (خير الدين الأسدي)

20- المـوّال

الموال عرف من المواليا ، والجمع مواويل ، والموالات وجمعه ابن خلدون على المواليات . فالموال إذن من المواليا . والمواليا نوع من الشعر ، اخترعه أهل واسط من مدن العراق . اقتطعوا من بحر البسيط بيتين ، وقفّوا كل بيت بقافية ، وصاروا يغنون به أثناء جني النخيل أو سقي المياه ، وبقية الأعمال في الأرض . وكانوا يرددون آخر كل صوت – يا مواليّا – إشارة إلى سادتهم فسمي بهذا الاسم . ثم استعمله البغداديون وقد لطفوه حتى عرف بهم وشاع .

وفي العصر المغولي نضج ضرب من الشعر العامي يقال له – المواليّا – كان في بغداد .

والموال نوعان : الخضر والحمر .. والنوع الأخير شاع في صعيد مصر ويمتاز بالإكثار من التغيير في ألفاظ قوافيه حتى تتجانس. والموال أحد الفنون السبعة المعروفة في الأغاني الشعبية اليوم . وقد اشتهر في المدن خلاف العتابا الذي نشأ في الصحراء .

وابن خلدون يقول : كان لعامة بغداد أيضاً فن من الشعر يسمونه (المواليات) ، وفنون كثيرة يسمون منها (القوما) منه مفرد ومنه بيتين ، وغالبها مزدوج من أربعة أغصان .

تبعهم في ذلك أهل مصر واتوا بها بالغرائب منها : طرقت باب الخبا ، فقالت : من الطارق ؟

فقلت : مفتون ، لا ناهب .. ولا سارق

تبسّمت لاح لي من ثغرها بارق

رجعت حيران في بحر أدمعي غارق

وقال البستاني في أصل المواليا : إن هارون الرشيد أمر بعد نكبة البرامكة أن لا يرثيهم أحداً بشعر فرثت إحدى الجواري – جعفراً – بشعر غير معرب حتى لا يعدّ شعراً وجعلت تقول بعد كل شطر / يا مواليا /

وقيل أن الرشيد حينما بلغه ذلك دعا الجارية وأراد معاقبتها على مخالفة أمره فقالت : يا أمير المؤمنين أنت منعت رثاهم بالشعر ، وهذا ليس شعراً ، لأنه لا يجري على الفصيح فعفا عنها . أما أحكامه فهي : يجوز فيه استعمال اللفظة الفصحى ولغة المحادثة والقافية في الأول واحدة ، أو يشذّ عنها الشطر الثالث فقط . والأشطر السبعة تسمى (الموال البغدادي أو النعماني) والقافية فيه قافيتان فالأشطر الثلاثة الأولى بقافية والأشطر الثلاثة الأخرى بقافية مغايرة والشطر الأخير يرجع إلى القافية الأولى .

والفنون السبعة منها ثلاثة معربة لا يتغير اللحن فيها وهي : الشعر القريض ، الموشح ، والده بيت . ومنها ثلاثة ملحونة أبداً

وهـي : الزجـل ، الكـان كـان ، والقومـا . ومنهـا واحـد هـو البـرزخ بينهما يحتمل الإعراب واللحن وهو /المواليا/ .

* * *

ملاحظة : الأساطير – ولفظة ليلى ، عن (خير الدين الأسدي)

21- ورقة توت

أليست حياة الإنسان كخيوط متشابكة ، ونشعر بعدم الرغبة في مواجهة هذه الشبكة وتفكيك ما فيها وذلك بعدم مواجهة التجربة التي تتحدانا ونلجأ إلى ما يريده الآخر منا ، لا ما نريده نحن ، لأننا نخاف أن نهبط إلى أعماقنا لكشف الذات الحقيقية . ولا نكبت حتى عن ذواتنا ، بل نختفي وراء الخيال ونبوح بأحلام لا نثق بها دائماً وبذلك نتعامل مع الذات الخارجية، ونرتبك من تعرية الروح التي لا يمكن لمعظمنا أن يتحمّلها ، وقد كان الفن الحقيقي هو أبلغ الطرق للتغلّب على ضعف الإنسان أمام حقيقته الداخلية واكتشاف الذات المستورة بحجاب الجسد تمنحنا مفتاح أعماله لأن فهم الآخر ومعرفته يخلق حالة من الحنو والتعاطف والانسجام . وفهمه لا يعني تجريحه ، أو التشهير به أمام الآخرين .

والكثير يختفي في ثوب الهروب لضعفهم في تحمّل مسؤولية ما حدث ولأن الإنسان أناني يتابع الخطأ ليقنع نفسه بالأصح . ولكنه في المكنون الضمني يخاف من حركة الضعف التي انتصرت وأوهمت الآخر أنه يملك قوة . والإنسان كلّما أعطى أكثر كان قوياً أكثر ، وكلّما فقد المعطيات يصبح الأضعف . والعدل فكرة مثالية كوّنها الإنسان .

لماذا نقرأ التاريخ ولا نقرأ الإنسان ؟

نتوهّم أننا نعيش ولكن ليس بحقيقتنا ، نتوهم الأصدقاء نتوهم أهميتنا بالنسبة للآخرين في حين لا يهتموا بنا بالطريقة ذاتها

التي نهتم بها في معاملتهم . نتوهم التضحية في حين لا تتعدى حدود المصلحة . وهكذا ننسج الأوهام ونلقيها على الواقع لتغطية الحقائق ، وبالوهم تنهار القيم الإنسانية .

فالطبيعة البشرية دائرة مغلقة والحقيقة التي تأتي متأخرة تعمّق المأساة . أليست الحياة صخرة والإنسان هو سيزيّف الأسطورة . ومعظم تصرفات الإنسان لا تتطابق مع ميوله ورغباته وقلق الإنسان ينبع من ذاته ، لأن الذات دائماً في قفص المجتمع ، الأعراف والتقاليد .

وهل يشعر الإنسان بذاته إلا إذا تحرر ؟ وعندما يتمرد ويهدم دون أسس ووعي يعني هدم نفسه ولا يتحمل لا معقولية الحياة المتناقضة .

ومشكلة الإنسان الاغتراب أو الاستلاب وهذا ما يبعده عن جوهره الإنساني واغترابه نفسي ومادي .والفن دائماً يحاول أن يغير الإنسان ، وتبقى البيئة هي الأساس في السلوك الإنساني، وتغيير البيئة تغيير الإنسان . والإنسان الذي يريد أن يغيّر نفسه عليه أن يعرف نفسه ويملك الرغبة والإرادة في التغيير .

ويبقى الحلم وحده يشدّنا إلى الحياة وينسج وجودنا .

22- الميلاد والشجرة
المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام

هذه الترنيمة الملائكية تردد حين ولد الطفل في مغارة صغيرة نائية في فلسطين – بيت لحم – هذه الولادة هي رمز للتواضع والفقر والتضحية والعطاء .

ويبدأ الاحتفال بعيد الميلاد عند المصريين والطوائف الشرقية يوم /6/ كانون الثاني ، وبقية الطوائف يوم /25/ كانون الأول . وقد استمدّه اليونان والرومان من يوم الانقلاب الشتوي حيث تصل الشمس إلى آخر مدى لها في الميلان عن كبد السماء . ويبلغ النهار أقصره . فهذا اليوم – الشمس رمزه – هي التي لا تقهر وتدفع قوى الشر (الظلام) بالصعود إلى كبد السماء ، وتجدد قوّتها وتستعيد عزمها . لذا اعتبر يوم الشمس ، وميلاد الشمس ، وآلهة الشمس . حيث تدخل الشمس برج الجدي وقت الانقلاب الشتوي ، فهو برج ولادة الشمس من جديد في السماء . فميلاد المسيح حدثاً فلكياً ، وكما تلد الشمس مجتازة برج الماء ، كذلك في منتصف ليلة 25 كانون الأول يلد المسيح، لتجديد الإنسان وتطهيره من الخطيئة الأولى .

ويرددون في ليلة الميلاد – لقد أنجبت العذراء ابناً ، والنور ينتشر . ولقب العذراء هي – إلهة الحب . وظهور نجمة الصباح فوق المغارة هي بشارة بالميلاد ، وتجدد الحياة لأنه مخلّص البشرية بالمحبة .

وفي عيد الميلاد طقس شجرة الميلاد ، هذه الشجرة هي رمز لروح الخصوبة . وهي شجرة الحياة والطريق بين الأرض والسماء . وشجرة العائلة وهي استمرارية انبثاق أجيال جديدة . والشجرة من رموز الخلود ورموز الطبيعة واستمرارية الحياة .

فالميلاد هو عيد المحبة اللامتناهية ، ويربط الإنسان بقدسية المحبة وتحريره من الحقد والبغض وتفجير ينابيع الرحمة والتسامح والسلام وقد قال المسيح : " أحبب قريبك كنفسك ، وأحبب عدوّك " أليس الله محبة لامتناهية في كل الأديان السماوية ؟ فما أحرانا أن نشعل شجرة المحبة بقناديل التسامح والعطاء للأرواح الضائعة بين شرور هذا العالم .

* * *

23- ماهية الحب والصوفية

فلاسفة اليونان هم أول من بحث في حقيقة الحب وماهيته وأنواعه. أما أفلاطون بحث بالحب بصورة مفصّلة حتى اشتهر بالحب الأفلاطوني . وأرسطو عالج هذا الموضوع في كتاب سماه " كتاب العشق " . أما الفلاسفة الإسلاميون أيضاً بحثوا في ماهية الحب. ابن سينا هو أول من بحث في هذا الموضوع في كتبه وأفرد رسالة في ماهية العشق وسريانه في الكائنات وكذلك في كتابه " القانون " وصف أعراض نبض العاشق وأنه نبض متغيّر دائماً . وشرح الحيلة في الاستدلال به على شخص المعشوق بأن تذكر أسماء كثيرة حينما تكون اليد على النبض ، فإذا اختلف النبض وتقطّع يستدل منه على اسم المعشوق. وهذا التشخيص استعمله سقراط أيضاً . أما ابن نباتة في كتابه " شرح العيون " يقول :

إن أميراً يونانياً عشق جارية من حظايا أبيه ، فنحل بدنه ، واشتدّت علّته ، فأحضر سقراط ، فجسّ نبضه ونظر إلى بشرته فلم يرَ عنده علة . فذاكره حديث العشق فرآه يهتز ويطرب ، فاستخبر الحال من حاضنته. فطلب أن تحضر محظية أبيه ، فاضطرب عرقه فعلم سقراط أنها المعنية بهواه ، فكشف السر للأمير فتنازل له عن المحظية وشفي الابن من مرض الهوى .

هذا العشق الحقيقي لا يضرمها إلا نار الحبيب كما قال ابن الرومي :

كان فؤادي ليس يشفى غليله سوى أن يرى الروحين يمتزجا

أما أخوان الصفا فتقسم العشق إلى ثلاثة أنواع :

1- النفس النباتية الشهوانية ويكون عشقها : (المأكولات ، المشروبات ، المناكح) .

2- النفس الغضبية الحيوانية ويكون عشقها : (القهر ، الغلبة ، حب الرياسة) .

3- النفس الناطقة ويكون عشقها : (المعرفة ، الفضائل) .

أما ابن الحزم الأندلسي في كتابه " طوق الحمامة " عالج موضوع العشق والحب وقسمه إلى مراتب ، وفرّق بينه وبين الشهوة ، وقال : أفضل أنواع الحب هو محبة المتحابين في الله، ثم محبة القرابة ثم محبة الألفة وبعدها الصحبة والمعرفة .

ومحبة العشق أفضل أنواع المحبة لأنها لا تزول إلا بالموت . ويستشهد ابن الحزم بالشيوخ الذين إذا ذكرتهم بالحب عاودهم الطرب والحنين . أما السهر وردي أول فيلسوف إشراقي يؤلف رسالة في العشق وهو القائل :

أبداً تحنّ إليكم الأرواح وهواكم ريحانها والراح

أما الغزالي في " سوانح العشاق " له مقطوعات وفصول في الحب الخالد ، ويقول : " حينما يوجد العشق الحقيقي يفنى العاشق في وجود المعشوق . والعشق الحقيقي شدة الشوق إلى الاتحاد :

أعانقها والنفس بعد مشوقة إليها وهل بعد العناق تدان

وألثم فاها كي تزول صبابتي فيزداد ما ألقى من الهيمان

أما ماهية الحب عند العرب فتاريخهم حافل بأخبار الحب والعشاق ويمثل الحب العذري العفيف الذي يسري بين أفراد القبيلة حتى اشتهر باسمها . والفرد يموت عندما يحب .

أما ابن القيم ، الحب عنده يفسّر جميع مشكلات الوجود، ويهدي إلى الغاية والهدف من الحياة ، والمحب لمن يحب مطيع.

والحب عند الصوفية أنشودة ألحانها حب ، وأوتارها شوق ، وإلهامها وجد ، وسبحتها استغراق في جمال الخالق والتوحّد به . فالحياة لديهم محب ومحبوب ، فالله محبة ، والدين محبة ، والإنسان محبة . والصوفية ترفّعوا فوق الحياة بمفهوم الحب الخالد . فالتصوّف فلسفة إنسانية تجعل الحياة في سر الحب . والحب سرّ الحياة . وقد قال ابن عربي :

أدين بدين الحب أنّى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

فالتصوّف فلسفة إنسانية ومذهب عالمي يتلوّن مع كل أمة بلون عقائدها وتفكيرها ، والتأمل العميق لمبدع الكون . فالحب هو الخير المطلق وهو جسد الإنسانية . والصوفية بهذا الحب يحلّون مشكلة الفلسفة الكبرى التي تتساءل عن معنى الحياة .

وللتصوّف تعاريف كثيرة منها : الصوفية من الصفا ، تصفية القلوب ، أو ارتداء الصوف للزهد في الحياة ، أو صوفيا إلهة الحكمة اليونانية . والتصوّف من صفة المسجد ، فقراء المسلمين.

وقال ابن معاذ :

" مثقال خردلة من الحب أحبّ إليّ من عبادة سبعين عاماً بلا حب " .

أما أشعارهم كلها مزامير هوى ، وألحان حب ، وعاطفة فياضة . وشعراء الصوفية حذو عرب البادية ونسجوا على منوالهم في معاني شعرهم . يقول ابن الفارض :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

ويصل المتصوّفة في حبّهم إلى ما سمّوه " بالوجد " وهو استغراق تام في نشوة علوية حيث تحس الروح أنها ترف مع الله حول العرش. وابن عربي فيلسوف الصوفية يرى أن العالم خلق ليقدم حبه إلى الله وهذا سرّ الحياة . فالحب سببه الله . وكلما ازداد الإيمان ازداد الحب ، والمحب يعمي عينيه عن كل منظور سوى وجه المحبوب وكلما ازدادت المشاهدة ازداد الحب لأن الاشتياق يهيّج اللقاء .

ومن عجب أني أحنّ إليهم وأسأل شوقاً عنهم وهم معي

وتبكيهم عيني وهم في سوادها وتشتاقهم نفسي وهم بين أضلعي

والصوفية يحبون الله لا خوفاً من ناره ، ولا طمعاً في جنته ، بل يحبونه لذات الحب ولأنه أهل للحب .

قال الشبلي : دعهم يفرحون بربهم فقد أحرق الهوى قلوبهم . وذو النون دخل على مريض، فبينما كان يكلّمه أنّ المريض أنّة

فقال له : ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه فأجابه : بل ليس بصادق في حبه من لم يتلذذ بضربه .

فالحب هو التخلي عن المجد والأعراف حتى يصبح الإنسان حقيقياً .

قال فرانس : ماذا يبقى لنا من الحياة عندما لا نستطيع أن نحب ؟

أما ديكارت : يولد الإنسان من أجل أن يمنح الحب للآخرين .

وبلزاك : الحب هو الذي لا يستطيع أن يستوعبه أكبر عقل بينما يستوعبه أصغر قلب .

فالحب معرفة ، ونقطة انطلاق ويقترن بالديمومة والخلود . لذا الحب والموت متعانقان . وبالحب تتجاوز أشكال الوجود بالحلم والكتابة ، ولغة الشعر روح الحب لأنها لا تخاطب العقل هي لغة لها نشوتها الخاصة التي تخطف القارئ وتنقله إلى ما وراء الحلم منتشياً بلغة الطبيعة السكرى ...

24- الفن والحب

في الثقافة اليونانية أسطورة تقول :

إن للفنون الجميلة تسع ربات . وفي الليل تهبط آلهات الفن ملتفّة برداء السحب وتجلس على نحو لا مرئي لتنير الظلام

للمبدعين وتحمل إلى من تلهمه الأفكار الجميلة ، والمفردات الناعمة والموسيقا المتناغمة ، واختصّت كل منهن بنوع من الإبداع .

وعالج أفلاطون الإلهام من طبيعة الحب وجوهره وأثره، وحقيقة الحب في أنه رغبة بما لا يملكه المرء ، وسرّ الحب ينطلق من حب جسد جميل ويرقى إلى جمال الروح حتى يبلغ الجمال المحض . وهذيان الشعر صادر عن أفروديت إلهة الحب . ولكل مبدع ملهمه لفنه لأن النفس الشاعرية أرواح تتحرك وحين تفقد أجنحتها تسقط في الفراغ ، ثم تتجسد في جسم الإنسان المحب للمعرفة ، والشغوف بالجمال ، ويحدث تياراً بين الروحين هو صدى العاشق للمعشوق ومصدر الإلهام للشعراء والفنانين . والفنان يقدّس ملهمته على أنها ينبوع إبداعه ، وينصب لها في فؤاده تمثالاً ، وحين يغيب يتغذى بذكراه .

وتجربة الفنان هي مزيج من عشق وترصد وجمال ، وهو دور الكشف الروحي في الحسي . والملهمة تشعر أول ما تشعر بالمباغتة والاعتزاز الناجمين عن الاضطراب الذي يحدثه حضورها في نفس الشاعر . وتمجيد الفنان لملهمته هي غاية سامية ومغامرته معها تولد أثر فني عظيم ، والفنان يخلق أثره بالذات ويجعلها كائن الحلم الذي يستهدف خلقه ، وينشد منه الوصل والاتحاد ، وفي هذا الوصل الروحي يتحقق الوجد ، وكل فنان مبدع له تواصل مع سر إلهامه ووحيه . فالشاعر والموسيقا

والأديب والفيلسوف يتمنى من ملهمته أن تخلد في نظره خاصة من سحر اللقاء الأول .. فالحب طاقة أولية في إنتاج الأثر الفني ويدخل في صميم حكايا المبدعين . وهناك تعايشاً مدهشاً بين الحب والفن ، والحب هو الذي يولد الجمال ويصحب الفن وكأنه إيقاعه الموسقي الطبيعي ، وفقدان الأصالة في الفن يعني فقدان الصدق . والرموز المبدعة للحب ، للموت، للطبيعة ذلك أن الطبيعة ترقى بالمبدع في تعبيره الشعري وهي نفسها الملهمة واللحن ، فالعندليب لا يغرد إلا عندما يحب ، وحب الفنان هو ينبوع يتدفق من قلب شاعر يتغنى بالحب والطبيعة .

يقول روجيه :

لا المطر ، ولا الريح يمنعان قلبي من التفكير بالشعر . ولا البرد الشديد يحرمني من الغناء والضحك لأن الحب يقودني ويرعاني ، ولا شيء غيره يحييني ...

أمابرنار :

ليس للشعر أية قيمة إلا إذا انبعث من سويداء القلب ، ولا يتدفق هذا الينبوع إلا إذا عشق الفنان في كل الفصول ، لأن قلبه يحمل تجديداً سرمدياً . فالمرأة صيف أبدي ، وربيع سرمدي .

وكان أحد أصدقاء الرسام برنار يقول له وهو يجده في مرسمه دائماً :

- أما زلت ترسم ؟ أجل .. لأني لا أرغب أن يعترف الناس بالجمال الذي أخلقه ، بل أحتاج أن أجعل هذا الجمال حقيقياً

باسكال يقول :

- إن عالم الفنان عالم تأملي ، وكل شيء فيه يخفي سراً ، والفنان يتنبأ بالقوى الخفية والأشياء اللامرئية .

أما أفلاطون :

- ليس الواقع الحقيقي الذي يطلبه الفنان والذي يراه ، بل الواقع الذي يصفه هو . فالرسام في رسومه يصبح ذاتها كلها ، والشاعر في قصائده .

فالفنان محبوس في دائرة فنه . وعندما شاخ الفنان بوناروني حطم تماثيله ، وشعر أن الفن لم يعد يرضيه . كان يطلب اللانهائي وقال : لم يعد في وسع الرسم ولا النحت أن يسحرا روحي المنصرفة شطر هذا الحب الإلهي .

ومايكل أنجلو – طغى بآثاره بأكثر مما تستطيع الصلاة أن تقوله وحين رسم العذراء والقديسين كان يتعبّد بيديه .

وللفن موهبة الدموع كما للقداسة . إنها روحانية من نوع مطلق ، أليس الشعر صلاة عندما يكون أنقى شعر وينبع من نفس حاجتها عميقة للصلاة . لذلك الحبيبة بالنسبة للشاعر هي الكشف ، هي الرمز ، هي المرأة الأزلية .

ويبقى الفن في نظر الفنان النهاية القصوى الذي يقود إلى القداسة والتي قد لا يبلغها .

* * *

25- ملهمات المبدعين

1- يقول الشاعر بترارك أن لور استحوذت على قلبه يوم رآها في كنيسة بإيطاليا . يومها أظلمت أشعة الشمس حزناً لأنه كان يوم – الجمعة العظيمة – فيقول في ديوانه الذي أوحت به إليه – لم يكن ذلك اليوم من الأيام التي يتعرض فيها الناس لمشاريع الحب . لذا كنت أغدو هادئ النفس وولدت آلامي وسط

الألم الكوني – وهكذا قدم ديوانه ليكرم لور ، الإلهام المتفرّد الذي مجده . ولور رضيت أن تكون موضع حب ، وموضع غناء مشاعرها . ولكن حبها له هو الذي لا يمكنها أن تمنحه شيئاً ، هويتها مجهولة إلا أنها كانت امرأة متزوّجة وأمّاً لعدة أطفال وأحبّها خلال عشرين عاماً ونيّف ، وحاول إغراء لور واتخاذها خليلة لكنه أخفق وقال : لقد فعلت كل ما في وسعها ولكنها لم تلين أمام توسّلاتي وصانت شرفها كامرأة حازمة ضد شبابها وشبابي . وتظل لور هي التي أيقظت عبقريته ، وأنقذت روحه ويتابع :

لقد أحببت الروح مع الجسد ، ولكن كان حبي لجمال روحها يزداد كلّما شاخ جسدها ورزح تحت الأمراض والولادات المنهكة ، وتأسف لضياع صورة لور الشابة كما رسمها ويكتب : هكذا لم أحصد خلال عشرين عاماً إلا العذاب والدموع والآلام . والحب الإنساني يموت بموتها ولكن هل ماتت لور حقاً وهل ينتهي حبه لها ؟ يقول :

إنها تعود إلى فكري ، إنها فيه تلك التي يعجز النسيان عن طردها منه ، إنها فعلاً ما تزال حيّة وأن الغياب هو الذي جعل الحب يتحرر من الحياة اليومية ، وأي فارق بين عالم كانت لا تزال فيه وهو لا يراها ولم ينقطع الشاعر عن التفكير فيها ، وهكذا بقيت لور مستمرة لا تموت وكانت لور مغامرة القلب والفن

وأصبح أحد شعراء الحب الذين عرفهم التاريخ وكتب : لقد بلغ جمال هذه الفتاة حداً أعظم من أن يدعها تعيش طويلاً .

2- بودلير :

بودلير لم يرتبط باسم ملهمة واحدة ، وكان يبحث بين النساء عن ملهمة يحلم بها ، أحبّ الممثلة المسرحية – ماري – لكن اختطفها منه صديق له وكتب لها : لقد أوحيت لي بالاحترام والتقدير العميق . حافظي على هذا الهوى الذي جعلك آية للجمال ، وكنت ميتاً بك وبعثت . ولقد علّمتني عيناك سعادة الروح ، ولأجلك سأكون عظيماً وسأحبك . ثم دخل مغامرة أخرى فور إخفاقه مع ماري . إنها الجارية الخلاسية – جان – التي تعمل راقصة في ملهى حقير ، ووجد فيها صورة أفريقيا بشمسها الحارّة ، وأصبح مجنوناً في منعطفات جسدها ووصفه في ديوانه " أزهار الشر " وأنفق عليها المال الكثير ، مما اضطرّ والدته إلى الحجز على أمواله ، وبدأت تشاكسه وتمنعه من قرض الشعر ، فانتهى إلى هجر – زهرة الشر – وحين ماتت دفنها في نعش محكم الإغلاق من خشب عطر لا يفسد مثل صناديق الهند .

3- فاغنر وماتيلد :

كان فاغنر عابد للنساء رغم أن زوجته كانت الملجأ الأمين له . وبذلت في سبيل فنه إخلاصاً رائعاً ، ولكن نشبت أزمة أدّت إلى افتراقهما . وتعرّف على ماتيلد وعمرها عشرون عاماً ، وزوجة تاجر ثري صديق للفنون والمبدعين ، وكانت تهوى

الموسيقى ووافق زوجها أن يدرّسها فاغنر وعاش مع ماتيلد سنوات وحياة موسيقية تزداد عمقاً ويعزف لها كلّ مساء لأنها تمدّه بالإلهام الموسيقي . وعاش حالة النشوة مع موسيقاه ومعها وكأنه في حلم . ثم أخبرت زوجها وهددت بالانتحار إذا حاول زوجها استخدام حقوقه كزوج ، وقررا أن يفرّا معاً . ولكن فاغنر تراجع أمام الألم الذي سيسببه للآخرين وتراجعت هي أمام آلام زوجها .

وافترق فاغنر عن ماتيلد ووجد نفسه منفياً عن العالم وكتب : " إن امرأة وفية ذات إخلاص رائع وحدها تستطيع أن تمنحني وطناً لننذر أنفسنا قرباناً لهذا الموت الجميل . لأنه السبيل الوحيد لجعل هذا الحب حباً خالداً . "

وغادر إلى إيطاليا حتى يشفى من دائه وتحوّل حبهما إلى أثر موسيقي فني (تريستان) .

وكتب لها : " احتفاظي بك هو احتفاظي بالفن . أنا وأنت متحدان في البعد والقرب ، ونحن واحد . معك أستطيع كلّ شيء . وبدونك لا شيء . معك وحدك أستطيع بلوغ الهدف الأسمى . "

4- أميرة طرابلس الشام :

امتزجت سيرة حياة جوفرة رودل بالأساطير في القرن الثالث عشر . كان نبيلاً رفيع النسب وأميراً . غنّى في أشعاره الأميرات البعيدات حتى شغف بأميرة طرابلس الشام والتي لم يرها قط بل عشقها لحسن ما سمع عنها من حجاج أنطاكية وغنّاها في

أشعاره . والتحق بالصليبيين ليراها وركب البحرولكنه مرض في السفينة ونقل إلى فندق في طرابلس الشام. وعرفت الأميرة بحكايته فجاءت لتراه وضمّته إلى ذراعيها وحين عرف أنها الأميرة عاد إليه سمعه وبصره ومدّ الله بحياته حتى يراها . وهكذا فاضت روحه بين ذراعيها ، فأمرت بدفنه باحتفال مهيب في بيت فرسان الهيكل ، ودخلت إلى الدير لشدة حزنها على وفاته .

5- روبرت برونغ وإليزابيت باريت :

لقد تزوّج أحد شعراء انكلترا العظام بأشهر شاعرة انكليزية ، وعاشا بسعادة وحكاية حبهما مدهشة خاصة أن الشاعرة تكبره بسنوات ، والمرض أنهكها وعمرها أربعين عاماً وقالت للشاعر : التقينا بوقت متأخر . انظر إلى وجهي واختر بنفسك ، ونصحته بالزواج من امرأة أصغر منها ولكن أصرّ وتزوّجها وقال النقاد : أنه كتب أجمل شعر معها بعد شعر شكسبير .

6- فولكــه :

شاعر من مرسيليا ، جنّ بعشق سيدة ذات جمال عظيم ، وغناها في أشعاره . ولما قضت نحبها ترك الحياة وأصبح راهباً

7- أوغست كونت :

الفيلسوف كونت ، صادف السيدة كلوتيد ، حين زار تلميذاً له وهي أخت لهذا التلميذ . وكان زوجها قد هرب بعد اختلاسه مبلغاً ضخماً واختفى وكلوتيد الشابة والتي تبلغ من العمر /24/ عاماً وحيدة وبلا مورد . وبنظر القانون ليست أرملة ،

وكانت كاتبة وشاعرة وكتبت حياتها في رواية " لوسي " واحتجّت فيها ضد الظلم الاجتماعي لأنها لا تستطيع أن تتزوّج ، فالقانون يمنعها ، وتحوّل هذا الفيلسوف إلى عاشق لها . وأحبّته حباً صادقاً نقياً وهو الكبير في السن والمفكر العظيم ، وأهداها كتابه " منظومة السياسة الوصفية " ورضي أن يبقى أباها الروحي وصديقها الأبدي . وحين حاولت كلوتيد أن تمنحه أكثر من صداقتها ماتت بين ذراعيه وهما وحيدان في الغرفة . واحتفظت الإنسانية بهما متحدين اتحاداً صحيحاً سرمدياً وروحياً وكتب كونت : وداعاً ابنتي العزيزة ، وداعاً زوجتي الطهور ، وداعاً أيتها العذراء الأم المقدسة ، لقد جسدت الإنسانية . وقال شاعر إسباني : أصبح هواي بعد الآن قدسياً فقد ألهه الموت .

8- غوته :

استخدم الحب من أجل أغراض الفن العليا وأحب – ليلي شوتمان – حباً حقيقياً صادقاً وقال : حلّ الشعر محل عاطفة الحب ، وكنت أحبها قدر ما أحبتني ولم أستطع الاقتران بها . وأحبّ الكثيرات بعدها ، وأحسّ غوته العجوز بهوى عنيف تجاه فتاة صغيرة (أولريك) وهي في السابعة عشرة من عمرها وهو في الرابعة والسبعين ولكنها رفضته ، فمرض مرضاً خطيراً وسارع بتأليف (مرثية مارينباد) . وكانت المرثية تابوتاً مقدساً ضمت بقايا خالدة من هواه العنيف .

* * *

26- لماذا يكتب المبدع ؟

لا يستطيع المبدع أن يدهش بفكره دون أصالة ونبوغ ، لأن العادة والتكرار تقلص الشعور وتمحو الدهشة والاستغراب ، لأن العادة تحوّل الإنسان إلى آلة ، أو إلى حالة من الجمود . فالأصالة والنبوغ ليس فيما عرفناه بالتقليد والتكرار وإنما هي ابتداع أفكار وفنون تستقي من ينابيع الخلق والتجديد ، وكل متوارث يجب أن تضفي عليه البهاء والإشراق حتى تستشف الجمال . والمبدع لكافة الفنون يجب أن يرافقه الشعور بأشكال المعرفة فليست اللوحة ولا اللحن ولا القصيدة التي نبتدعها بل الشعور باللوحة واللحن والقصيدة ، والإحساس بالجمال والمعنى، والذي يأسر العاطفة والقلب . هذا الإحساس هو سر الإبداع والإشراق ومدى تأثيره في المتلقي. والمبدع يتمنى أن يشاطره الآخرون

مشاعره وما عبّر عنه في أثره الفني . ولهذا يشعر أحياناً الفنان بالغربة من عدم اكتراث الآخرين به ، ولأنه يجدد دائماً وقد يكسر قيماً ويقيم قيماً جديدة لم يألفها البشر ، فيغدو منفياً في عصره وزمانه . ومن ينحت أو يرسم أو يؤلف موسيقا أو يكتب لكسب رزقه فقط كأنه يمارس مهنة شريفة ولكنه ليس بفنان ، لأن الفنان لا يرضى أن يعيش من فنه ، وتلك هي مغامرته الكبرى . فإنه لا يرغب أن يعترف الناس بالجمال الذي يخلقه ، بل يحتاج أن يجعل هذا الجمال حقيقياً .

والفنان له فترات انقطاع وجفاف ويقول أحد المبدعين : " هناك أوقات يغيب فيها الفكر أو تقع الريشة من الأصابع ، وعبثاً أحاول جمع أفكاري لأسوّد البياض قد يخبو الإلهام أو يموت " . والفنان يرضى بممارسة مهنة ليحيا منها . ولكنه لا يعرف الطمأنينة ويتمنى أن يتفرّغ بكل كيانه إلى فنه .

فالفنان والقديس إنسان واحد . التضحية بالذات ، الزهد بالحياة ، وقبول الأذى والحرمان . والفنان يلقى غايته الخاصة في كمال آثاره لا في كماله الشخصي .

* * *

27- سعادة الإنسان حكمته ...

من شأن كل إنسان أن يصنع سعادته كما يصنع حكمته، لأن الشقاء الإنساني في واقعنا منذ أقدم العصور . وكيف يتحرر الإنسان من الظلم والشر والقلق والألم في عالم يغصّ بالظلمات والجشع والمادة ؟

وقد قال ابن عربي : " السعادة العظمى عندما يتأمل الإنسان ذاته فتكشف له وحدة الحق والخلق من خلال المتغير الفاني ، وجنة الإنسان وناره في المعرفة وجنة العارف عقله وروحه . "

الفيلسوف يحيى بن عدي : " ينبغي على الإنسان أن يحب الناس أجمع ، ويتودد إليهم ، والرحمة لهم لأن البشر تجمعهم الإنسانية " .

ابن سينا : " السعادة هي صلات اللذة بالألم وبالخير والشر ، والكمال الخاص بكل شيء هو خيره . ومن الوهم فصل الكمال والخير عن اللذة ."

أما الفارابي : " السعادة هي من الأخلاق الفردية والاجتماعية على السواء . وتكون بإصلاح الإنسان نفسه ثم بإصلاح غيره . لأن السعادة هي الخير المطلق .

في القرن السادس ق.م. توجه الشاعر تيوجنيس إلى الآلهة وسألها : " لِمَ ينتصر الظلم على العدل ويسود الشر على الخير ؟ " ثم يمضي في البحث عن الجواب وقنط من رحمة ربه وقال : " ليس بسكان الأرض أن يولدوا ويبصروا أشعة الشمس، فالإنسان الذي يولد يجتاز بوابات الغيب " .

أما الفكر الهندي كره الأذى لكافة المخلوقات وقال : " لا تعمل ما لا ينتفع الناس به ، ولا تعمل ما تخجل من نتائجه . فالسلوك الإنساني أعلى من المعرفة ، والحكيم يعرف هذه الحقيقة ويحتمل بصبر وتعقّل . وأحزان الإنسان وأفراحه تدور على دولاب .

أما البوذية تمحو الأنا وتذيب الذات في اللاذات ، وقدم بوذا صورة إنسانية عن واقع الألم منذ الولادة حتى المرض والشيخوخة وقال : " الاتحاد بمن لا نحب ألم . والانفصال عما نحب ألم . وعدم الوصول إلى ما نرغب ألم . فالعالم ملتهب بنار الرغبة ونار الكراهية ونار الشر . ويتم الخلاص بعدم التعلّق

بالأشياء . فالمشاكل التي ليس لها حل لا تقلق عليها . والمشاكل التي لها حل لا تقلق عليها .

أما زرادشت : " لا تعذب نفسك بالهموم لأن المهموم لا يشعر بمتعة الحياة ومتعة الروح فيذبل الجسد وتذوي الروح . ولا تكن مغروراً بحياتك فإن الفناء لاحقك . عامل أعداءك بالعدل ولا تنازع حقوداً ، ولا تخالف جاهلاً ولا تجادل أحمقاً ولا تمشِ مع سكران . وساير صديقك بما يرضيه فالحكمة أول ينابيع السعادة ومعرفة الخير . "

أما سقراط : " الحقيقة لا توجد خارج نفوسنا بل هي فيها ، والسعادة ليست إرضاء الرغبات والثروة والمنصب ، إنما السعادة هي الانسجام بين رغبات الإنسان وظروفه ومعرفة الخير سعادة النفس . "

أما أفلاطون : " السعادة هي فضيلة الإنسان والخير الأعلى ، فالعفّة والشجاعة والحكمة هي فضائل النفس ، والسعادة هي الأثر الطبيعي للعدل . والسعادة هي اللذة الصافية التي تحدثها الفنون وترافق الصحة والاعتدال ."

أرسطو : " السعادة هي غاية أفعال الإنسان ، ولا يمكن تعليم الإنسان كيف يكون سعيداً ، لأن السعادة نعمة إلهية ويصل الإنسان إليها ما دامت الأشياء تتبع قوانين الطبيعة . "

أما أبيقور ، رغم هزل جسمه ، ومرضه الدائم وتحمّله للألم بقوة قال : " الحكمة مبدأ الخيرات ، وهي أعظم من الفلسفة

لأنها ينبوع سائر الفضائل وتعلمنا كيف يكون الإنسان سعيداً . والإنسان سيّد نفسه وحين يمارس الإنسان العفة والصدق والأمانة والعدل ، هذه الفضائل تخلق الطمأنينة الروحية وهي أسمى اللذات .

فالحياة والموت يستويان . والذي يعترض سعادة الإنسان هو الإنسان نفسه . فالمرض يعوق الجسم ولا يعوق الإرادة .

أما باسكال – " الفكر هو عظمة الإنسان . وحين يبلغ الإنسان الخير بأشكاله الثلاثة الفضيلة ، العدالة ، الإنسانية يحقق السعادة ، وحين يبقى في فراغ يشعر بالحزن والامتنان .

أما فولتير : " الخير الأعظم هو لأن الشر يمضي ويحرمنا كل شعور ، فالإرادة الطيّبة تنبع من عملها وفعلها . ويستشهد بحكاية (كرانتور) في المباريات الأولمبية . هناك صراع بين الثروة والشهوة والصحة والفضيلة ، وكل منهم تطلب التفاحة الذهبية تتتمنى الفوز بها .

تقول الثروة : " أنا الخير الأسمى لأن كل الخيرات تشترى بي . "

تقول الشهوة : " التفاحة لي لأن الثروة لا تطلب إلا لأجلي . "

تقول الصحة : " إن الشهوة دونها محال والشهوة غير مجدية .

أما الفضيلة فقد فازت هي لتمثّل فوق الثلاثة (بالتفاحة) . فالثروة واللذة والصحة قد تجعل الإنسان بائساً لو أساء التصرّف بها .

أما شونهور ، قسم السلوك البشري إلى خمسة أقسام : {الشراسة ، الأثرة ، العدالة ، الإحسان ، الزهد} .

الشراسة شكلها الأقصى السادية ، والتلذذ بتعذيب الآخر.

الأثرة : الأنانية ، وشعارها كل شيء لي ولو على حساب شقاء الآخر .

العدالة : محاولة الإنسان تهذيب نفسه وعدم الضرر بأحد واحترام حرية الآخر .

الإحسان : مساعدة الآخر ، والتضحية في سبيل راحة الآخر ، وعدم إيذاء أحد .

الزهد : أقل انتشاراً هو الزهد المسيحي . والصوفي والبوذي . فالسعادة أن تتطابق رغباتنا مع الأشياء الممكنة ، والحرص على الصحة النفسية والجسدية .

* * *

28- السعادة المعاصرة

تولستوي ، كان يسعى لمحو الشقاء وبلوغ الخير والسعادة . فالحياة جميلة ولكن البشر أفسدوها بالصراع ، وتكون السعادة في سلام النفس ونقاء الروح ، والإرادة الواعية للخير والمحبة .

جان فينو ، الحضارة والتطوّر ساهما في رفاهيتنا ولكن أكثر من ضياعنا وآلامنا . وكل إنسان يسعى لتحقيق رغباته وأمانيه يشعر بالرضى والسعادة .

الفيلسوف الآن ، كل إنسان يحقق لحظة سعادته ، سواء بالموسيقى أو بالثروة أو بالعلم أو بالحب ، والشرور تنشأ من أخطائنا . وفن السعادة نتعلّمه حين نكفّ عن التحدث عن البؤس الغابر أو الظلم . فالشكوى تدخل الكآبة على الآخرين وتسبب تبرمهم منه ، وحين لا يتحدث المرء عن متاعبه ينقطع التفكير فيها بعد قليل .

فالسعادة هي الخير الأوحد ، والتعاسة هي انقسام الذات والسعادة قيمة نادرة وهي حالة الانسجام والرضى حين تفهم الذات .

قال ستندال : " الجمال وعد بالسعادة " .

ومن مآسي العصر الحديث شعور الإنسان بالتعاسة والشقاء لأنه فقد طمأنينة الذات بالذات ، ورضى الضمير والطمأنينة هما مفتاح السعادة . والشقاء هو تسمم ذاتي للعقل ومن آثاره : الهروب من الحقيقة ، من مواجهة الذات ، من تبعات الحياة ، الخوف ، القلق ، الأنانية ، الجشع ، عشق الذات والكراهية والتعصّب ، عدم التسامح . والسعادة مرتبطة بالحكمة والرضى .

وقال شوبنهور : " الألم يزداد بازدياد المعرفة ، وبعظم كلّما عظم النبوغ . "

سألت إحداهن فيلسوفاً : " أي الأمرين أفضل المال أم الحكمة ؟ " أجاب الفيلسوف : " المال لأننا لا نشاهد غنياً يقرع باب الحكماء في حين نرى حكماء يقرعون باب الأغنياء " .

ولا بدّ للإنسان المعاصر مع جدل الحضارة والتقدّم ، والرفاه أن يتجه نحو القيمة المثلى ، من أن يصنع من سعادته الشخصية سعادة للآخرين ، لأن مسؤوليتنا هي رسالة الإنسان في عصرنا وهي رسالة خلق وإبداع .

فالسعادة حقيقتها التقاء اللذة بالكمال حسب مفهوم الحياة وتبقى السعادة رهن اختيار حرّ ، وكل إنسان يصنع سعادته مع سعادة الآخرين .

* * *

29- الحب قيمة رابعة

الحب كمفهوم عام أُضيف إلى مفاهيم القيمة ، كالحق والخير والجمال ، وأصبح قيمة رابعة . والحب يرتبط بمعناه بموضوع ما .. حب الطبيعة ، حب الخير ، حب الإنسان للإنسان ، حب الوطن ، حب الأم والأهل والأصدقاء إلخ . أي هناك مواضيع مختلفة للحب . والذات تحاول الوصول إليه وتحدد نوع التجربة ، العاطفية ، الوجدانية ، الإنسانية .

والأدباء والشعراء يربطون الحب بالجمال من خلال لغتهم الشعرية التي تنقل الحب من عالمه الواقعي وتحنو به نحو الرومانتيكية والخيال .

يقول ابن حزم الأندلسي في طوق الحمامة :

من الناس لا تصح محبته إلا بعد طول المخالطة ، وكثرة المشاهدة ، وتمادي الأنس. وهذا يدوم ويثبت . فالمخالطة مع

الأنس يقودان إلى الحب ، بينما البعد ونقصان الأنس يعتبران سبباً في خفوق الحب أو اضمحلاله . أما الحب الذي يحدث لأول وهلة إنما هو حب قائم على الشهوة ، ويكون حباً فردياً ، ومفهوم الحب يتضمّن عنصرين هما العناية والمشاركة والعطاء ويكون تلقائياً وذو حدود ، والعزلة والوحدة وعدم الاندماج مع الآخرين قد تكون السبب في الكثير من الأمراض النفسية وهناك مثل يقول : عندما نشارك الآخرين أحزانهم فإننا نتقاسمها معهم ، وعندما نشاركهم أفراحهم نجعلها تتضاعف .

أما أبو بكر الرازي يقول :

العشق تعتاده الطبائع الرقيقة ، والأذهان اللطيفة . وقد عاش الحب حياته السرية مختفياً في الأقوال المأثورة وفي أعمال الشعراء الإبداعية ، وفي مؤلفات الفلاسفة والمتصوّفة ورسائل العشاق .

أما الكندي يقول :

الحب علّة اجتماع الأشياء ، وحين يتفرّق البشر علّة هذا التفرق يرجع إلى فقدان الحب

وأما الفارابي يقول :

يعتبر الحب موحداً ومؤلفاً وهو على نوعين :

- محبّة طبيعية : وهي محبة الأهل والأبناء والأقارب
- محبّة إرادية : وتكون محبة من أجل الفضيلة . ومحبة من أجل المنفعة . ومحبة من أجل اللذة .

وكلّما ازداد الشعور بعدم الطمأنينة والأمان زادت حاجتنا إلى الحب . وفاقد الأمان يحتاج إلى حماية وفاقد الثقة لا يكون صادقاً في حبّه ، وأحياناً يكون الفراغ النفسي دافعاً للحب. أو ينشأ عن الغربة النفسية أي البعد الفكري بين الأشخاص وعدم الانسجام ، أو التنافر بين شخص ومحيطه الاجتماعي . والغربة النفسية تدفعنا إلى فقدان الفرح والسرور ولا يكون إلا مع من نحب . والابتعاد عنه يولّد الغربة والفراغ . والحب تعبير صادق يمتاز بحرية العطاء ويتنافى التسلّط مع الحب . والحب يرقى بالإنسان ضمن فسحات الحرية ويرقى بالمجتمع .

أما أفلاطون ، قسّم الحب إلى نوعين :

- حبّ سماوي يتعامل مع النفوس وهدفه نبيل .
- وحبّ عام يتعامل مع الجسد وهو مزيج من الخير والشر .

ولا يمكن أن يفرض الحب بالقوة بل يتأصّل مع الحكمة والمعرفة .

أما سقراط ، فالحب رغبة وشوق نحو الخير والسعادة . والحب النبيل يولد الأمور النفسية والروحية ويسعى للخلود .

أما اليونانيون :

المبدأ الأساسي الذي يجمع بين الماء والهواء والنار والتراب هو – المحبّة – والعامل المفرّق هو – الكراهية – ويمكن

القول أن الحب هو الوجود ، والكراهية هي اللاوجود . إني موجود فإنه بإمكاني أن أحب وأن أكون محبوباً .

1- الحب من الناحية النفسية :

اهتمّ علماء النفس باكتشاف الحب من الناحية النفسية لمعرفة طبيعته . وهل من الضروري أن نشعر بالحب أو بالعاطفة تجاه الآخر ؟ وهل يمكن أن يصرف المرء عمره دون حب ؟ وكشفت الدراسات الحديثة أن : < خفايا الحب النفسية . كلّ منا يحب شخصاً ويأمل أن يكون محبوباً . فالمغازلة والتودد هي عرض لا واعٍ للرغبة ، وتصبح ولادة الحب ممكنة حين نضفي على الآخر قيمة تفوق القيمة المضفاة على شخص آخر ويولد الحب بانجذاب أحدنا إلى الآخر ولكن إذا كان الحب يولد في هذه اللحظة، لا بدّ أن يكون موجوداً في مكان خفي ، وقد انزاح من ذات خيالية إلى شخص واقعي بخصال نادرة ، والشخص الذي تريده هو الشخص الذي تريد أن تكونه >

يقول غوته : في مواجهة التفوّق الكبير للآخر ما من دواء سوى الحب . والمحب يعطي دائماً ، فالحب ليس نشداناً للذات بل للذات الأفضل .

أما باسكال : إن المرء حين لا يحب كثيراً ، فإنه يشعر بنقص . والحب لا يناقش إنما يعاش .

فالحب تحقيق رغبات الآخر ، وبذل الحنان والعطاء ، وتقبّل عيوب الآخر .

وقال ستندال : المرأة ذات الطبع السمح تضحّي بحياتها من أجل من تحب . أما الزواج فهو مزيج من الحب والواقع . ومعظم النساء لديهن الجنس مرتبطاً بالعاطفة ، أما الرجل فالأمر يختلف عنده. ولا نزال في مجتمعنا الإنسان البدائي . والمجتمع أطلق ستاراً دخانياً يزعم أن الحب والجنس متطابقان ولكن هناك هوّة بينهما ... فالحب حاجة اجتماعية نفسية ، بينما الجنس غريزة فطرية من أجل الحفاظ على النسل وهو ضروري للكائنات الحيّة. لذلك لم يكن سبباً للحب . فالحب غاية سامية يتّصف بالاستمرارية والثبات . بينما الجنس وظيفة مؤقتة

بدأ الحب ينمو ويترعرع بخروج الإنسان من المجتمع البدائي إلى مجتمع الحضارة ، وكلّما ازداد الإنسان ضبطاً للنفس وتحكّماً في الشهوة زادت الرغبة في الحب . والإفراط في الحب فضيلة لا تتعارض مع أخلاق البشر ، بينما الإفراط في الجنس يؤدي إلى الضرر والأذى والمرض . والحيوان يتحكّم في غرائزه في حين أن الإنسان في بعض الأحيان لا يستطيع . وأنثى الحيوان لا تطلب المساندة إلا في أوقات الإخصاب من أجل الإنجاب والمحافظة على النوع . وأنثى العنكبوت والجراد تقضي على ذكورهما وتلتهمهما . بينما الإنسان يشرب وهو غير ظامئ . والعفة تعني طلب الأشياء في حدود حاجة الجسم . والدراسات الحديثة تسعى إلى علاقات جديدة تتم بنوع من حرية الإرادة والاختيار . والحضارة عبر التاريخ يرتبط انحدارها وسموّها بالتحكّم

بـالجنس . وترتقـي بالحـب ، وتنحـدر وفـق الإنسـان والـتحكّم فـي انفعالاته .

2- الحب - التملّك - الغيرة :

أثبتت الدراسات أن الغيرة العمياء مع الشك لا تنتمي إلى مفهوم الحب . فالغيرة هي سياج يحمي الحب ضمن إطار التفاهم الـودّي والثقـة والوضـوح . والغيـرة العميـاء نابعـة مـن عـدم الثقـة بالنفس وفيها حبّاً للذات أكثر مما فيها حب . والشك الناخز هو غيرة الجنس أولاً ثم العاطفة . وقد يغار الرجل من الماضي. أما المرأة تفضّل أن تكون الحب الأخير .

أمـا عـدم الإخـلاص سببه تبـدّل فـي القلـب وفـي العاطفـة والانجذاب نحو آخر وقد يأخذ شكل الأفكار والأفعال والاستيهام الخيالي .

غوتيه : صوّر امرأة مستغرقة في استيهاماتها بصورة رجل وقعت فـي حبـه ، مـع أنهـا بقيت مخلصـة لزوجهـا جسـدياً وسبب فشل زواجها خيانتها الفكرية .

أمـا تعـدد العلاقـات عنـد الرجـل مصـدرها الحنـين إلـى العاطفة السمحة .

قـال باسـكال : للقلـب أسـبابه التـي لا يعـرف عنهـا العقـل شيئاً . أمـا الامـتلاك يقيّد الحـب ويقتلـه ، لأن الحـب قيمـة مطلقـة وغير محددة بامتلاك معيّن .

يقول ابن سينا : امتلاك المرأة للرجل واعتمادها عليه سببه أنه يقوم بالإنفاق عليها . وهذا يفسّر استئسار الزوجة بالزوج أكثر من الأم والأخوات .

وإذا ربطنا الحب بعلاقة الامتلاك يصبح الإنسان لا يتحرّك عقله بإرادة حرّة أو حاجة عاطفية واجتماعية، إنما يحرّكه مبدأ الامتلاك وعن طريق الزواج يحتاج إلى شراء من يحبها. فالحب ليس قيمة مادية إنما هو قيمة إنسانية . وحين بدأت المرأة تُحرَر اقتصادياً بدأت تخفّ تبعيتها للرجل ، وتخفّ درجة حكمها له أو امتلاكه . فالامتلاك في الحب يكون إما بالقوة أو بالفعل ، ولا بدّ أنّ الإنسان بدأ يسعى إلى فكرة التوازن في التصرّفات السلوكية بحيث ينبذ فكرة التحكّم ، والامتلاك ، والغيرة ، حتى لا يخرج الحب من إطاره الطبيعي . فالعلاقة يجب أن تكون علاقة متساوية ومنسجمة وواعية ...

قال غوتيه : ليس مهمّاً فقدانك أي شيء ما دمت تمتلك نفسك .

أما ديدمونة قالت : يوم لا أحبّك سيكون الكون قد عاد للفوضى من جديد .

3- الحياة تدعونا للحب :

إن لفظة " ديانة " مشتقّة من كلمة لاتينية معناها " الارتباط ثانية "

فالإنسان يربط ذاته بالله بالدين وما يربطه هو الحب . وإذا خلا عالمه من الحب تعذّر عليه حب الله . وكثيراً ما يشوّه الإنسان علاقته بالله بالخوف منه . فالإنسان يحبّ الله لأنه عطاء ورحمة ومحبّة لامتناهية .

وعلم النفس يجمع أن أهم أسس شخصية الإنسان تتكوّن خلال السنوات السبع الأولى . وكل الجراح النفسية التي تصيبنا في هذه السن تترك آثارها في شخصيتنا . وحين يحسّ الإنسان بالوحدة والضيق النفسي ، والعطش الروحي يكون مصدر آلامه الفشل في الحب وانشغاله بالأنا فقط . وكذلك حين يحرم الدفء والحب والحنان يبقى منغلقاً على ذاته ويفقد حيوية الحياة .

وأهمّ المشكلات العاطفية التي نعايشها هي :

- القلق : الإنسان القلق يعيش سجين واقعه ، وينظر إلى الوجود بمنظار أسود .
- عقدة الذنب : وقد نورّث عقدة الذنب وقد لا يكون لها أي ذنب حقيقي إنما وساوس يمكن ردّها إلى قسوة الأهل والتربية الصارمة وضرورة خلق شعور دائم عند الطفل بأنه محبوب حتى عندما نؤدّبه أو نعاقبه . لأن العقاب بغضب هو سلوك خطر .
- عقدة الدونية (مركب نقص) : حين يحسّ الإنسان أنه دون سواه ، أو غير قادر على النجاح . وسبب ذلك معاملة الأهل مع الولد بأنه أحد الأشياء التي يملكونها حين

يخضعون الطفل لإرادتهم دون حوار ولا يحسب لرأيه أو رغبته حساب . فالطفل يتعلّم بالوعي والحوار لأنه مقلّد أكثر منه مفكّر . لأن الانتقاد اللاذع يزيده تعقيداً فيشعر الإنسان أنه يحاكم فيصيبه الخمول والفشل والتعاسة . وكلّ منا يرغب أن يرى انعكاس الخير والقلق في عيني إنسان آخر لذلك النقد اللاذع يجعل المرء يرتدي الأقنعة والتمثيل لأنه يخشى الظهور بحقيقتة ويرتدي أيضاً ثوب الكذب ويفقد الثقة بنفسه . أما الكبت رغبة مدفونة بحاجة إلى العطف والحنان والإشباع . فالنضج الواعي هو القدرة على الانفتاح على الآخر ومواجهة الذات بوضوح وصدق وتحريرها من كل خوف وتردد . والنضج الإنساني يشمل: النضج العقلي ، والعاطفي ، والاجتماعي ، والأدبي . فالحب يساعدنا على التعايش مع مشاكلنا ، ومجابهة الواقع، ومحبّة الآخر محبّة مجانية ، لا حب خارج حدود التضحية والبذل والعطاء . فالحب يبحث عن خير الآخر والخير المطلق للإنسانية . وعندما تسأل : ماذا عملت أنت في سبيلي ؟ يكون قد انتهى الحب .

4- كيف خلق الحب ؟

كان العالم مدفوناً في حضن الألوهية السرمدي ، فأشفق الله على هذه الوحشة وخلق الفجر ، ومن التقاء النور والظلام نشأت الألوان ، وبدأت الحركة بفعل الخلق وكلّ روح بحثت عن

الروح التي انفصلت عنها. وطار كلّ محبّ على أجنحة المحبّة الوردية . فولد الحب متوقّداً في الفراغ المترامي .

5- الأساطير اليونانية :

تمثل لنا الحب على صورة طفل لأن في الحب عودةً إلى الحياة وبه نولد من جديد . والمعنى العام للحب هو الرغبة المطلقة في الحب . ومتى عرف الإنسان الحب عرف الله . ونكشف في الحب بذور الخير والجمال لأنه قيمة أخلاقية . وتتعدد لغات الحب : لغة شعرية ، لغة صوفية ، لغة أخلاقية ، لغة بيولوجية ...

واختلف الفلاسفة وعلماء النفس في معناه ، والفيلسوف المعاصر أضافه إلى قيم الحق والخير والجمال قيمة رابعة هي الحب واحتكره أهل الأدب والشعر .

والتجارب الدينية فيها نزوع مشترك للحب يجمع : القديس - الصوفي - العاشق ، نحو الاتحاد بالحب المطلق. وقصة الخلق كتبت بلغة الحب . " لقد نفخ الله في الطين أنفاس الحب " .

6- أقوال في الحب :

ابن حزم :

العين باب النفس لأن النظرة نقطة انطلاقه . وقد يعشق صورة لا يعلم من هي ، أو شخصاً سمع عنه ، فللخيال دورة في

نشأة الحب . وللحب نِعَمٌ كثيرة على الإنسان : يجرّدنا من الغربة ، وهو مصدر الشعر والفنون ، والصلة بين الله والبشر .

ستندال :

الرجل في الحب مهاجم ، والمرأة مدافعة . لأن الرجل مخاطر جسور ، وهي متوجسة خائفة . ويعلل التقلّب في الحب إلى الملل ، وحب الرجل منفصل عن حياته لأنه لا يضع الحب في المكان الأول ، بينما المرأة الحب صميم وجودها .

سقراط :

لا يكتمل الحب إلا في المرأة ، والمرأة هي التي تعلّمنا الحب .

بلزاك :

الطبيعة منحتنا الحب على صورة فعل حيواني ، والإنسان استطاع أن يطوّره . حضارتنا وفكرنا هي ثمرة من ثمار الحب .

مدام لافاييت :

إن في الحب شيئاً من كل شيء . ففيه شيء من العقل وشيء من الحب وشيء من الجسد .

موسيقار فرنسي :

الحب والموسيقا هما جناحا النفس .

أما أحد الفلاسفة قال :

الخصم اللدود للحب هو الزواج ، لأن العاطفة تضعف ويخضع الزواج للألفة الطويلة والتكرار والعادة . والحب لا يحيا إلا في جو المغامرات والمفاجآت .

7- مراتب الحب :

يبدأ بالسماع ، ثم بالنظر ، يتولّد الإعجاب ، يقوى ويصير مودّة ، ثم محبّة ثم خلّة ثم هوى ثم عشقاً . يزداد العشق يصير تتيّماً ثم يصير ولهاً .

8- علامات الحب :

كان المحب مدعواً للكتمان . والتعبير عن مشاعره أمراً منكراً . وعبّر عنه بالأطلال والنسيم ونوح الحمام والشعر .

9- من قصص الحب ..

قصص الحب ليست وقفاً على الشعراء والروائيين ، إنما نجدها في الكتب المقدسة . القرآن الكريم (يوسف وامرأة العزيز) وفي التوراة والإنجيل وقصص الملوك والأمراء والحلفاء .

1) قصة أولى :

عالج أحد الأطباء شاباً ناحلاً ، فعرف أن داءه العشق . وراح الطبيب يردد أسماء عدد من النساء، ويتلمّس نبض الشاب. فلما أسرع النبض تعرّف على الفتاة التي مرض بسببها.

2) قصة ثانية :

جارية ألقت بنفسها في نهر دجلة عقب انفعالها بالغناء ، فما كان من عاشقها إلا أن رمى نفسه خلفها .

3) قصة ثالثة :

روى جعفر السراج خبر شجرتين التقّتا على قبرين متلاصقين . أما القبران فهما لـ (عروة وعفراء) . وقيل تآلفا في الحياة وفي الممات . ونوع هذا الشجر غريب لا يعرف اسمه. هل نبت هذا الشجر من دم العشاق ، أم تحوّل العشق إلى شجرة ، أم تجاوب الشجر مع مشاعر العشاق ؟...

10- أزمة الحب .. المعاصرة

الحب هو السبيل إلى اكتمال الذات ، وبالحب نصمد أمام تجارب الحياة ، وأزمة الحب تواجه المجتمع المعاصر ، لأن الأكثر رواجاً في هذا المجتمع التمسّك بالمادة . ولذلك بدأ يعيش هاجس الخوف والقلق والضياع ، وأصبح الاهتمام – بالأنا – . وخلقت ذات جديدة لا تهتم إلا بذاتها ، وهذا أدّى إلى ضعف علاقات المودّة والمساعدة والتواصل . وبدأ الإنسان يتجرّد من ميزاته الإنسانية ونسي معنى القيم فتقطّعت الصلات الإنسانية ، وبدأ الإنسان يعاني من فراغ وفقد المعنى للحياة . فالأنانية والجشع والتركيز على الذات جعلته يفقد ذاته ، لأن حياة الإنسان مرتبطة مع الآخر من خلال الحب والعطاء .

يقول أدلر : إن كل إخفاق بشري هو نتيجة لانعدام الحب . والحب يقضي أن أهتمّ برغبات من أحب .

أما فرويد : طُلِب منه أن يعطي تحديداً للصحة النفسية : إنها القدرة على العمل والحب

إيرك فرام : الحزن كل الحزن أن نعبر الحياة من غير أن نحب .

الشاعر الفرنسي بيكي : لا تحاول أن تذهب إلى الله وحدك . فربّما سألك : أين أخوتك في الإنسانية ؟ فلا القوة ولا المال ينتصران ، إنما الحب وحده ، والعلامة الأولى للحب هي العدل والسلام حتى نستطيع تحمّل ثقل العالم وما فيه من ظلم وصراع ومفارقات ومآسي . والقلب وحده يبصر جيداً ، لأن كل إخفاق بشري نتيجة انعدام الحب .

11- الحب في الفكر العربي :

كلمة الحب أكثر دوراناً من الألفاظ في القرآن الكريم. أما الهوى فلا يرد مرادفاً للحب، إنما خصص بالميل إلى ما ليس صواب ، كقصة يوسف وزليخة .

أما ماهية الحب عند العرب فتاريخهم حافل بأخبار الحب والعشق في الجاهلية والإسلام. وتدرجت ألوانه من الحب العذري إلى الحب الحسّي الصريح . وفي التراث العربي الحب على نوعين :

1- النوع الأول : اعتبر الحب والعشق ظاهرة إنسانية .
2- النوع الثاني : الحب الصوفي فارتقى من محبة جمال المخلوق إلى محبّة الخالق .

والسـهر وردي أول فيلسـوف إشـراقي يؤلـف رسـالة فـي العشق

أبداً تحنّ إليكم الأرواح وهواكم ريحانها والراح

وفي الأدب العربي كان الحب في فنون مختلفة – الشعر، القصة ، القول المأثور ، النوادر ..

أما أخوان الصفا قالوا :

تتغيّر أحوال العشاق بعلّة ثابتة راجعة إلى يوم ميلاد العاشق والمعشوق . وتتغير حالات العشق بسبب تغيير العشاق وأشكال الفلك والنجوم .

* * *

30- التصوّف ... أجنحة محبة

التصوّف كاللحن الموسيقي، أسراره أجنحة محبّة تحمل الروح المنتشية إلى آفاق مسحورة . وهو فلسفة إنسانية ، فالحب سببه جمال الله . والعالم خُلِقَ ليقدّم آيات الحب لله . وفلسفة التصوّف مذهب عالمي يتلوّن مع كلّ أمّة بلون عقائدها وتفكيرها، فالمتصوّفة هائمين في فيوضات إشراقية وإلهامات قدسية . فالله محبة ، والدين محبة ، والحياة محبة .

وعبّر أحد المتصوّفة بقوله :

إن قلبي يسكن عالماً لا يعرف غيري عنه شيئاً . ولو سئلت ما بي لأعجزني الجواب

أما يحيى بن معاذ فقال :

مثقال خردلة من الحب أحبّ إليّ من عبادة سبعين عاماً بلا حب .

والصوفية بهذا الحب يحلّون مشكلة الفلسفة الكبرى التي تتساءل عن معنى الحياة . ويصل المتصوّفة في حبّهم إلى ما يسمّونه بالوجد ، وهو استغراق تام في النشوة العلوية . والوجد الصوفي أوجد : ألحان ابن الفارض ، ومواجيد ابن عربي ، وتحرّقات الجنيد ، واستغراقات البسطامي ، وولـه الحلاج ، ومزامير رابعة .

والشبلي يقول : " دعهم يفرحون بربّهم ، فقد أحرق الهوى قلوبهم " .

ويشغل الكشف الباطي جانباً من حياتهم ، فالتغلّب على الجسد يمزّق الحجب بين الروح والنور الأعلى .

أما الكرامات هي ظهور خارق للعادة على يد مؤمن للدلالة على صدقه ونبله .

والصوفية يحبّون الله لا خوفاً من ناره ، ولا طمعاً في جنّته ، بل يحبّونه لذات الحب ، ولأنه أهل للحب .

1- معنى كلمة " التصوّف "

هناك تعاريف متعددة للصوفية ، مها :

الصوفي : يصفو به كل شيء ، ويمتلئ بالفكر ، وينقطع عن البشر إلى الله .

الصوفية : صفت قلوبهم وتحرروا من رغبات الجسد .

الصوفية : من ذوي المشاعر الرقيقة الحساسة .

الصوفية : تصفية القلوب من ضعفها الذاتي .

والبعض يرجع كلمة التصوّف إلى – صوفيا اليونانية – وهي الحكمة . ويُقال : حرّفوا الكلمة إلى – التصوّف – .

أحد المستشرقين قال :

صوفة : اسم قبيلة عرفت بالاستغراق والتأمّل ومحبة الله وطاعته .

وهناك من اشتقّ التصوّف من – صُفّة المسجد – حيث كان ينزل فقراء المسلمين .

وينسب الصوفية إلى – الصفاء – من صفاء الفكر والمعرفة والمحبة . وتردد في تعابيرهم : صافي ، صوفي ، صفوة ، تصفية ، صفا . ويقال أن أبو حمزة الصوفي ، أول من تكلّم في بغداد في مذهب الصوفي . وأول من سُمّي " صوفي " .

أما الغوث بن مر ، سمّي صوفة ، لأنه ما كان يعيش لأمه ولد ، فنذرت إن عاش أن تعلّق برأسه (صوفة) . وينسب أيضاً إلى – الصوف – والصوف لباس الأنبياء .

لذلك الاشتقاق من الصوف أقرب الاشتقاقات . واختيار الثوب الصوفي مسلك خاص يبنى على ترويض الإرادة ، والعزوف عن متع الحياة .

أما الجنيد : أن يختصّك الله بالصفاء ممّن اصطفى من كل ما سوى الله – هو صوفي

وملامح التصوّف مشتركة بين التصوّفات الإنسانية :

التصوّف الهندي – الصيني – الرهبنة في المسيحية – التصوّف الإسلامي . ووجد ضمن تيارات : الغنوصية ، المجوسية ، البوذية ، الصينية .

والتصوّف تيقّظ فكري يوجّه النفس الصادقة لتحظى بمذاقات الوصول بالاتصال بالمطلق . والمعرفة هي غاية الطريق الصوفي . وموضوع المعرفة التوحيد .

في القرن الثالث الهجري انتشرت الصوفية وأصبحت بغداد قصبة الحركة الصوفية . وظهرت مدارسهم ، ولكل مدرسة شيخ ومريدون . واتخذت الصوفية طابع الحب وتذويب الإرادة الإنسانية في الإرادة الإلهية . وامتدت الصوفية إلى مصر ، ورائدها – ذو النون المصري – ثم انتشرت في العالم الإسلامي وأسسوا أصول المعرفة والمحبة . وظهر – الحب العذري – حين يتحوّل العاشق إلى شريد هائم يناجي الحبيبة الضائعة بأشعار خالدة .

فالوجدان العربي لديه استعداد للحب البريء الحالم المضني وهذا الاتجاه الرومانسي فيه نقاء وسمو وارتقاء عن الحس . وامتزجت الطاقة الروحية بالحب وغمرته بالطهر والتعفف . وقال قيس بن عامر : ليلى أنا ، وأنا ليلى .

وكان الحنفاء روّاد وعي يقظ ، وفكر حر . وحاولوا تغيير الحياة الفكرية بالتجربة الروحية وأفكارهم حملت لوائح مبكرة للتصوّف . وكلمة – حنيف – يراد بها الدين الأول الفطري .

والحنيف يوصف بالراهب وإن لم يتنصّر ، ومنهم : أمية الصلت – الملك النعمان ، ترك قصره في الخورنق والتحف بالكساء وساح في الأرض وقال : " أي درك هذا الذي ملكته اليوم ويملكه غيري غداً " . وكذلك إبراهيم ابن أدهم خلع عن نفسه الإمارة حين أعياه التفكير في متع الحياة الزائلة .

والحنيف يقول : إن الأديان جميعاً تنشد جوهراً واحداً مهما اختلفت الطقوس . والمسيحية قريبة المنال من الصوفية . ولقد وصف القرآن الكريم رهبان المسيحية أنهم أقرب إلى المؤمين مودّة ومحبة . والصوفية تمثل الرسول الكريم أنه محور الحب الأول . وقد قال : – ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي – .

وانعكست نظرة الشمول على الأديان في قوله الكريم : " رحمتي وسعت كل شيء " .

2– طقوس التصوّف :

1) **المجاهدات** : جهاد النفس والتغلّب عليها . ومنها :

- التوبة – حركة النفس حين يتطهّر الظاهر والباطن عن طريق التوبة الصادقة . ويمتلئ القلب بحب الله

قال الوراق : لو كان حبك صادقاً لأطعته ، إن المحب لمن يحبّ يطيع .

- الزهد – إراحة النفس من هموم الغد ، وهو المعبر إلى الحب المطلق .

تقول رابعة :

القلب فيه إن تنفّس في الدجى بسهام لوعات الهوى مجروح

- الرضا – نفحة عذبة فيها الأمل برؤية الله والأنس به .

وآيات الرضى : السكون إلى الله ، قلّة الطعام ، الانعزال عن الناس .

- الافتقار – توجيه الإرادة الصادقة إلى الافتقار إلى الله .

الحارث المحاسبي ، رفض ثروة أبيه ومات فقيراً .

- الصبر – يقاس الإيمان بمقدار ما يختلج في النفس من هلع وجزع وثبات واطمئنان حين يتعرّضون في الفيافي إلى أخطار الليل والوحوش .

صبر المحبين أقوى من صبر الزاهدين .

وقال النوري :

عذّبْ فلم يبقَ قلب يقول للسقم مهلا

والشبلي :

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحبّ بالصبر صبرا

- الخلوة والذكر – مرتبطان بالوحدة ، أي الانفراد للتعبّد .

والذكر ، ترديد اسم الله ، أو الصلاة ، أو قراءة القرآن.

وعبّروا عن وجدهم حين يملؤهم الطرب بالرقص .

يحيى بن معاذ :

دققنا الأرض بالرقص على غيب معانيك

ولا عيب على رقص لعبد هائم فيكا

2) **المذاقات** : الاتصال بالمطلق عن طريق العشق والوجد والتنعّم بمذاقات الحب والفناء في المحبوب ، وتذيب التجربة الصوفية الفواصل التي تغلق الخافيات وتبحث دائماً في كلمات السريّات ، التصوّف ، الغموض .

وآية الصوفي أن يحيا بين الوجد والفقر ، الصحو والمحو ، المنادمة والمسامرة والمناجاة حتى ينفذ إلى منطقة المعرفة . فالحب والمعرفة قمة المذاقات .

يقول ممنون المحب :

يا معطشي بوصال أنت واهبه هل فيك واحة إن صحتُ يا عطشي

والشبلي :

وعينان قال الله كونا فكانامقولان بالألباب ما تفعل الخمر

والحلاج :

ولا هممت بشرب الماء من عطش

إلا ورأيت خيالاً منك في الكأس

ومن المذاقات :

1- **الحب** : الصوفية عادت بالحب إلى النشأة الأولى وخلق الكون . فالحب قوة دافعة أخرجت الكون من العدم . والحب وسيلة لكشف المعرفة .

- كنت مخفياً فأحببت أن أُعرَف فخلقت الخلق فعرفوني.

والحب محاط دائماً بالسرية والكتمان . والمحب وحده يحمل عذابه وضناه وخوف المحب من أذى البشر .

أبو زيد البسطامي :

سقاني شربة أحيا فؤادي بكأس الحبّ من بحر الوداد

والشبلي :

صحّ عند الناس إني عاشق غير أن لم يعرفوا عشقي لمن

وأبو حمزة :

نهاني حيائي منك أن أكشف الهوى

وأغنيتني بالقرب منك عن الكشف

ورابعة :

أحبك حبين ، حبّ الهوىوحباً لأنك أهل لذاكا

فأمّا الذي هو حبّ الهوىفشغلي بذكرك عن سواكا

وأمّا الذي أنت أهل لـه فكشفك الحجب حتى أراكا

2- **النقاء** : تجرّد حبهم من طمع الثواب أو خوف العقاب .

الشبلي : سمّيَت محبة لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب .

رابعة : إلهي . أغرقني في حبّك حتى لا يشغلني عنك شيء .

وتنشد :

كأسي وخمري والنديم ثلاثة وأنا المشوقة في المحبّة رابعة

3- **المبادلة** : أجمل مذاقات الحب ، وتشمل :

الطوالع – نور التوحيد الذي يطمس كلّ الأنوار .

اللواجع – ما ثبت من أنوار التجلي .

ويتم الحب المتبادل حتى يستغرق في ذات الله .

الشبلي :

رآني فأوردني عجائب لطفه فمتّ وقلبي بالفراق يذوب

فلا غائب عني فأسلو بذكره ولا هو عني معرض فأغيب

ذو النون :

إن بعدت قرّبني أو قربت منه دنا

النوري :

إذا تغيبت بدا وإن بدا غيبني

4- **الملازمـة** : يعـب الصـوفي مدامـة كـأس العشـق فتتولّـد لديـه طاقة ذاتية تجذبه إلى الحضرة الإلهية .

وأحلّ الصوفية : الهجر والوصل ، محل النار والجنة .

الحلاج :

ولا هممت بشرب الماء من عطش

إلا رأيت خيالاً منك في الكأس

سمنون المحب :

أحن بأطراف النهار صبابة

وفي الليل يدعوني الهوى فأجيب

وأيامنا تفنى وشوق زائد

كأن ندمان الشوق ليس يغيب

ذو النون :

وما تطابقت الأجفان عن سنة

إلا ورأيتك بين الجفن والحدق

5- **رهافة الحس** : مرّت التجربة الصوفية بالحب الإنساني قبل أن يدخلوا منطقة الحب الإلهي . وتركوا تراثاً في الغزل ينمّ عن رقّة الشعور ورهافة الحس ونعومة الذوق وشفافية الوجدان .

ابن الفارض :

من لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدرِ كيف تفتت الأكباد

المغربي :

يا من يعدّ الوصال ذنباً كيف اعتذاري ولي ذنوب

إن كان ذنبي إليك حبي فإنني منه لا أتوب

الحلاج :

يا نسيم الريح قولي للرشا لم يزدني الورد إلا عطشا

لي حبيب حبّه وسط الحشا لو يشا يمشي على قلبي مشى

ونصوص الشعر الصوفي تقسم إلى : الحب - الغناء - المعرفة

وحمّلوا الكلمة الشحنات النفسية ، كالوجد والفقد والهيبة والأنس والوله والشطح . وتتميّز اللفظة في شعرهم بالحيوية والشفافية والصدق . وخلّدوا بأشعارهم تجربة حبّ كبيرة تقود الإنسان إلى التوحد بالمطلق الإلهي .

3) **الفناء** : الفناء مقرون بالبقاء ، وهما وجهان لحقيقة واحدة . تثبت إلهية الحق تعالى في قلبك وتنفي سواه فتجمع بين : النفي والإثبات . فالنفي هو الإثبات والإثبات هو البقاء .

والفناء يشمل :

1- **السكر** : السكر لأهل المواجيد وتسبقه حالة الغيبة وهي حالة بين الحب والفناء ، تسكر الروح ، وتطرب النفس، ويهيم القلب. وابن عربي حينما أولع بجمال فتاة حجازية نفذ به من جمال المخلوق إلى جمال الخالف وحالة غيبوبته ، كتب بها (ترجمان الأشواق) :

والسكر يكون على مائدة العشق الإلهي حين تشرق الكلمة بين نشوة المذاق ونشوة الاجتلاء .

الشبلي :

ذكر المحبة يا مولاي أسكرني وهل رأيتَ محبّاً غير سكران

الجنيد :

لي سكرتان وللندمان واحدة شيء خُصِّصتُ به من بينهم وحدي

سكران سكر هوى وسكر مدامة فمتى يضيق فتى به سُكران ؟

ذو النون :

إن الله يسقي محبيه من كأس محبّته

2- **الشطح** : هو حركة أسرار الواجدين إن فاض وجدهم :

البسطامي :

أهل الحج يطوفون حول البيت فيطلبون البقاء

وأهل المحبة يطوفون حول العرش يطلبون اللقاء

وأنشد :

محوت اسمي ورسم جسمي سألت عني فقلت أنت

فأنت تسلو خيال عيني فحيثما درت كنت أنت

وسئل : بأي شيء وجدت المعرفة ؟ قال : ببطن جائع ، وبدنٍ عارٍ .

ومن حكاياته :

بينما هو واقف على جبل عرفات إذ قالت له نفسه : من مثلك يا أبا يزيد ، حججت خمساً وأربعين حجة وقرأت عشرة آلاف ختمة ؟ فنادى : من يشتري مني خمسة وأربعين حجة برغيف خبز ؟ قال رجل : أنا . أخذ منه الرغيف وألقاه إلى كلب جائع .

وروى الشبلي :

إن متحابين ركبا بعض البحار فسقط أحدهما في البحر وغرق فألقى الآخر نفسه فأنقذه. قال الأول لصاحبه : لِمَ رميت نفسك في البحر ؟ قال له : أنا غائب بك عن نفسي ، توهّمت أني أنت .

الجنيد :

لا تصح المحبة بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر يا أنا .

3- زوال الحجب : تفيض المحبة في ولهها عمّا يحمله القلب ، فتتغلغل إلى الجوهر لأن هذا القلب الإنساني أصبح عرشاً للرحمة . والمحبة والتسامح والحب هبة إلهية

. وقد ابتدع الإنسان الحب لفرط إيمانه بالحياة ، وبالحب اهتدى إلى الله . والبعض غاص في الأحلام لأنها لا تخضع للقيود والحدود التي يخضع لها الوعي ، لأنها تتّصل بعالم آخر وتصبح أصفى وأنقى .

الكرماني :

رأيت سرور قلبي في منامي فأحببت التنفّس والمناما

الجنيد :

قالت النار : يا رب ، لو لم أطعك هل كنت تعذبني بشيء أشدّ مني ؟

قال : نعم ، أسلّط عليك ناري الكبرى

قالت : وهل نار أعظم مني وأشدّ ؟

قال : نعم ، نار محبتي ، أسكبها قلوب المؤمنين .

4- غلبة الشهود : يستغرق الصوفي في التجربة ويدخل عوالم مضيئة إلى مائدة العشق الإلهي في غيبة الوعي لمشاهدة الله .

الحلاج :

رأيت ربي بعين قلبي فقلت من أنت ؟ قال أنت !

والحديث الشريف :

لم تسعني أرضي وسمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن

5- المعرفة : غاية الغايات من رحلة الصوفي المضنية ، والقلب لا يخطئ أبداً حين يمتلئ بالحب الحقيقي يشعر أن الأرض فانية ويجد الطمأنينة والصفاء والرضى بالأنس إلى الله تعالى .

القديس أغناطيوس :

إنّ ساعة تأمّل واحدة علّمتني حقائق كثيرة ، أكثر مما أفادته تعاليم رجال الدين

رابعة :

حبيب غاب عن بصري وشخصي
ولكن في فؤادي ما يغيب

الحلاج :

لي حبيب أزوره في الخلوات حاضر غائب عن اللحظات

والجنيد :

ولما أراني الوجد أنك حاضري شهدتك موجوداً في كلّ مكان

ذو النون :

تخبط أهل الفلسفة ، والمحبون يمشون في طريق الضياء .

ويستغرب الحلاج :

وأي الأرض تخلو منك حتى تعالوا يطلبونك في السماء ؟

خاتمة التراث الخالد :

التوحيد أنصع فكرة في المعرفة الصوفية ، ولم يكن التوحيد الصوفي دعوة فلسفية إنما كان نمطاً للحياة والمعرفة من خلال الحب لتعكس صورة العالم الأسمى . وتحمّلوا كلّ اضطهاد حتى ارتقوا إلى مستوى الحب المطلق وهو الخير . فالتجربة الصوفية تفوق التديّن والفلسفة لأنها تذيب الفواصل للوصول إلى المعرفة الإلهية .

قال الرسول الكريم :

" إن الذين آمنو ، والذين هادو ، والنصارى ، والصابئين ، ومن آمن بالله واليوم والآخر ، وعمل صالحاً ، فلهم أجرهم عند ربّهم "

وبذلك انعكست نظرة الشمول على الأديان لأنها تقود إلى حقيقة واحدة، وجوهر واحد.

* * *

الشعر والأسطورة

تشعّبت الآراء في تعريف **الأسطورة** ، خاصة استعمالها في اللغة الدارجة ، حيث يستعمله الناس للدلالة على الخيال أو الوهم ، أي ما ليس له وجود في الواقع . وهو مفهوم قديم .

ولكنّ **الأسطورة** هي تراث ووحي أولي ، وهي واقع ثقافي أعطى للوجود قيمة ومعنى .

البعض الآخر قال : إنها ضروب من السحر أو ممارسة غير معقولة تعاد صياغتها في حكايات شعبية . الأساطير تستند إلى واقع تاريخي ، وتمثل الذاكرة الإنسانية لأنها ترجع إلى الماضي البعيد ، وإلى مرحلة زمنية غارقة في الغموض ، مما دفع الخيال إلى مثل هذا التصوير الخارق في تلك العصور .

يوهيمروس ، وضع قصة خيالة على هيئة رحلة فلسفية عرفت باسم (التاريخ المقدس ق.م.) أما في العصر الحديث بدأت نظريات الأسطورة المختلفة منذ القرن التاسع عشر ونهضت في فلسفة **شلنغ** وهي مرحلة فلسفة الأسطورة ، والكشف الصوفية لأنها أمحت الحدود الفاصلة بين العالم الذاتي والموضوعي وحوّلته إلى

عـالم روحـي . فضصـوّرها تصـويراً جديـداً ورآهـا تمثـل : الفلسـفة والتاريخ والشعر.

ويشير الدكتور **الجوهري** أنـه كان للشرق تأثير قوي علـى الغرب في مراحل متعددة أدّت إلى استعارة الحكايات الأسطورية .

أما **مالينوفسكي** يرى أنها تقوم بوظيفة كبرى في الحياة لأنها تزوّدنا بالقصة الكاملة عن العالم منذ ولادته حتى اللحظة الحاضرة .

الأسـطورة بهـذا المعنـى عنصـر حيـوي فـي الحضـارة الإنسانية . أما **ستراوس** يجد أن السر الكامن وراء كل الحضارات هو النشاط اللاشعوري للنفس – فنجد أن علم النفس اشترك أيضاً في تفسير الأسطورة ، ونشأ ما يسمى – علم النفس الشعبي .

أمـا **يونـغ** يعتبـر أن الأسـاطير هـي أكثـر نتـاج البشـرية البدائية نضجاً . ويرى أيضاً أن مصدر العمل الفني العظيم هو التجربـة الإنسـانية ، فالشـاعر يرجـع إلـى الأسـطورة لأن إبداعـه الصـادر عن التجربـة هـو رؤيـا غنيـة لا تـدرك بالعقل فيلجـأ إلـى **الأسطورة** .

والأسـطورة هـي مـن الموضـوعات المطروحـة علـى بسـاط البحث الفلسفي أيضاً وقد تعرض لها الفيلسوف الألماني **كاسبرر** فيقول :

لما كان الإنسان خرج من عالم مادي فإنه يعيش في عالم رمـزي ، وليسـت اللغـة والأسـطورة والـدين والفـن سـوى أجـزاء مـن

عالمه الرمزي . هذه الخيوط هي نسيج شبكة الإنسان الرمزية وبدون الرمز تصبح حياة الإنسان شبيهة بالكهف .

والمعرفة الإنسانية في طبيعتها الجوهرية هي معرفة رمزية والشعر الحديث تحدّر من الأسطورة .

أما الفيلسوف **هايدغر** يقول :

إن اللغة هي المسكن الدائم للإنسان – لأن كل ما هو كائن لا يمكن أن يكون إلا في معبد اللغة . واللغة بيت الوجود الذي يسكنه الإنسان ، ولغة الشعر تعبّر عن وجوده . اللغة تقول الوجود ، كما القاضي يقول القانون . ويربط علاقة الشعر بالفكر فيقول :

- إذا كان الفكر والشعر من أصل واحد فإن مسافة كبيرة بينهما ، المفكر يقول الوجود أما الشاعر فيسمى المقدس – ولا تعثر اللغة على وجودها الحقيقي إلا في الشعر .
- إن الشعر يتجلى وجود اللغة – ومهمّة الشاعر تأسيس الوجود بواسطة القول ، ولكن ما هي علاقة الشعر **بالأسطورة ؟**

إنها الكلمة المقدسة حيث يصطفي الله الشاعر من أجل توصيلها إلى البشر ، وبهذا يرتفع الشعر على يد **هايدغر** فوق تعريفاته الجمالية ليصل إلى مرتبة الرؤيا النبوية .

أما **ماركس** يقول :

الأسطورة تعكس آراء ومواقف الإنسان الأخلاقية والجمالية تجاه الواقع ، فهي التقديم الفني اللاشعوري للطبيعة .

أما علاقة الأسطورة بالأدب تقول **هاريسون** :

الأسطورة قطعة من حياة الروح ، والتفكير الحلمي للشعب . كما أن الحلم هو أسطورة الفرد . فالأسطورة ذات علاقة وثيقة بالأدب والفن سواء القديم أو الحديث .

أما **شليجل** يقول :

الأسطورة والشعر هما شيء واحد لا انفصال بينهما . و**فيكري** – يخرج منه الأدب تاريخياً وسيكولوجياً وتعالج الدكتورة **سامية أسعد** موضوع الأسطورة في الأدب الفرنسي المعاصر فتقول :

إن أدب القرن العشرين يولي أهمية خاصة للأسطورة ، وكذلك الآداب الأخرى لاسيّما القديم منها . أسطورة **إيزيس** معالجة توفيق الحكيم . **شخصية شهرزاد** طه حسين وتوفيق الحكيم التي تحوّلت إلى شخصية أسطورية .

أما في الأدب الإنكليزي الشاعر **شيللي** في مسرحيته الشهيرة **بروميثوس** طليقاً أعطى الشاعر روحاً جديدة من رؤياه الخاصة وإنسان **شيللي** ليس فقط مجرّد رمز للرجل الخيّر الذي أراد أن ينقذ البشرية ويسعدها ويخلّصها من طغيان حاكم ظالم ، بل جعله إنساناً حياً متعطشاً للحرية ، لا يرهب الآلام ويرى فيها سمو البشر .

أما **برناردشو** فقد أخذ أسطورة **بجماليون** وأعاد خلقها من جديد ، و**بجماليون** كان نحاتاً وعندما صنع تمثالاً وقع في حبّه وطلب من الآلهة أن تحيل التمثال إلى فتاة حقيقية مما يوحي بالصراع القائم في نفس الفنان بين فنه والحياة ، أما **برناردشو** فقد حوّل **بجماليون** إلى رجل من الطبقة الأستقراطية في لندن يأخذ فتاة من حثالة لندن ويعلمها لغة الطبقة الراقية وسلوكها وعاداتها ، وبعد أن نجح في مهمته عشق الفتاة . وبرهن أن المجتمعهو المسؤول عن كل ما يصيب الأفراد من انحطاط وتخلّف وبؤس وأنه بالإمكان الارتقاء لكل إنسان ، وبث الحياة في الأسطورة وجعل روح القرن العشرين تخفق في حناياها والأدب الكلاسيكي الفرنسي في القرن السابع عشر اعتمد أساساً على محاكاة الأقدمين (الإغريق والرومان) . وقد ألبسوا الأساطير القديمة ثياب عصرهم . ومن الأعمال الفنية التي استوحت الأسطورة مسرحية **أندريه جيد** (مأساة أوديب) . وجعلها عمل فني مبتكر وقلب مادة الأسطورة رأساً على عقب وأضفى على البطل قلقه الداخلي ، وأكسبه تعبيرات لم يعرفها من قبل ومزج العنصر المأساوي بالحياة اليومية الأليفة وحوّل المأساة إلى دراما .

وكذلك مسرحية الذباب **لجان بول سارتر** التي تهدف إلى تأكيد حرية الإنسان ، واستمدّ موضوعها من الأساطير اليونانية .

فالأسطورة قد أعطت الدليل على أنها متجددة وجديدة بالحياة في كل عصر لأن الخيال البشري يخلع عليها ثوباً جديداً ويطبعها بطابعه الزماني والمكاني .

ولعلّ أشهر الشعراء الذين وظفوا الأسطورة في شعرهم هو الشاعر **ت. س. أليوت** في قصيدته الأرض والخراب العاطفة الشخصية أو التجربة الذاتية تمتد وتشمل الأشياء غير الشخصية ، وقيمة الشعر لا تتركز في مشاعرنا ولكن فيما نصنع من مشاعرنا من صور ورموز .

والدكتور **عز الدين اسماعيل** يرى أن العلاقة التي تربط بين الشعر وكل من الرمز والأسطورة علاقة قديمة والرموز لا يمكنها أن تصبح شعرية إلا إذا حملها الشاعر تجربة معاصرة ، أو تجربته الخاصة . وقد يبتكر الجديد من الأساطير والرموز .

ونجد – **رمز المطر** – عند الشاعر بدر شاكر السياب . **والبحر** – عند يوسف الخال ، **والجليد** عند الحاوي ، **والغسق** عند أدونيس .

والأساطير التي يلجأ إليها الشعراء هي بمثابة أقنعة موظفة شعرياً كما قال الدكتور **جابر عصفور** ويرى أن القناع يمكن أن يمثل شخصية تاريخية .

صوفياً مثل الحلاج ، **حاكماً** مثل صقر قريش ، **شاعراً** مثل أبي النواس وأبي العلاء . وقد يكون شخصية مخترعة مثل **مهيار الدمشقي** في شعر **أدونيس** .

وقد يكون القناع من عناصر الطبيعة ، فالقناع هو ذاته الأسطورة عندما تدخل ميدان التوظيف الشعري ، فالقناع هو استعارة موسعة من صوتين، صوت الشاعر وصوت الشخصية. قصائد القناع عند الشعراء مثل لعازر **لخليل الحاوي** وأسطورة الفينيق في قصيدة البعث والرماد **لأدونيس** . وقد يستخدم الشاعر الأسطورة دون أن يذكرها بالاسم . وعودة الفنانين إلى الأساطير تعني أنهم استغلوا روح تلك الأساطير وألبسوها ثوب عصرهم أو صنعوا من خلالها أساطيرهم المعاصرة . فالشعر هو أقرب ما يكون إلى روح الأسطورة لأنه يعتمد على – الرمز والصورة المجازية – وكلّما اقترب الشعر من الرمز كلّما اقترب من المنهج الأسطوري فازداد روعة وهو أسلوب شعري وفني رفيع المستوى .

ولهذا السبب نجد أن شعرنا العربي المعاصر يندفع بقوة نحو الأسطورة على عكس ما كانت عليه حالة الشعر العربي القديم ، ففي معظمه يتحرّك في حدود الاستعارة والتشبيه ، فكانت اللغة تمثل وجوداً غير حقيقي لوجود حقيقي .

أما الرمز فليس له هذه الصفة لأنه وجود في حدّ ذاته . والرمز هو معنى خفي وإيحاء أنه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة أو هو القصيدة التي تتكوّن في وعيك بعد قراءة القصيدة.

أما الشاعر القديم يستخدم عناصر الطبيعة بشكل جزئي ومحدود بحلّة بلاغية .

أمـا الشـاعر المعاصـر فيخلـق برؤيـاه عناصـر الطبيعـة متكاملة خالقاً بخياله وجوداً أكثر واقعية من الواقع نفسه مثلما هي حال الأسطورة .

وهناك الكثير من النماذج الأسطورية عند الشعراء العرب في العصور المختلفة .

لقد استغلّ بعض الشعراء الطيور الأسطورية مثل **الهامـة أو الصدى** .

كان العرب يعتقدون أنه إذا لم يؤخذ بثأر القتيل يخرج من رأسه طير اسمه **الهامـة أو الصـدى** وسمي الصدى بمعنى العطش لأن هذا الطائر يظل يصيح – اسقوني ... اسقوني ... حتى يرتوي بدم قاتله .

يقول **طرفة بن العبد** في معلقته :

فذرني أروي هامتي في حياتها

ستعلم إن متنا صدى أينا السوي

وكذلك **جرير** في قصيدة يرثي بها زوجته يوظف أسطورة الصدى ...

فسقى صدى جدثٍ ببرقة ضاحك

هزم أجش ، وديمة مدرارا

والغراب رمز شؤم عند العربي ، ويستعير جرير هذا الرمز أيضاً ويهجو بها الفرزدق :

نعب الغراب فقلت : بين عاجل

وجرى به الصدد ، الغداة الألمع

إن الجميع تفرّقت أهواؤهم

إن النوى بهوى الأحبّة تفجع

وكذلك الحمامة التي تبكي هديلها ، والهديل في أساطير العرب هو فرح فقدته الحمامة في عهد نوح ولا تزال تبكيه وتدعوه .

ويصوّر النابغة الذبياني هذه الأسطورة :

أسائلها وقد سفحت دموعي كان فيضهن غروب شنِّ

بكاء حمامة ، تدعو هديلاً مفجعة على فنن تغني

أما طائر العنقاء الخرافي ينقضّ على الطيور ، أو على الإنسان . وسميت عنقاء مُغرب لأنها تغرب بكل ما تأخذه .

والمتنبي يقول :

أحنّ إلى أهلي ، وأهوى لقاءهم

وأين من المشتاق عنقاء مغرب

وبعض الشعراء تمثلوا الظواهر الفلكية وأساطيرها وابن الرومي يعتبر أن الشعراء والكتّاب ينتسبون إلى عطارد ربّ الكتابة والحكمة والفنون .

ونحن معاشر الشعر نُنمى إلى نسب من الكتاب دان

أبونا عند نسبتنا أبوهم عطارد السماوي المكان

أما في البناء الأسطوري لا وجود لأسطورة معيّنة إنما الألفاظ تتحوّل إلى رموز ، أي لكل لفظة معناها الأصلي والإيحائي كما عند **جبران** – في بعض كتبه خاصة رمل وزبد.

ملأت يدي مرة بالضباب
ثم فتحتها فإذا بالضباب قد صار دودة
ثم أغلقت يدي وفتحتها فإذا هناك عصفور
ثم أغلقتها وفتحتها فإذا في راحتها
رجل حزين ينظر إلى العلاء – إلخ ...

وهكذا نجد أن الأسطورة في الشعر العربي القديم ترد في القصيدة بنية مفككة ومبعثرة على العكس من الأسطورة في الشعر العربي المعاصر . فالأسطورة في الشعر قبل المعاصر نوع من الاستعارة موشعة بقناع شامل لأن القصيدة يغلب عليها التعبير المباشر . أما في الشعر المعاصر هناك نقلة نوعية في الرؤيا ، وغنية بالرصيد الإنساني ولاشك أن حركات الإبداع الشعرية قد أسهمت في توظيف الأسطورة وأسهمت في هذا الكل الحضاري المتطوّر ... والمتجدد .

هل علم الأرقام = أحد العلوم الغامضة ؟

علم الأرقام عالم شاسع الأطراف ، يرى فيه البعض أفاقاً مجهولة صعبة الاكتشاف .

علم الأرقام ، علم منطقي ، يرتكز أساسه على الواحد ، وهو وحدة النظام والكون ، وهو القاعدة الجوهرية التي نظمت عملية الخلق ، وتكوين العالم فدارت الكواكب بانتظام ، وتدفق نور الشمس بحنان ...

منذ بدء الخليقة أوجد الله اتزاناً في العلوم والقوانين تسير الإنسان بأساليب هندسية خلاقة ، فأوجد : علم العدد ، والرقم ، والصفر . وذلك من أجل تناسق حياة الإنسان وانتظامها . وعلم الأرقام ينفي الصدفة وما من شيء يخرج عن نظام الطبيعة في هذا الوجود وكانت لغة الأرقام علماً راقياً ، وللعلماء منزلة ميزة . وهذا العلم هو الأقدم بين العلوم كافة ، ومنه انبثق الازدهار العقلي ، والفلسفة والحضارة والفن . ومن علم الأرقام اكتشف الإنسان حركات النجوم والكواكب ، وتغيّرات الطبيعة .

وأول ما نشأ هذا العلم في القارة المفقودة – أطلنتس – وفيها أول حضارة علمية ، وبعد اندثار هذه القارة انتقل علم الأرقام إلى – الهند – ثم بزغ في حضارة مصر الفرعونية ، وعلماء مصر ساعدهم المعادلات الرقمية لبناء هندسة الأهرام .

ثم انتقل إلى الأغريق ، وبلغ ذروة حضارته في اليونان القديمة بفضل العالم الرياضي – فيثاغورث – .

ثم انتقل إلى بلاد ما بين النهرين وإلى العرب وانتشر الأطباء والعلماء العرب الذين استقوا الأسرار من الأغريق والهنود ، وشهد علم الأرقام انطلاقاً وازدهاراً .

¤ لغة الأرقام

لغة الأرقام لغة خاصة ، أتقنها الأقدمون والطلاب الباطنين يعتمدونها في كتاباتهم ، وساد الاعتقاد أن لكل رقم شكل يجسّد رمز هذا الرقم ، ولكل رقم معنى يتفقون عليه .

الرقم **واحد** احتفظ بشكله الأولي على مرّ الأزمان ، واستمرّ في لغات متعددة حتى في الزمن الحاضر . ويعبّر عن وحدة الطريق المستقيمة التصاعدية التي تبدأ من مكان ما وتنتهي في آخر .

الرقم **اثنان** اعتبر الازدواجية هي قاعدة الدرب الأفقية ، ازدواجية الوعي التي ترتقي صعداً نحو الدرب المستقيمة .

الرقم **ثلاثة** رمز له بالمثلث وهو أساس التنظيم الفكري.

الرقم **سبعة** يرسم على شكل هرمي لأنه رمز الكمال الإنساني .

والرقم **تسعة** يعبّر عنه بدائرة .

أما **الصفر** يرسم بشكل نقطة عند العرب حتى اليوم لأنه بداية الانطلاقة .

الشعوب الغربية ترمز إلى **الصفر** بدائرة . فيما الكرة ترمز إلى الصفر . ووجدوا أن شكل الكرة يستغرق وقتاً أطول لرسمه ، فاستعاضوا عنه بالدائرة . الأغريق رسموا الصفر على شكل كرة .

وعلم الأرقام هو أحد العلوم الغامضة ، لما يتضمّنه من معادلات كونية ، وأسرار رقمية في الوجود والسيطرة على الطبيعة والمخلوقات .

¤ سر الصفر – وسر الأرقام المقدسة .

بعد انتهاء الرقم تسعة تستعين الأرقام بالصفر لتبدأ دورة جديدة ، وحين يصل العد على الرقم تسعة عشر يتدخل واحد ثان مع الصفر لدورة أخرى ، فالصفر رمز الاستمرارية والخلود .. رمز الغموض والمجهول ، وهو طاقة صامتة .

الصفر هو المرحلة التي تأتي بعد الرقم تسعة لا لتبتلعه في الفراغ بل لتنشله إلى مرحلة جديدة أكثر إشراقاً ، وأكثر نظاماً فالأرقام جميعها تعتمد على سر الرقم **صفر** .

الشعوب الشرقية القديمة كانوا ينسبون إلى قسم من الأرقام والأعداد قداسة وسحراً ، خاصة في الصين والهند ، والفراعنة يشهد اهتمامهم في تقديس أرقام معيّنة .

هذه الشعوب تعتقد أن بعض الأرقام مقدس لأنه مبارك من الإله ، فيما البعض الآخر غير مقدس ، لأنه وضع في (تصرّف قوى الشر) لدرجة أن بعض القبائل أدت بعض الأرقام إلى حدّ التشاؤم منهم يلازمون منازلهم ويمتنعون عن العمل إن كان ذلك العمل له علاقة برقم مشؤوم . والبعض إذا توفي شخص في يوم ما مخصص لقوى الشر ينبذون الجثة معتقدين أن قوى الشر هي التي تسيطر على روح الميت ، هذه الشعوب تعتقد أن الأيام التي تحمل أرقاماً مفردة هي أيام مقدسة ، أما التي تحمل أرقاماً مزدوجة تخضع لسيطرة قوى الشر .

والسبب أن الرقم واحد يرمز على الإله ، أما الأرقام الازدواجية رمز المادة ، وانعكاس الحقيقة أي الوهم .

ولا صلة لهذا الاعتقاد بالخرافات والأساطير التي أدّت إلى التشاؤم والتفاؤل من الأرقام المزدوجة والمفردة .

فالرقم **واحد** يمثل الإله والروح ...

فيفضلون الابتداء بأي عمل في اليوم الذي يحمل الرقم واحد .

والرقم 12 يعتبرونه رقماً روحياً خاصاً بكهنة المعابد .

والرقم 13 حمل أكثر من رمز ويعني نهاية دورة وبداية أخرى ويرمز على الفصل والنهاية .

الرقم 13 يحمل معنيين متناقضين ، معنى يوحي برمز الخلاص والحرية والحكمة والانعتاق ، ومعنى آخر أنه نذير المصير المجهول والخوف من الغامض ، ورمز الضياع والفراغ .

وهكذا شغل رقم 13 بال الكثيرين ، فهو رقم تفاؤل للبعض ورقم تشاؤم لبعض آخر .

¤ هل للأرقام معنى ؟

في البدء كان الفراغ ، ثم جاء الخالق ولفظ الكلمة ، فامتلأ الفراغ وتحوّل كل عدم إلى كون ووجود ، إلى مخلوقات وإنسان عملية الخلق منظمة ومنتظمة ، وبين الإله والإنسان امتدّ درب الوعي فالفراغ كان رحم الوجود ، أي صفر الوجود وألقى الإله بذرة الحياة في الفراغ ، فالإله هو الوحدة المطلقة ، ثم تلاها الصفر ، ثم بذرة الحياة .

فلولا **الصفر** لما كان **الواحد** .

الصفر = بعد ، أزلي هو الاستمرارية ، هو الرحم .

منه يبتدئ كل شيء وفيه ينتهي كل شيء .

هو أساس الخلق ، وشرارة الانطلاقة ، وهو السر الذي ترتكز عليه الأرقام وإليه تعود ...

الصفر = تأهب وانطلاق وهذا النظام يطبّق على كافة الأعمال – زرع الفكرة في رحم العقل – ثم يخطط ويصمم ، ثم ينفذ . أما **الواحد** موجود دائماً في كل زمان ومكان وجود مطلق

وجود الصفر لينطلق الواحد على الأبعد ، فتنبثق بقية الأرقام ، وهكذا يتواجد الواحد في كل الأرقام تبدأ العد من الرقم **واحد** حين تصل إلى **التسعة** أو **التسعة عشر** أي نهاية الدورة الرقمية، فإنك تحتاج إلى **الصفر** لتكمل به الدورة العددية وتباشر دورة جديدة .

القوة ، الإرادة ، البداية تكمن في الرقم **واحد**

السر ، الانطلاقة ، الخلق يكمن في الرقم **صفر**

فالسر كامن بين الواحد والصفر . ومن علاقة هذين الرقمين ينبثق الخلق – الوجود – الحياة .

¤ معاني الأرقام

معنى الرقم 1 :

هو الوحدة الأولية للنظام الشمسي . والرقم **واحد** يرمز إلى الروح ، فالروح هي تجسيد الإله في الطبيعة وفي الإنسان بوجه خاص .. والروح واحد .

معنى الرقم 2 :

يمثل الرقم **اثنان** الازدواجية ، أي هو نتيجة لعملية الخلق. فالرقم 2 رمز الخلق ، النور والظلام ، الحياة والموت ، آدم وحواء ...إلخ .

معنى الرقم 3 :

يمثل الوجود وبداية الخلق . بل الكمال في الوجود . والاتزان في الحياة هو المرحلة النهائية التي مرت بها عملية الخلق ، فهو الارتكاز والصيرورة . مثلاً : الكاتب يفكر بالموضوع ، يؤلفه في مخيلته ثم يظهر للوجود ، فهو انطلاقة عالم الوعي والتطوير .

معنى الرقم 4 :

الرقم **أربعة** يمثل الارتكاز ، ويرمز إلى المرحلة الرابعة التي تمت بها عملية الخلق ، وتواجد الإنسان على الأرض . والرقم **أربعة** يرمز إلى بداية الارتقاء ، أي القاعدة المربعة للهرم والذي هو رمز الرقم **سبعة** أي متى اجتمع الرقم أربعة إلى ثلاثة انبثق الرقم سبعة والرقم أربعة يرمز إلى الجهات الأربعة ، وعناصر الطبيعة الأربعة ، والفصول الأربعة . والرقم 4 رمز الوعي والتكامل .

معنى الرقم 5 :

الرقم **خمسة** يرمز إلى المشاعر والآلام لأنه انعكاس نفس الله على مرآة الوعي ، أي ترمز إلى المشاعر الإنسانية .

ويمثل آلام رؤية الجهل ، رؤية التناقص ، فهو درب الآلام الأرضية وهو رمز معاناة الإنسان ككل .

معنى الرقم 6 :

هو رمز الانتهاء وليس النهاية . يمثل الحكمة والتضحية التي تكتسب من تجربة الحياة .

معنى الرقم 7 :

الرقم **سبعة** هو تجسيد الإنسان وتكوينه في الكيان البشري وهو انطلاق من سبع طبقات الوعي . أي أن الروح تنطلق في سبعة إشعاعات لتكوّن طبقات الوعي السبع .

فالرقم **سبعة** يمثل التكامل والاكتمال . وهو رمز الانعتاق .

- الكواكب سبعة .
- السماوات سبع .
- النور سبع إشعاعات .
- السلم الموسيقي سبع أنغام .
- الألوان سبعة وهي ألوان طيف النور .
- أجسام الإنسان الباطنية سبعة والتي تمثل وجود الإنسان .
- الغدد الصماء سبعة .
- الغدد الروحية سبعة .
- الثقوب الموجودة في رأس الإنسان سبعة .

فالإنسان يطلّ على العالم الخارجي عبر سبعة منافذ .

فالرقم **ثلاثة** رقم التحوّل والتجسّد والحياة ، ما بين الرقم ثلاثة والسبعة أرقام ناقصة .

الألوان الرئيسية ثلاثة : الأحمر والأصفر والأزرق .

ومن خلال هذه الألوان منفردة أو مجتمعة سبع نتائج :

- البرتقالي = أحمر + أصفر
- الأخضر = أصفر + أزرق
- البنفسجي = أحمر + أزرق
- النيلي = أحمر + أصفر

وتعرف هذه العملية بعملية تكامل الأجزاء ، أي بين الرقم ثلاثة والرقم سبعة ، ثلاثة أرقام تكرر نفسها حتى تصل إلى الرقم سبعة رقم التكامل والاكتمال . ومتى اجتمع الرقم أربعة إلى ثلاثة انبثق الرقم سبعة . ويخضع نظام الكون للرقم (7) وعملية الخلق تمت في المرحلة السابعة .

معنى الرقم 8 :

يمثل هذا الرقم الآفاق البعيدة أو المجهولة واللامألوف . وهذا الرقم يرمز إلى الفراغ المتواجد على قمة الهرم . وشاع عند بعض الشعوب الشرقية القديمة أن الرقم **ثمانية** يمثل الشر أو الزيف والخداع لأنهم يعتقدون أن الدورة الحياتية تنتهي في الرقم سبعة ، رمز الكمال ، وما زاد فهو زيف سببه قوى الشر، وكان يرمز له بمخلوقات غريبة ذات ثمانية أطراف أو بشكل مخيف كالتنين .

وإن الرقم 9 جاء ليخلّص البشرية من شر الرقم 8

معنى الرقم 9 :

يمثل الرقم **تسعة** الكمال ، ويرمز إلى نهاية درب الإنسان ، هدف الخلق والخليقة . ويرمز إلى اتحاد صميم قلب الإنسان بالإله ينبوع الوجود ومصدر الحياة .

* * * * * * * * * * * *

للفن

أسطورة آلهات الفن

في الأساطير اليونانية يقال أن للفنون الجميلة تسع ربات هي ثمرات ليال من ليالي الحب بين أبيهنّ – تزوس – وأمهنّ – فيموزيتا – أو الذاكرة .

هذه الربات تؤلّف موكب شرف في حضرة – أبولون – وأمرهنّ لا يقتصر على الغناء للآلهات ، إنما تقضي

الربات نهارهنّ عندما ينام الشعراء بالاستحمام في مياه – الوعد الصافية في ينبوع - عبقر – وهذا الينبوع انحبس عندما ضرب الحصان العجيب – البرّاق - بحافره سطح الجبل ضرباً إيقاعياً .

أمّا في الليل فإن آلهات الفن تهبط ملتفّة برداء السحب وتأتي لتجلس على نحو لا مرئي على مقربة المصباح الذي ينير الظلام للفنانين . وتحمل إلى من تلهمه الأفكار الجميلة ، والألفاظ المتناغمة ، هذه الجوقة الإلهية تعزف لتوحي بكل جوانب الإبداع ، فيتجلّى الشعر في أفكار بليغة ، وبصورة شعرية نبيلة. ولما قرّر البشر فيما بعد أن يكون لكل فنّ مجاله الخاص ، اختصّت الآلهات كلّ منهنّ بنوع من الإبداع .

(كاليوب) الشعر الملحمي
(كليو) التاريخ
(بوليمني) بالإيماء
(تربيكور) بالرقص
(أوترب) بالموسيقى
(إيراتو) بشعر الحب
(مليبومين) المأساة
(تالي) الملهاة
(أورانيا) الفلك

ويعتبر الفكر – الأفلاطوني – انبلاج نور العقل عن ضباب الأساطير . ويعالج أفلاطون مشكلة الإلهام بالحب – طبيعته وأثره . وتتجلّى حقيقة الحب في أنه رغبة بما لا يملكه المرء ، فالحب بحدّ ذاته خشن فقير يعوزه الجمال ، وهو كائن وسط بين الإلهي والإنساني ، بين الجمال والقبح، بين الجهل والعلم . وتتجلّى وظيفته في إنجاب الجمال بحسب – الروح والجسد والتغلّب على الموت وبلوغ الخلود.

ومن هنا نشأ سرّ الحب لأنه ينطلق من حبّ جسد جميل ويرقى إلى الجمال الحسّي، ثم إلى جمال الروح حتى يبلغ الجمال المحض .وهو الجمال الذي يملأ حضوره النفوس بنشوة غامرة . وهو هذيان صادر عن أفروديت ، وهذا الهذيان ينشأ عن الحب ويتبع بنية النفس وظروفها لأن النفس خالدة . وكل حركة تتّصل بها هي حركة لا نهاية لها . مثل الكواكب التي هي أكثر النفوس اتصّافاً بالصفة الإلهية، لأنها تجري في حركتها بنظام أبدي. وكانت الأرواح تجري في السماء بصحبة الآلهة ولكنّها في بعض الأحيان تفقد أجنحتها فتسقط في الفراغ وتنحدر إلى أجساد الأحياء الفانين . وعندما تلمح بعض الأرواح الحقيقية تتجسّد في جسم الإنسان . هو الإنسان المبدع المحبّ للمعرفة ، والشغوف بحبّ الجمال .

فالحبّ ينشأ عن ذكرى الجمال الذي كانت النفس قد لمحته عندما كانت روحاً في صحبة الآلهة في السماء . والهذيان الرائع للحب ، يعمل على أن تنبت أجنحة الروح فترقى نحو الجمال المطلق ، والذي لا ندرك في الأرض سوى شبحه ومحاكاته . فالحبّ الحقيقي ينتزعنا من الجسد ويسمو بنا إلى الجمال فيرقى المحبّ بالمحبوب حين يقوم تيار بين الروحين ، ويظهر في قلب المحبوب حبّ هو صدى العاشق .

الفنان وآلهته

الآلهات هي الربّات التي تخيّلها الإغريق لأشكال الفن الكبرى ، ولأنماط في المعرفة هذا الاسم يدلّ على الإلهام. أو كما قال أفلاطون : " يدلّ على الهذيان وعلى الحسّ الناجم عنه " . لذا يطلق اسم آلهة على الإلهام الذي يدين به لها الشعراء والفنانون ، مبدعو الآثار الفكرية العظمى . ونقول عن كل شاعر موهوب بأن آلهته تزوره . ولكل فنان آلهة فنّه . والآلهة جميلة في عيون الفنان . وتظل في نظره وحدها حقيقية . ويظل يجهد في استرجاع آثارها وذكراها .

ويحسّ دائماً بحاجته إلى استطالة الساعة الأولى أو التذكّر بها ، ويتفانى كي يجددها دائماً في الساعات المبعثرة دونها . فهي وعد للمغامرة . وهي ينبوع قيمته ، ومصدره ، ووحيه . فينصب لها في فؤاده تمثالاً يعبده ، ويخلقه بشتّى الصور حتى إذا غابت الملهمة تغذى بذكرها .

والحب يهبط فجأة دون مشيئة واعية . تلك هي قاعدة الهوى والتي تؤلف تراثاً إبداعياً ، وأمر واقعي في كل الأعمار والعصور . وهذه الحالة ليست حبّ دماغ بل حب كائن إنساني بأسره .

والفنان يتجسّد مثله الأعلى في شخص مرئي ، ويحلم بالكائن المحال المشخص بنقاوة الذات ، وحين يعجز عن إيجاده يخلقه على هواه . فتجربة الفنان هي مزيج من عشق وترصّد وجمال. وهو دور الكشف الروحي في الحسّي . والملهمة تشعر أول ما تشعر بالمباغتة والاعتزاز الناجمين عن الاضطراب الذي يحدثه حضورها في نفسه الشاعرة . ثم يزداد شعورها حين تدرك أنها محل عبادة ، وأنها ضرب من آلهة فنه .

وثمّة فارقاً بين قولنا : إننا لا نحبّ شخصاً ، وبين قولنا لا يمكننا الامتناع عن حبّه .

وتمجيد المحبوب يعظم ويتّسع كلّما عظم بقاء الحب ذاته مثالياً . إذ أنّ كلّ إرضاء جسدي في الحب المشترك يعقبه تضاؤل في درجة التمجيد الممنوحة له. وتمجيد الفنان لملهمته وسيلة يقرّها بوعي على أنها غاية أسمى من غاية الشهوة .

ويبقى الفنان هو الواقع الحقيقي للمغامرة . مغامرة مولد أثر فني عظيم والذي يدعوه إلهامه .

والمرأة والآلهة لا تفترقان في نبوغ الشاعر المبدع لأنه يجعلها كائن الحلم لبلوغه الجمال الكامل الذي يستهدف خلقه . والفنان يزدهر ويزهو مع ملهمته دائماً .

المبدع - مدهش بإبداعه

المبدع يدهش بإبداعه ، بالأفكار والأعمال التي تستقي أصالتها من التجديد والابتكار، وذلك بمحاربة الجمود والتكرار . لأن تكرار المألوف وتقليده يقلّص الشعور ، ويمحو الدهشة والاستغراب . فالإنسان حليف ما يألف .

فالفنان الحقيقي يخلق حالة الدهشة ، في اللوحة أو القصيدة أو اللحن ، ولا يجعلنا نرى اللوحة، أو نقرأ القصيدة

أو نسمع اللحن ، إنما يولّد لدينا إحساسنا بالجمال ، وشعورنا بالتواصل الدائم مع إبداعه .

والمبدع الحقيقي يستكشف من عالم ذاته أو ما يسمّى (بلغز الإلهام) ، والوحي ، والإشراق ، واستشفاف الجمال في كل ما خلق من أنواع الفنون . وهذا الإحساس يعيد إلى الرواسم بهاءها بالتغيير والتطوّر . فيبدع الأصالة في فنّه ويجعلنا نعيشه ونحياه . ويشعر الفنان بالغربة عن المألوف في مجتمعه لأنه مجدد دائم يكسر بعض القيم ليقيم قيماً جديدة لم يألفها البشر ، فيغدو منفياً عن زمانه وعصره فيبحث عن مصدر إلهامه ، وينشد التواصل والاتحاد به مهما كانت الصعوبات التي تعترضه، لأنه في هذا التواصل الروحي يحقق الوجد مع سرّ إلهامه .

لذا كل مبدع يصطفي امرأة ويحبّها ، ويجعلها سرّ إلهامه. فالموسيقي والشاعر والمفكّر والرسام ، يخلّد ملهمته من سحرها الخاص وأثرها في إبداعه .

ومنذ أقدم العصور شغلت مشكلة عبقر الذهن العربي وما زالت تراوح في فهم العبقرية وصلتها بالإلهام .

والعرب يقولون : جنّ عبقر . شيطان عبقر .

ويقول الأصفهاني :

العرب نسبوا كل شيء في الجودة إلى عبقر
حتى أصبح يقال : لم أرَ عبقرياً مثله .

واختلفوا في فهم المعنى ، وتعيين نسبته . منهم قال: إن عبقر في أرض اليمن ، أو في اليمامة. ومنهم قال : إن عبقر اسم جبل في الجزيرة يصنع به الوشي .

أما الياقوت – معجم البلدان يقول :

لعل عبقر كان بلداً قديماً وتخرّب . ولما لم يعرفوه نسبوه إلى الجن .. ونسب كل شيء جيد إلى – عبقر .

أما المعاجم اللغوية تقول :

إن – عبقر – قرية يسكنها الجن فينسبون إليها كل عمل عظيم .

أما الأب الكرملي يقول :

إن – عبقر – يونانية الأصل وهي بمعنى – الحامية القوية القديرة . ولقد لقّبت – هيرا – عند اليونانيين بالتفوّق والقوّة .

والشعراء كانت تزعم أن الشياطين تلقي على أفواهها الشعر ، وتلقّنها إياه وتعينها عليه ، وتدّعي أن لكل شاعر شيطانه يقول الشعر على لسانه . ومن كان شيطانه أمرد كان شعره أجود.

والفرزدق يقول :

شيطان جرير هو شيطاني
إلا أنه
من فمي أخبث

والعرب في جاهليتهم عرفوا صلة الشاعر بمصدر وحيه وهذا المصدر منهل العبقرية.

أما في العصور الحالية كان الكشف عن جوهر الإلهام من الناحية النفسية من ذات الفنان المتواصلة مع ذات أخرى هي ربّة شعره .

وحال الشاعر في معاناته أشبه بالأشياء بحال التي تلد . فمعاني الشاعر وصياغته اللفظية تتمخّض عنها انفعالاته النفسية – أبياتاً من الشعر – وهي ميلاد لبنات أفكاره .

قال ميخائيل نعيمة :

هذا هو السبب لتعصّب الشاعر لشعره ، وحبّه إياه ، كما الأم تحبّ أولادها .

المهم عندي أن أخلق ، لا أن أتجسس على كلّ حسّ من أحاسيسي ، وخلجة من خلجاتي .

والثقافة العربية تلتقي بالثقافات الأخرى في نقطة عميقة تجعل الشاعر أو الفنان يستمدّ إبداعه من ذاته الإنسانية ، وتجربته الخاصة .

أما عند أفلاطون – مشكلة الإلهام وقف على الأنوثة الخالدة ومفتاحها هو – الحب والتعمّق في طبيعة الحب ، وجوهره وأثره .

الفن كالحب - حالة لا تفسّر

الفن كالحبّ يسمو فوق الواقع ، ويصنع واقعه الخاص . والفنان يلقي غايته في كمال آثاره ، لأن الفنان يجد في الجمال الفني خلاصه . وهو جمال متنوّع وغزير . فالرسام في رسومه يصبح ذاته كلّها. والشاعر في قصائده . والموسيقار في لحنه .

يقول روجيه :

لا المطر ، ولا الربيع ، ولا العواصف ، يمنعون قلبي من التفكير بالشعر . والحب يقودني ويسكن قلبي ، ولا شيء غيره يحييني .

أما بودلير :

عالم الحب هو الخصب المستمر لولادة فن كبير ، والإنسان يرغب ، ويحب ، ويبدع إن كان فناناً من كيانه الجمال. فالمبدع ينفق قدراً من الفن في الحب يعادل قدر الحب في الفن . ومعايشة الفن والحب معايشة واحدة تنشأ عنها تحوّلات عميقة في الطبيعة الخاصة بعناصرها .

وكلّ ما تنطوي عليه قصص الفنانين من إخلاص ، إنما هو إخلاص للفن ، لأنه لا يبتغي الحبّ فقط ، بل يبتغي الأثر الفني . وفي هذه اللقاءات قد يصاب الحب بجراح عميقة ، لأن الحب الذي كان يعتبر غاية ينحدر إلى الوسيلة.

يقول مورياك :

إن الفنان يتّخذ من عمله وثناً ، فيلهمَه الوثن . فالفنان محبوس في دائرة – الفن والحب .

قالت ديدمونة : (في مسرحية عطيل)

يوم لا أحبّك سيكون العالم قد عاد للفوضى من جديد.

وتمجيد الفنان لملهمته هو وسيلة يقرّها بوعي، على أنها غاية سامية . ومغامرته معها تولّد أثراً فنياً عظيماً ، ويجعلها كائن الحلم الذي يستهدف خلقه وتخليده .

وهناك تعايش مدهش بين الفن والحب ، وعشق الروح الجميلة . ويظل وفيّاً لأنه يرتقي إلى الحبّ السماوي . فالحب هو الذي ينجب الجمال ، ويصحب الفن ، وكأنّه إيقاعه الموسيقي الطبيعي . والمرأة المحبوبة هي بذرة الأثر التي تنبع من أعماقه.

فالعندليب لا يغرّد إلاّ عندما يحب . والطبيعة لا تغرّد إلاّ مع الربيع ، وتمجّد الحب والفرح الناجم عنه . فالإبداع الشعري، والإلهام الموسيقي ، والرسم تلتقي بأن الفن يتبع بنية النفس المحبّة ، لأن النفس خالدة .

ميكيل أنجلو :

طغى بآثاره مما لا تستطيع الصلاة أن تقوله وحدها ألم يكن يتعبّد بيديه ؟ ويصلي بإبداعه ؟

عالم الفنان - ملكوت الإنسان

يقول باسكال :

إن عالم الفنان عالم تأمّلي ، وكلّ شيء فيه يخفي سراً ، وكلّ إشارة لها رموز معيّنة، إنه عالم قدسي . الفنان الحقيقي يتنبأ بالقوى الخفية ، والأشياء اللامرئية . والعالم الذي نحيا فيه يختلف عن عالم الفنان ، فالأشياء التي تبدو أغراض نفعية ، الفنان يبحث من خلالها عن إبداع كائنات أكثر حقيقية وأجمل. وعالم الفنان فيه عين سحرية وحدها التي تكشف الجمال .

يقول أندريه جيد :

لم أعد أعرف من أنا ؟.. أو إذا شئت لست أنا أبداً ، بل أنا أصير لأن أناي هي صيرورة . ومن لا يضحّي بكل شيء في سبيل الفن لن يدخل ملكوت السماوات . فالفنان والقديس إنسان واحد .

التضحية . العطاء . المحبّة . الزهد . قبول الأذى والحرمان . وقد يغيب الفكر أو يتعب ، فيمر الفنان بفترات انقطاع وجفاف ، وفترات خصب وعطاء . لذلك الحبّ ينخرط في إنتاج الأثر الفني على اعتباره طاقة أولية في أكثر الأحيان ، ويدخل في صميم حكايا المبدعين . ولكن السؤال : لماذا يبدع الفنان ؟..

هناك مؤلف يكتب رغبة في الشهرة ، أو ليكسب رزقه ، أو ليحارب بعض الأخطاء أو ليناضل في سبيل قضية . ولكنّ المبدع الحقيقي يكتب لأنه يجد لذّة ومتعة في الكتابة ، ويحمل في ذاته بذرة حيّة تنمو وتكبر وتتكامل .

يقول برنار :

ليس للشعر أي قيمة إلا إذا انبعث من سويداء الفؤاد. والفنان قد يعشق في كلّ الفصول لأنه يحمل في قلبه تجديداً مستمرّاً أو سرمدياً ، والمرأة صيفه الأبدي ، وربيعه السرمدي . والفنان لا يرغب أن يعترف الناس فقط بالجمال الذي يخلقه ، بل يحتاج أن يكون هذا الجمال حقيقياً . أليس الشعر النقي والوجداني صلاة ؟.. هذه الصلاة التي تنبع من روح فيّاضة بالحب .

ويبقى الفن النهاية القصوى الذي يقود إلى القداسة ويبقى الحب مع ذات الفنان في قلب يحترق به. وللفن موهبة دموع القداسة ، لأن الشعر صلاة الروح والحبيبة للشاعر هي الكشف . وهي المرأة الأزلية التي تجسّدت فيها آلهة الفن، ويبقى الفنان يحبّ الوعد لا الكشف . والأثر الفني هو إنجاز الوعد.

1) قصص المبدعين - الغرب

1- لور وبترارك

لقد بدت لور لأول مرّة لبترارك وهي تصلّي في كنيسة أفينيون . وهذا اللقاء خلّف في قلبه شوكة تألّم منها زمناً طويلاً . ولور استحوذت على قلبه . ورضيت لور أن تكون الحبيبة ، وحبّها العظيم له هو الذي لا يمكّنها أن تمنحه شيئاً ، لأنها كانت متزوّجة وأماً . ولكن بترارك أحبّها وبقيت ملهمته عشرين عاماً. وحاول إغراءها واتخاذها خليلة ولكنّه أخفق . وأيقظت عبقريته الغافية ، وأنقذت روحه ، وبقي بترارك يزداد حباً لجمال روحها كلّما شاخ جسدها . ويموت الحبّ الإنساني بموتها ، ولكن هل مات حقاً ؟ لقد كانت تعود إلى فكره ، وساكنة فيه تلك التي عجز النسيان عن نسيانها . وقطع على نفسه الوفاء لها .

وبقيت لور مستمرّة ولن تموت قبل أن يفارق بترارك الحياة . فمنذ اللقاء ظلّت هي الوحيدة التي أحبّها مهما شاخت.

فكانت لور مغامرة القلب والفن . وبقيت عشرين عاماً تغذّيه روحياً . وخلّدها في ديوان شعر مازالت _ إيطاليا – ترددده .

2- فاغنر وماتيلد

فاغنر ، الموسيقي الشهير ، تزوّج لأنه رغب في حياة منظّمة . وبذلت زوجته في سبيل فنّه إخلاصاً رائعاً . ولكن أثر أزمة نشبت ، أدّت إلى افتراقهما .

التقى بتاجر ثري صديق للفنانين ، وتعرّف على زوجته – ماتيلد – وعمرها عشرون سنة ، ووافق زوجها أن تأخذ من فاغنر دروس موسيقية حتى تتوصّل إلى كتابة أوبرا .. وعاش معها سنوات يعزف لها مساءً ما يؤلّفه في الصباح . وعاش حالة النشوة وهو يتابع إنتاجه الفني بوحي منها . وأخبرت زوجها بحبّها لفاغنر . ولكنّ ماتيلد أتلفت رسائل مهمّة من فاغنر واتخذت قرار الفراق عنه .

وكتب فاغنر " إن ماتيلد امرأة وفيّة ذات إخلاص رائع . وحدها تستطيع أن تمنحني وطناً . وأنا وأنتِ متّحدان في البعد والقرب ، ونحن واحد . واحتفاظي بكِ هو احتفاظي بالفن. ومرض فاغنر مرضاً شديداً وذهب إلى البندقية حتى يشفى . وأصبح يعيش مع فنّه . وتحوّل حبهما إلى أثر فني خالد في لحن – تريستان وإيزولت .

3- جوفره رودل

كان أميراً ، وغنى في أشعاره الأميرات ، وامتزجت حياته بالأساطير . وآخر حكاياته أنه شغف حبّاً بأميرة – طرابلس الشام – التي لم يرَها قط ، بل عشقها لحسن ما سمع عنها من حجاج إنطاكية ، وغنّاها في قصائد كثيرة . ثم

التحق بالصليبيين طلباً لرؤيتها وركب البحر ولكنّه مرض في السفينة ، ونقل إلى فندق في طرابلس وهو مدنف.

علمت الأميرة بحكايته وجاءت لتراه وهو في سريره، وضمّته بين ذراعيها . فلمّا عرف أنها الأميرة عاد إليه سمعه وبصره . وحمد الله لأنه مدّ في حياته ليراها . وفاضت روحه بين ذراعيها ، فأمرت بدفنه في احتفال مهيب . ودخلت هي في اليوم ذاته إلى الدير حزناً على وفاته .

4- فان كوخ

أحبّ الرسام ابنة عمه ولكنها لم تبادله مشاعره . كان يتردد على أقربائه ليراها . وفي إحدى المرّات رآها ، فمدّ يده إلى شمعة قريبة وقال : دعوني أراها طيلة المدة التي أستطيع خلالها أن أحتمل هذا الألم من النار . وكادت الشمعة أن تذوب وهو ينظر إليها حتى اختطف أحدهم الشمعة منه . وكان فشله في هذا الحب قاسياً . وحاول الانتحار ثم عاد ليرسم ويخفف من توتراته العصبية . وظهر في لوحاته ألوان غريبة من الفوضى . وتدهورت صحته كثيراً . وكان يراسل أخيه وكتب له .. لن ينتهي الشقاء في هذا العالم ، وبالنسبة لأعمالي الفنية فقد ضحّيت بحياتي من أجلها وفقدت نصف عقلي .

5- روبرت برونتغ وإليزابيت

أحبّ الشاعر الإنكليزي – روبرت – إليزابيت – رغم أنها تكبره بست سنوات والمرض قد أنهكها . وكان عمر الشاعرة العليلة أربعين سنة ورفضت الزواج منه وكتبت له: لقد التقينا في وقت متأخر ، انظر إلى وجهي .. ودعته إلى الاقتران بامرأة أصغر منها . ولكنّه أثبت لها أنه

أحبّها هي . وتزوّج شاعر إنكلترا من أشهر شاعرة فيها ، وعاشا بسعادة رغم أنها كانت غائبة عن آثاره الشعرية وكان شعره أجمل شعر بعد – شكسبير .

6- أوغست كونت - وكلوتيد

الفيلسوف كونت ، الذي وضع كتاب – الفلسفة الوصفية – كان يزور أحد تلاميذه حين صادف السيدة كلوتيد ، وكانت أخت هذا التلميذ ، وزوجها هارباً بعد اختلاسه مبلغاً ضخماً ولا أحد يعرف مصيره . وبقيت وحيدة بلا مورد ولا يحقّ لها الزواج ثانية . وكانت مولعة بالمطالعة وشاعرة . وروت حكايتها في رواية عنوانها – لوسي – وهي احتجاج ضد الظلم الاجتماعي والعزلة التي فرضها المجتمع والعزوبية على المرأة. وكانت هناك مراسلات بينهما مؤلفة من مائة وثلاث وتسعين رسالة . ويذهب إلى رؤيتها في منزل ذويها. وأحبّته حبّاً صادقاً روحياً ، وأهداها كتابه وعرض عليها الزواج ورفضت . ومرضت مرضاً شديداً ، وقررت أن تمنحه كلّ حبها وهما وحيدان في الغرفة ولكنّها ماتت بين ذراعيه . واحتفظت الإنسانية بهما متّحدين اتحاداً أبدياً سرمدياً روحياً . وكتب كونت كلماته الأخيرة : - وداعاً ابنتي العزيزة .. وداعاً صديقتي الجميلة .. وداعاً أيتها العذراء المقدسة . لقد جسدت الإنسانية .

7- غوته - ليلي

إنه عبقري الهيام . وقد استخدم الحبّ لأغراض الفن العليا .أحبّ ليلي شونمان – وهي المرأة الأولى والأخيرة التي أحبّها حباً حقيقياً ، وكتب: كنت أحبّها بقدر ما أحبّتني . وعلى الرغم من ذلك لم أستطع الاقتران بها . وخلّدها في رائعته (الأم فرتر) .

وكلّ مبدع أو فنان يتبع قوة شبه خارقة وبدونها يعجز عن أن يأتي بأي شيء عظيم . وتدفّق شعره من عاطفة الحبّ التي كان يشعر بها في شبابه.

رغم أنه أحبّ غيرها ، تظلّ ليلي تعبق بأريج الشباب . أما مرثية (مارينباد) كانت تضمّ البقايا الخالدة لهوى عنيف شعر به – غوته العجوز – تجاه فتاة وهي في السابعة عشرة من عمرها ، وهو في الرابعة والسبعين . ولكنها رفضته ، فهرب مبتعداً عنها ، ومرض مرضاً شديداً. وهذه الأنوثة الخالدة جذبته نحو الذرى .

8- لامرتين - جوليا

تهلل زورق (لامرتين) الهادئ في بحيرة (بورجيا) وهو يتأمل جمال الطبيعة وزوارق المتنزهين ، حين عكّرت زوبعة صفو البحيرة وزورقاً صغيراً تداعى وانقلب . صارع (لامرتين) الموج وأنقذ المرأة وتعرّف إلى (جوليا بوشو) زوجة العالم شارل، عضو مجمع العلوم . وكانت تمضي الصيف على ضفاف البحيرة لتخفف من نهش السل لكبدها . أصبح لامرتين متيّماً – بجوليا – وشاقه محيّاها الشاحب. وكانت تخاف عليه من مرضها مع أنها تكبره بسنوات . وعاد إلى باريس ، وحاول أن يشفيها من مرضها بالحب لكنّ روحها فاضت وطيفه يرنو إليها من ثنايا النزاع الأخير . وفجّرت ينابيع إلهامه في ديوان (تأمّلات) .

وسمّاها في تراتيل حبّه (إلفيرا) وخلّدها في قصيدته الشهيرة – البحيرة - .

9- ماركس - بيرتا

فيلسوف المادة – كارل ماركس – عاف الدرس في جامعة (بون) وتراءى شاعراً حالماً محبّاً، وتعتلج أعماقه بصورة الحبيبة (بيرتا) ، وتجلّى الحبّ بكل معانيه على محيّاها الوديع وهي ابنة البارون الألماني . ولن تلين – بيرتا – لإرادة والدها بحرمانها من الحب . فتزوّجها وهاجر معها إلى باريس ، وتبلورت في فكرة كتابة (الرأسمال) الذي هزّ العالم وأقام الثورة الحمراء . وحين تنقّل في أوروبا شريداً كانت ترافقه ، وتتجرّع معه غصص البؤس قانعة . وحين وافتها المنية ، بكاها بدموع نزفها قلبه الجريح حتى تعطّل فكره وخلد عقله الجبّار إلى الكسل. وبقيت ذكراها في عالمه الحالم بالعطر والسنى ...

10 - دانتي - بياتريس

يقول أفلاطون : (لو صاغ الله الحقيقة امرأة لعبدها كل الناس) . بياتريس كانت حقيقة كاملة ودفقة إلهام الشاعر (دانتي) حين التقاها أول مرّة صاعقة حبّ هزّت بدنه وهو الشاعر والموسيقي والروائي . وكانت في التاسعة من عمرها تتوثّب مرحاً وحياءً . ولامس الحبّ مشاعر الصبي الشاعر وظلّ مخلصاً لهذا العشق حتى موته على أنه لم يرها إلا مرّات قليلة. ووالدها ، أحد أشراف فلورنسا زوّجها لأحد الأشراف ، وخيّل إليه أنّ في الزواج قد يجد كأس النسيان .

ولكنه بقي محترقاً بحبّه . وماتت (بياتريس) في روعة صباها في الرابعة والعشرين من عمرها . وأصبح فنّه وقفاً على بكاء الحبيبة الراحلة . وأتحف إيطاليا في شعره الباكي الحزين ، ونثره من وردة أحلامه التي ذبلت في ربيعها المبكر ...

11- تولستوي - سونيا

ينتفض تولستوي يعانق طيف سونيا ، وصوتها الحزين يغرّد كبلبل فقئت عيناه فصدح صوته، وأنغامه تسيل في وديان الروح وتنطق بالدفء والحنان ، وهي تعشق الأدب والفكر، وتقدّس الحب . وتطايرت الإشاعات تزعم أنه سيخطب أختها، فغارت الورود في خدّيها . ولكنه أثبت حبّه لها بالزواج . ولكنّ الغيرة المسمومة تسللت إلى قلبه وأصبح يغار عليها من كل شيء . وسمّمت الغيرة حياتها ، وتفاقم الأمر حتى رغب في توزيع أملاكه على الفلاحين ، وسونيا تصدّه وتدافع عن ملكية أولادها فهجرها وانزوى في دير . ولما مات (تولستوي) جنّت يأساً ، وحاولت الانتحار ولكنّها أنقذت من الغرق . وفي مذكراتها .. فاضت حروفها بحبّها لتولستوي .

12- فيكتور هيجو – آديل توشيه

هو في العشرين حين أحبّ آديل ، وكانت باكورة هيامه. وجثا في هيكل الحبّ يتمثّل في محرابه. وأرسل على مذابح حبّها أغاريده الشعرية .. ورفضه أبوها متعللاً بفقر الشاعر. ولكنّ الشاعر الطموح بالمجد والحبّ معاً أعجب لويس الثامن عشر بشعره ورتّب له معاشاً سنوياً . فوافق والدها على الزواج، وحقّق فيكتور هيجو مجده وطموحه ،

وأضحى بيته كعبة الأدباء. وتعرّف على الأديب والناقد الذائع الصيت (سانت بوف) وتوطّدت الصداقة بينهما، وأعجب (سانت) بمفاتن (آديل) وأعرب لها عن رغبته التي عصفت به . وغضبت وأقسمت لزوجها أنها بريئة ولكنّه بقي ممزّقاً بين الوساوس والهواجس ، فأحبّ مدام (رويه) كي ينسى زوجته . وغرقت آديل في حزنها الصامت ووجد فيكتور في حبّه الجديد كأس النسيان .

13- اسكندر دوماس - وماري

كانت ماري مطمورة في رماد الفقر . هربت من أسرتها وهي صغيرة وأصبحت لؤلؤة تشعّ في المجتمع الباريسي . ولكنّ طبيعتها الملتهبة لا تستقرّ على حبّ ، وغدت معبودة العشّاق . لكنّ كونتاً نمساوياً طاعناً في السن أُغرِمَ بها وأسكنها أرقى حي في باريس. وفي إحدى الحفلات رآها الشاب – دوماس – وذهل من محاسنها الغاوية ، وبادلته الحبّ وأهملت صديقها العجوز ، وهربت مع دوماس إلى الريف وعاشت معه أجمل أيام حياتها ، ولكنّها مرضت مرضاً شديداً فطفق دوماس يغمرها – بزهر الكاردينيا – وبقي الكونت وفيّاً لها وأحضر لها أمهر الأطبّاء . وعرضت على دوماس الزواج لتنقذه من عذابه ولكنّه رفض وهجرها وكتب لها :

لست غنيّاً إلى حدّ أن أحبّك كما أريد ..
ولا فقيراً حتى أقدر أن أحبّك كما تريدين ..

وماتت وحيدة بعد أن طردت الكونت ، وحضر دوماس ولكنّه لم يستطع أن ينظر إليها نظرة الوداع . وخلّدها في روايته – غادة الكاميليا -

14- بودلير - جان

التقى بودلير بالجارية الخلاسية جان والتي تعمل راقصة في ملهى ، فترنح بعاطفته المشبوبة واستأجر لها سكناً أنيقاً وأغدق عليها المال الكثير . خشيت عليه والدته من هذه المرأة ورفعت أمره إلى القضاء ، وحجزت على أمواله . وكان بودلير يشعر بضعفه أمامها، وهي تمنعه من قرض الشعر لأنها امرأة عامية التفكير فهجرها . وأحسّ أنه جائع للحب العذري وظهرت (ماري دوبرين) فخفق قلبه لها وسمت به إلى الأوج وغنّى لها شعراً عفيفاً، ولكنه كتب ديوان شعره (أزهار الشر) للخلاسية جان .

15- دوستوفسكي – (أنا ماريا)

انبثقت - ماريا – في حياة دوستوفسكي المنفي في سيبيريا ورماد اليأس والقهر يلوّن عينيه. وكانت تهتمّ به رثاء وشفقة لأنه طريد من وطنه وينتابه داء الصرع . وماريا الحسناء فرنسية وزوجة رئيسه الضابط ، فتجاوبت معه وهام في عبادتها وهي تعاوده في سجنه ، ورسائلها إليه تشكو الفقر ، وسيرة زوجها السيئة ، وأخبرته فجأة بموت زوجها وأنها أصبحت وحيدة مع ابنه ، فجنّ جنونه وهو لا يستطيع مساعدتها . وببعض المساعي حصل على العفو وتزوّجها

ماريا وعاد إلى روسيا وطنه . وكافحت وتحمّلت الفقر والتشرّد ، وهاجمها السل، وبدأ جسمها يهزل . ثم اختطف الموت ماريا . واضطرب دوستوفسكي ومرّ بصعوبات قاسية .

16- جون كيتس – فاني براون

لمحها في حفلة راقصة وقد سكبت الطبيعة ثمانية عشر ربيعاً فراشة زاهية رائعة كالحلم . وكان يتردد عليها بعد أن جاء من الريف إلى لندن ليبحث عن المجد . وحين حدّثها عن رغبته في مشاركتها الحياة أعلنت أنها لا تحبّه بل تعطف عليه . فانسحب وحاول أن ينساها ، وبدأ المجد يحفّه ، ولكن مرض مرضاً شديداً وانزوى يكتب لها رسائله ويبثّها نجواه. وبدأت تردّ على رسائله واكتشف أنها تحبّه وسافرت إليه ، ووجدته نحيلاً يحترق صبابة ، فاتكأ على ذراعيها حتى حاذى النافذة وهو يقاوم الموت معها . ولكنه تساقط بين أحضان فاني . وأحسّت بقيمة هذا الشاعر العبقري وظلّت على ذكراه حتى عانقها الموت بعده

17- غوستاف فلوبير - لويز

رآها (فلوبير) وكان في الخامسة والعشرين ، أشدّ ما يكون تفتّحاً وجمالاً . ووقعت أسيرة هواه . ورسائله تتتابع وفيها أرقّ عواطفه . وماجت أعطافها كبرياء وهي تضيفه إلى عشّاقها. وحين علم أنها تخونه فتر الحبّ وتعذّب كثيراً

في نسيانها وانطوى على نفسه يجترّ همومه ليستلهم روايته الخالدة (مدام بوفاري) .

18- ستندال - آنجيلا

تدفّق ستندال حبّاً حين رأى آنجيلا . وكان يذهب إلى المسرح ويتوارى وراء الناس يلتهمها بنظراته . وعزف عن الإفضاء إليها ، وهي تحلّق كملاك سماوي . وهيامه بها أحاله إلى لوعة خرساء . وعرف أنها متزوّجة . ومضت سنوات على هذا الغرام الصامت ، وانتقل من حبّ إلى حب لينساها . وأخيراً اتصل بها وباح لها بحبّه . ولامته – آنجيلا – لصمته . ونعم معها بالسعادة والعذوبة ، وعرف أنها تخادعه ففرّ منها . وتعزّى بالفن ليهرب وروحه تنتشي من نبض رعشاتها على حروفه الخالدة ..

19- إدكار آلن بو - فرجينا

حين زار عمته أسرعت إليه ابنتها – فرجينا – التي سكبت عليها الطبيعة ثلاثة عشر عاماً . وأراد أن يتطهّر بحبّها . ورفض والدها الزواج لصغر سنّها، ولكنه أصرّ وتمّ الزواج. وبدأ يهدده شبح الجوع والفاقة ، وتحداه القدر حين انفجر شريان (فرجينا) حين سقطت مهشّمة . وبقيت طريحة الفراش سنوات. وذاعت شهرته كفنان عبقري تهزّ أمريكا وأوروبا . وحين ماتت (فرحينا) انزوى وقد هزّه جلال الموت الذي انتزع روح المعبودة .

20- مارك توين - أوليفيا

كادت تهوي الباخرة إلى القاع حين عبرت عاصفة عاتية (الأطلنطيكي) . وكان توين يتحدّث إلى المسافرين بذكائه وذكرياته . وتعرّف على شاب في الباخرة وأصبحا أصدقاء . وقدّم له الشاب إطاراً محفوراً على عاج قديم يمثّل صورة أخته (أوليفيا) ، وروى له أن أخته وقعت وهي تقوم برياضة التزحلق وتحطّم عمودها الفقري . وبقيت صورة أوليفيا بالملامح الحزينة تعيش في أعماقه . وحين عاد إلى نيويورك تعرّف إليها وزارها. وأثناء عودته امتطى عربة خيل فسقط عنها . وكانت قد بدأت تشفى من مرضها . فأصبحت تمرّضه وتسهر على راحته بكل حنانها . وغزا الحبّ قلبيهما ورفض الأب تزويجها من فنان بوهيمي ثم وافق وأهداها منزلاً فخماً . ودام غرامهما أربعاً وثلاثين عاماً ثم بدأت صحّتها تتدهور وأصيبت بالشلل ، فتعطّل إنتاجه الأدبي . وبينما كان يعزف لها على البيانو أغنية تحبّها ، حدّق في وجهها الجامد وتحطّم قلبه في موتها . ونقلها إلى مسقط رأسها . ووضع على قبرها لوحة (ليرحمك الله يا فرحتي الكبرى) وكتب في مذكراته : كل مكان حلّت به كان الفردوس الأرضي .

21- شيللي – وماري جودين

كان شيللي متزوّجاً واكتشف مع الزمن أن زوجته لا تحبّه ، إنما تطمع في اسمه النبيل ، وثروته الفياضة ، والمظاهر البرّاقة . وترددت بعض الشائعات عن علاقتها بشخص آخر . وكان شيللي يهيم على وجهه في شوارع لندن بين القلق والشك والخوف والحزن حتى التقى – ماري – فجذبته بروحها وجمالها الساحر وعقلها الراجح . ولكن زواجه سجن يحبس العواطف . حاول الانفصال عن زوجته

صدمت وتدهورت صحتها ثم انتحرت غرقاً . حزن شيللي لمصير زوجته وبقي فترة يقصي عنه الأشباح المرعبة التي تخنقه . وبعد فترة هرب مع ماري إلى إيطاليا . وبدأ يسجل صفحات بالفكر والشعر والإبداع .

22- بلزاك - أفيلينا

بلزاك ، كانت الأزمات تتوالى حوله ، والخسائر تكثر ، وفي أعماقه ظمأ لامرأة تغيّر طريقه. وحين التقى - أفيلينا – طفحت أوراقه بسطور الحب ، وتلقّى رسالة منها وهي في سويسرا تنطق بإعجابها بمؤلفاته . وعلم أنها سيدة (بولونية متزوّجة) وزوجها مريض مرضاً مزمناً . وبادلها حبّاً بحب ، فسافر إليها ونعم معها بعبق الحب ، ثم عاد إلى فرنسا . وصورتها ومضت وجذبته إلى كتابة أسرار الحياة (الكوميديا الإنسانية) . . واستمرّ في التأليف لينال حظوة المحبوبة وإعجابها. وبعد ثلاثة عشر عاماً مات زوجها ، وعرض عليها الزواج فرفضت كي يشرق الحب بالخيال ويتجدد ويستمر ويقوى. وبعد إصراره وافقت ولكن زواجهما لم يدم طويلاً فتوفي. وبقيت على ذكراه ومع مؤلفاته .

23- جان جاك روسو - مدام دوتو

كان يعيش عزلة هنيّة في معبد الطبيعة مع مدام (دوبنياي) وفلسفته تتسلل ثنايا الأفنان. ولكنّ قلبه يخفق من جديد حين لجأت (مدام دوتو) إلى عزلتهم بعد أن هجرت زوجها.. وحين رآها (روسو) أعجب بجمالها ولم يغب طيفها

عن خياله وتفتّحت نفسه للحب والطبيعة وبقيت معه تنعم بحبّ هذا العبقري الذي فتن عصره بمؤلفاته واحترق بلظى حبّها . وحين تغيب عنه يرسل لها الرسائل العارمة بمشاعره . ولكنّ هذه الغادة المراح لم تخلص له، هجرته وصُدِمَ روسو واعتراه اليأس . وغمر المحبوبة القاسية برسائله . وأخيراً كفّ عن حبّها المتقلّب.

24- بايرون - تريزا

كانت (تريزا) ترقص في مملكة الاخضرار حين التقت بالبندقية بالشاعر (بايرون) فأعجبت به وأفضت له بحبّها ، وحطّمت الجدار الزوجي وفرّت إليه . وكان زوجها طاعناً في السن فنقم على بايرون الذي عكّر حياته . واكتشف بايرون فيها عاشقة متفانية . ولكنّ الخطر محدق بهما وزوجها يغري الأشرار ليفتكوا بهما ، فكان لا يخرج إلا مدججاً بالسلاح ليحمي نفسه ويحميها . وحين عمّت ثورة اليونان ودّع _ بايرون تريزا – ليحارب الأتراك ، فودّعته وكأنّه الوداع الأخير . وإذ جاءت الأنباء بموت الشاعر دفاعاً عن الحرية . فاتّشحت بثوب الحزن الأزلي إلى أن أصبحت عجوزاً تتمشّى في بيت بايرون تحفّ بها الذكريات والآلهات إلى ساعتها الأخيرة .

25- نيتشه - لوسالوميه

كان نيتشه في إيطاليا عندما خفق قلبه ، وعلم أن التفكير بالقوة (وإنسان السوبرمان) شيْ ، والحب شيء آخر حين رأى – لوسالوميه – فأشعلت النار في أعماقه وجمالها أقوى من جلال عبقريته . وكان يضعف عند رؤيتها وتهرب العبارات التي أعدّها ليهمس بها فينطوي على نفسه ويصدّ

الطيف ويضرب رأسه بقبضة يده ليتغلّب على ضعفه. وأدركت لوسالوميه حبّه وألمه بسببها ، ولكنها لم تشجّعه لأنها تفزع من تفكيره الجبار . وطلب من صديق له أن يطلبها له للزواج ولكنها صرفت صديق نيتشه بلطف ولين ورفضت .

وهدّه النبأ فأصبح عدواً للزواج والأسرة . وانجذبت لوسالوميه إلى الموسيقار العبقري (فاغنر) ، فأوى نيتشه إلى عزلته الباردة والمعبودة مع الموسيقار وعافته هو العبقري الجبار

26- شكسبير - ماري فيتون

شكسبير ، يشتاق ويتلظّى حبّاً ، وآفاق وجدانه ترسم كلمات أربع وخمسين ومئة مقطوعة من الشعر الغنائي يبثّ حرقته وجواه – لماري السمراء – وأصبح قلبه أغنى قلب عرفته البشرية ، وهي تمعن في تيهها ، وينسكب الفجيع في قلبه لأنها وقعت في هوى فتى من النبلاء . هذه المحنة هاضت شكسبير وبدأ يجرع القصص وانتهى به المطاف إلى تأملات فلسفية عميقة .

27- بوشكين - روزا

سبغت الطبيعة على روزا الحسن الخلاب ، وكانت فقيرة جداً تعمل مومساً وتحلم بمن ينتشلها من هذا الجحيم . فعطف عليها – بوشكين – وحزّ في نفسه حبّها الصامت وإخلاصها له ، فسكنت معه في منزل حقير تحنو عليه حنو الأم والصديقة ، ورضيت بالقليل . وكان بوشكين قد تعرّف بالكونتيس (جروتشا) صارخة الجاذبية والجمال وشغوفة

بالترف فصرف عليها كل ما لديه وأخذ من روزا ثروتها التي جمعتها من مهنتها السابقة . واكتشفت روزا السر وأن الكونتيس أخذت الثروة وهربت مع آخر . رجع بوشكين نادماً إلى روز وأقسم على عدم خيانتها ، لكنها رفضت واختفت من حياته وبقي منطوياً على نفسه يجلله الأسى لفقدانها .

28- مكسيم غوركي - ليزا

استقى منها الطهر والجمال والحب ، ووجد فيها الحلم الرائع الذي حلّق به في سماء الفن . ففي صوتها المغرّد نعومة ، وفي همستها وداعة . وطافا عاشقين في الحقول الزمردية، وحبّه لها دفعه إلى تقديسها ولكنّه أراد أن يخلقها خلقاً جديداً بعد قراءته (نيتشه) .

وتلاشت شخصيتها حتى أصبحت متغطرسة ، غليظة القلب ، قاسية على البشر ، واستحالت إلى منطق بارد ، وعقل صارم . ارتاع منها غوركي وأصبحت غريبة عنه ، وهرب إلى موسكو . فلحقت به وطردها أهله فانطوت على نفسها ، ونفرت من الناس ، وانزوت إلى دير متّشحة بالسواد . وحين سمع – غوركي – بالنبأ الفاجع ، ذهب إليها نادماً محاولاً إنقاذها . رفضت مقابلته ، فذعر ، وعاد إلى الطبيعة الأصيلة ليكتب عن المنكوبين والمحرومين والبائسين .

29- توماس كارليل - مس ولش

تعرّف عليها في المجتمعات الأدبية وتحوّل الإعجاب إلى حبّ جارف ثم زواج . وعاشت معه في كوخ منعزل يطحنان الفقر طحناً وهي تغدق عليه محبّتها وتسهر على راحته ، ولكن إذا أرادت محاورته في الأمور الأدبية رماها

شذراً صارخاً بها بقسوة ألا تشوّش أفكاره . وبدأت لا تشعر بإنسانيتها وكأنها كائن مهمل ، وأعصابها تزداد توتراً ومرضت بشدّة . وشهرة كارليل استفاضت فانتقل إلى لندن. وكان اللورد شيرتون يزوره ومعه زوجته الحسناء ، فبدأت تغار منها وتهدد بطردها وهو يقسم لها أنها واهمة . ووقعت تحت وطأة انهيار عصبي والموت أراحها من العذاب والغيرة . ولكن كارليل فجع بموتها واشتدّ جزعه وأحسّ أنه ظلمها وهو المسؤول عن الكارثة .

30 – هايتني - ماتيلد

أحبّ ابنة عمه ولكنّ عمه زوّجها لرجل ثري، وحرموها من هايتني لفقره ، وهيامه بها جعله يجوب أودية الشعر والفكر والخيال . وهجر ألمانيا وانتقل إلى باريس ، وأصبح اسمه على كل شفة ولسان . والتقى بفتاة تبيع القفازات ، فمسّه الحب والفتاة رائعة الجمال ، وعرف أن اسمها (ماتيلد) ولكنّها جاهلة ، ورغب أن يسمو بروحها لتكون خليقة بعالم الفكر والفن ، وعهد بها إلى مدرسة داخلية ، ولم تتعلّم إلا القليل . ورغم جهلها تزوّجها . وسقته السعادة . وسنوات مرضه كانت ترفّه عن أشجانه ، وتنسيه لوعة المرض ، وبقيت التسرية الوحيدة التي ينعم بها في مرضه الطويل والأخير .

31- لوتاس - إلينور

ملحمة الشاعر أذيع صيتها في إيطاليا ، فأسبغت عليه الأسرة المالكة ، وأصبح يعيش في جناح القصر . وشقيقة الدوق (إلينور) بسطت رعايتها عليه ، فأحبّ إلينور الصبية

الرشيقة . وكان حبّه صامتاً يبح به شعره . ولكنّ النظرات الحبيسة لم تلبث أن أذاعها بعض الحسّاد . وغضب الدوق حين قرأ أشعاره إلى أخته (إلينور) . وفي إحدى حفل القصر قبض على الشاعر ، وسيق سجيناً ليلاقي مضض الأسر . وكان هذا الحبّ الخفي بداية لسلسلة الاضطهادات التي عاشها في سجنه .

32- شاتوبريان - مدام جولييت

رآها في قصرها . فصالونها الأدبي فتن رجال العصر والعظماء . وجولييت متزوّجة من الكهل (ريكامييه) وكأنه أب حقيقي لها . وظلّت تعيش معه (عذراء متعطّشة للحب ووفية لزوجها . وحين رآها شاتوبريان) شعر بوجيب الحب يخفق في قلبه وأصبح صالونها هيكل الحب ، وروحه تحلّق في آفاق الوحي ، والإلهام . وبرح الحب به حتى أضناه . وبعد موت زوجها عرض عليها الزواج ورفضت ، رغم أن حبّه آخر زهرة في حياتها . رحل بعيداً عن الحبيبة القاسية كالشريد يتنقّل من مكان للآخر ، علّه يتلمّس النسيان وطيفها يلاحقه . وأخيراً عاد إلى محرابها يتعبّد . وتكاثرت عليه الأمراض وعصف به الشلل، فيُحمَلُ إلى صالونها حملاً . ولفظ أنفاسه الأخيرة وغرامه بها متّقد . وركعت عجوز عمياء متضرّعة إلى الله أن يرحم روحه السامية ، هذه العجوز العمياء – جولييت - فاتنة القرن التاسع عشر

33- أراغون _ إلسا

يقول أراغون مجنون إلسا :

" أحببت وما زلت أحبّ. نعم إنه السفر في اللانهائي "

لم تكن إلسا أول حبّ لأراغون ، إنما كانت آخر حبّ وكلّ النساء اللاتي أحبّهنّ كنّ قويات ، صورة عن أمه التي عالت أسرة وبقيت وفيّة لزوج غير شرعي ومتزوّج حتى موته . وإلسا أتت من موسكو إلى باريس بعد أن فصلت عن زوجها ، وعرفت عن أراغون كلّ شيء وأحبّته، وخلقته من جديد . ملأت حياته مدة 43 عاماً . وحين ماتت حزن أشدّ الحزن ودفنها في بستان بيته تحت أيكة من أشجار كانت تحبّها . وألهمته رائعته (مجنون إلسا). وحين مات دفن قربها .

34 - جورج صاند – ألفرد دو موسيه

أورور (جورج صاند) لقبها . ولدت من أب نبيل وتعهدتها جدتها بالرعاية والثقافة وزوّجتها من مزارع نبيل، وأوصت لها بكل أملاكها . ولكنّه عاملها معاملة قاسية . وكانت تأنس ميلاً إلى محاكاة الرجال والاتشاح بملابسهم . وأثارت ضجة بتحررها، وهربت إلى باريس مضحيّة بثروتها وأولادها في سبيل حريتها . وعملت في جريدة وتعرّفت على الأدباء والشعراء . وأحبّت (جول ساندور) وكان أصغر منها . وكتبا معاً رواية (رونسو بلانش) ووضعت اسمها (جورج صاند) . واندفعت في التأليف والكتابة وحبيبها خانها مع أخرى ، فاعتزلت الرجال إلى حين التقت بالشاعر (ألفريد دو موسيه) فأحبّته ثم أحبّت (شوبان) وكأنها أماً ترعاه وكان موته فاجعة لها. وودعت حياتها وانعزلت في منزلها حتى ماتت .

35 – عمر الخيام - جنان

رآها الخيام في أحد القصور وهي تنشد قصيدة، وذابت نظراته في وجهها الفتان ، وتجرّأت جنان على انتهاك غرفته وشعرت بقوّة خفية تشدّها إليه . وأصبحا يلتقيان خلسة في القصر . ونقر عودها وأشعاره عبر البساتين المزهرة . وبقيا عاشقين تسع سنوات وهو يقول لها:

- هاتي خمراً . ولتكن مثل ورد خديك

وليكن نديمي في مثل خفّة خصلات شعرك.

وحين هاجم الأعداء القصر ، طلب منها أن تغادر القصر وتأتي إلى بيته ويعيشا معاً. اغرورقت عينا جنان وخشيت أن يقتلوه لو اختبأت عنه . وأجابته :

- على المرء أن يحتفظ بكرامته في اللحظة الأخيرة .

وذبح الجند أهل القصر ومعهم جنان . بكى الخيام بكاء مراً .

36 - غوته ومريانه

عرفت مريانه في – الديوان الشرقي – باسم (زليخا). واهتزّ نشواناً بحبّها حين رآها في منزل صديق له، وأعلنت هي الحب بقصيدة أرسلتها له . فردّ عليها بأكثر من قصيدة وخلّدها في كتب عشقه . وفي عيد ميلاده السادس والستين ، قدّمت له مريانه عمامة هندية يحيط بها إكليل من الغار ، وعصا من خشب لها مقبض مزيّن بهدهد. ولا تزال العصا موجودة قرب مكتبه بعد أن مات . وهي التي أوحت له بأجمل القصائد ، وبقيت قوّة الحبّ عنيفة وبقيت قطرات الذكرى تترقرق من عذارى السحاب ، توحّد معها بالحب الروحاني ولأنها متزوجة من صديقه ، بقي نورها في روحه حتى أسلمها وتوارى .

37 – هنريم أبسن - روزا

هو الكاتب المسرحي النروجي، كان ضيف شرف في احتفال كبير حين بلغ من العمر السبعين وهو في ذروة شهرته كانت فتاة اسمها (روزا) ترقص في الحفل في الزيّ السويدي الشعبي ، وكانت في الخامسة والعشرين ، واشتعل في قلبه شوق الشباب . كان والدها من النبلاء . ولكن عندما بلغت روزا الثامنة من العمر أفلس ومات ، وعاشت حياة صعبة . وكانت تكتب للأطفال ، وذاعت شهرتها في السويد. وكانت ذات جمال أخّاذ وتنشر روح الفرح أينما حلّت. فأهداها أبسن باقة ورد بعد الحفل . وبعد أيام دعاها إلى بيته وقادها إلى غرفة مكتبه وقال لها : " منذ عرفتك أكتب بغزارة " وأصبحت ملهمته في عمله المسرحي (الأشباح) . ولكنّه بعد عدّة أعوام أصيب بمرض . وكان يراسلها وتراسله . وأثر نوبة قلبية مات أبسن . ورفضت أن تنشر رسائله احتراماً لعائلته وحملت الأسرار والرسائل معها إلى القبر ولم ترغب أن تجني مالاً من الرسائل – 1949 –

ماتت روزا وعندما عاد الأهل من المقبرة اكتشفوا وردة حمراء عند مدخل البيت كانت أوصت بها من نوع الزهر الذي أهداها منه أبسن ، لأنه كان يكتب لها : " هذه الزهور هي أنت "

2) قصص المبدعين - الشرق

1 – جميل بثينة

ذاك الفتى الشجاع ، والشاعر المختال بعزّه ، رأى بثينة وبقيت صورتها منطبعة في مقلتيه . وذاع حبّه شعراً ، وصارت تلقاه ويلقاها . وجاءها ذات ليلة بثياب راعٍ فوجد عندها ضيوفاً سألته : من أنت ؟ فقال : مسكين ، ثم أنشد بيتاً من الشعر فعرفته من صوته فشهقت وانتبه الضيوف وطردوه . ولكن بعد ذهابهم أرسلت إليه جاريتها وجلسا يتحادثان ويثملان من الشعر والحب .. وبعض الوشاة بلّغه أنها أحبّت (الهلالي) ، حاول أن ينساها ويتحدّث إلى غيرها. فغضبت وساد الهجر بينهما ، هذا الجفاء كان فرصة للأهل في تزويجها . وكان يزورها خلسة في بيت زوجها . فشكاه أهلها إلى السلطان فأهدر دمه فكان يجلس في الليل على أكمة رمل ، يتنسّم الريح من حبّها . وأتاها ليلاً غفلةً فقالت له : " أهلكتني وهلكت " فقال لها : " جئتك مودّعاً " بكيا طويلاً ثم سافر إلى الشام وبقيت تراسله وتلتقي به . وصدّها أهلها وهجموا عليه فاعتزل في هضبة . وقبل موته أرسل لها حلّته ، فصاحت بأعلى صوتها وأغشي عليها ساعة .

يقول :

علقتُ الهوى منها وليداً فلم يزل
إلى اليوم ينمي حبها ويزيدُ

وأفنيت عمري بانتظاري وعدها
وأبليت فيها الدهر وهو جديدُ
وقد تلتقي الأشــتات بعد تفرّق
وقد تدرك الحاجات وهي بعيدُ

2 - كثير وعزّة

ترنّم كثير يخفق أوتار شعره ، وأرسل قصائده لعزّة التي تربّعت على عرش أحلامه. وكثير من فحول الشعراء في الإسلام ويكنى (بأبي صخر) . ونسب بكثير لكثرة تغزّله بعزّة.

وقال فيها :

نظرت إليها نظرة وهي عاتق
على حين أن شبت وبان نهودها
هي الخلد ما دامت لأهلك جارة
وهل دام في الدنيا لنفس خلودها

* * *

وما كنت أدري قبل عزّة ما البكا
ولا موجعات القلب حتى تولّت

خرج يوماً يسوق الغنم ، وكان يسأل بعض النسوة عن الماء ، فأرشدته عزّة إليه ثم جاءته ببعض الدراهم ليبيع النسوة كبشاً من الغنم ، فردّ لها الدراهم وأعطاهم الكبش . وعزّة كانت ذات دل وجمال ، فجعلت كثير يتولّه في حبها ولكنها لم تكن تصدقه الوعد . وعُرِفَت قصّتها وشاعت ، ولم تتح الظروف لكثير وعزّة أن يتزوّجا وتزوّجت رجلاً آخر . وحين مات كثير قيل : - مات أشعر الناس .. وأعلم الناس.

وغلب النساء على جنازة كثير يبكينه، ويذكرن عزّة في ندبهنّ له .

3 - قيس بن الملوّح وليلى

بربّك هل ضممت إليك ليلى
قبيل الصبح أو قبّلت فاها
وهل رفّت عليك قرون ليلى
رفيف الأقحوانة في نداها

* * *

ألم يبالغ الزمن في تأكيد قسوته معنا ؟..

سأل قيس ليلى ، وعيناها محاصرتان بفيض من ضباب الحزن ، وحروف شعره تلفظ مخارج اسمها ، أحبّها وهما صبيّان يرعيان المواشي ، وظلا معاً حتى كبرا فحجبت عنه . وذات مرّة ألفى ليلى قاعدة بفناء دارها تتحدث مع جويراتها ، فدعونه للجلوس ، فأرادت ليلى أن تعرف مقدار حبه ، فأعرضت عن حديث وتحدّثت مع غيره فامتقع وجهه وتغيّر ، ثم شهق شهقة وأغمي عليه . وتناشد الناس شعره فيها ، فأرغمها أهلها على الزواج من (ورد). وحين علم قيس هاجم ورد ثم سقط مغشياً عليه . وشكاه أهلها إلى السطلان فأهدر دمه وارتحلوا من مكانهم . فكان يمرّغ خديه على تراب خطواتها ويبكي. ولا يثوب إلى عقله إلا إذا ذكروا له ليلى . ويجلس في جبل التوباد حيث كانا يرعيان الغنم ، ثم ينشد أشعاره . واختفى في واد كثير الحجارة ، ووجده أهله ميتاً . ولم تبقَ فتاة إلا وخرجت حاسرة تندبه وشعره يتردد حياً مدى العصور بليلى .

قضاها لغيري وابتلاني بحبّها

فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا ؟

* * *

4 – قيس بن ذريح ولبنى

كان قيس يتغنّى بأشعاره إلى – لبنى – التي سقته حرّ العشق ، وشاع شعره عنها وروي ، واستعان بصديق له (الحسين بن علي) فزوّجه إياها . وأقامت مع قيس ولكنها لم تنجب ولداً ، وألحّ عليه أهله أن يطلّقها ولكنه رفض . فكان أبوه يخرج في حرّ الشمس ويقف، ويجيء قيس ويظلله بردائه فينصرف عنه . ويعود إلى لبنى ويبكي معها. وهجر أبويه عشر سنين ولحقه ما يشبه الجنون .

وتحت ضغط أهله طلّقها وحيث أخذها أبوها سقط مغشياً عليه . وكل ليلة يأتي موضع خبائها يتمرّغ فيه ويبكي . وحاولت أمه أن تشغله بفتيات الحي لكنّه مرض مرضاً شديداً . وزوّجه أهله امرأة جميلة اسمها (لبنى) وعندما عرف اسمها سقط مغشياً عليه وخرج هائماً في المدينة . وعندما علمت لبنى بزواجه غضبت وتزوّجت هي الأخرى ، فجزع جزعاً شديداً وشكاه أبوها إلى معاوية فأهدر دمه . ولكنّ لبنى أرسلت إليه رسولاً لتحذّره وعلم زوجها فطلّقها وعادت إلى قيس وبقيت معه طيلة حياتها .

وقال :

وما أحببت أرضكم ولكن
أقبّل إثر من وطئ الترابا
إذا نادى المنادي باسم لبنى
عييت فما أطيق له جوابا

* * *

أتبكي على لبنى وأنت تركتها
وكنت كآتٍ حتفه وهو طائع

أقضي نهاري بالحديث والمنى
ويجمعني الهمّ بالليل جامع

5 – علقمة وجيشة

وأنتِ التي أخليت لحمي من دمي
وعظمي، وأسبلتِ الدموع على نحري
* * *

لمح عبد الله بن علقمة جيشة ، فهام بها . حاولت أمه أن تزوّجه ابنة عمه فرفض وراسل الجارية جيشة وراسلته وأحبّها وأحبّته . حجبوها عنه فازداد غراماً بها . وأكثر من قول الشعر عنها. وأرغمها أهله أن تكفّ عن حبّه ولكن كل هذه المضايقات زادتها اقتراباً . فربط علقمة بحبل لقتله في أسفل الوادي فنادى بأعلى صوته : (اسلمي جيش عند نفاذ العيش) فأجابته : (أسلم على كثرة الأعداء ، وشدة البلاء) . فضربنا عنقه فاقتحمت الجارية من خدرها حتى أتت نحوه ، فالتقمت فاه فنزعنا منها رأسه . فظلّت تضرب نفسها حتى ماتت مكانها .

6 – أسماء والمرقش

كانت أسماء العاشقة تمسح مآقيها من رشق الدمع حين رفض أبوها أن يزوّجها من ابن عمها (عوف) الملقّب بالمرقش . وطلب مهراً غالي الثمن . فرحل إلى بلاد الحيرة ليعمل ويحصل على المهر . وحين عاد بالمهر خفي عنه أمر زواجها وأخبروه أنها ماتت ، وأتوا به موضع القبر . وبينما كان مضّجعاً ذات يوم، وابنا أخيه يلعبان علم منهما أن هذا ليس قبر أسماء وأنها تزوّجت. ومرض مرضاً أقعده الفراش ، وأشيع أن (المرقش) قد مات .

وجاء راعي زوج أسماء يستطلع الخبر من أخيه . فأعطاه المرقش خاتمه ليلقيه في اللبن عندما تشربه أسماء . وحين شربت الحليب ، قرع الخاتم . فاستفسرت من الراعي فأخبرها أنه بآخر رمق . وسألها زوجها عن الخاتم ، فأخبرته . فطلب من الراعي أن يحضر المرقش . فأوصله إلى عشيرة أسماء ومات عندها .

* * *

7 – عبد الله بن عجلان وهند

الفارس الشجاع ، والشاعر البارز ، التقى على غدير الماء هند الفاتنة . وأحسّ أنه مشدوه بها . ثم خطبها وتزوّجها ولكنّها لم تنجب ولداً . وفي ذات يوم شرب خمراً حتى سكر، واستدعاه أبوه واستغلّ الموقف ، وطالبه أن يقسم الطلاق . وتعلّقت به هند ألا يقسم فضربها بمسواك وكان في يدها زعفران . فأثر في ثوبه مكان يدها . وحين صحا من سكره ندم. حاول الرجوع إليها ولكنّها احتجّت وهي تحسّ بحرقة الوجد . ثم زوّجها والدها . وفي الحج رآها عبد الله مع زوجها ، فنظرت إليه ورنت إلى ثوبه ، ولمحت أثر كفّها . وعاد الشوق يزداد إلى رؤيتها . واشتدّ بها المرض . وخرج في ليلة سرّاً إلى خباء هند ، اقترب منها ورمى نفسه قربها ، وعانق كلّ منهما صاحبه وجعلا يبكيان حتى سقطا على الأرض مغشياً عليهما، وأقبل الزوج غاضباً ولكنّه وجدهما ميتين ..

8 – عروة وعفراء

عروة بن حزام ، أحد المتيّمين الذين قتلهم هوى ابنة عمه. ولا يعرف له شعر إلا في عفراء .

عشية لا عفراء منك بعيدة
فتسلو ولا عفراء منك قريب
وإني لتغشاني لذكراك هزّةُ
لها بين جلدي والعظام دبيب

ويقول :

تحمّلت من عفراء ما ليس لي به
ولا للجبال الراسيات يدان
كأن قطاة علقت بجناحها
على كبدي من شدّة الخفقان
فويلي على عفراء ويلاً كأنه
على الصدر والأحشاء حدّ سنان

تربّى معها في بيت عمه بعد أن مات والده ، وعمّه وعده بالزواج منها . لكن أمها رفضت لأنها تريد لابنتها المال . سافر عروة إلى اليمن ليحضر المهر . فزوّجتها والدتها إلى رجل ثري سافر بها إلى الشام . وعمد أبوها إلى قبر عتيق وجدده وأراه لعروة على أنه قبر عفراء . ولكن إحدى الجواري أخبرته الخبر ، فسافر إلى الشام وأرسل لها خاتمه فشهقت وأخبرت زوجها ، فبعث زوج عفراء إليه وتركه معها وأوصى خادمه الاستماع إليهما . فتشاكيا وجداً وبكاءً. وأكرمه الزوج بعد أن عرف ما بينهما ولكنه رحل وأغمي عليه في الطريق وألقى على وجهه خمار عفراء الذي أهدته إليه . ومرض مرضاً شديداً وبقي ينشد أشعاره ، وبقي سنة صامتاً حتى يوم وفاته .

وطلبت عفراء من زوجها أن تقيم مأتماً وتندبه، وبقيت تردد ندبها حتى ماتت بعده بأيام قلائل.

9 – أنس الوجود وورد

أنس الوجود ، ذاك الشاب المنير الوجه ، الضاحك السن ، البهي الطلعة ، يرنو بنظراته إلى شبّاك قصر (ورد) وهي ابنة أحد الوزراء . تعشق المنادمة والبهجة والجمال وسماع رقائق الأشعار . فوقع حبّه في قلبها ، وعدمت صبرها في هواه ، ورمته بتفاحة كانت في يدها ، ومعها رقعة شرحت فيها حالها . ووقعت رقعتها في يد أحد الخدم فأعطاها للوزير ، فهاج وغضب وأبعدها إلى مكان منعزل في البريّة في حراسة مشددة .

ولما علم أنس الوجود بما حدث لها زاد منه الوجد والقلق واهتدى إلى مكانها ، وهاله ما رأى فيها من شدّة الضعف والهزال. فاسترضى أباها فرقّ له ولها وتزوّجا . وكان لا يفارقها لحظة واحدة .

10 – جريح الهوى وزهر الورد

كان جريح الهوى خائفاً مرتعشاً حين نهض من نومه مرعوباً يشرح لأبيه حلمه ومفاده ، أنه رأى حمامة قربه ، فتقدّم ليأخذها . ولكن سكيناً سقطت عليه من الجو وجرحته جرحاً بليغاً، واحتار الناس في تفسير حلمه . ورأى عجوزاً سلّمت عليه وسألها: إلى أين ذاهبة ؟ فقالت له: عند صبيّة أفسّر لها حلمها ، وألحّ عليها فدلّته على بيتها وأعلمته أنها متزوّجة . وحين أطلّت الصبيّة واسمها – زهر الورد – وقع

مغشياً عليه ، وأحبّها وأحبّته وشرح لها حلمه وفوجئ بأنها حلمت حلماً مشابهاً .

وسافر زوجها إلى الحبشة ، وحين عاد علم أنها تلتقي الحبيب سرّاً . طار الشرر من عينيه ، وأبعدها إلى الهند .

ضاقت الدنيا - بجريح الهوى – ورمى نفسه من أعلى شجرة فجرح في رأسه ، وبقي أربعين يوماً ثم مات . وكتب على قبره – هنا يرقد جريح الهوى وشهيد الحب – أمّا زهر الورد ، سجنها زوجها وكبّلها بالحديد تحت الأرض . ومرّ قاض سمع أنينها فأنقذها وهرّبها إلى ديارها. وعرفت أن جريح الهوى قد مات فأزاحت الحجارة وانسلّت إلى جانبه تداعب رأسه وتناديه وتجسّ نبضه فأحسّت به يتحرّك قليلاً قليلاً وكلامه أنين خافت ثم بدأ يصحو فأخذته إلى دار أبيه وسمعت العويل والحزن ولم يمضِ اليوم على وفاته .وأخبرتهم أنها ردّت الحياة فانقلب الحزن إلى فرح . وزفّوا زهر الورد إليه وعاشا في سرور وفرح.

11 – أبو النواس وجنان

فاض قلب جنان بالحب ، الذي شدّ أبا النواس من حياته اللاهية . وهي فتاة حسناء ، أديبة تروي الأشعار . ولم يصدق في حبّه امرأة غيرها ، وقيل له يوماً أنها عازمة على الحج ، فسبقها والتقاها وعاد معها وأنشد :

ألم تر أنني أفنيت عمري
بمطبها ومطلبها عسير

وتبادل معها الرسائل وشهرت علاقتهما وطلبت منه أن يبتعد لفترة وكأنها أطالت هجره ، فمرض وعاوده بعض أصحابه وهو مريض وسألهم عن جنان وعرف أنها عليلة

فقال : والله أنكرت علّتي هذه ولم أعرف سبباً غير أني توهّمت أن ذلك لعلّة نالت بعض من أحب .. وأكثر من قول الشعر فيها ، ولكنها رحلت مع مولاها (عمارة الثقفي) وهي جاريته

12 – العاشق المجهول وهند

هند ، تلك الجارية الحسناء وهي جارية (يزيد بن عبد الملك) أجادت يوماً بالغناء وأطربت فعظم حبّه لها وسألها : ويحك أما لك قرابة أو أحد تحبين أن أسدي إليه معروفاً ؟ قالت : ليس لي قرابة ولكن هناك شخص أريد أن يناله الخير . فأحضره وسأله عن حاجته فقال : ما لي حاجة ولكن لي الأمان ، وأريد أن تغني جاريتك ثلاثة أصوات بما أقترح عليها من الشعر فنادى الجارية فغنّت :

مني الوصال ومنكم الهجر
حتى يفرّق بيننا الدهر
والله لا أســـلوكم أبداً
ما لاح بدر أو بدا قمر

فلم تتم الأبيات حتى خرّ ميتاً . فقال يزيد : ابكه .. قالت :

لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حي .

فقال لها : ابكه – فوالله لو عاش ما انصرف إلا بك . فبكت الجارية . وبكى أمير المؤمنين . ولم تلبث أن ماتت في أثره

13 – توبة بن حمير - ليلى الأخيلية

انبثقت نفحات الشعر من روح – ليلى – الشاعرة الملهمة الجميلة حين التقت – توبة- وتمكّن الحب من قلبيهما لكنّ والدها زوّجها لرجل آخر . أما توبة بقي يكثر من زياراته لها ، وتخرج إليه ببرقع وتجالسه ، حتى صارت زياراته تزعج زوج ليلى . فتظلّم إلى السلطان فأهدر دمه . ولكن في إحدى الغارات قتل توبة ، وظلّت ليلى تبكيه وترثيه طوال عمرها . وأقبلت من سفر فمرّت بقبره ومعها زوجها وهي في هودج فقالت له : لا أبرح حتى أسلّم على توبة . فمنعها زوجها ولكنّها تركته وصعدت إلى أكمة عليها قبر توبة وكان بقرب القبر بومة كامنة ، فلمّا رأت الهودج فزعت وطارت في وجه الجمل فنفر .. ورمى ليلى على رأسها فماتت ودفنت إلى جانب توبة.

14 – عتبة وريّا

كان عتبة في مسجد يصلي . ومرّ به نسوة يتهادين كالأقمار ، ومعهن جارية بديعة الجمال فوقفت وقالت : ما تقول في وصل من يطلب وصلك ؟!

ثم تركته ومضت ، وبقي حيران ينتقل من مكان إلى مكان يبحث عنها ، وعلم أن اسمها – ريّا – وأن أباها ارتحل بها فذهب لخطبتها ولكنّ والدها طلب مهراً من ألف سوار من الذهب فوافق. فحملت على هودج وساروا ، وخرجت في طريقهم خيل تريد الغارة . وانحرف عتبة وبه طعنة وقضى نحبه فصرخوا – واعتبتاه – وسمعت ريّا صراخ الرجال فألقت بنفسها عن الناقة وشهقت شهقة واحدة، وأسلمت الروح . فحفروا لهما قبراً واحداً. ونبت على القبر شجرة عالية عليها عصائب لطيفة الألوان وسمّيت – شجرة العروسين - .

15 – وضّاح اليمن وأم البنين

بينما كانت – أم البنين – زوجة الوليد بن عبد الملك في مكّة ، كتب الوليد الخليفة ، يتوعّد الشعراء بألا يذكرها أحد منهم. وحين تراءت للناس بحسنها وجمالها ، تصدّى لها الشعراء بالغزل، ووقعت عيناها على وضاح اليمن فافتتنت به فذكرها في شعره ومدح أيضاً زوجها . فأكرمه الخليفة وأسكنه القصر بعد أن عادوا . فكانت ترسل إليه فيدخل خلسة ويقيم عندها ، فإذا خافت وارته في صندوق خاص بها . وأرسل لها مرّة الوليد لها جواهر هدية مع خادمه ، فكشف الخادم أمر الصندوق وأخبر الخليفة ، فدخل عليها الوليد وهي تمشّط شعرها وجلس على الصندوق ، ثم طلب منها الصندوق فأعطته له . ودون أن يفتحه أمر بفتح بئر في المجلس وقذف بالصندوق إلى البئر ، وهيّل التراب عليه . وما رؤي بعد ذلك اليوم أثر لوضّاح اليمن ، وما رأت أم البنين أثراً في وجه الوليد حتى فرّق بينهما الدهر .

16- مي وجبران

كانت محبّة مي لجبران مؤلمة تسري فيها قشعريرة البعد. جبران ومي والأعوان العشرون بينهما تحلّق ، وينتشي الفكر والروح ، والرسائل تشعّ بفوح الكلمات . وكتب لها جبران :

إن يوم يجيئني منك رسالة ، لهو من الأيام بمقام القمّة من الجبل . ذلك اليوم يا مي أتنحّى فيه عن سيل الزمن ، لأصرفه متجوّلاً في أرم ذات العماد. ما أجمل رسائلك يا مي . إنها نهر رحيق يتدفق ويسير مترنّحاً في وادي أحلامي . وهي قيثارة - أورفيوس – تقرّب البعيد وتحوّل بارتعاشها السحري الحجارة إلى شعلات متّقدة .

17 – ولاّدة وابن زيدون

أميرة الأندلس – ولادة – التي أثارت الأدباء والشعراء وكانت فريدة زمانها سحراً وجمالاً. ذكاء وثقافة، شعراً وتحرراً.. في مجلسها يجتمع الأدباء والشعراء والوزراء وينظرون إليها في انبهار وافتتان، وهي أول من هتك الحجاب وقد كتبت على عاتقها الأيسر:

أنـا والله أصلـح للمعالــي
وأمشــي مشيتي وأتيه تيهاً
وأمكّن عاشقي من صحن خدي
وأعطي قبلتي من يشتهيها

واقترن اسم ولادة – بابن زيدون المخزومي – الشاعر وقد ألهمته ولادة أجمل قصائد الحب . وكان يصف لها فرط قلقه، وضلوعه ملتهب للجمر . ولم تكن أقلّ هياماً منه وكتبت تقول :

ترقب إذا جنّ الظلام زيارتي
فإني رأيت الليل أكتم للسر

ويلتقيا ويفترقا ثم تدخل المنافس الوزير – ابن عبدوس – وأظهر له المكايد ، واعتقل وسجن وهرب. وكلّما زاد في بعده واقترابه زاد شوقه وولعه بولادة .

وظلّ غريباً وبعيداً عنها حتى آخر لحظة من حياته.

18 – قطر الندى

تختال قطر الندى يوم عرسها ، فهي ذات جمال باهر وعقل راجح ودلال وكمال . حين تقدّم إليها الخليفة المعتضد ليختار زوجة له . وكان زفافها حدثاً لم يعرف التاريخ مثله . وقد بنى والدها (خمارويه) سلسلة من القصور بين مصر وبغداد لتنزل بها ابنته خلال رحلتها مع الخدم ، والجواري ترافقها مواكب الموسيقا والسفن تمخر عباب نهر دجلة والجواري يحملن الشموع لاستقبالها . وأحسّ المعتضد بالشباب يفور داخل شيخوخته وهو يلمح الصبية النضرة ، ووقع صريع هواها .

هذا العرس الضخم أدّى إلى فراغ الخزينة وضعف الدولة. ولم يستطع خمارويه احتماله فتوفي بعد زواج ابنته بعامين وزالت الدولة الطولانية في مصر بسبب فرح قطر الندى . ولم يمضِ وقت طويل حتى توفيت قطر الندى حزناً على أبيها وهي في عمر الزهور فدفنها المعتضد في الرصافة وبكى أمام قبرها بكاءً مراً . هذا العرس كان مصدر مأساة تاريخية كبرى ..

19 – رابعة العدوية

رابعة شقّت طريقاً فريداً في الحبّ الإلهي ، وجعلته طريقاً لتطهير القلوب والسمو بالحبّ نحو المطلق .وهجرت حياة اللهو والترف واكتشفت أغوار روحها الطافحة .

إلهي .. أغرقني في حبّك ..
حتى لا يشغلني عنك شيء .

* * *

كأسي وخمري والنديم ثلاثة

وأنا المشوقة في المحبة رابعة
فإذا نظرت فلا أرى إلا له
وإذا حضرت فلا أرى إلا معه

كان والدها العابد الفقير يكدح يومه في القارب وليله في العبادة . وبعد أن توفي لم يعد في الكوخ إلا أربع بنات يتامى جائعات خائفات . فأخذت رابعة مكان أبيها على القارب ، وهي تعدّي بالركاب من ضفّة إلى أخرى فاشتهرت بـ (رابعة العدوية) حتى حصلت المجاعة في بصرة والتقطها لصّ وباعها لأحد التجار فذاقت العبودية والرق . وتخلّصت منه بأعجوبة ، ثم اشتغلت عازفة ناي ثم انصرفت إلى العبادة والتوبة .

ووضعت قوانين الحب والحزن في مناهج التصوّف. وبقي شعرها الخالد يطفو على جوانب الأدب الصوفي .

20 - حبابة ويزيد

تسللت – حبابة – الباهرة الجمال إلى قلب الخليفة _ يزيد بن عبد الملك – فانشغل بها عن شؤون الحكم ، وقد أحضرتها له زوجته – سعده – التي كانت تحبّه وتبذل جهدها لإرضائه .

واشتهر بميله إلى الغناء والشعر ، وخرج من قصره معها ونزلا في بيت في أول الشام ، وكانا في أهنأ حال والطعام والشراب بين أيديهما ، وهي تغني وهو يذوب وجداً . فجأة شرقت حبابة بحبة الرمان ، فاختنقت وماتت بين يديه . وجنّ جنونه ، وظلّ يعانقها ويبكي . وتدخّل أهله بعد ثلاثة أيام والجثّة قد أنتنت ولا يسمح بدفنها . ووجد قصره موحشاً.

ولم تمضِ أيام حتى انطلق إلى قبرها ، اصرّ على نبش القبر . ووجدها قد تغيّرت فقيل له:
" يا أمير المؤمنين اتقِّ الله . ألا ترى كيف صارت؟ " قال: " ما رأيت أحسن منها اليوم " وأعادوا دفن الجثّة . وبدأ يحسّ بالإعياء والتعب ومات بعدها بخمسة عشر يوماً .

21 – الزهراء والناصر

شعّت (الزهراء) في قلب الخليفة (الناصر) فأحبّها وشغف بها ، وعشقه لها وصل أبعد الحدود حتى قالت له يوماً : أشتهي لو بنيت لي مدينة تسمّيها باسمي . فأسرع لبناء أعظم مدينة في الأندلس – مدينة الزهراء - . استغرق بناء المدينة عشرين عاماً. وكان بناؤها غاية في الإتقان والجمال ، وهي من عجائب أبنية الدنيا .

ودخلها الناصر ومعه الزهراء جاريته وزوجته، وسألها : كيف ترين هذا ؟ قالت : حسن لولا أن هذا السواد (جبل قرطبة) يطلّ على مدينة الزهراء . ولم يمضِ وقت طويل حتى شجّر الجبل بأشجار اللوز والصنوبر والرياحين والأزهار . وتدور دورة الزمن ويموت الناصر والزهراء ويبقى البناء خالداً أبداً .

قال فيه أحد الشعراء :

وقفت بالزهراء مستعيراً
معتبراً أندب أشتاتا
فقلت: يا زهرا ألا فارجعي
قالت: وهل يرجع من ماتا؟

22- ديك الجن

كان ديك الجن – وهو لقب الشاعر عبد السلام بن رغبان – لم يبرح نواحي الشام قد تتيّم بجارية حسناء وهواها . وفي أثناء غيابه عن بلده وقد أبعده بعض أقربائه بحيلة ، واتهموها بعلاقة مع غلام ، فأثاروا في نفسه نار الغيرة والشك . وحين عاد قتلها ثم اكتشف براءتها ، فاستنفذ كل شعره في مراثيها ، وقضى عمره نادماً حزيناً ، ومن رمادها كان يستقي الوجد فتوارى بين سراديب الألم وأغمض الحزن أحلامه المشوّشة .

لم تبلْ عينك أبيضاً في أسود
جمع الجمال كوجهها في شعرها
وتمايلت فضحكت من أردافها
عجباً ولكني بكيت لخصرهـا
تسقيك كأس مُدامة من كفّهـا
وردية ومُدامة من ثغرهـا

23 – محبوبة المتوكل

محبوبة .. مغنية وشاعرة ، حظي بها المتوكل وملكها . ويوماً غاضبها وهجرها فحبست نفسها في حجرتها تغني . ومرّ المتوكل قرب غرفتها فطرب لغنائها واصطلحا . وبعد أن قتل المتوكّل أخذها – وصيف - . وكانت محبوبة كلّما أخذت العود لتغني تبكي ، فاشتدّ ذلك على وصيف وهمّ بقتلها ، ولكن أحدهم استوهبها فوهبها له فأعتقها ، فخرجت من (سرّ من رأى) إلى بغداد هاجرة كلّ لذّة وغناء حتى ماتت.

24 – عريب المأمونية

شغف الخليفة (المأمون) بـ(عريب) شغفاً شديداً حتى أزاله عن وقاره . من هذا التعلّق الشديد أخذت عريب نسبتها (عريب المأمونية) . ولم توجد مغنيّة في أي عصر قد نالت من الحظوة والجاه ما بلغته عريب . وكانت وفيّة لفنّها ونسيان ذاتها في سبيله . ويروى أن المأمون قال : أين عريب ؟ فجاءت وهي متهالكة من الحمّى ، واستندت إلى الحائط وظلّت تغني حتى سقطت مغشياً عليها .

ومن بديع منطقها أن المأمون عتب عليها وهجرها أياماً وحين مرضت زارها وقال: كيف وجدت طعم الهجر ؟ قالت : لولا مرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوصل . وبعد وفاة المأمون اشتراها المعتصم وأعتقها وأصبحت من رموز الأدب والغناء.

25 – عليّة بنت المهدي

هي أخت أعظم الخلفاء العباسيين (هارون الرشيد) وكانت من أحسن النساء وأظرفهنّ وأعقلهنّ ، ذات صيانة وأدب وعفّة تنشد الشعر وتصوغ الألحان وتمارس الغناء .

وكان الرشيد يبالغ في إكرامها ويصطحبها معه في أسفاره. وحين مات أخوها هارون الرشيد جزعت عليه جزعاً شديداً وتركت الغناء ، وقيل أن المأمون ضمّها إليه وجعل يقبّل رأسها وكان وجهها مغطى فشرقت وسعلت وتحشرجت ، وبعد أيام ماتت. ولها ديوان شعر .

26 – دنانيـر

جارية يحيى بن خالد البرمكي ، وهي المغنية الجميلة ذات البهاء والكمال ، ومن أكثر الناس قدرة على الغناء ورواية الشعر. سمعها هارون الرشيد وتعلّق بها فكان يترك زبيدة زوجته وقصره ويسهر في دار – يحيى – ليسمعها ويتحدّث إليها ويفيض عليها من نعمه وهداياه . وبعد أن حدثت مذبحة البرامكة انتقلت دنانير إلى قصر الرشيد ولكنّها ظلّت وفيّة لمواليها . فقد دعاها الرشيد بعد النكبة وأمرها أن تغني فقالت : يا أمير المؤمنين آليت على نفسي ألا أغني بعد سيدي . فغضب منها وأمر بصفعها ثم أقيمت واقفة على رجليها وأعطيت العود ، فأخذته وهي تبكي واندفعت تغني . فرقّ لها الرشيد وأمر بإطلاقها . وبقيت وفيّة لمولاها حتى وافتها المنيّة ..

27 – فرهاد وشيرين

الأميرة الأرمنية – شيرين – زوج الشاه خسرو الثاني ووشاح جمالها يتراقص مشعّاً من وراء زرقة غامقة. لمحها فرهاد المعمار وصعقه جمالها ، وصوتها بثّ سحره، واشتعل الحبّ الوهّاج بقناديل البراءة والنقاء ولكن جاءه نبأ وفاتها وكان كاذباً فألقى نفسه بائساً من قمّة جبل (بيتسون) . وحين عرفت شيرين بموته انتحرت هي الأخرى .

مات كلاهما .. كل واحد من أجل الآخر ، ولم يسعدا بحبّهما .

28 – وامق وعذراء

ارتحل وامق ابن امبراطور الصين وراء – عذراء – ابنة أحد الملوك وهام بها غراماً . وتعرّض لكثير من الصعاب والعقبات واجتازها . وحين وجد حبيبته وقع في أسر العدو ، ومن ثمّ أرسل إلى الهند . وأراد الشعب إحراقه بالنار ، ومعاقبته لكنّ النار لم تمسّ – وامقاً – فعبده الهنود (كإله) ، ولكنّه تخلّص منهم وهرب إلى الحبيبة وتزوّجها .

وبقيت نجمة الحبّ مشعّة عبر كل تاريخ . وهي تزف لحظات اللقاء الأسطورية .

29 – زال وروذابه

التهب قلب – روذابه – بالعشق من الأخبار التي يرويها الآخرون عن (زال) وكذلك هو يتتبّع أخبارها . وتلوّنت زرقة الأحلام حول معبد حبّهما المهجور ، وكلاهما يقول : إنك متواجد في قلبي ، وتتدفّق شحنات الوله أكثر فأكثر . وحين التقيا ، وحين تحدّث إليها أحسّ أنها تمتلكه أكثر فأكثر . وكان سكر الحب حنوناً على صدر الحبيب .

30 – زليخا ويوسف

انبثق هذا الحب من رؤية جمال (يوسف) الباهر فأصبحت زليخا هائمة ، والعذارى يقطعن أصابعهنّ بسكين الحرمان. وكان هذا الحب عنيفاً متّقداً . واهتدت زليخا من خلاله إلى طمأنينة الإيمان والعبادة ، وكأنها تهتف بيوسف : لأنك رحلت ذبل قلبي حزناً .

31 – دعد - القصيدة اليتيمة والشاعر دوقله المعنجي

تلك الأميرة الغافية بين أجفان الجمال ، هذه الأميرة من نجد وشاعرة من شاعراتها . رفضت الخطّاب والأمراء وقررت أن تتزوّج من يكتب أجمل قصيدة في وصف جمالها. فأسرع شاعر من مدينة (منبج) وكتب ثلاثين بيتاً في وصفها . وشاءت الأقدار أنّ هذا الشاعر ترافق مع شاعر آخر من تهامة إلى نجد في رحلة صحراوية، وأنشد كلّ منهما قصيدته ، فتذوّق شاعر تهامة قصيدة صديقه وأحسّ أنه سيفوز بالأميرة .فأخذها منه وقتله وحرّف لغتها. وحين قرأتها الأميرة – دعد – انتبهت إلى لغة تهامة وأحسّت بشيء غامض قد حدث ، واكتشفت الحكاية فقالت : هذا قاتل زوجي . مات الشاعر وبقيت القصيدة يتيمة .

القصيدة /65/ بيتاً ، ومنها :

لهفي على دعد وما خلقت
إلاّ لطول تلهّفي دعد
فالوجه مثل الصبح مبيضّ
والشعر مثل الليل مُسود
إن لم يكن وصل لديك لنا
يشفي الصبابة فليكن وعد
وإذا المحبّ شكا لصدود ولم
يعطف عليه فقتله عمد

32 – عنترة بن شداد وعبلة

عنترة هو أحد أبطال العرب وشعرائهم المشهورين. كانت أمه حبشية فسرى إليه السواد منها. وأحبّ عبلة ابنة عمّه . ولاقى في سبيلها ضروباً من المرارة والعذاب بسبب لونه وعدم تمتّعه بحريّته لأنه عبد . وكان عنترة يناجي عبلة في أشعاره وأكثر من قصائده الغزلية بها فهرب والد عبلة

بابنته إلى بني شيبان وبقي الصراع مستمرّاً ، وبقي عنترة متحدياً . وبقيت عبلة دمع ليالي وجده .

ويقول عنترة :

ولقد ذكرتُكِ والسيوفُ نواهلٌ
منّي وبيضُ الهِندِ تقطُرُ من دمي
فوَدِدتُ تقبيلَ السيوفِ لأنّهـا
لمعتْ كبارِقِ ثغرِكِ المتبسِّمِ

* * *

أساطير الحب والرموز

ليلى مقدسي

1- كوبيد - بسيشيه

كان الناس يعبدون **فينوس** ربّة الحب والجمال . وحين ترعرعت بسيشيه وتدفق ماء الشباب في جسمها الريان ، وكان غموض حسنها السر في عبادة الناس لها ، فدعت **فينوس** ابنها **كوبيد** وأثارت في قلبه العداوة لهذه الغادة ، وصرفت الناس عن عبادتها . واندسّ خلف الستائر الحريرية ينظر إلى **بسيشيه** وهي نائمة وسحر الجمال يهيم على وجهها ، فسقطت عليه شعاعة من ضوء ديانا ، ربّة القمر ، لتقول له :

- مكانك أيها الرامي الحبيب ، لن تجد في رباب الأولب من تخلص لك الحب مثلها .

فعاد كوبيد لا مبالياً بسخط أمه إلى الحبيبة . وحين اكتشفت أمه ذلك سلّطت عليها الأشباح تروّعها ، فهربت بسيشيه إلى جبل لتستريح مما يطيف بها من آلام . ورآها كوبيد وطلب من صديقه إله الرعد أن ينقذها ويذهب بها إلى جزيرة فيها قصر جميل . وأصبح يزورها في الظلام ويتساقيان كؤوس الحب حتى مطلع الفجر دون أن تراه .

في إحدى الليالي بعد أن غفا ، أوقدت مصباحها لتراه فاهتزّ المصباح وسقطت نقطة زيت . صحا كوبيد وودّعها غاضباً ومضى . فعادت إليها الأشباح والضياع وهبّت عليها روح الموت ، وأحسّ بما تعاني فأنقذها وتزوّجها .

فاحتفلت الآلهة بعرس الحب .

ورُسِمَت بسيشيه ربّة للروح الخالدة التي ترف فراشة جميلة وإلى جانبها إله الحب – كوبيد .

2- إيخو – ونركيسوس (أو نرسيس)

غضبت **هيرا** زوجة **زيوس** كبير الآلهة على الفتاة **إيخو** ومعنى اسمها (الصدى). واعتبرتها السبب في تمادي زوجها في حبّه فأرسلت عليها شواظاً من غضبها ، فيممت شطر غابة واتخذت لها مأوى في أصل سنديانة تجترّ أحزانها ، ولمحت الفتى الإغريقي البهي الجمال **نركيسوس** . وكان مأخوذاً بجمال نرجسة اقتطفها من غصنها وهو يحدّق فيها بعينيه المعسولتين ، فبرزت إيخو تعانقه وتبثّه حبّها ولكنه انطلق هارباً لأنه تفاجأ بهذا الحب فاضمحلّت من صدمتها وغدت صدى يتردد في كل واد، وأثر كل نداء . أما نرسيس الذي حطّم قلبها وتركها اقترب ليشرب من غدير صاف . وما كاد ينحني حتى رأى صورته في صفحته الساكنة . فبهره حسنه وأخذ يرمق صورته بقلب مشوق ونفس هائمة وهو لا يعلم أن الحبيب الذي يتأمّله هو ظلّه وعروس الماء التي تبلت فؤاده هي خياله والعاشق الولهان يمس الماء بشفتيه ، ومرّ الخيال في شظايا الماء ، وتحطّمت الصورة الجميلة وهو يشكو ويتوجّع فذوى عوده ، وذبلت تضرته ودنت ساعته ، ووقفت إيخو تشهد الفصل الأخير من مأساتها وسمعته يقول : " ها أنذا أموت أيها الحبيب بقربك وأحبّك دائماً . "

بكت إيخو وردد الصدى كلمات الوداع وعرائس الماء تنوح عليه .

جمعت إيخو الحطب لإحراق الجثة ولكنها وجدت مكانها زهرة جميلة من أزهار (النرجس) فذرفت دمعة على النرجسة .

3- أبوللو - دفنيه

بدأت الحرب بين **أبوللو** سيّد الشمس وربّ الموسيقى وبين **كوبيد** إله الحب ابن أفروديت . أي بدأت بين البغضاء والحب ، وتضايق كوبيد من أبوللو وتفاخره بنفسه ، فدبّر انتقامه وكان يحمل كنانتين . في الأولى سهامه الذهبية التي يصيب بها القلوب فتملأ حباً وصبابة ، وفي الثانية سهامه الرصاصية التي يصيب بها القلوب فتملأ حبّاً وصبابة . وفي الثانية سهامه الرصاصية التي يصيب بها القلوب فيفحمها بغضاً وكراهية . وسدد إلى دفنيه الجميلة البارعة الحسن سهماً رصاصياً وسدد إلى أبوللو السهم الذهبي ، فوقع نظر أبوللو على دفنيه فهام بها وأمرضه هواها ، أما هي فأبغضته ، ولم تُجدِ كل توسّلات أبوللو . وهربت منه وهو يتبعها متوسّلا باكياً ، ثم تصل عند حفافي النهر العظيم وكان والدها - زيوس - فصرخت : أنقذني يا أبي . وينشطر الماء ويخرج أبوها ويرى أبوللو يتبعها ، ويقسم أن ينقذها ، فيغرس ثوبها ويدثرها به فتتحوّل إلى شجرة باسقة من أشجار الغار . ووقف والدها يبكي ، ويبارك الشجرة ويسقيها من دمعه وأتى كوبيد يسخر من أبوللو ... فطلب منه أن يشفيه مما ألمّ به فشفاه وانتصر الحب .

4- إيزيس - يو

كانت **يو** بارعة الجمال وابنة لأحد أرباب الأنهار . وفي هدأة الليل تعبد القمر ، ورآها **زيوس** فتحوّل في لمحة إلى فتى يانع وجلس يحدّثها ويرخرخ في صوته بالموسيقى، وابتسامته بالمحبة وبقي يلقاها . أحسّت **هيرا** زوجته فحوّلتها إلى بقرة بيضاء ناعمة . ووضعت لها حارساً ساهراً دائماً . في إحدى المرات تذكر زيوس ما سبّب لها من تعاسة فأرسل ابنه ليقتل الحارس وينقذها . أما **يو** كانت تصلي بحرارة لربّ الأرباب فاستجاب لها وانطلق إلى هيرا فتفجرت الرحمة في قلبها لأول مرة وأعادتها إلى صورتها الأولى . وأبعدتها إلى ضفاف النيل ، فبهر المصريون بجمالها الوضّاء ثم عبدوها . وأقاموها ملكة عليهم اسمها **إيزيس** وتزوّجها كبير آلهة مصر **أوزيريس** وتلد له ابنه **حوريس** .

5- برسيوس - وأندروميدا

تعيش الأميرة **أناي** هي وابنها **برسيوس** في إحدى مدن الشواطئ الإغريقية . وكتب عليه أن يحرم صدر والده الذي طوّحت به أسفاره، والوالد كان ظالماً ففرح أهل المدينة برحيله. وخوفاً من أن ينشأ طفله على وتيرته نُفي هو ووالدته في زورق إلى بحر ، وكان الموت قاب قوسين أو أدنى منهما . ولكنهما قذفا إلى ساحل جزيرة نائية ورحّب الناس به والسماع إلى أحاديثه العذاب ، فقرر إرساله ليصارع حية تنفث السم الزعاف وكل من ينظر في عينيها يتحوّل إلى صنم . وفيما الفتى غارق في لجة التفكير شرق بواكف الدمع سمع صوتاً يناديه وعرف أنه **هرمز** الذي قرر مع الآلهة **أثينا** مساعدته . فذهب برسيوس إلى الجزيرة وقطع رأس فتاة بارعة الجمال مكبّلة بالحديد تقدم إلى تنين بحري وهي مذعورة فأهوى على عنقه وقتله . وفك أصفاد الفتاة ، وذهب إلى أمها المسكينة وطلب يد ابنتها **أندروميدا** وسعدت الفتاة بهذا الشاب الذي أنقذ حياتها وسافرت معه . وحين تقدم إلى الملك سخر به واستهزأ . ولكنه قدّم له رأس الحيّة فذهل الملك واضطرب . وشمل الفرح أهل الجزيرة لأنهم تخلّصوا من الملك الظالم وأصبح برسيوس ملكاً . وذهب إلى هرمز وعانقه بفيض من المحبة والشكر .

6- أرفيوس الموسيقى

أرفيوس ، لسان الطبيعة ، ووحي السماء إلى الأرض ، وصاحب القيثار ذات الرنين . كان يعزف فتشيع الحياة في الصخر ، وكان يطرب الألهة ، والوحوش تنصت إليه ، والأشجار تغفو حالمة . وكان له زوجة أجمل من الفجر وأندى على قلبه من أنفاس الصبح اسمها **بوريديس** .

وسئل مرة : ماذا تملك يا أرفيوس في الحياة ؟ فقال : قيثارتي وبوريديس . وبينما كانت تجمع الأزهار إذ أفعى لدغتها فتناثرت الرياحين حولها كأنها سرير موتها ، وحاول إنقاذها ولكن هيهات . وانزوى عن العالم وأجدبت قيثارته إلاّ من الأنات المؤلمة ، وقرر أن يقوم برحلة إلى العالم الآخر ، ويمر بنهر العدم ونهر النسيان ونهر الآلام . واجتازها بقيثارته الرقيقة وأنغامه وتوسل إلى إله الموت أن يرجع إليه حبيبته . وافق بشرط إلا يلتفت وراءه حين يراها . ولكنه تلفت ، فتثني راجعة ويعود إلى الدنيا محطّم القلب ويسكن في شعاب جبل تزمزم الرياح في جنباته .

وتتبعه بعض النسوة ويرجمنه بالحصى فيموت فتفرح حبيبته بلقائه . وتبقى الأشجار والأطيار تهتف إلى اليوم موسيقارها المحزون .

7- الدب الأكبر والدب الأصغر

رآها **زيـوس** تقطف الأزهار وتتيه في حدائق السوسن ، وجنّ بها وأخذ يقتفي أثرها . وحين استيقظت **كليستو** وجدت نفسها في حضن هذا الشاب اليافع ووضعت غلاماً جميلاً . باركته الآلهة وسمّته **آركس** . وكانت لا تدع ابنها لحظة واحدة وأقامت عليه حارسين من كلابها . وحين اكتشفت **هيرا** زوجة زيوس الأمر حوّلتها إلى دبة وتركتها خمسة عشر عاماً في الغابة تتحمّل الشقاء وتتذكر ابنها والموسيقى والأزهار والغناء .

وكان بكاء **كليستو** يذيب الصخر ، وكذلك آركس يبكي أمه ولمحته يرتاد الغابة ففزع لوجود دبة متوحشة ، وتناول قوسه وأحسّ ببريق ينبعث من عينيها بحنان وعطف ، وحين أراد أن يسدد سهمه إلى أمه تدخل الإله فصاحت كليستو : " أنا أمك " فسقطت القوس من يده وعانق أمه وهما يبكيان وتدفق حنان السماء فحملهما زيوس إلى الأولمب وأطلقهما في السماء الخالدة ليكونا برجين من أبراجها لا نزال نراهما إلى اليوم . فالأم – الدب الأكبر ، والابن – الدب الأصغر .

8- فيتون وأبوللو

عاد الفتى **فيتون** إلى أمه الحسناء **كليمين** يسألها عن أبيه لأنه غير مصدق أنه ابن الإله **أبوللو** . فقالت له أمه : إنه ذهب إلى الهند التي تقع في مشرق الشمس ، فسافر إليه ودخل قصر الشمس ووجد أباه في صدر العرش متّشحاً بوشاح أرجواني وعلى يمينه ويساره وقفت الأيام والشهور والسنون في صفوف متلاحقة ، ثم وقف الربيع وعلى رأسه إكليل من الغار والزهر ثم الصيف قابضاً حزمة سنابل القمح ، ثم الخريف متهالكاً وعلى قدميه آثار العنب ، والشتاء الذي بدا شيخاً وقوراً جلل الشيب رأسه من الثلج . فطلب من أبيه أن يسوق محفة الشمس يوماً واحداً ليثبت لرفاقه أنه ابن أبوللو . حذّره والده بأنه سيفشل ويحرق الجميع ، وما هي إلا لحظات حتى شبت الحرائق في كل الأرجاء وعادت الشمس إلى ربها أبوللو المسكين فهو يجري بها إلى اليوم لمستقر لها . أما كليمين فهي إلى اليوم تبكي ولدها ، وقد بكته معها أخواتها حتى رثت لهن الآلهة وسحرتهن إلى أيكات ثلاث من شجر الحور . فهن حانيات على النهر منذ ذلك اليوم .

9- أسطورة الربيع :

كانت **ديمتر** الطيّبة ربّة الخيرات ، حين يتنفس الصبح تلبس تاجها الذي ضفرته من سنابل القمح وتتناول باقة من زهر الخشخاش ، وتهب القمح من نفحاتها ، وتعود حين يجن الليل وابنتها **برسفونية** تقضي سحابة النهار مع سرب من أترابها يقطفن الأزهار والسوسن .

ملّ إله الموت **بلوتو** في مملكته تحت الأرض فخرج إلى الأرض ولمح الفتاة الممشوقة وخطفها. خلعت برسفونية زنارها الحريري الأبيض ةألقت به على ضفاف النافورة عسى أن توصله عروس الماء إلى أمها . وحين افتقدت ديمتر ابنتها غضبت وآلت ألا ينضر الحقل ، ولا تثمر شجرة ما دامت ابنتها نائية . وحزنها صرفها عن صلوات البشر وتضرّعاتهم ، وجلست قرب النافورة فأعطتها عروس الماء زنار ابنتها وأعلمتها أنها خطفت ، فذهبت إلى **زيوس** فوعدها أن يعيد لها ابنتها شريطة ألا تكون قد أكلت طعاماً من مملكة الموت . ولكنها كانت قد أكلت ست حبات من الرمل فعدل حكمه بحيث تبقى ستة أشهر (أي شهراً بكل حبة مما أكلت) وتعود إلى أمها ست أشهر وتبقى معها وبعودتها يعود النماء إلى الزرع والأزهار إلى الحدائق . وهكذا حرم بلوتو الشرير أن تكون الحياة ربيعاً دائماً .

10- أورورا – ربّة الفجر والندى

حينما كان الصبح يتنفس أنفاسه الندية العطرة رأت **أورورا سيغال** يثب فوق الجبال ويصيد الوحوش ، فهامت به وحاولت أن تكلّمه فشاح بوجهه وجرح كبرياء ربّة الفجر الوردية وفضّل زوجته وقال : إنها أجمل منك لأنني أنظر إليها بعيني لا بعينيك ، فغضبت وطردته . وفي ذات مرة انطلق في أثر ظبي فأنهك قواه فاستراح على العشب الأخضر في فيء دوحة باسقة وأنشأ يردد أغنية أين أنت يا نسمة .. يا منعشة الروح ، فانتهزتها أورورا فرصة للإيقاع بينه وبين زوجته ، وأرسلت لها من يخبرها أنه يحب فتاة اسمها نسمة فغضبت زوجته واختبأت وهي تنصت إلى غناء زوجها وعاثت الوساوس في صدرها . فأرسلت آهة عميقة فهب سيغال مذهولاً مروعاًوحسب أن وحشاً يتربص به ، وتناول حربة وصوّبها إلى صدر زوجته ، وفوجئ بها وأراد أن يشرح لها أنه كان يتمنى نسمة من الريح ولكنها أغمضت عينيها وماتت . فأرسل الفتى أنينه في الأفاق ورفع وجهه ليقلبه في السماء فرأى وجه أورورا تبسم وتضحك فهام على وجهه لا يلوي على شيء حتى مات .

11- أجنحة ديدالوس

اشتهر **ديدالوس** في أثينا بروعة الفن وهندسة المباني والزخرفة ، وذاع صيته بين الملوك خاصة بعد أن بنى التيه لملك كريت على شكل دائرة محيطها الشعاب والمتعرجات وفي وسطها فسحة كبيرة للوحش الهائل ألمينوطور . وحين كبر ابن أخيه **بردكس** أمر عمه بمزج الشعر والموسيقا بفن الخصر وأضفى عليها من روحه العطرية ظلال الحب ولهج سكان أثينا حتى الآلهة حرك فيها العواطف وتناسوا عمه الذي هو أستاذه وملهمه وبدأت عقارب الغيرة تلسع قلب الشيخ الفنان فأخذه إلى جبل شاهق يشرف على البحر ودفعه ولكن الآلهة أنقذته ، ونفخت فيه منيرفا فأصبح فرخاً حزيناً يرف في السماء . وعرف عمه أنه أنقذ ، وعلم الملك بخيانة ديدالوس . فاعتقله في إحدى غرف القصر مع ابنه ، واستطاعا الحصول من شرفة على مقادير هائلة من ريش البط والأوز والديكة وصفا أجنحة كبيرة ثبتاها بالشموع بعد صهرها وانطلقا طائرين . وشاع الزهو في أعطاف ابنه **إيكاروس** وارتفع وارتفع حتى صهرت الشمس شمع الجناحين فهوى إيكاروس وابتلعه اليم .وهبط الوالد إلى البحر وانتشل ابنه جثة هامدة ثم شق له قبراً على رمال الشاطئ حتى رأى قطاة حزينة تهبط بمقربة من القبر والدموع تنهمر من عينيها . ويعرف الشيخ أنه بردكس ابن أخيه فطلب منه السماح ، وكانت القطاة تنتحب ثم ترف في الهواء حتى تغيب .

12- هيرو – بليياندر

كانت **هيـرو** طفلـة طـاهرة القلـب منـذورة فـي الـدير إلـى **فينـوس** ربّـة الحـب . وشبّت وتفتح الـورد علـى خديها النـاعمين ،

ورسمت راهبة ، وكانت تؤدي الطقوس لربة الجمال ، وذاعت شهرتها وغدت حلماً ولهان ، وعشقها الفتى **بليانـدر** . وكان يوم مهرجان جميل وباقات الزهور تتناثر حولها وفينوس تشهد هذا الاحتفال ، وأقسمت أن تعاونها في هذا الحب ، وأرسلت سهام ابنها **كوبيد** ، وكان يلتقيان فوق رمال الشاطئ قريباً من البرج الذي تسكنه ، وفي أثناء عودته من زيارتها في إحدى المرات هبّت عاصفة بحرية وكاد الموج يصرعه ، وجاهد العاشق وألقى نظرة أخيرة إلى البرج ليزود من نوره ، ولكن الرياح الهوج أطفأته فأطفأت قلبه والأمل وغاص في البحر ولفظه البحر جثة هامدة . وفي منتصف الليل انتظرته **هيرو** على ضوء مصباحها الخافت ولكنه لم يأتِ . تنفّس الصبح فسارعت إلى البحر ، وحملقت في المياه ، وأبصرت جثة الحبيب ترتطم بالموج . صعقت هيرو وألقت بنفسها في الأعماق . وما هي إلا لحظات حتى كان الحبيبان مسجيين على سرير الماء ملقفين في أكتاف الزبد .

13- بيرام وتسبيه (توت أبيض – وتوت أحمر)

كان أجمل شباب بابل ، وكانت أجمل حسانها وكان بيتاهما متلاصقين ويتلاعبان منذ الصغر ويلتقيان عند النبع القريب . فيتسلّق بيرام أشجار التوت الأبيض ، والتوت الأحمر لم

يعرف بعد . وحين يسقط الثمر الشهي تأكل منه ولم يعرفا أنه الحب الذي يخفق في صدريهما . وكلّم **بيرام** أباها الذي رفض لأنها كانت مطمع أبصار شبان المدينة، ولكن البعد زادها هياماً، وذابا غراماً وراح ينظم الشعر ويتغنى بها وموسيقاه تنساب إلى غرفتها ويلتقيان سراً .

في إحدى المرات جلست تحت شجرة التوت تنتظر **بيرام** ولكنها لمحت لبوة وفمها ملوّث بالدم فهربت تسبيه ووقع خمارها الأبيض على الأرض فعاثت فيه اللبوة وتلوّث بالدم . واختبأت الفتاة في جذع شجرة ، وأقبل بيرام يبحث عنها وعثر على خمارها الأبيض الملوّث ، وظن أن الوحوش افترستها ، فأغمد سيفه في صدره . وأسرعت من مكمنها لتشرح له ما حدث ولكنه لفظ أنفاسه مع اسمها .

فصرخت تناجي التوتة البيضاء ولكنها بدل أن ترى الثمر الأبيض رأت ثمراً أحمراً يقطر دماً قانياً لأن الشجرة رويت من دمه ، فأغمدت سيفه في صدرها وسقطت قربه . وأقبل الأهل وأقاموا للحبيبين قبراً واحداً من الرخام الناصع عند حفافي النبع تحت التوتة الحمراء .

14- يبرها – ديوكالين

العصر الذهبي – كان ربيعاً دائماً مضفوراً بالمحبة وخيرات الأرض تغني عن كدح الإنسان .

العصر الفضي – اضطر الناس للعمل حين تكاثروا ولكنهم لم يعرفوا الحسد والبغض .

العصر النحاسي – فسدت طبائع الناس ، وامتلأت نفوسهم بالحقد ، وتنازعوا على البقاء .

العصر الحديدي – غلب الشر النفوس وأذلهم الطمع وانقسموا إلى سادة وعبيد وطغى الفساد .

عبس **زيوس** وغضبت السماء وأظلم وجه الأرض وأقفرت المروج ويبست الحدائق، وحدث طوفان ليروّع الناس، ولم يبقَ منهم أحد . وانتهت الإنسانية في حزن عميق . وكان زورق يتهادى فوق البحر ، وقد جلس فيه حبيبان يتناجيان ، فقالت يبرها لحبيبها **ديوكالين** : لا تيأس، إن سيّد الأولمب معنا، وجميع الناس غرقت بينما نحن كنا نصلي للآلهة ، ونعطف على الفقراء ، ونرثي الضعفاء . وشدت على يده فقال لها : لا أخشى الطوفان بل أخشى عليك وأخشى أن يفصل بيننا ، وطبع قبلة على شفتيها المرتعشتين والآلهة تراهما . وتقديراً لهذه القبلة الصادقة قرر سيد الآلهة ألا يبيد البشر . ولم تمضِ ساعات حتى عادت الأرض وشكرا الإله الذي باركهما وتزوّجا .

واستبدّ بهما الطمع فوقعا في الغلطة الأزلية ، ولم يمضِ شهر واحد حتى كان لهما جرار من البنات والبنين . وتكرر العصر الذهبي ، ثم الفضي ثم النحاسي ثم الحديدي .

وفكر سيد الأولمب بطوفان جديد فأية قبلة تدفع عن البشرية هذا الشر الجديد ؟

15- عرائس الدرياد

كحلقة رائعة أشبه بضفيرة الآس الأبيض الغض كنّ يرقصن حول الدوحة الباسقة التي تسكنها عروس ، فهنّ ، تلك

العرائس الروحانية كانت كل منهن تولد مع مولد الشجرة ثم تتّخذ مستقرها لهذا كان قطع الأشجار من أكبر الكبائر التي تنهي عنها السماء . وكانت دوحة هذه العروس أعظم أشجار الغابة ، وفي الليالي المقمرة ترافقهن **ديمتر** راعية العرائس وربة الزرع فتنتشي الطبيعة ويسكر القمر ، ولكن ملكية الغابة كانت لرجل ضال القلب ، جاحد فأمر بقطع الدوحة الكبيرة ، ورفض عماله خوفاً منها، فأخذ معولاً وضرب لحاء الشجرة فتفجر الدم القاني، وتعالى صوت رقيق موجع مكان الشجرة . وسخر من الصوت ومن الآلهة فانشقّ الهواء حوله وصوت إلهي يهدده بعذاب مضنٍ ، فشعر ببرودة شديدة وسقط شبه مشلول وبرز من الظلام البعيد أشباح من عرائس **الدرایاد** يتشحن بالسواد يبكين أختهن **الدوحة** . أغمض عينيه حتى لا يراهن ، وأحسّ بجوع يمزّق معدته ، ولم تكفه كل الأطعمة واستمر جوعه ، وربة الجوع تلتهم كل غذاء من دمه ، ولم يبق له من حطام الدنيا إلا ابنة عذراء باعها لأحد التجار ليسدّ جوعه . ولكن رب البحار أنقذها وأعادها إليه وباعها عدة مرات ثم عادت .

بعد هذا العذاب حشرجت روحه ومات والفتاة المحزونة عاهدت الآلهة أن تبقى وفية لسقي جذوع الدوحة الكبيرة المباركة التي قطعها أبوها ، فأنبتت الدوحة فروعاً عديدة وأصبح لكل منها شجرة مباركة تسكنها عروس من عرائس **الدرایاد** المباركة ، فخلعن

حدادهنّ وعدن إلى رقصهن في ضوء القمر ، والابنة البارة تقوم على خدمتهن .

16- مينوس - سكولا

رآها الملك **مينوس** ملك كريت تتلألأ كنجمة الفجر في ساحة الألعاب الأولمبية فجنّ بها غراماً ، كل ذلك آخر أيام الألعاب الأولمبية ، فلا أمل أن تعود الفتاة ، وبقي طيفها يداعب خيال الملك ، وبعد زمن أعلنت الحرب بينه وبين ملك ميجارا ، وأنبأته الكاهنة أنه لا يصاب بأذى مادام محتفظاً بتلك الخصلة الأرجوانية من الشعر في رأسه وشهدت ابنته **سكوللا** ساحة الدماء التي أثارها أبوها وسرّها أن توقف هذه الحرب بعد أن رأت الملك **مينوس** وتنفس قلبها الحب نحوه ، قصت الخصلة الأرجوانية من شعر أبيها وذهبت سراً إليه . وحين رآها هتف : أنت حسناء الألعاب الأولمبية وحين نطقت باسمها عرف أنها ابنة ملك ميجارا واكتشف أنه كان يحبها ولا يعرفها وهي أحبّته أيضاً ، وحين قدمت إليه قصة حبها والخصلة الأرجوانية ، غضب لأنها خانت أباها ووطنها وطردها وحين اكتشف والدها سرّ الخصلة الأرجوانية جنّ لساعته وقال: " ابنتي أفعى اقتلوها " ولكن الآلهة سحرته نسراً كبيراً وسحرتها عصفورة بيضاء من عصافير البحر ، ولا يزال النسر إلى اليوم كلّما رآها ينقضّ عليها ويمزقها إرباً إرباً .

17- عذراء المعبد

في معبد **فستا** كنّ ستاً من العذارى الجميلات كأوراق الورد يتبادلن خدمة النار المقدسة ليلاً نهاراً ، ويتجمع الآباء والأمهات والعرائس التماساً لبركة الربة **فستا** وهي حامية أواصر المحبة .

كانت **توسيا** أجمل الراهبات ، وكلّما ذهبت إلى المروج الخضر لتجمع رقائق العود للنار كان الشاب **آريو** يتبعها ويهيم بسحر عينيها ، وكان يعرف أنها محرمة عليه وهي تخفي دموع حبها له . وتصلي للربة كي تصونها من الدنس . واعترف هو لكاهن وقور بما اعتراه من حب فأعطاه ماءً مسحوراً ليغسل عينيه قبل النوم وينفرد معها في الحلم . ولكنها سألته : لماذا لم يصبر على تلك الأيام الثلاثة الباقية لها في المعبد بعد أن صبر عشرين عاماً ؟

ولم يفهم ما تعني ، وحين استيقظ من حلمه عرف أن اللهب المقدس انطفأ في تلك الليلة في المعبد .

وعوقبت **توسيا** بأن تنزح ماء الغدير بالغربال ، وشاع الخبر في المدينة واحتشد الناس والراهبات لشهود تجربة عذراء المعبد التي ضلّت . وتقدّمت توسيا ولكنها سمعت صوتاً من أعماق الغدير وعرفت أنه صوت **فستا** التي تعرف طهرها ويتجمد الماء في الغربال وصوت الربة يهتف : أيها الناس اسجدوا لتوسيا إنها عذراء طاهرة نقية – وتعلن زواجها من آريو لأنها بقيت عشرين عاماً تصون حبّها البريء وكانت توسيا قد سجلت تاريخ

حبها لـه علـى شـجرة الـدردار الحانيـة ، وقـرأ النـاس هـذا التـاريخ العجيب واحتفلوا مع الربة **فستا** بأطـهر حب في الوجود .

18- فينوس - ومارس

خرجت الطفلة المعبودة من الزبد الأبيض تتهادى كطيف نوراني فيسجد الماء تحت قدميها ، متمتماً بصلاة الحب لربة الحب وهرعت عرائس الماء يرقصن ويحملنها إلى قصورهن المرجانية حيث أرضعنها لبان الهوى . فنشأت على الصبابة والغرام وتصارع الآلهة كلّ بدوره يطلب يدها فرفضتهم جميعاً. غضب والدها **سيد الأولمب** وأصدر أوامره أن تتزوّج فينوس المتكبرة من **فلكان الحدّاد** ، صانع الدروع والخيول سرت الآلهة للعدالة . وتمرّدت **فينوس** وذهبت إلى حبيبها **مارس** والتقيا عند السنديانة ينهلان من كؤوس الحب . وافتتن بها إله الحرب والدمار ، وبينما هما منبطحان على الحشيش الأخضر لمحهما **أبوللو** وأعلم زوجها .

انقضّ **فلكان** وألقى شبكة عليهما فانتفض **مارس** غاضباً وهي خجلة داخل الشبكة فربطهما في دوحة كبيرة وأخبر الآلهة. ثم أطلق سراحهما . فذهبت **فينوس** تنشد عشاقاً آخرين لتنتقم لكرامتها المهدورة ، و**مارس** عاقب حارسه الأحمق لأنه لم ينبههما . ونفث في أذنيه فارتدّ ديكاً .

وقال له : اذهب فلن تذوق عيناك غفوة الفجر أبد الآبدين .

فبقي الديك المحبوب يوقظ البشر قبل الشروق كل يوم .

19- رقة النار المقدّسة

توزّعت الآلهة في تعمير الكون ، فكانت الأرض من نصيب **بروفيوس** فخلق الإنسان الأول ونفخ فيه **أيدوس** روحه التي هي الحياة **ومنيرفا** نفثت النفس والعقل . وسرق النار المقدسة **المحرقة** ودسّ قبساً منها وقدّمها إلى عباده ، وحين اكتشف **زيوس** أمر السرقة كبل **بروفيوس** بالأصفاد وسخر الإله الأكبر **رخا** ليمزّق جسده ، ثم أنقذه هرقل وأعاده إلى وطنه . وقرر **زيوس** أن ينتقم منه وخلق له أنثى اسمها **بندورا** وأخذها إلى **بروفيدوس** ولكنه رفضها فشغف بها أخوه **أبيمثوس** وأخذها رغم أنه حذره أنها خدعة من السماء . وعاش الزوجان سعيدان ولكن **زيوس** لم يتركهما فأرسل إلى **بندورا** صندوقاً جميلاً هدية وحذّرها من فتحه إلا حين تأتيها أوامر السماء ، ولكنها لم تطق صبراً ففتحته وانطلق منه خفافيش سوداء تعض **بندورا** وتقول : " أنا المرض .. أنا الفقر .. أنا الجوع .. أنا البخل .. أنا النفاق .. إلى آخر الرذائل ،" فكثرت الآلام وعمّ الفقر ، فأغلقت الصندوق ولكنها حبست الروح الوحيدة التي خبأها زيوس وهي روح الأمل . وأحسّت بالآلام والوجع وسمعت صوتاً من الصندوق يقول لها: " أنا روح الخير سأشفيك من جراحك وآلامك " ففتحته فانطلق منه فراش أبيض جميل هو روح الأمل. ما فتئ يرفّ كل جرح من جراحات الروح حتى شفاها وما فتئ إلى اليوم هذا الفراش الجميل روح الأمل يشفي أوجاع المحزونين والمكلومين . أما **بروفيوس** سلّطوا على كبده نسراً شريراً ولكن الكبد يتجدد كلّما ازدادت شراسة

النسر ووحشيته . وكان النسر رمزاً إلى جلجلة الحق . وإنارة الإنسانية بقوّة النور والمعرفة وبقي الإنسان عارياً إلا من لباس النور ووحيداً إلا مع حريته .

20- أدونيس

صنع الشاب **بجماليون** تمثالاً من العاج ثم عشقه وحلم به كما لو كان امرأة حقيقية وفي عيد **فينوس** خاطب الآلهة أن تمنحه شبيه تمثاله العاجي ، فرقّت له **فينوس** وحوّلت تمثال العذراء العاجية إلى امرأة وعقدت لهما عرساً خفياً مع ابنه **كوبيد** ، إله الحب والأزهار ، فولدت العذراء بنتاً وتزوّجت من ملك آشور ورزق بابنة سماها **مُرّة** وعشقت والدها بجنون وقادتها إلى فراش أبيها في ليل طامس إحدى العجائز، وحملت في بطنها الهيانة . وحين اكتشف أبوها الأمر استلّ سيفه ليقتلها ولكنها هربت ، فحوّلتها الآلهة إلى شجرة حملت اسمها **شجرة المر** وبقيت دموعها تسيل من الشجرة عطراً طيّباً ، وحين ولدت طفلها حملته حوريات الماء واخترن له اسم **أدونيس** وأخذته **فينوس** ووضعته في صندوق مغلق وسلّمته إلى ملكة الجحيم . وحين فتحت الصندوق سُحِرَت بجماله ورفضت إرجاعه إلى فينوس فحكم **جوبيتر** أن يكون الطفل أربعة أشهر لملكة الجحيم وأربعة أشهر لفينوس وأربعة أشهر حراً بنفسه . وكان شغوفاً بالصيد فهاجمه خنزير برّي وجعل دمه يسيل . بكت فينوس وحزنت وصممت ألاّ تخضعه لشريعة النسيان ، فتركت منه ذكرى لآلامها تشهد موته كل سنة وحوّلت دمه إلى زهرة الشقيق .

ودفنت جسده بين الزهور والرياحين وطفقت تمشي على الورود البيضاء فتغرز الأشواك قدميها ، ويسيل الدم متسرّباً إلى

الأزهار . فاصطبغت بلونه ، وصارت الوردة الحمراء رمزاً للحزن على **أدونيس** الجميل .

21- أتلاتنا

كان **مليلجر** ابن ملك وكتب له ألاّ يعيش طويلاً إلا ريثما تحترق قطعة الخشب التي كانت والدته الملكة تلقي بها في النار. وحين تصبح رماداً يلفظ أنفاسه . وأنتها نبوءة الآلهة أن تخرج قطعة الخشب من النار وتطفئها وبذلك يكبر ابنها ويترعرع ، وأصبح بطل اليونان .

وعلم أن خنزيراً وحشياً سيهاجم وطنه فعاد لإنقاذه ، وصادف فتاة بارعة الحسن تداعب دبّة وسألها عن الدبّة فأعلمته أنها والدتها ، وعرف أن اسمها **أتلانتا** ونصحته والدتها الدبة أن يذهبا إلى معبد **دلفي** ويقدّما القرابين للآلهة .

وذهبت معه وقاتلت بشراسة حتى فتكت بالخنزير البري واستغرب الناس شجاعتها وتقدم خالا **مليلجر** يمنعاه من إهداء مغانم الخمزير فقتلهما . فغضبت والدته واشتدّ حزنها وألقت قطعة الخشب في النار ففاضت روحه بين ذراعي الحبيبة .

والوالدة جنّ صوابها فانتحرت ، ورجعت أتلانتا إلى أهلها ، وعرفت من الملاح أثناء الرحلة أنها ابنة ملك وهو وضعها في البرية لأنها خلقت أنثى واختفى عن أعين الملك كي لا يقتله ، وقد ربّتها الدبة ومنحتها حنانها ، فرجعت إلى قصر أبيها وتسابق الأمراء للزواج منها ولكنها رفضت وفاء لحبيبها .

وبعد إلحاح أبيها وافقت شرط السباق في الجري معها . وقتل كثيرون وتقدّم منها شاب صورة ناطقة عن حبيبها **مليلجر** وساعدته **فينوس** في السباق وصورته على صورة حبيبها وفاز

هيبو وبارك والدها الزواج ، ولكنها نسيت أن تصلي مع حبيبها شاكرة ، فغضبت فينوس وحوّلتهما إلى **سبع ولبؤة** وجعلتهما وحشين يجرّان عربتها .

22- قدموس وأوربا

كان لملك **فينيقيا** زوجة من حوريات الماء اسمها **صور** فبنى على الشاطئ مدينة باسمها . ولدت له **قدموس** و**أوربا** الفتاة الرائعة الجمال . وبينما كانت مع أترابها على شاطئ البحر خطفها الإله **جوبيتر** بعد أن تظاهر لها بشكل ثور أبيض بديع ، وتزوّجها في جزيرة **كريت** تحت شجرة الدلب ، خلدت عليها أوراقها فهي لا تيبس ولا تسقط أبداً . وافتقدها أبوها وأخبرته عذارى صور بما حدث فأرسل ابنه **قدموس** ليبحث عنها. ولبث الصوريون كل عام يحتفلون بذكرى اختفاء **أوربا** ، ثم ألّهوها ودعوها **الربة القمرية** . وفي أثناء التطواف مات رفاق **قدموس** بسمّ الثعبان وعطف عليه **المريخ – مارس** وزوّجه ابنته **هرمونيا** فولدت **الثائرة** التي اختطفها أيضاً **جوبيتر** وحين سألته الألوهية استلّ من أحشائها ولده وشقّ فخذه ووضعه فيه ورماها بصاعقة أحرقتها.

ولما تمت أشهره سلّمه إلى الحوريتين **سارة وصادقة** فربّتاه وشمتاه **باخوس** وحين كبر استولى على عرش ألوهية الخمر والنبات الحقلي والغابي والمروج . وتوالت الآلام على قدموس لقتلة الثعبان الذي قتل رفاقه ولكن **جوبيتر** رقّ فحوّل قدموس إلى ثعبان و**هرمونيا** إلى حية ، ووضعهما في فردوس الجحيم .

23- سميراميس

فاض الفرات ، ورأت سمكتان كبيرتان بيضة كبيرة على وجه الغمر فدفعتاها إلى الضفة وإذا بحمامة بيضاء تهبط من

السماء ، نقفت البيضة فخرجت **آلهة الريان** بوجه امرأة وجسم سمكة . وأعجب بها **جوبيتر** فحملت منه ابنتها **أنسية** فخافت أمها من الفضيحة فوضعتها في البادية . وعلم إله نينوى بأمر الطفلة فأرسل سرباً من الحمائم ليرد عنها البرد ويحملن إليها الحليب بمناقيرهن .

وحملها الرعيان في موسم الزواج لعند الآشوريين وسموها **سميراميس** أي الحمامة . ولمحها ناظر خيول الملك وأخذها إلى زوجته بعد أن دفع ثمنها ، وحين كبرت أتى قائد الملك ليتفقد الخيول فشاهدها ، وحملها إلى قصره وتزوّجها . ثم ذهب إلى الحرب مع الملك ، وحين عادا خرجت النسوة لاستقبالهما فرآها الملك وطلبها إلى قصره وزوجها لم يطق صبراً فاستلّ سيفه وسقط يتشحط بدمائه .

لم تبالِ **سميراميس** وتزوّجت الملك وولدت ابناً **نيناس** وشاركته الحكم ولبست لباس الرجال وطلبت من الملك أن يسلمها (دقيقة واحدة) فأمرت بقتله وملكت مكانه وبنت مدينة بابل وأنشأت الحدائق المعلقة ورفعت إليها ماء الفرات وازدهر العمران والتجارة وأخضعت دولاً كثيرة . ولكنها في الهند هزمت وحاك لها ابنها **نيناس** المكايد فتركت له الحكم وخرجت متنكرة إلى البادية ، وحوّلها الإله إلى حمامة بيضاء . وعبدها البابليون على شكل حمامة بيضاء .

24- بلقيس

استخلف داؤد ابنه سليمان بعده في الملك وكتم سليمان الأمر وبقي يكافح في سبيل العيش إلى أن انتهى إلى شاطئ فساعد صياداً فأعطاه سمكتين فشكر الله ومضى .

وشقّ بطن إحداها فإذا بخاتم في بطنها فلبسه . فعكفت عليه الطير والريح وخضعت له الجن والشياطين ونال من المجد والسلطان وكان تقياً فبنى هيكلاً للرب . وزار اليمن وهبط عنده هدهد اليمن ، وعرف أن هذا الهدهد للملكة بلقيس ، وأخبره هدهده بعد أن غاب طويلاً أنه في سبأ ملكة عظيمة الشأن اسمها **بلقيس** تجلس يوماً للحكومة وتحتجب عن الناس وقومها مجوس يعبدون الشمس وعرشها عظيم مرصّع بالجواهر وعاصمتها مأرب ورمى إليها الهدهد كتاب سليمان وتوارى .

فلما رأت الخاتم ارتعدت ، وأحضرها سليمان على عرشها وتزوّجها وأقرّها على ملكها . وبنى لها في أرض اليمن ثلاثة حصون لم ترَ مثلها ارتفاعاً. وحين ماتت دفنت في تدمر.

ولما قضى الله على سليمان مات وهو قائم على عصاه . ومكث طويلاً ولا يشعرون بموته حتى أكلت الأرض عصاه فخرّ على الأرض .

25- أسطورة جزيرة أرواد

صياد انطلق بقاربه إلى عرض البحر ، والذكريات الحلوة تطيف قلبه كما تطيف أطيب الأحلام بعيني نائم . وتهادى بقاربه على طيات الموج الذي يبدو متراقصاً ، لظى الحب ملء جوانح مياهه إنه يريد أن يصل إلى حبيبته التي تنتظره على رمال الشاطئ الهادئ في طرطوس بعد أن طال السفر به ، وعصرت سنون الانتظار ورود الأمل من خديها . وهي تطوي الفيافي وتهيم في الرحب منتظرة حبيبها الجميل . وأرسلت عينيها تفتش بين طيات الموج الجياش عن صورته الحبيبة التي ربما تطفو هناك كحلم جميل .

جلست على صخرة مشرفة على البحر الممتلئ بالذكريات ، وطفقت تبكي ، فقد جاء من يعلمها أن جنيات البحر أغرقت حبيبها غيرة وحسداً من جمالها . فاندفعت إلى الشاطئ متضرّعة للآلهة من أجل إنقاذه ، نادرة جمالها فدية لحياته . وسمعت ملكة الجنيات بكاءها وأكبرت حبها وإخلاصها فصنعت لها جزيرة أرواد طوق نجاة لإنقاذ حبيبها وأبقت لها جمالها .

26- أسطورة الجسور في العالم

حين خلق الله هذا العالم كانت الأرض مسطّحة ملساء كطبق جميل منقوش ، فاستاء من ذلك إبليس الذي حسد الإنسان على هذه الهبة من هبات الله . وما أن خرجت الأرض من بين يدي الله رطبة ليّنة كالعجين ، حتى تسلل إبليس فأخذ يخدش بأظافره وجه الأرض بخدوش عميقة ، وهكذا ظهرت الأنهار العميقة ، والوديان التي تفصل البلاد عن بعضها والجبال التي منعت البشر أن يجوبوا في هذه الأرض . غضب الله حين رأى ما صنع إبليس فأرسل ملائكته يساعدون البشر ، فلما رأت الملائكة أن البشر البؤساء ولا يستطيعون أن يجتازوا تلك الهوّات والأعماق السحيقة ، ولا يستطيعون أن يقوموا بأعمالهم في سهولة ويسر ، وإنما هم يتعذبون وينظرون إلى بعضهم البعض من الضفة الأخرى ، بسطت الملائكة أجنحتها فوق تلك الأماكن فاستطاع الناس أن يجتازوها على أجنحة الملائكة وهكذا تعلّم البشر من الملائكة كيف تبنى الجسور .

27- **أسطورة جسر درينا** (بين البوسنة والصرب)

أثناء بناء هذا الجسر كانت قوى خفيّة تخرّب في الليل ما بني منه في النهار ، إلى أن نصح المهندس المشرف على بنائه أن يجيء بتوأمين رضيعين **(أخ وأخت)** وأن يدفنهما في جدران أعمدة الجسر . وعثر على طفلين رضيعين وجاؤوا بهما عنوة ، وتبعتهما أمهما متعثرة مترنحة وهي تنتحب وتبكي ولا تحس بالشتم والضرب من جنود الوزير . وتسللت حتى وصلت إلى المهندس ولكن الطفلين كانا قد دفنا في العمود .

ورقّ المهندس للأم فترك في العمود فتحتين كانت الأم البائسة ترضع منهما طفليها الضحيتين والفتحتان الضيقتان تشبهان ما يجعل في جدران الأسوار كوى للرمي . وتتخذ منهما اليمامات أعشاشاً لها ، ولبن الأم كان يسيل من الجدران منذ مئات السنين ، وثمة قطرات صغيرة بيضاء تنضح من مفاصل الحجارة في موعد معيّن من العام . والناس يحكّون هذه الآثار اللبنية ويجعلون منها مسحوقاً طبياً يبيعونه للنساء اللواتي ينضب لبنهن بعد الولادة .

28- أسطورة القمر

كان القمر فتاة جميلة اسمها **رابية** تعيش على الأرض مع أهلها ، ووقع رجل الشمس **نويل** في حبها صدته عنها فقرر الانتقام . وأغرق رابية في جوف الأرض عند جذور شجرة ، وفشل أهلها في إنقاذها وهم ينظرون إليها وهي تغيب ، وعندما بلغ التراب عنقها طلبت من أهلها أن يذبحوا ضحية ويقيمون مأدبة على روحها ، وطمأنتهم أنها لن تغيب طويلاً في باطن الأرض . وفي مساء اليوم الثالث عليهم أن يراقبوا السماء لأنها ستكون قد انتقلت إلى جرم سماوي منير هو القمر وسوف تتألّق وسط الليل الغامض ، وتسبح في قبة معتمة ، إنها سيدة الليل وأنثى كونية تهبط إلى درجات الموت الأربع عشر وكل درجة تمثل يوماً من أيام النصف الثاني القمري . ثم تبدأ بالظهور في قبة السماء نحيلة ثم هلالاً حتى الامتلاء ثم بدراً مشعاً على قمة زهرة اللوتس المقدسة. وهي منبع خصب الأرض والزرع ، وترسل مياه المطر والينابيع وتتحكم في حركة المياه .

القمر : أمير الشعر ، وسيد الإلهام والإبداع الغني والخلق المتجدد .

29- أسطورة الفجر (أورورا)

حبست زوجها العجوز في غرفة بيتها واندفعت بكل الحمية الغرامية تبحث عن حبيبها **هسيروس** نجم المساء ، وأقدامها الرشيقة الوردية تهرع لتمسك به وهو الذي هرب مع الشمس . وعلى الرغم من البريق الوردي للأصيل الذي يلمع كل مساء مع غروب الشمس لن تصل أورورا أبداً إلى حبيبها ، لأن جمال الفجر الذي خطفته وهي تبحث ظناً منها أنه حبيبها .

الفجر – يوقظ الحواس مع الشمس ، في حين يظل العقل المتعب من تفكير الليل نائماً .

30- أسطورة الأرض والخلق

انقـض الهـان علـى الآلهـة البدئيـة وشـقا جسـدهما إلـى نصفين هما السماء والأرض . غضبت الآلهة وحاولوا لإرضائها أن يصنعوا :

من شعرها – الأشجار والأزهار والأعشاب

من عيونها – الينابيع

من أفواهها – الأنهار والكهوف

من أنفها – الوديان

من كتفيها – الجبال

نهضت الأرض الجميلة بصدرها العريض ، إنها القاعدة الوطيدة لكل الأشياء والأرض أنجبت السماء المتلألئة بالنجوم لتغطيها من كل الجهات ، وتكون بيتاً أبدياً للآلهة المباركة .

31- أسطورة الشجرة الأولى

كان فتى عذب الصوت يسرع الناس لسماع أغانيه الشجية ، ولكن مرة بعد انصرافهم من عنده مات عدد منهم بداء غريب ، واستغربوا موتهم وحمّلوا الفتى مسؤولية ما حدث ، فقتلوه ودفنوه . ونبت فوق قبره شجرة هي أول نخلة في العالم .

ثم زرعت الأشجار التي تتوثب العصارة من جسمها فتزهر وتخضر بأغصان الجمال وتتفتح البراعم ، وحين يكتمل عودها تصبح هيفاء فارعة . وحين تلتقي بالربيع يحمل الحب إلى جسدها حسناً خلاباً فتثمر من دفء حبه وتتدفق عطاء وخيراً.

32- أسطورة آيتس ونانا

كان **آيتس** راعياً شاباً غض الإهاب وأمه **نانا** حملت به وهي عذراء وذلك عن طريق احتضان شجرة اللوز والرمان . وأرضعته من عنزة حتى شبّ وكبر ومن هنا آتى اسمه **آيتس** أي التيس . والتيس أول الحيوانات المقدسة عند الإنسان ويعتبر روح النبات وذلك عندما كان المزارع ينثر حبات القمح في الأرض ، ثم يتحرّك قطيع الماعز جيئة وذهاباً ليزرع الحقل ويدفعها إلى أسفل التربة . وأثر عمل عنيف مات آيتس وهو ينزف تحت شجرة الصنوبر حتى مات ودفن ووضع فوقه حجر أسود يرمز إلى الآلهة العظيمة في روما 200 ق م وفي يوم 22 من آذار يقتطع غصن كبير من شجرة الصنوبر وتغطى بأزهار البنفسج والتي ترمز إلى دماء الآلهة يحتفلون بذكرى موته في كرنفال صاخب .

33- أسطورة إيزيس وأوزيريس

حين اكتشفت **إيزيس** القمح أعطت أول باقة إلى **أوزيريس** فتعلم الناس الزراعة وإنبات القمح وأكل الخبز وبناء البيوت والآلات الموسيقية ونشر الحضارة والمحبة .

وتضايق أخوه **طيفون** منه فقتله ووضعه في صندوق خشبي ورماه في نهر الليل ، وطاف الصندوق حتى وصل إلى شاطئ البحر المتوسط مدينة **بيبلوس** الكنعانية وتعلق الصندوق بشجرة على الشاطئ غصنها نحيل حتى نمت الشجرة بشكل غير مألوف عندما لامسها التابوت .

ولما رأى ملك بيبلوس الشجرة أعجب بها وقطعها لتتزيّن قصره فنمت وأخذت تتضوع طيباً . وذاع الخبر حتى وصل إلى أسماع إيزيس في مصر . وكانت في حداد على غيابه ، فتنكرت في هيئة امرأة عادية وطالبت بالشجرة وأخرجت الصندوق وبكت جثة زوجها وعادت بها إلى مصر وخبأتها في مستنقعات الدلتا . ولكن طيفون عثر عليه ومزّق الجثة /14/ قطعة ووزعها في طول الدلتا وعرضها وعثرت إيزيس على أجزائه وكان هبط إلى العالم السفلي وأصبح قاضياً في مملكة الموت وتابع ابنه حورس الانتقام له واستمر صراع الخير والشر . تمثاله في روما مارابيس .

34- **النساء الأمازونيات** – إغريقية

هي أسطورة صراع الجنسين .

النساء الأمازونيات هن قبيلة من النساء المحاربات أتين من شواطئ البحر الأوسود وسكنّ بلاد الإغريق، تحكمهنّ ملكة. وإذا أردن الإنجاب أتين إلى بلاد مجاورة وضاجعن رجالاً ثم يعدن فإذا وضعت ذكوراً قتلهن في المهد وأبقين الإناث . ولكن يقطعن النهد الأيمن ليستطعن استعمال القوس بسهولة .

وقاتلهن بطل أسطوري : **هرقل**

35- **أسطورة أرتميس** - يونانية

هي ربّة الغابات والبحيرات والينابيع والحيوانات . يرمز لها بامرأة شابة قوية خفيفة الحركة قاسية الملامح ، لا تعرف الابتسام ، تمسك بيديها قوس وتضع على كتفها جعبة السهام يرافقها في ترحالها كلابها المتوحشة .

معابدها في الأحراش وتلقّب بـ**العذراء** في خدمتها فتيات عذراوات يقمن في حراسة النار المقدسة وإبقاء شعلتها حيّة في الهياكل ، ومحظر عليهن فقدان بكارتهن طيلة الحياة وإلا تعرضن لانتقامها . ويقال أن **أرتيمس** وقعت في الحب مرة واحدة ولكنها قتلت من أحبّته خطأ بسهمها هي رمز خصوبة النساء ، ومساعدتهن أثناء الولادة .

36- أسطورة أثينا

أفاق أهل المدينة على حادث عجيب من باطن الأرض . ففي ليلة واحدة نبتت شجرة زيتون ضخمة ، وعلى مقربة منها انبثق نبع ماء عذب .

أرسل الملك إلى معبد **دلفي** ليستطلع العرافة فأجابت : شجرة الزيتون هي **الإلهة أثينا** ونبعة الماء عي **الإله يوسيدون** وهما يخبران أهل المدينة أي الاسمين يطلقون على مدينتهم . جرى الاستفتاء وصوّتت النساء إلى أثينا والرجال إلى يوسيدون. وكانت الغلبة للنساء فغضب الإله وأرسل المياه المالحة فغطت الأراضي وجفّت التربة . ولتهدئة الإله فرض على النساء ثلاث عقوبات :

1- ألاّ يتمتّعن بحق التصويت .
2- أن ينتسب الأولاد إلى آبائهم لا إلى أمهاتهم .
3- لن تحمل النساء لقب **للأثنيات** ويبقى اللقب للرجال فقط

هذه الأسطورة انتزعت حقوق المرأة .

37- أسطرة مغزل الحياة

رزق أحد الملوك بابنة جميلة بعد عقم طويل . وكان في البلاد /12/ ساحرة كلّهن طيبات إلا واحدة مشهورة بالشر .

ودعاهنّ الملك إلى الاحتفال ، وكل واحدة تهب نعمة للطفلة . فجأة هبت عاصفة قوية ودخلت الساحرة الشريرة فقدّرت للفتاة أن تموت بوخزة أبرة المغزل ، فأمر الملك بإحراق كل المغازل ، ولكن الساحرة الماكرة وضعت في طريق الطفلة مغزلاً فأمسكت به وماتت وهي غرزت خيط مغزل القدر في نسيج الحياة . والرقم /12/ يحمل عدد أشهر السنة .

38- أسطورة الزرع

اجتاحت جزيرة مجاعة ، وكان هناك رجل حكيم تضرّع إلى الآلهة لإنقاذ ابنه الصغير فاستجابت لدعائه على أن يقدّم حياته عوضاً عنها . طلب من زوجته عند غياب الشمس ، وحين تفارقه روحه أن تدفن أجزاء جسمه في حفر متفرّقة من الأرض .

الرأس عند **نبع** .

القلب عند **حجر** .

ذراعاه وساقاه **في أماكن متفرقة** .

وطلب من زوجته ألا تفارقه ، وإذا سمعت حفيف الأشجار معنى ذلك أن الآلهة وفت بوعودها . وفي الصباح كانت :

نبتة القمح حيث رأس زوجها

شجرة الموز حيث دفن قلبه

شجرة الكرمة حيث ذراعاه وساقاه

وبذلك عمّ الخصب وتألّقت الأشجار وأنقذ الطفل الصغير

39- أسطورة العفو

آدم عجوز مسن حين شعر بقرب نهايته طلب من ابنه **شيث** أن يحضر له زيت الرحمة من ملاك الجنة الأرضية ، ولكن الملاك قال له :

- إن ساعة الرحمة لم تدق بعد

ويعطي شيث غصناً من **شجرة الحياة** كي يغرس في فم آدم عند موته ، وهو علامة **العفو** عن البشرية .

40- أسطورة جوز هند

فتاة اسمها **أينا** كانت تستحم في إحدى البحيرات عندما أتتها أفعى مزّقت ثوبها ، فظهر تحته شاب جميل اسمه **تونا** أحبّا بعضهما .

تكررت اللقاءات وقرر الفتى تركها فغضبت منه فقتلته ودفنت رأسه في التراب ، ثم ندمت وبكت لفراقه ، وبقيت تزوره كل يوم .

ثم لاحظت نبتة صغيرة أزاحت التراب عن رأسه فوجدت النبتة تخضرّ وتكبر وتترعرع حتى أصبحت **شجرة** . لقد كانت أول **شجرة جوز هند** في العالم .

41- أسطورة مملكة كوردفان

كان الكهنة يراقبون دورة النجوم لمعرفة يوم قتل الملك مع أفراد عائلته ويختارهم هو . اعتلى العرش فتى في ريعان الصبا اسمه **أقف** ومعه مملوك اسمه **فارليماس** وكان للملك أختاً شابة **سالي** وهي كاهنة النار المقدسة ، أما المملوك كان مبدعاً برواية الحكايا الساحرة . وآنس يه الملك وحاشيته ونسوا أنفسهم بلا طعام وهم يستمعون إليه حتى آخر الليل وطلوع الصباح . أما **سالي** فقد أحبّت المملوك واهتدت بذكائها إلى طريقة تصرف فيها الكهنة عن مراقبة النجوم بأن أقنعت كبير الكهنة بالحضور إلى بلاط الملك والاستمتاع بحكايا **فارليماس** . وجاء وكأن نداء سحرياً شدّه ونسي مراقبة النجوم ولكنه تنبأ إلى الخطأ وغضب وقرر قتل المملوك وهبّ الناس للاستماع إليه ليروي حكايته ككل ليلة . وعندما جاء الصباح تنبّه الناس من خدرهم ووجدوا أن الكهنة قد ماتوا . وعاش الملك وبطلت عادة قتل الملوك .

42- أسطورة أقوى من النسيان

تقول الحكاية أن أحد العصافير نسي لون ريشه ولم يعد يسمع زقزقة حنجرته . وكان كلّما نهض صباحاً فرد لون جناحيه وغنى قليلاً ولكنه كان دائم الحزن ، لا يعرف أن الشمس تحسده على جمال ريشه ، وأن الجداول تحسده على جمال صوته . ولما استعاد وعيه مرّة ، نظر إلى جسده فرأى لون ريشه جميلاً ، وسمع زقزقة حنجرته فأيقن أن لحنه رائع ، فعاد إلى ملكوت طيوره وراح يغني معهم بفرح .

فالعصافير كثيرة، ولا يمكن أن ننسى صوتها، ولونها، وشدوها ، وحريتها وهي أقوى من النسيان .

42- عشتار..

الأسطورة الأولى والديانة الأولى . والطقوس الأولى ..

وأسطورة الشرق الأدنى هي سيدة الأسرار وسيدة الشفاء، وسيدة الطبيعة وربّة الخصب وإلهة الحكمة . **وإيزيس** المصرية هي التي اكتشفت الأدوية وفنون الطب ، وماتزال شارة الطب والشفاء في كل أنحاء العالم عبارة عن كأس تلتف حوله أفعى واضعة رأسها عند الفوهة. **فالكأس** أو الإناء الفخاري – جسد الأم الكبرى **عشتار** والحية قوّتها الإحيائية وقدرتها الشافية، **والحية** رمز للآلهة القمرية ومشتقة من الحياة. والحية خالدة لا تموت ، وتبدل جلدها وتتجدد مع دورة القمر . واعتقد اليونان أن عدد أضلاع الحية يعادل عدد أيام الشهر القمري . فالأفعى ما تزال رمز الحياة والشفاء وإلهة الموت وإلهة الحكمة .

44- شجرة التفاح

شجرة مقدّسة كان اسمها **الغالي** . والتفاحة كانت باعثة للنزاع والفتنة ، وقد تنازعت الربات **جينون – منيرفا – فينوس** على التفاحة الذهبية . وحين احتكم **باريس** بينهم أعطاها إلى **فينوس** مما أثار غضب الاثنتين .

- **التفاحة** رمز الخلود المفقود الذي يسعى إليه الإنسان . رمز إغراء حواء لآدم في الفردوس .
- **تفاحة نيوتن** رمز ثقل العالم وجاذبية الأرض .
- **هرقل انتزع تفاحة الذهب** في الوقت الذي كان يحمل العالم على كتفيه .
- **والتفاحة** رمز للقوة .

45- الوردة – فن الحب

حدد **رينيه لويس** في كتابه **رواية الوردة** رمزيتها فقال: **الوردة رمز الحب** .

وتوحي ليس بكونها زهرة بديعة، ورائحتها ذكية ناعمة، إنما تشكل عالماً تاماً .

والوردة رمز للفتاة الشامية التي نذر لها حباً متيّماً . أما الحديقة المغلقة على دغل الورود هي العالم الشخصي والسري للفتاة . وحين ينحني الشاب على نبع الحب يعكس على قعره بللورتان صافيتان هما : رمز عيني الحبيبة .

فالحب منذ أقدم العصور يتولّد من تبادل النظرات ، أما حين يمتدح الحبيب **الوردة** تصبح رمزاً للحبيبة المرغوبة .

والوردة تتصل بولادة الكائن البشري حتى موته وكذلك لتجديد الأفكار وإحياء الروح .

ويقال عبارة **تحت الوردة** رمزاً للصمت والرصانة .

ويقال : هلك في **زهرة** شبابه .

ويقال : السيدة العذراء تسمى **الوردة الروحية** .

* * *

وردات ثلاث ... للماغوط

إلى منبر .. الغائب

الحياة ليست غير حلم ، تعود بعض صوره في أغلب الأحيان ، والبعض نادراً ما يعود ، وقد يتغيّر بعضها ، ويختفي البعض الآخر ، وتبقى الأشياء الحقيقية تحت ضباب داكن ينشره فجر شتائي ..

ما كنت أظن أن نيسان سيكون ضبابياً ويحتضر حزيناً وكأنني في حلم ، ألملم وردات ذابلة تسقيها أحزاني الصامتة بعد أن انتهى الضجيج .. وردات تركها الماغوط ومضى ..

عشت غريباً ، وأنت مع كل الناس . عشت وحيداً وأنت في قلب الحياة ، لكن متّ وحيداً بين أصابعك سيجارتك التي لا تنطفئ كروحك المشعّة .

أكلّمك الآن بعد أن هدأت الأشياء ، لأني أكره طقوس الموت وعتمته . أكلمك بصمتي بلغتي غير لغة الكلام بحّ صوتي ، وآخر ضوء مني أحزان قمرك الأخضر تغيب بين شحوب أيامي ..

قد لا تسمعني ، ومع ذلك رذاذك لم ينقطع .. سأبحث عنه وهو يلتقط دموعي التي تسقي شجيرات كتبك المتعانقة في وحدتي. حروفها البنفسجية تنظر إليّ نظرات هادئة ، فتنعش آفاقي الكئيبة . أليس الفنان هو خلق للجمال الإنساني ، ولو لم يكن موجوداً ، وهكذا كنت تعطينا صور الجمال من نوافذ روحك السجينة ، وما زالت كلماتك تتفتح كنجوم ساهرة في أمسياتي ...

قبل أن ألتقيك يا شاعري ، فرح قمر المسافة الأخضر ورقصت رسائل منك .. ثلاث رسائل صغير كورود متفتحة قبل الفجر ، بعد أن قرأت بعض كتبي ، وصوتك يبارك لي على الهاتف .. ويتفتح ياسمين دمشق في كروم الفستق الحلبي .

وكتبت لي ..

*** الوردة الأولى**

عزيزتي ليلى ..

أسعدتني رسالتك كما أسعدني صوتك من قبل ، فروحي دائماً متعطشة لكل ما هو جديد وبريء وأعزل . مع أنني ومنذ فترة ليس بالقصيرة أمرّ بمرحلة لا أجد فيها طعماً للنوم أو اليقظة أو الشعر أو الخمر أو الموسيقى ..

ليلى .. هل روحك كصوتك ؟

مبروك للديوان الجديد .

ولك تحياتي أو قبلاتي
اختاري بينهما

دمشق ـا 1993/9/27

* الوردة الثانية

عزيزتي ليلى ..

لا أستطيع أن أقول أكثر من أنك إنسانة مميزة وحنون .. لأنني منذ أمد بعيد لم أبح ، ولم أكتب شيئاً خاصاً لأحد ، ولم أردّ على رسالة من أحد حول أي موضوع كان .. فكان الله في عون أشرعتك ومراكبك، فأنا إنسان مهمل ومملول .. لا أعرف كيف أحب وأكره ، أو أحقد وأسامح أو أسافر أو أقيّم ، لا أعرف سوى أن أشرب وأدخّن وأتنهّد . نومي مضطرب ، ويقظتي أكثر اضطراباً . ولي عالم خاص وضيع ، فكيف دخلت إليه هكذا دون ضجة أو صوت ، وإذا كانت الغابة في خريفها الذهبي تشكو القلق والوحدة أو الفراغ فماذا يقول النص الوحيد العاري حتى من لحائه ؟

أكتب الآن من مقهي (أبو شفيق) في أطراف دمشق ، وهو أحد ممتلكاتي أو أطيافي الروحية التي لا غنى عنها . وهو في مثل هذا الوقت من السنة عبارة عن نفق طويل من أشجار التين وعرائش العنب الجرداء . وكل أوراقه الصفراء والذابلة تتساقط حولي أو على صفحاتي . ولكن معك أشعر بأن كل شيء أخضرّ من حولي ...

أتمنى أن تكون صداقتنا بلون الربيع لا بعمره ..

وقبلاتي لوجهك الذي لا أعرف ..
دمشق ـا 1993/10/23

* الوردة الأخيرة

آسف إذا تأخرت في الكتابة إليك ، فكل ما حولي يبعدني عن الحب والصداقة وخلو البال ، وللتضرّع إلى الأشياء البسيطة التي أريدها وأحلم بتحقيقها . ولأن عليّ مسؤوليات وأعباء حياتية يجب أن أغوص بها ، تراني مضطراً للتعامل والتعايش مع أناس هم سبب قلقي وشكوتي وغربتي عن كل ما حولي . الكل يريد أن يأكل حقوقي المادية والمعنوية كالتمساح دون أن يرفّ له ناب أو جفن . وأنا أعزل وقليل الحيلة والخبرة في شؤون الحياة ، وكيفية التعامل مع الآخرين . جلسة ، سهرة، كأس ، كلمات منمّقة ، وعواطف متدفقة ويصبح العالم عندي حديقة غنّاء ، وعندما يجفّ الحبر أكتشف أن العالم ليس كذلك ولن يكون ، لأن عوامل الغم والنكد والإحباط أكثر بكثير من سواها . ولذلك أسير إلى الشيخوخة والهرم النفسي والجسدي .

في عام ما يسيره غيري في أعوام ، دون أن أجد من يوقفني أو يأخذ بيدي ولو لالتقاط الأنفاس وأخيراً أواجه مشكلة في عيني أو نظاراتي لا أعرف ... ثمّة سحابة ما تغشاها ، التهاب طارئ ، أو تحسس من دواء سابق ، تجعل الكلمات تتراقص وتتخبّط أمامي بحيث لا أستطيع مطالعة الصحف اليومية إلا بصعوبة . ومع ذلك ورغم هذه الغشاوة أراك بوضوح ، أليفة وآسرة ومضيئة كطيف الشمس الذي يطلّ على العالم من خلال سحب الشتاء ، وسحب البشر .

هل الطقس بارد عندكم ؟

إذن ليس عندي ما أقدمه لك سوى هذه الكلمات المشبعة بشمس دمشق تتدفئين بها . وهذا الصدر المتهدم ترتاحين عليه .

محمد الماغوط

دمشق ـا 1993/12/7

والتقينا .. رغم عزلتك رحبت بزيارتي وكان ياسمين دمشق يتفتح كعرائس أفروديت في دروبي.. وفرح قمر دمشق وضحكات / شام وسلاف / كتغريد الشعر في سبحات سهرتنا ..

وبقي صوتك المبحوح برنّة الشعر ووتر القهر يأتيني عبر الهاتف ودوداً يسألني : متى تأتين إلى دمشق ؟

أ حقاً بقي سؤالك هائماً على أسلاك هاتفي يؤنسني ؟

لكن ضوء قمرك الأخضر انسلّ من سمائي واشتدت عتمتي . أ أنت هناك .. وما زلت .. سكينة مُرّة ..

أ أنت هناك .. ورائحة ترابك كعبق حبرك وكتبك وتبغك ورسائل الثلاث هي أيقونات أشعل لها شموع من دمع نيسان تنقّط على جرح حزني ، وخشب أريكتك ينتحب مع رجفة نار سجائرك ، ألا يشبه رجفة الفقدان ويلوّن بالشحوب أيامي مازال صوتك مجرحاً كنزف الأرجوان ، والفستق الحلبي الذي كنت تحبّه يتكسر على أصابع متوهّجة بملمسك .. وقد كان الفستق الحلبي نديم كأسك الدائم وأنت وحيد في عزلتك .. ومازلت نديماً وصديقاً . أمسياتي برحيق بنفسجك لن تذبل ..

من قال إنك رحلت ؟

من قال قمرك الأخضر يسألني فأسقيه من دنّ حزني ، وأرشف ظمأ الانتظار .

ليلى مقدسي

كل السلام .. كان معك

إلى د. عبد السلام العجيلي

يا لون الخابية البكر .. يا ابن الفرات ..
نام الموج مع بنفسج عينيك ، وسقى كل أرغفة الكروم وبيادر الحنطة وسنابل الإبداع ...
حزن الفرات ... وبكيت .
مازالت حكاياك وأسفارك ، تفرش أيامي القاحلة، ومازالت روحك الطيّبة مواجيداً لكل العشاق.. لقيس وليلى .. وعروة وعفراء .. ومازالت غصون السرو وجدائل الزيزفون والصفصاف تهدل عبيرك الذي لم ينقطع كأغنيات ريفية وفيّة الصدى ، من بيادر أنفاسك المعطاء ..
قصب غاباتك يمشّط خمور البساتين بالطيب والريحان ويثملني بحكاياك باعترافات شهرزاد ، وفتنة عشتار . لي من عندك طيوف انبهار وياسمينات ذبلت في نيسان ، أغمس مناديل دمعي كلّما عاودني صوتك الأليف يرندح هاتفي .. وتأتي بيدك كتاب ووردة لي .. ونتسامر مع أحلام الشعر والفرات . أ مهاجر أنت .. لا .. لشجني لون المغيب وأنا مهاجرة كمشتاق في قوارب ربيع حزين . متى كان يحزن الربيع وكلماتك كنجوم زرقاء تتدثر برعشة حرفي ، ووهج جرح الفرات وأنا تائهة في منفى ربيع ..
ينساب لون حروفك من كتبك بين انشطارات رماد الفضاء.. وروحك تهوم على أجنحة الكلمة.. والفجر .. في أشجار الحياة .
وما زالت أصابعي ترتجف وأنا أكتب كغريبة في طرقات العبور، وأنت أيها الطائر الحر تغيب في بياض المنفى.. وأبقى في ظلمة تتهامس حولي .. لأنك نسيت الآن أن تشعل جمرة الفرات فوق أيامي الرمادية المعتمة .
أنت لن تغيب .. تنجو كبجع متحوّج في لازورد الحياة وحقول الرقة السمراء تحني رموش اخضرارها منهكة من جروح الاصفرار ..
كنت يا سيد السلام والحب والعطاء والإبداع حكيماً يعرف نفسه ، ولا يمجّد نفسه . وتفضّل ما هو في الداخل على ما

هو في الخارج . أليس البحر ملكاً على كل الجداول ، ورغم ذلك يستلقي بصورة أخفض منها جميعاً ...

وقد تنطفئ الألوان .. لكن اللون الأزرق يعبر أعمق معاني الحزن ويعبر عن معنى صوفي متجرّد من كل مظاهر الحياة .

في إبداعك ترفض الفكر الجامد والقيم المحددة وتبحث عمّا هو أصيل في الذات وما يمكن أن يترجم إلى لغة شمولية ، لأن ثمة شكل للكتابة يشبه الموسيقا يؤثر في مشاعرنا دون اللجوء إلى الفكر بلغة أنيقة وسهلة تتغلغل إلى كهوف الروح الخفية .

وكما يستمر نهر الفرات في جريانه ، تستمر معي وتبقى شجرة مورقة كالصفصاف الحزين تهدل أغنياتك حولي معبقة برائحة التراب والمطر .

ألم يقل حكيم صيني : إن أردت ألا تموت اترك للحياة كتاب ، وولداً ، وشجرة .

وضعني فقدانك في جواب الصمت ،.. وأنا أرتدي قميص وحدتي الضيّق ، وأعصر عنب الحزن من دم الفرات المحترق .. وعشب غريب ينبت على ضفاف الذات المقهورة أحقاً تغادر ، وزهور نيسان تبكي ، وعنادلها مكسورة الجناح .. ومازال حبر آخر رواية لك أهديتني إياها ينزف على جدران غرفتي ورعشة أصابعك تسطّر إهداءك الجميل على رواية / ما أجملهن / .

ألن يقرع جرس بابي بعد الآن .. وأنت بقوامك الممشوق كأمير شرقي .. وبهجتك الساحرة وحضورك المميّز وصوتك يداعبني : ليلى .. غزال نجحت من كل صياد كلّما رحلت إلى حلب ، وفيّاً كنت لزيارتي .. وبعينيك وهج الشعر يسألني : كيف نبرات البنفسج الشعر ، أمازلت صوفية في عشقك وكتاباتك ؟

الفرات يحترق .. وأبخرة فنجان القهوة تعبق بأنفاس بخورك الطيّب .. وتمازحني بخفة روحك:

يقولون : ليلى في العراق مريضة ..

يا ليتني كنت الطبيب المداويا

أشتاقك .. وأصابع شاعرة تحترق بلهب الكلمات
أشـتاقك وعينـاك تغيـب كـالحلم.. ولـم يبـقَ لـي إلا حقـول الذات الجافة.. وبقايا الحلم.. والحضور .. والرمز ..

ليلى مقدسي

الفهرس

	صفحة		صفحة
أوراق المعرفة		24- الفن والحب	73
1- مغزل الحياة	5	25- ملهمات المبدعين	77
2- عشتار	7	26- لماذا يكتب المبدع ؟	83
3- الحلم	13	27- سعادة الإنسان حكمته	85
4- الفن	15	28- السعادة المعاصرة	90
5- عبقر	18	29- الحب قيمة رابعة	92

6- الحداثة والتراث	21	30- التصوّف .. أجنحة محبة	107
7- العقل والإبداع	26	**الشعر والأسطورة**	**122**
8- انطباعات شعرية	28	**علم الأرقام**	**132**
9- الكلمة .. هي البدء	32	**للفن آلهات حب**	
10- الإنسان الحضاري	34	أسطورة آلهات الفن	143
11- الشعر .. والنظم	36	الفنان وآلهته	146
12- المحبة – صلاة للإنسانية	38	المبدع – مدهش بإبداعه	148
13- تجليات المرأة	41	الفن كالحب – حالة لا تفسّر	151
14- الطفولة	43	عالم الفنان – ملكوت الإنسان	153
15- الموسيقا	45	قصص المبدعين - الغرب	155
16- الانفعال اللاواعي	48	قصص المبدعين - الشرق	176
17- محاورة الروح	51	أساطير الحب والرموز	198
18- أعظم امرأة	53	**وردات ثلاث .. للماغوط**	254
19- أسطورة يا ليل يا عين(1)	56	**كل السلام .. كان معك –**	258
أسطورة يا ليل يا عين(2)	59	**د. عبد السلام العجيلي**	
20- الموّال	61		
21- ورقة توت	64		
22- الميلاد والشجرة	66		
23- ماهية الحب والصوفية	68		

رماء
ورسائل حب

ليلى مقدسي
طلعت سقيرق

للاستئناس :

** نصوص الرسائل وقد ذكرت بعد" كتب لها" و " الهـوامش" و قصـيدة "أحبك"كتبهـا طلعـت سقيرق و بقية النصوص كتبتها ليلى مقدسي ..

تجدر الإشارة إلى أن الرسائل كانت قد أرسلت في فترات متلاحقة من طلعت سقيرق لليلى مقدسي.. قد يكون هذا الكتاب في مسار" زمن البوح الجميل" و قد لا يكون و ما زال مطر الروح عطاء لا ينضب .. **

ليلى....طلعت

نجمة الحرف

مهلا أيها الحب
لا تسافر
زادك
خبز كلماتي
دمك
نبيذ قلبي
هل هناك
لون أجمل
من لقاء عاشقين
مغيبين
في ظلال الخيال
كل الأحلام تمضي
كل الأطياف تعود
و شوارد الحروف تبقى
في دن الحياة
كلانا ينأى
سؤال المسافة بيننا
سدرة صبوات
ربما كانت
وطنا أليفا
لغربة معنى الوفاء

ليلى

رهج الصمت

قفي أيتها الطفلة ، تقفزين في منطقة عذراء بذاتي رغم المشيب ، زهرة الشعر لا تعرف الذبول في جنون الأزل ..
ألقي رأسي المتعب على وسادة الفراغ أكتب في دفتر الوجود حكايات كل المحبين و وحدي خارج حصار الحب هل تغادرني الفوضى؟؟.. وحدي حقل يتفتح على إيقاع جفافه..
تساءلت رماء أكثر من مرة كيف تنغلق حياتها على نفسها؟؟.. فتصبح خارجها و خارج كل حياة أخرى مهما كانت قريبة إليها ربما هي غربة الذات عن الذات .. وغربة عن كل من حولي..
هذا السؤال مبعثه حين تأتي برهة في الحياة ويستفيق الإنسان قبل فوات الأوان فيضع الأمور التافهة التي شغلته جانبا و يفتش عن ذاته التي فقدها ، هذه الذات المبعثرة استفاقت بعد أن خطوت خطوات صعبة متعبة حتى استطعت أن أقبض على خيط طموحي القديم وأطبع كتبي التي كانت محجوبة في الأدراج سنوات وسنوات..وانتعشت الذات أيضا على ارتجاف نغمات حروف مغسولة برذاذ يوهج إغفاءة البنفسج الوديع ، حين قرأ كتبي، فمس بحروفه شغاف النفس حتى أصبحت النفس ذاتها لحنا متماوجا يرجع صداه إلى أبعد جنبات الكون مع إيقاع حروفه البعيدة المألوفة استقرت الذات الضائعة وبدأت تصبو إلى العيش مع

الذات الطبيعية ، الذات الطفلة المخبأة بتعب الأيام ، لأن فترة إبداع المشاعر الغافية على الورق هي الفترة السعيدة من لا وعي النفس ..
هكذا بدأت حروف الشاعر تتهدج موقظة الروح، ومورقة بحة حبق الوقت ، حبق الحرف الجميل إليها نضارتها وحيويتها ، وتفتحت النفس من أعمق أعماقها وبدأت تتآلف مع حقائق الكون ، وموجات الفرح القليلة توقظ الزرقة الغافية على صدر بحر لا يهدأ..

كتب لها :" تصوري أن يكون القلب بحجم العالم .أتدرين أن ومضاتك حلوة ، وكلماتك يمكن أن تكون توءم الروح .. حقا كان شعوري دفقة فرح لأن بطاقاتي استطاعت أن تأخذ من نبع إبداعك هذا الشعر الذي يقارب ومضاتي ويلتقيها..
حاولي – سيدتي – أن تكوني البحر ، وإياك أن ترضي غير ذلك .. هل قلت لك في البداية لك التحية ؟؟.. ربما جاءت لتأخذ المكان الذي أرادته، وإلى جانبها أمنيات بأن تكوني دائما زهرة شعر لا تعرف الانطفاء .. وإن رضيت بصداقتي فعليك أن تتعودي كل ما أحمل من تناقض .. أحيانا اقرأ أكثر من كتاب في اليوم ، وفي كثير من الأحيان أنام على وسادة الفراغ وكأنني أبحث عن أشياء ما عادت في دفتر الوجود .. لكن ثقي تماما أني لا أعرف النسيان ، وأنني لا أسقط من ذاكرتي حبق الإبداع الجميل....

كتبك أمامي ، في نيتي أن أدخل جيب كل حرف فيها لأطل على شواطئ العطاء .. أما قلت لك : إن التنـــاقض لا يريـــد أن يتـــرك عـــالمي ، وأن الفوضى لا تغادرني ، وأن الطفولة رغم المشيب تمد لسانها لـتعلن أن الطفـل داخلـي لا يريـد أن ينام..
يصعب علي أحيانا أن أضع نقطة وداع لكن أشعر أن علـي الآن أن أســتمع .. فهـل بـدأتِ الكـلام ....."

دمشق مساء السبت 12/ 1996/10

... ضجت الأفكـار فـي رأس رمـاء وتشربكت الصـور الجميلـة فـي المخيلـة وشـعاعات ومـض فـرح نـاعم تتطـاير فـي أرجـاء وحـدتها .. حرفـه يهـز أرجوحتهـا الطفولية ، يهمس لها : الشاعر طفل والشاعرة طفلة .. وطفولـة القلـب والشـعر لـن تكبـر بـين عـرائش لغـة الصـفاء .. بالشـعر نولـد مـن جديـد كـل يـوم ، وزهـرة الشعر لا تذبل ..
رماء هل هذا الشـاعر آت من زمـن الأسـاطير البعيدة ليعيد خلق رومانسية الحاضر في زمن الجفاف والمـادة ؟؟.. لكـن يـا رمـاء أنـت لا تعرفينـه إلا مـن خـلال الحروف واللغة وكتبه ، هل هذه المعرفة تكفي ؟؟..
المعرفــة هــي اليقـين ، هــي الإحســاس هــي الفعـل والموقف والأسلوب ، تفتحت النفس المعتمـة ، وطـرز وحدتها بزرقة الحروف ، وحملهـــا إلـــى ضـــفاف

مخضرة بعشب الكلمات ن ورهافة الروح ، وصدق الوجدان ..
كلّمتك بصمتي لغة غير لغة الكلام ، تسللتَ إلي من بين هسيس الحروف عبر المسافة التي تقف بيننا ، خارقا السكون والضجر ..
بدأت رماء تبحث عن حبة خردل صغيرة في شطوط المسافة .. ربما ومضات حروفه تضيء لياليها المدلهمة ....
سحائب يسرع ، الزمن يخدش رقة اللقاء وتستعصي المسافة .. وما زالت تنسج للقلب لغة سرية من منابع النور والروح ، فالكلمات حبر العمر .. هل يستفيق القلب ودالیات الهموم تدلي العناقيد ؟؟..
سنوات وسنوات ورماء ترى الوادي مقفرا من الزهر وعطور الرند احترقت .. سنابل القمح تؤجج اصفرارها الشاحب ، لقد هاجرتها الخضرة الدافئة وكل الورود التي أحبتها تترامى بعيدة .. ربما فقدت ألوان دهشتها .. تحول الذبول إلى صفرة يا سمينة بلا رائحة هي ما بقي لها من نضارة الحياة ..
كل البشر عبروا وتركوها لأن أصابع التعب تمسح جبهتها ومداد المصاعب يحرق السكون الآمن حولها ..
المخيلة الواهنة ما زالت تزدحم بزهور شعرية مجهولة الاسم تتماوج كريح ربيعية .. ربما هذه الزهور تغذي أحلامها السرية لئلا تقضي عليها

الجـدران الطاعنــة المتداعيــة حولهــا .. هكـذا تجتــاز ممـرات الجفـاف وتتسـلق صـخرة الحيـاة .. تسـقط ثـم تـنهض ، والشــيء الوحيـد الـذي انتصــرت فيــه هــو معركتها الذهنية وطموحها ..
أزاحت الحياة الهزيلة التي لا نبتة فيها ولا وردة ولا صدر يحن ، ولا عطر يتمرغ على وجهها المغسول بالتعب ..
رمــاء لا تنتظــر أحــدا ، ربمــا الــذي تنتظــره كــائن أسطوري من مدار آخر ، أو من صنع الخيال .. هل يستطيع أن يقرأ على أوراقها حالات الوجع ومعنى القهر ؟؟.. ربما تفرّدها الذاتي أبعدها عن الآخرين ..
مــن يســتطيع أن ينبــت أصــابع حنانــه علــى شــجر الروح؟.. من يستطيع أن يحرق نزق الألم من أعماق الأعماق؟.. من يستطيع أن يرسم معها الأحلام في حقول البنفسج والريحان ، ويجعل آلهات الشعر على مراقد الورق تطوف؟؟..
قد يغيب وتغيب .. قد يأتي ولا يأتي .. هي كطفلة تبتسم ولا تعرف معنى لابتسامتها .. تقبض على الحروف من سلة القلب والروح وتنتشي بالحرمان ..

<u>هامش :</u>
"..استدار الصباح قليلا محملا بالأسئلة .. كنت أبحث عن صورتي وصورتها في هذا المدى المفتوح .. أخذت تعزف لي لحن الرجوع وأعزف لها لحن اللقاء على صفحة من وضوء الريح ..

كنت أدحرج الأسئلة وكان القلب شجرة أمل .. من منا سيكتب القصيدة الأخيرة في مساء أخير.. أمامنا سيتشكل الوعد في حقول العهد .. كنت وحدي أفتح الأبواب وامشي بهدوء شديد نحوي "..

محرقة الكلمات

" الطبيعة منحتنا الحب على صورة فعل حيواني، والإنسان استطاع أن يطوره ويرتقي به" / بلزاك / .. تأملت رماء كل ما حولها .. الآخرون مسرعون يتسابقون من اجل كل شيء .. وهي مع حكايات الليل الهادئ .. تصنع حكاية من رعشات البنفسج، وتنتشي بالحلم المتمدد حول زهرة الصبح التي تسكب في دن الروح خمر الكلمة البكر والتي تنسكب في القلب الواهن ، ربما كلما ذرف الربيع دمعه على خصل الغمام الندية ، تشتعل حروف الشاعر أغنيات عندليب على نافذة الغياب وتحفر الكلمات في ذاكرة البياض وتبقى ، يغيب هو والرحيق الخفي يغيّبها ..

كتب لها :" .. الشاعرة الصديقة .. لك كل ما في القلب والروح من ورد ..

تلك الرسالة في بريدي حملت تراتيل النشيدِ
أخذتْ تشعّ بعطرها وتدقّ أبواب البريدِ
كلماتها ... قلبي لها رفتْ زفتْ ألف عيدِ

***

سلامي إليكِ وعطرُ الصباحْ
أحييك يا زين كل الملاحْ

يكاد السلامُ لفرط الهوى
يطير إليك بغير جناحْ
يجنّ يحنّ يئنّ ُ إذا
على السطر حبر الكلام استراحْ
وتبقى الكلمات حبر العمر ، أشهد أن قلبي لا يستفيق إلا على ذاكرة الأمل ، وأن عمري لا يعرف إلا الحب ..
عمري وما عمري سوى
أحلى ترانيم الهوى
لا أرتوي إلا إذا
قلبي من العشق ارتوى
نبض الغرام ملكتهُ
قلبي على العرش استوى
أتدرين مرةً حط على شارع في القلب عصفور ونقط في سماء العمر أجمل كلمة حب ، وكان العصفور شاعرة تكتب نشيدها بيدين من زهر الربيع .. ما أجمل أن يأخذ الكلام صورة العالم وأن تصير الوردة حلم العمر كله .. عندما تفردين يدك حاولي أن تأخذي بساتين عمري أغنية لا تعرف الانطفاء .. كم كان علي أن أقول .. وكم كان عليك أن تنشدي .. بالله افتحي كل شبابيك الكلام .. ليلف العالم قلبي بالأغنيات .. "

دمشق 1997/11/17 ..

كتبتْ رماء في دفترها الخاص : كل ما في الكون يتكون ويتحرك بالمحبة ، ومن ميزات الحب الإنسانية الرعاية والاحترام والمسؤولية والصدق والوفاء .. الزمن يرحل بنا ، الأحبة يرحلون ، الأولاد يكبرون .. القصص تنسى ، الذاكرة تتعب، والحب يبقى بألوان الأرض ، الحب الصوفي ، الحب الوجداني ، الحب الإنساني ، حب الوطن ، حب الأم ، حب الإنسان للإنسان .. واستحضرت الذاكرة آراء بعض الفلاسفة والمفكرين ..
أفلاطون: " الحب ضرب من الجنون الإلهي "..
دانتي :" الحب قوة كونية ، وهو الذي يحرك الشمس والأجرام السماوية .."..
هوغو :" إذا كنت إنسانا فكنْ حبا "..
وتتفتح براعم الليلك الساهر حروفا تسافر وتعود، ربما أصبحت لغة البراعم رسولا بيننا ..
أتصدح نبرات الفرح
على برعمين ناعستين
فيا غفوة العطر
خذي نبيذ الحرف
رسول لغتنا
ينعش أجفان الشعر
وشوقنا

أهازيج موج نضر
رفيف نفس
كورقاء على شاطئ الحب
سأغمس حروفي بابتسامة اللوتس
هل قرأت رسالة العطر ؟؟..

هامش :
" ذات مساء كنتُ أحاول بناء حلم ما ، وكانت أشجار الوقت تداعب سماء العمر بأغنيات شجية آتية من مكان بعيد ... قالت لي وهي تسرب دفء وجهها : حاول أن تكون حشو القلب فأنت الوحيد المحب.. قلت تلك المسافات تصطاد شيئا من وعد آت .. خذيني إلى عينيكِ كي يكون بيتي من نور ودفء ... كلما اقتربتُ منها شعرت أن العالم أحلى .. تكتب حروفها بليلك الروح ، وأكتب حروفي بخفق العمر ودقة القلب .. خذيني إلى سكة حلم كي أذهب حتى الثمالة في دفء المسافات ..".

كتبت رماء على أغصان الروح المورقة : الحب مثل الإبـداع ، فتنـة ، خلـق ، وجـد ، اغتـراب ، تمـزق .. والروح الشفافة المحبة هي التي تصوغ العالم وتحولـه إلـى فـن .. ألـيس الحـب هـو أنـدر الفنـون ، وأعمـق الفنـون، لأنـه يُضـفر بالإحسـاس والإنسـانية والتواصـل مع المطلق الإلهي ؟؟..
مرّ قربها طيف النفري هامسا :" فإنك لا تدري بأنه رب لحظـة تفوتك لا تـدري متـى تستعيدها؟؟" رمـاء.. إنهـا ليسـت لحظـة ، إنهـا تجربـة تحتـاج إلـى معرفـة ووضوح .. حـاولي أن تميـزي بين الحقيقة والخيـال .. بـين الحلـم والواقـع .. لقد انقطـع رذاذ حروفـه ، لكنهـا تدرك أن الغياب ملغى بينهما ، لذلك لـن تقلق ، وبقيت متواصلة مع طيوف بين تجمعات ماسية لأشـجار يثقب حفيفهـا شـغاف القلـب ، بهذا التواصـل الحلمـي ابتدعت أحاسـيس لـم يسـبقها إليهـا أحـد ، ووضـعتها فـي سـلة مبرعمة رقة الحرف ونعومته ، ستحدثه عن رومانسية الحلم المشتعل بين أوراق الشوق:
يا صديقي الحلم هو تلك الأفكـار والصـور التـي توجد في الذهن ولا تخضـع للعقل ، ولـيس الحلم بالضـرورة هو الصـورة أو الفكرة التـي تبدو لنـا فـي المنـام ، إنمـا الفكرة والصورة التـي تنجو من سيطرة الذهن العقلـي والمنطقي ، فالحلم قد يكون فكرة خيالية ن وكل تجربـة تنبثق من مملكـة اللاشعور هـي ضـرورة للشـاعر كـي

يحـافظ علـى حياتـه النفسـية حيـة ، لأن قـاع الـروح لا يتعرض لضغوط المجتمع الأخلاقية .. وقد شكا فرويد من أنه كلما قام باكتشاف ، وجد أن بعض الشعراء قد اكتشفه قبلـه ، وفعل الإبداع شديد الشبه بفعل الحلم ، والمعاناة تصفي الروح وتحولها إلى قوة مبدعة ..
شعاع نقي ، أو أنداء من ربات الشعر ينتهي في هدوء روح الشـاعر ، فتحـدث فـي قلبـه هـزة .. هكـذا عـادت هـزة الـروح علـى سـرير الحلـم اللامرئـي والحـروف الأليفة تعود إليها وتساهرها كنجوم ألقه في ليالي رمـاء المديـدة، كأنهـا القـوة الغامضـة التـي كشـطت قسـوة الوحدة، فأحست بنبض الأشياء حولها وزغاليل الفرح رموش حروف تستقر في قلب الغياب ...

كتب لها :
" عصفورة الشعر رماء ...
حاول المساء أن يسحب بسـاط الروح،فأشـعلتُ القلب ألفَ صباح لأبـدد وحشـة العتمـة الجارحـة في صـيرورة الوجـد اللامتنـاهي .. كـان علـي أن أعيد احتفائي بالورد وهو يوزع على مدّ الأنفـاس عطره الأخاذ ، أتـدرين أن أجمـل مـا فـي الوجـود الذي نحيا أننـا نعيـد ترتيـب الضـلوع علـى نغمـة قلـب لا يعـرف أن ينـام .. أحيانـا تسـرقين منـي لحظة البوح ، فتغرق الأصابع في دهشـة الكـلام المنـدفع كنـافورة مـاء أو كشـلال ألـق لا يعـرف الحـدود .. أصـدقك القـول نسـيت وأنـا أرتشـف

الكـأس العاشــر مــن ثغـر وردة الوجــد أن أعيــد أصـابعي إلـى مكانهـا بعـد أن طـارت فراشــاتٍ تحاول أن تنقر بأجنحة النـور جسـر المسـافات .. لمـاذا كـان علينـا أن نسـتبيح القلـب بكـل هـذا الوجـع الـذي لا يعـرف الهـدوء .. أحيانـا أظـن أن دقـات القلـب تحـاول أن تخـرج مـن بيتهـا الصـغير الدافئ لتشكل أجمل باقـة ورد لعصـفورة حطـتْ على السطر فراح يتماوج سحرا ، إنه سـطر مـن الوجد الأخاذ .. هل عبرتِ ذات صباح دافـئ إلـى عرس الشجر وهو يحتفي بزفاف النور للنـور ؟؟.. هل حاولتِ أن تسرجي خيل الصباح فـي حفـل نهـوض الزهـر وهـو يتـوج عصـفورة الشـعر أميـرة للبوح ..؟؟..حاولي يا امرأة من نشيد الزمن الحلو أن تكتبـي اسـمك علـى صـفحة النسـيم ليكـون أكثر رقة وعذوبة ..
حاولي أن تمرري خصـلة شـعر علـى أريـج الـورد ليكـون الأريـج أكثـر عطـاء .. ولـك حـين تنـام كـل البلابل أن تكوني كلام البوح لأن بلابـل الشـعر لا تنام ".. دمشق 19/ 6/ 1997 ..

شـردت رمـاء مـع أغصـان الحـروف المغـردة ، ربمـا أبجدية الشجر صنعت من اللغة وردا ، ومن الحروف جسدا لساحل الوصل ، وعلى صدر موجة الشعر كـان الزبد يرسم تسـاؤله : الا نموت ألف مرة كلمـا شـاهدنا حقيقة وجودنا ؟؟..

حملتني الأنسام إلى بحيرة بورجيا الإيطالية ، حين عكرت زوبعة صفو البحيرة وزورقا صغيرا تداعى وانقلب وصارع الشاعر لامرتين الموج وأنقذ جوليا وكانت تمضي الصيف على ضفاف البحيرة علها تشفى من مرض عضال .. أصبح لامرتين متيما بجوليا مع أنها تكبره بسنوات وحاول أن يشفيها بالحب ، وفجرت ينابيع إلهامه في ديوانه " تأملات " وسماها في تراتيل حبه ألفيرا وخلدها في قصيدة البحيرة ..

في الغرب تكون المرأة معنى الحياة والحب والإلهام في كل مراحل عمرها ، وينظر الرجل إلى وعيها وثقافتها وروحها ، لا إلى شكلها وعمرها .. يبحث عن إنسانيتها ، لا عن جسدها فقط .. وكلما تقدمت في السن يزداد وعيها ونضوجها ، لأنها تمارس حياتها دون ضوابط أو قيود .. والمرأة الواعية المثقفة تكون أكثر حرصا على نقائها ، وأكثر مسؤولية تجاه حريتها .. وقد قال بوعلي ياسين في كتابه " أزمة المرأة " : " تبدو المرأة في موقفها تجاه الصراع الاجتماعي من تحررها كأنها حسناء تجلس في منصة ، متفرجة على قتال رجلين يتنافسان على الفوز بها، وهناك من يدعوها لأن تنزل بنفسها إلى الساحة وتقاتل في سبيل حقوقها ضد الاتجاه الظلامي الذي يريد إبقاءها في عصر الحريم ، ولكنها تخوض نضالها التحرري بقوة وإصرار"..

كتبت رماء في دفترها : هل تتحرر المرأة إن لم

يتحـرر الرجـل.و يعاملهـا كإنسـانة لهـا أحاسيسـها وأفكارها ورغياتها وليست فقط زوجة وأماً ؟؟.. تقول فلورا تريستان " يقاس التقدم الاجتماعي بتقدم المرأة نحـو الحريـة.. والحـب هـو الاختيـار ، وكـي يحـب الإنسان لا بد أن يكون حرا " ..

قرأت رماء في دفترها :

كبرعم ليلك
تفتق تويجة لغتي
أراك ملامح دهشة
أسطورة تكويني
وحيدا كالخيال
تأخر الحب كثيرا
تأخرت قليلا
وردتي العشيقة
حقيبة رحيل
في دروب الخريف تربكني

<u>هامش :</u>

" في البداية يكون الحب صرخة قلب وروح، وفي النهايـة يكـون القلـب حبـا لا ينطفـئ .. أسـكب الموال فتنهض الحقول سكرى بدهشة الحلم .. أمسـكت يـدها عنـد منعطـف عمـر مـا ، كانـت أصابعها موسيقى يوم شـديد المطـر .. هـل هـو الحـب ؟؟.. قالـت : ألا تشـعر بـذلك ؟؟.. قلـت : أحيانـا لا نسـتطيع أن نصـف الحـب ، لكنـه

الحب في كل الأحوال ... رسمتْ ابتسامتها على ظل الدرب وهزت نخيل الوقت ، كنتُ أمشي معها في الدروب الطويلة إلى وعد لا ينام .. سنوات وهي هي .. سنوات والشعر يكتب الشعر في دهشة الزمن الجميل ..
خذيني كي أنهض مع حقول اللوز ، وكي أكتب قصيدتي على حبر الزمان الذاهب القادم "...

تشعبات النفس

قال مونتين " ألحوا علي قائلين لم تحبه ؟؟..
- إنني أحبه لأنني ، أنا من أنا ، وهو من هو "..
أي أن الحب يتجه نحو الكينونة لا نحو الملك ، والحب الحقيقي لا يحب الآخر لصفاته وميزاته ، بل هو يحبه لذاته .. والحب الحقيقي هو فهم الآخر من حيث هو شخص مغاير لي ن ومؤكدٌ بكل حرارة العاطفة حقيقة ذلك الآخر ونوع أسلوبه في الحياة ، ويخص الحب بالمشاركة الفعالة التي تتم بين حريتين ، ولا يتحقق غلا بالوعي المستقل ، والعطاء المتبادل .. حطت فراشة قلقة حملها النور بعيدا على شرفات رماء.
أحلامها غارقة مع همس الليل العذب ، وتغريد الشاعر.. مناجاة الروح والوجدان بين جداول

المسافات المسترخية بينهما .. أحلامك يا رماء هوامة ، وتلف أصابعك بخواتم الشعر . عليك أن تعيدي ترتيب الأيام ن وتغرفين من نهر الذاكرة.هل يحق لي أن أنفذ من مملكة الحلم ، والحروف تترامز رؤى متناثرة .. والزمن يتشبث ..
سئل مرة جان جاك روسو : لماذا ترسم مضجعا وسط الغابة ؟؟.. أجاب: ألا يحق لنا رسم أحلامنا؟؟..
الفوضى الحلمية مملكة المدهش الذي تخرجنا من مر الواقع وصعوبته .. وتعودت رماء أن تتوحد مع الأشياء التي يمكن أن تكون .. أن تقبض على جمر المستحيل .. واعتادت أن تعبث بها رياح الهجر ، وأن تقف على برد الحجر .. لن تناديه حتى لا يقترب .. ستترك خواتم الحروف لماعة كشهب مبعثرة في فضاءات المسافة .. أغاني الرحيل تكون أجمل بلا وداع ..

<u>كتب لها :</u>
" الصديقة الشاعرة رماء
بين حبر الوقت أو وقت الحبر تضيع الحروف.. أو تحاول أن تفرد ورقة من أوراق العمر على سطور الإبداع .. دعيني في البداية أقدم لك التحية ، وربما ما يحمل العمر من عبق الحياة ، وأمل التجدد الجميل الجليل .. أتدرين أن المسافات تتكسر أحيانا على صفحة الحبر فيندلق العالم لقاء ، وإن كان الهواء محملا بكثير من

مساحات الفضاء الواسع الرحب . ؟؟..
تقولين : إن الشعر سحر ، أو ربما أنا أقول لا يهم ما دام حبر الكلام مفتوحا على دفقة العطر الندي، لذلك كان الشعر وما زال زورق البحر التائه في مدارات العمر ..
هل نظرتِ مرة إلى الساعة وهي تعلن أن المساء محتفظ برائحة الصباح ؟؟.. مرة ربما منذ عشرين سنة كنت أقرأ الساعة في دوران عقاربها ، واليوم أقرأها في دوران عطرها . لا تصدقي أن الشاعر يمكن أن ينام ، وأن يغمض عينيه .. هناك فسحة من الوقت لا تعرف أن تغمض العين ..
هل أحاول أن أتلو شيئا من ذاتي على الورق ، أم أن ذاتي تحاول أن تخرج من حيز الجسد الضيق إلى حيز العالم السحري الذي لا يضيق ؟؟..
لا أريد أن أكتب أي شيء .. صدقيني ، لا أريد أن أقول أي شيء .. هو الحبر قد انفلت على الورق فأغرق السطور .. هي الروح قد استيقظت كي تجد مدارها .. لك أن تستريحي الآن من فوضى الحبر هذه..واسلمي .."..
دمشق 1997/2/21 ..

رماء دائما تبحث عن دهشة الحلم المستحيل ن تبحث عن إنسان ما يفهمها .. يحس باحتراق الحرف في عروق أشجارها ، ترسم الصور من اللامرئي الشعوري ، ربما هذا الإنسان خلق بحروفه حرائر شفافة من فيروزات الكلمة والحنان .. وأزاح حجب وحدتها ، لذا ستبدأ برسم ملامحه التي لا تعرفها ، وأجفان الفرح تغرف من ينبوع يفرد ألوانه على أيامها الساكنة ..

معا دخلا مملكة المستحيل ، معا كتبا على نرجس بياض الروح .. معا جعلا الحرف يبتسم على أرجوحة الطفولة والمسافة ..

طوت رماء الصفحات .. انبثق من محبرة الفوضى عطر قرنفلة دمشقية .. ستقفل رماء بوابة الهدوء لأنها تخشى ضجيج الآخرين وضجيج حطب الانتظار في موقد أيامها ..

<u>هامش :</u>

".. وكانت رماء امتدادا في ارض الوعد والميلاد .. كانت تعرف أنه يشعل الحروف صرخة تجتاز المسافات القريبة البعيدة كي تعطيه شمعة عيد أو بسمة لقاء ما .. تكتب فتشرق الشمس مرتين كل شروق..

هل عرفتْ ذات صباح انه يسرج الحروف لأجلها ؟؟.. هل أدركت أن كل هذا الدفء ما كان ليكون لولا التصاقه بها كل هذا الوقت المسروق من برهة الوقت ؟؟.. "..

طفولة المطر

تقول سيمون دوبوفوار : " العنصر الأمومي يمثل الطبيعة، في حين العنصر الأبوي يمثل التاريخ لهذا تبدو الأمهات واحدات في كل مكان وزمان .. في وجهها ظلمات وغياهب . وهي السديمالذب بزغ منه كل شيء . والذي سينتهي إليه كل شيء "..
رماء تعيش لحظات الذروة النفسية والفكرية مندهشة بروعة الطبيعة ، وتبحث بين أحضانها عن إنسانية الإنسان، تشعر بالتوافق مع الأشياء لأنها تغلف حياتها بمدار المحبة .. تحررها الكتابة من عزلتها النفسية ن وتجعل الحبيب ومضاً بين لغتها ، أو أسلوبا متجانسا مع حساسيتها وحاجتها لحنان الرجل ن تحرر الرجل.. تفهّم الرجل.. هي التي تشدها إلى عالمه، وقد تخلع عليه كل صفات الكمال ..
تراودني شخصية مدام بوفاري كما صورها فلوبير في روايته " تعرض للرواية النقاد ن واختلفت الآراء حولها ، وحول تفسير شخصيتها الرومانسية الحالمة والتي كانت تبحث عن نبع حنان "..

// قال المترجم : إني لأرى الإنسان هنا يعي الحقيقة ، ولكنه يتجاهلها ويؤكد الكاتب أمام نفسه ، وأمام الآخرين أبعاد تلك الواقعية التي كانت في أعماقه حاجة ملحة تشده إلى كل شيء ، لا بل كانت الغذاء النفسي الذي تحيا به تلك الشخصية المتناهية في أحاسيسها ومرونتها وطواعيتها ، مضمخة بأرهف اختلاجات نفسه //..

ومدام بوفاري ما لا سبيل للجدل فيه ، أن أصدق الحقائق وأشدها رسوخا في أنفسنا هي تلك التي نحسه ونحن نتلقاها بأنها كانت تعيش في خاطرنا من غير أن تجد لها منفذا تخرج منه إلى النور " وقد كتب فيكتور هيغو كلمة جعلها غنية عن كل رد ، وقد أرسل إلى الكاتب فلوبير رسالة يقول فيها :" إنك كنبت قصة جميلة يا سيدتي ن إنها قصة الزوجة الخيالية التي تطمح للحياة كما يتصورها الشعراء ، حب خالد ، وعوالم أبدية من المتع والرغبات ، وتصطدم بالواقع فتتردى في جحيم الهوى الخائب "..

تساءلت رماء متى يفهم الرجل أحاسيس المرأة ورغباتها وانفعالاتها بقدر ما يبحث فيها عن شكلها الخارجي وجمالها الجسدي ؟؟..

يتثاءب القلق ويحبس الأنفاس ، وتتشرد لهجات الصمت في دروب الكلام ، سأمد أصابعي لرفوف البياض ، فالأسى يهفهف بين خطوات الريح والمطر ، ويتعرج القلب على مرمر الطمأنينة فأغسل ابتسامات

الأمل بالفيروز حين تنسكب مغمسة بحبر القلم على جسد الصفحات ، بينما تبقى لجة الحيرة تتبع خطوات المسافة ..

كتب لها :
".. عصفورة الشعر رماء
ما دمت تداخلين نبض القلب بشجر الروح، لن تكون هناك غير رماء واحدة ، أفرد على صفحات روحي الكثير من بوح الذات لها .وإن كنت أشكر لك اختياري الأقرب إلى الذات .. فإنه الشكر الذي لا ينطفئ .. "..
دمشق 1997/7/9

أن تكتب لي شيء محبب ومألوف ن أما أن تكتب حينما أحتاج إليك ، فمعنى كتابتك يعكس ما أراه بداخلك .. وهج الحبر الذي اندلق يشعل الحياة الصامتة الموجوعة في عري دروبي ، ويتسرب دخان الحنبن لينعشني أو يجعلني مذهولة في كتاب يفهرس قلبك ..
ربما أراك ، أو أراه في كل الكل ..
المطر في المدينة طفل نقي يتعمد بنهر الصفاء ، ويخلق لدي إحساسا بعمق حيوية الأرض بعد عقمها .. رغم أني أحيانا أشعر بلا جدوى أي شيء .. أصحو من غيبوبة الأفكار ن وصوت المطر يناغي إيقاع

حروفك التي تتمايل بسحر غريب على بياض الورق .. بأي لغة تكتب وكيف تجعل الحرف قادرا على اختلاق المعجزة إلى هذا الحد ؟؟..
وتتفتق براعم الليلك مزامير الروح :
أترتبك مزامير روحي ؟؟..
أم أعطاف رسائلي
ربما خطايا أحلامي
شذا الليمون والغار
هل كانت تفاحة الشعر أم تفاحة القلب ؟؟..
رموز لغتنا
أم كلمة خجولة تنمو على شفاه طفل ؟؟..

<u>هامش :</u>
" هل لي حقا أن أكون تفاحة القلب ؟؟.. وهل للحروف أن ترسم الصمت بصوت البوح العذب.. ؟؟..
أحاول أن أداخل صونك وصمتك وشجر الوقت المجنون .. خذيني كي أدرك كم من الوقت تبقى كي أطلق الرصاص على جدار البعد ؟؟..
أحيانا يطيب لي أن أظلل مساء الوقت بالوقت ، وأن أداخل الصرخة بعد الصرخة بالصرخة ، ترى هل كان للعري الذي يداخلني وانأ اخلع حروفي عن جسدي سوى أن أكون أنا بكل ما في وما لدي؟؟..
تقولين وأقول .. أحيانا أشعر أننا نقول الكلمة بفم واحد ، بحروف مشتركة ، بخفق القلب ،

يا امرأة من حبق الوقت لماذا كل هذا الذهول حين يجتاحني جرس الحب اللذيذ ؟؟.. سأكتب لك قلبي على سطر من دفء الروح .. كلما اقتربت منك شعرتُ أن المكان أكثر جمالا ، وان الزمان أكثر اتقادا .. فقد بقي من الوقت أكثر من القليل قليلا .. لكنني احبك .."..

طوفان الوجع

يقول نيتشة :" ما تفهمه المرأة من الحب هو في غاية الوضوح ، لأنه عندها عادة بل بذل تام للجسم والنفس معا .. وهذا يعتبر ضربا من الإيمان "..
مسكونة رماء بغابات الحب الإنسانية ن وأمام حفيف الروح تسقط كل العبارات ويبقى نبض الكلمة ذلك الإيقاع الذي يخشخش كأوراق الدوالي المرشوقة بالعناقيد .. تتابع رماء أوراق متفتحة على شجر العمر وتقرأ :
عبرت الكاتبة فلويز ميشال عن معاناة المرأة وضياعها بقولها :" الحق أن يكون الإنسان ذاته ، وفي التعبير عما يختلج به صدره " ومن خلال حياتها المأساوية كتبت رسالة أملها الأعظم " خذوا مصائرنا المحطمة واجعلوا منها فجر يوم جديد "..

فـي الهنـد كانـت الآلهـة الهندوسـية كـالي أم الـدنيا ، وأعظـم تصـور طرحـه الرجـال عـن المـرأة المـدمرة والخلاقة في آن واحد .. هذه الآلهـة الجميلـة المتعطشـة للدماء هـي الآلهـة الخطـرة التـي يقدم لهـا سنويا آلاف الضـحايا .. إنهـا المبـدأ الأمـومي الـذي يشـحذ دورة التجديـد ويحفزهـا ، وهـي وراء انبجـاس الحيـاة وتجددها.

وقـد كـان الامـتلاك فـي الحـب تجسـيدا لفكـرة الأب المسيطر فـي الأسرة وتجسيدا لفكرة الحـاكم المستبد . ومتى وصل الإنسـان إلـى فكرة التوازن، وتغلـب علـى فكرة التحكم والامتلاك ، يدخل الحب إطـاره الطبيعـي وتأخذ المرأة مكانتها الإنسانية في المجتمع .

مركونة رماء إلى جدار وحدتها تتأمل أقوال المفكرين عن المرأة وتتعجب من أكوام الأفكار التي تنمو وتكبر ولا تنتهـي.. وربمـا حبـره السـري المتغلغـل عبـر الصـفحات ، يخلـق لهـا إشـراقات فـي الكتابـة والتأمـل تكمـن فيمـا وراء الكـلام .. والمعنـى.. تغطيهـا كرمـوش الفجر بينمـا القلـب كالنهـار يحترق بالضـجيج .. مـازال الـزمن ينشـطر حولهـا .. ومـا زالـت الأرض تشقشـق شـعرا وسـحرا وحروفـا تسقيها رمـاء مـاء نبـع الـروح وتسرح ما وراء الحلم .. وأبعد من الواقع ..

<u>كتب لها :</u>

" أحاول في هداة الليل أن أستل من دفقة الحبر

ضوء صباح أستطيع به أن أستبيح الورد كي يبوح بما تحمل الذات من أمل .. تدرين أن مساحة الغبش قد تطغى أحيانا على شجرة في الروح لتطفئ طلعة النور ، لكن يبقى لي أن تمدي أصابع الورد لتحمي الأيام من هجمة ظلمة خانقة .. كم من الوقت تبقى حتى تكمل صيرورة الحلم مدارها لتضع في الفضاء الرحب قمرا لا يعرف الانطفاء ؟؟..

أعيدي للذاكرة عبق الروح وشهوة العمر لضوء لقاء .. وحين تغمسين أصابعك الدافئة في سلة الذكرى حاولي أن ترشي شيئا من ماء الوعد على وردة قلبي ليعود لحن الخفق إلى انتظامه من جديد ، ولا تكسري بحة صوتي حين يمتد النداء صلاةً في محراب الشموس .. فأنت صيرورة العمر ، أول شجرة استطاعت أن تمدّ أغصانها في خلايا الجسد .. قد تقولين إن الحبر يحاول أن يغتصب كل حروف اللغة في اتصاله السري بحلم شدّ على شبابيك القلب فكان كل هذا الفيضان المجنون ؟؟..

وقد تقولين إنني نسيت في حبر الكلام شيئا من حبر روحي فكان كل هذا التدفق الذي لا يعرف الهدوء .. قولي ما شئت واكتبي في أول صفحة من صفحات البوح أنني أترك للريشة أن تنغمس حتى العظم في كل قطرة من قطرات دمي ..

وردي إن شئتِ على نزيف ريشتي بكل ما لديك

من وقت الشجر المحنى بنشيد الزمن، فكل ما تقولين سيكتب في صفحة ذاكرتي رائحة الياسمين وشكل الوردة التي لا تطفئ سراج الأمل .. ربما تكون عقارب الساعة قد جاوزت وقت الكلام المباح ، لكنني أحاول قدر استطاعتي إعادة قدرة أصابعي على لجم حصان الكلام فلا أستطيع !!.. فكوني صباح الخير مع كل تفاحة حلم تفتح في بدني عينينِ من الق انتظار .. وكوني عصفورة الشعر الحرف في كل حرف حتى يستقيم جسد الكلام وحتى ترتفع قامة النهار أكثر .."..
دمشق 1997/7/10..

أكان الانتظار على عتبات الغيب لشاعر متحكم بحركة المعنى ، وربما كلماته هي التي تحدد اتجاهات المعنى اللامتناهي ؟؟..
شرفات الليل تغتسل بماء الحب النقي ، وخيوط الأحلام الوردية تنسل إلى ذاكرة متعبة .. أليس الشاعر مفتاح الطبيعة ؟؟.. ومفتاحه السري الشعر وبذلك يخلق نبض الجمال والحب ؟؟..
أين وصلت يا رماء وطوفان مياه الأفكار يحرق الليل البارد على أجنحة العتمة .. دموع قلبي لن يراها احد.. أتعبني الوجع وأصابعي النحيلة تقبض على جمر القلق .. ما جدوى الإخلاص لكل الأشياء التي

نحبها ؟؟..
يحشد الظلام سكونه حولي ، أصبح مثله مهجورة، وملح البحر يتدفق على صدري الهرم وانأ أرسم تفاصيل حزني على ذاكرة الأيام ، بينما ينساب حبر الكلمات جداول صغيرة على ضفاف الورق .. نلتقي على الورق .. نفترق بالصمت الذاهل .. أليس اللقاء والفراق بعض هموم هذا العالم ؟؟..
بدأت دالية حروف تجف على أصابع الكروم المنفية .. تبحث عنه حتى تطفئ الأشواق المسافة..
حلب 20 / 8/ 1997 ..

هامش :
أعيد ترتيب حبر الكلام حين تطل عيناك من شباك الذكرى .. اغتصبَ الزمان الطويل جسد حرف محترق ، فحاولت أن أضمد جسدي .. صعب أن يكون كل هذا التوقف دون عينيك ودفء يديك ..
أعيدي للذاكرة الذاكرة ، واتركي للمساء أن يمحو حزن الريح التي أطلقت رصاصها المجنون على سكة العبور ..
ذات يوم يأتي .. ذات يوم كان .. كوني حبي الذي كان فكنتِ فيه ..
كوني حبي الذي حرك العالم ، فأشعلتُ عناقيد الفرح في صرخة عمري الذي تشكل مصباح وعد ..

هل تكتبين عن الفراق ؟؟.. الفراق يا سيدتي لحظة عمر ألقيتها خلف ظهري ، ونسيت حروفها ، فكوني اللقاء الذي لا ينطفئ .. والوعد الذي لا ينام .. " ..
دمشق 2002/7/2

كوخ الصمت

رماء كطفلة حائرة وقد تكسرت دمى الحروف الملونة .. فهل تعود إلى الصمت ؟؟.. ذاتها المشتتة من يعيد إليها الصحو والأمل والحلم ؟؟.. هل تنتظر أن يورق الياسمين الدمشقي أغصانا للمسافة أم تهرب إلى بيادر النسيان ؟؟..
أتممت تراتيل حزني ن كتبتُ دمي حروفاً لليلٍ ينتشي من تعب حواراتي ، كل روايات الحب تقول :" وردة اللقاء تلتف بوردة الجفاف وبقية الأسئلة تحتضر بين طعنات القلم .. أيها الشاعر الغريب هل أنتظرك ؟؟.. انتظاري يلون السراب على قنديلي القديم ..سألتف ببردة الصمت ، وربما الأطياف الهائمة تعلن عصيان سنابل الحروف وتهرب من أمومة البيادر ، أو ربما تنام كغفوة الماء .. أو تشرد كالسمك الساهر أبدا .. ربما انطفأت ومضة كلماته لأن نبض الخريف يتشرب شحوب الشجر .. أستغرب كيف شحت حروفه

، وهربت من دمه ..

كتب لها :
" الغالية العزيزة عصفورة الشعر ..
أرجو أن تمنحيني قليلا من الوقت لأعيد لحبري ألقه ورونقه وتحليقه ..
أعرف أيتها الغالية أنك سترسمين ألف سؤال ..
لكن ثقي أنني الصديق الأوفى دائما ..
لن أتأخر يا عصفورة الشعر .. فلا تذهب بك الظنون ..".. دمشق 1997/9/2

هل الرسائل أيضا تجفو ؟؟.. تتمدد في غرف الذات المغلقة وتتقافز الأسئلة وتتعب وتخرج من غرف الذات لتدخل فلوات الصمت ؟؟.. العقل الصارم يحلل وينهي ، والقلب البريء يحزن لغموض بعض الأشياء.. يرق العقل أحيانا ويحنو على القلب ويتداخل مع جوهر الحياة ، وتنبثق قوة تتخذ من الكتابة معنى لها ..أوراق رماء الساكنة لا بد أن تمور وتمتلئ من خوابي الروح والأحاسيس والمعاناة .. أليس شكسبير هو القائل :" يلجأ المتألمون إلى الكتابة كيلا يمتصهم الألم ".. ؟؟..
والمبدع الحقيقي لا يستخرج أكثر حقائقه التهابا إلا من أخطر أغوار طبيعته ن وهو الذي يقلب الوجود عن طريق سحره الداخلي .. لماذا لا نلون الشعر

بأحاسيسنا ، ونشرب نخب الروح ونخب الوجع والانتظار ؟؟..

صبّ لي كوثر الشعر
في كأس وجداني
سنلغي القوافي
أنفاس المسافة
تستقي رشفة اللغة
نخب الشعر
بنشوته
مدى عينيكَ
وقلبي
***

هامش :

" الآن أحدق في المسافة الواقعة بين حرف وحرف .. أقرأ ما كتبتُ فأكتوي بنار الأسئلة .. لماذا كان عليها أن تنتظر كل هذا الوقت ؟؟.. ولماذا كان علي أن أختصر جسر الحروف إلى هذا الحد ؟؟..

أحيانا نحاول استعادة الوقت الذي ذهب ، فتسقط منا كل الكرات دفعة واحدة مما يربكنا ويحيل استعادة الذي كان مجرد لعبة مفرغة !!.. أمدّ أصابعي إلى جرس بعيد فينطلق الصوت دون توقف .. أبحث عنك في زواريب الزمان والمكان.. لا أصدق أحيانا أن السنوات كرت بكل هذا

التسـارع المـدهش .. هـل تغيـرت ملامحنـا ؟؟..
هـل تغيـر النـبض فينـا ؟؟.. هـل أنـت أنـت ، وأنـا أنا؟؟..
حين أغمض عينيّ أستطيع إعادتك إلي .. قريبة أنـت إلـى الحـد الـذي أسـتطيع فيـه ملامسـة جسدك بذراع القلب ؟؟..
لا أصدق المرآة التي تقف أمام وجهي فتطبعني وحيـدا فـي صـفحتها ، أصـرخ لمـاذا لا تقفـين معي؟؟..
من هناك يأتي صوتك ليقول لي : وهل أنت بعيد عني إلى هذا الحد ؟؟.. أحاول أن أشد يدك إلى يدي وتركض بنا الشوارع والطرقات .. أحاول.."..
دمشق 2002/7/3..

إنسَ الأرض
سماء الهوى أحلى ..
لزهرة عشقي
سأحمل وجهكَ
مجدولا بهالات النور
قد تخفينا الأيام
وأحزان الأرض لا تكفي هذا العمر
خبئْ صرة الحب .. سماء الهوى
بنبضك ونبضي

غفوة قلق

قال أحدهم : - كل عمل إبداعي هو تطهير للعالم، لكن العبرة العامة تكمن بوجود هذا الإبداع ، وبالإبداع يستطيع الإنسان ممارسة حياته وحريته . والاستمرارية بالتغلب على كل ما هو سيء وسلبي في هذا العالم .."..

مساحة العالم تصغر ، ومساحة ذاتي تضيع على خريطة الكلمات .. طيور الفرح ما زالت تتابع الهروب متسللة من نوافذ رماء .. والحروف التي تكتبها تتطاير كأوراق الشجر الخريفية .. وكل سطر يغقو في قلب المغيب ، هل حنجرة الشمس جرحت بالمطر الرمادي ؟؟.. أتظلل بضباب أيامي ، وأعيش في غربتين الوحدة والغياب .. قد أبتسم للغرباء وأتلهف إليهم حين يتوارى أقرب الأقرباء إلى جسد البعد ، وقد أضيعهم أحيانا أحتاج إلى قوة تحتضنني ، وإلى صدر يسترخي وهن أيامي عليه ، موجوع عري الدرب وهي تتعكز على حافات مجهولة ، والريح الشامتة تنثر حولي ورود الذكرى .. أفتح حقائب الليل أودع بها الأشعار والخواطر والتأملات ، أما الأفكار فتسافر تائهة في خرائط المسافات ، وعلى الطرقات المألوفة لأحبتي يعلن الاخضرار أوان رحيله ..

هل كان النائي القريب وجعا في سكين الحب ، وغصة في جنبات الشعر ؟؟.. لن يحتلني الضعف ، سأقاومه.. سأقتل غربة الذات بالكتابة، وسأتعلم كيف أنسى

نسياني ..
أخطط على دفاتري الترتيب الأول لرسائلكَ وحروفي اليتيمة ترمقني من تبعثر الصفحات،وفوضوية الكتابة.. لن أمسح بكفّي الترتيب المنتهي ، سألغيه لأني لا أحب النهايات..وتفاصيل التفاصيل سوف أتناساها ، أنا لا أحب المألوف والمتغضن كالتجاعيد .. سوف تغيب وأغيب ، لأن موضعي عندكَ ما زال محاطا بدائرة مغلقة من الأسئلة .. والأجوبة تعبث غير مبالية .. حرقت رماء موقد لغتها أعصابا وأحاسيس ن لذلك جرحت حنجرة الشمس ، ونزف النور من مآقي المطر الحزين .. سأرشرش وسادة الصمت بعطر الدمع ، لن تراه أنت ولا البشر .. لأني تعودتُ أن أشعل ابتسامتي بماء القهر وأركض مرحة فوق الأرض المتعبة.. حلب 15/ 10/ 1997 ..

***

طيفك محروق
على مرايا الأمس
يشبه حلقات بخور المياه
سميته الوجع المسافر
في دمي
سميته الفرح المهاجر
من وحدتي
سميته همس الشفق

ذات صباح
لمن تركنا حبق دفاترنا
أذاكرة للحروف ؟؟..
وكيف يبتسم زمزم الشعر
وهو الثمل
من جروح السطور

***

هامش :

" هـل تغيـب شـمس حبـك لتكـون كـل الجهـات متعبـة؟؟.. هـل وقـف الحـرف علـى جهـة مـن السطر فنما السؤال تلو السؤال ؟؟..
كـان بـودي أن أكتـب أكثـر ممـا كتبـت ، أن أعيـد للحبر اشتعاله على المسافات التي تركتُ .. أن تـذهب رمـاء فـي دمـي .. أن أسـتعيد اللحظـة الهاربة وأشعل في جسدها جسد اللغة فتتفـتح الكلمـات بـين الأصـابع فـي حضـور الوقـت الـذي أعيش .. من الصعب أن نعيد الحبر إلى ما كان .. علينا دائما أن نشعل الوقـت الـذي فينـا.. الوقـت الذي نعيش .. "...

دمشق 2002/7/4

قال النفري :
" أهل المحبة ينجحون في محبتهم"..
المحب الحقيقي يحترق في الحب ، ويرش رماده في العين .. سألتقط الشرر المتطاير من عروق الآلهة ، وأشعل الحروف ، أليس الشعر والحب في درب واحد ؟؟.. حارق ومحروق .. كم يتسرب إلينا الحب من خفايا لا تعرفها ، ونجهل كنهها ، فيجدد حياتنا بولادة ثانية .. هكذا يشعل سنابل دمي ، وهكذا ترقص حورية الهيام والفن هاربة أبدا فوق تلال الرؤى والبياض وأزلية الزرقة ، وبذلك لا يفقد الحب أهميته ..
رماء .. حالة وهمية ومع ذلك تنتظر الحلم ، الرمز ، الحضور ، هي باقية على شاطئ البحر أغنية سرية لأن أزمنة البحر كأزمنة الحب المستحيل ..
لن تكون رماء أسيرة للزمن ، أو ضحية لساعاته المحدودة .. ستعيد خلق الزمن بأبجدية الكتابة وهي الخلاص الوحيد للهروب من سجن الزمن..رماء دخلت بوابات العشق الأسطورية وسكون الأيام يغرقها في الهموم ن وقد اندثرت الأفراح في محطات الفقدان .. ما زال شال القمر الفضي يلون فجوات الليالي ، وما زال صدى خطوات الحب على جسر الحلم ، وما زالت الأمواج مواجع وأحزان صرخة ما .. رماء تخرج من بوابة العشق لتدخل معابر الحلم ..

ألا يحق لها أن تراقص أحلامها على حبال العشق؟؟..
متى كان القلب النابض حبا يشيخ ؟؟.. هو كريق الحبيبة يطيب مع كثرة الحب ، الحب النقي غير المشروط والمحدود بزمان أو مكان .. هو كبحر فياض ، وعيون شمس ساطعة .. يغرد الحرف ومازال عطر الكتابة ينعشها ..
حلب 13/ 11/ 1997

***

أغلق نافذة المسافة
سأفتح غابات القصب
للحب المقدس سدرة منتهى
غيبني في حضرة الأزل
غيمة ناعسة .. هي الأشهى
لذاكرة الأرض
لهفة ملتاعة هي الأجمل لقبة الوصل
كلمة صادقة هي الأسمى لذروة العزلة

***

هامش :

" الحـب هـو المسـافة التـي لا يمكـن أن تتـرك للزمن إمكانية اغتيال ضوئها .. يشرع القلب بـين الحـين والحـين دفـاتر عشـقه وفـي كثيـر مـن الأحيان يسقط أسير نبضة هاربة ..
لكن حين يستفيق الصباح على صرخة عاشق ، تعود للقلب كل فوضاه وذكراه ، فيأخذ فـي روايـة حـب لا يمكـن أن ينضـب مـاؤه .. ربمـا هـي سطورك أو هي في لحظـة الفوضـى روح هاربـة مـن أسـر زمـن مـا ..ربمـا .. أسـتعيد الآن ذاكـرة الأيام..آخذ في فرد الأوراق على جسر من نـبض لا ينام .. هل نستعيد بالحب الحب ؟؟.. أم نعيـد الذاكرة إلى وقت مضى ، كـي نسـتعيد وجوهنـا الهاربة إلـى ذلـك الـزمن الـذي كـان ؟؟.. أو كـي نستعيد ملامح ما عادت لنا بالتأكيد !!..
هل ما زال القلب هو القلـب ، مـا زال الحـب هـو الحب ؟؟..
تصرخ رماء في ردهة الحلم ، وأصرخ فـي ردهـة الغياب ، ونلتقي علـى سـلم مـن وقـت .. دائمـا تجرحنـي أصـابع الـورد ن فـأنهض مـأخوذا بسـرة الريح "..

دمشق 2002/7/5

قلب يعصره الأمل

الإنسان الحجري كان يخشى انطفاء النار ، لهذا كانت الشعلة دائمة حول ديانا سيدة الشعلة المضيئة ، ورمز القدرة الأبدية المقدسة ليلا ونهارا على مدار السنة ، والفلاحون يطفون في الحقول ليلا بمشاعلهم المتقدة لبث روح سيدة الشعلة في الأرض وتفجير الحياة ..
مرت بخاطر رماء هذه الأسطورة وهي توقد كلماتها على مدار سنوات لا تنطفئ على مواقد الورق ..
بخور الانتظار غارق في ضوء الرؤى ن وهي ما زالت تحلم بطقوس غابات زرقتها الغامضة توحي بأسرار وأسرار ..
ترتعش الأصابع على أغصان القلم ، مثل كوثر كمان حائر ما زالت تلامس غصن الأمل الأخضر ، والوراق الناعسة تذبل في عشب القلب ، تتبعها عتمة الليل الساجية وهي تسدل ستائر الود والترقب على شرفات الذكرى ..
يسامرها الفجر وهو ينشر لونه السرمدي على هامات وحدتها .. رماء .. قلبك الصغير يجف ببطء .. ربما .. لكنه لا يذبل ..
أليس لأجل الكتابة ترجّ خطواتها اتجاهات الكون في الانعكاسات البعيدة .. ؟؟..
لن أختم غيمة أوراقي بطقس الوداع .. للوداع رهبة لا أحتمله ، إنها تشبه الموت الأبيض .. سأرسم أصابع الأمل لغيمة أخرى مجبولة بحلم الروح.. لتورق على وجه الغياب ..

***

تغافل أيها العمر
سأمسّد أخاديد الذبول
بمنديل أمي
رحم الولادة
خرافة وهم
نهنه تملل تاريخي

***

أزلف
أريج البراءة
بريق كلماتي
تتناغم
أغصان الخيال

بوردة الحلم

***

تغافل أيها العمر عني
عصفورة الشجن
مثلها مثلي

تغربني
بمعصم الشعر
أحصد عجاف فصولي
ترندحني
عنادل المعاني
وصيف الحب
محروق ببيادري ..

***

<u>هامش :</u>
" وكان الحرف قدر الشاعر ، كان الكلام وقته ومكانه ..
من الصعب أن أترك الكتابة .. هل كنتُ في ذلك الحين تائها بين جفاف الزمن ورعشة السقوط في رحلة البحث عن ساعة مصلوبة على جدار؟؟..
أذكر أنني أعلنتُ استقالتي من اللغة بألق وفوضى وروح اللغة ..!!..
تنتابنا أحيانا هواجس متعبة فنروح في دروب الوهم نصطاد قمرا منها ، وحين تأخذنا لحظة الخطى بعيدا عن الورق والحبر وجسد الحروف ، نجد في لحظة الانفصال أننا أكثر التصاقا وهياما بالحروف .. تلك لعبة مركبة .. هل يستطيع

الشاعر في يوم من الأيام أن يكون دون قصيدته ؟؟..
صعب .. الشعر هو الملامح والتاريخ والقامة العالية .. ولا يمكن للشاعر إلا أن يكون شاعرا ..
دمشق 2002/7/6

عذراء الحب

ديمتر - آلهة الخصب والحقول والغابات - ..
كانت ابنتها الوحيدة تجمع الزهور من الغابات فرحة تراقص سنابل القمح والخمائل والأشجار ، وتركض فوق الأعشاب تغني مع العصافير ، حين لمحها شاب وفتن بها وخطفها على حصانه واختفى ....
غضبت الأم ديمتر وقررت أن تحجب عن الأرض غلالها وخيراتها ن ليعم القحط والجفاف حزنا على ابنتها .. ولرد غضبها قررت الآلهة أن تعود إليها ابنتها كل عام لمدة ستة اشهر حيث تخصب الأرض وتضحك الأزهار مع الربيع ، وتخصب الثمار في الصيف ، وحين تغيب تعاود الأم حزنها لفقدانها ، فيجف الزرع ، وتتعرى الأشجار ويبكي الشتاء من مآقيها حتى تعود إليها..
تتساءل رماء أليس الشاعر مثل هذه الأسطورة؟؟..
أليس هو الذي يخلق أزهار الكلمات ، وأغصان الصفحات وحوريات الخيال والمعنى والصور ،

واللغة تنهض وتعيد الخلق من جديد ؟؟.. فالأوراق لها أنفاس الروح ن وطفولة حروف القلب ، وعذراوات المفردات ، وجرح الحزن النثاث على أكف الوجع .. تسبل رماء خيوط الذهول على أشجانها وتلتف بأثواب الصمت ، بينما الحلم يرفرف على الغمام يرجف المدى بعروات البياض ، هل يتشرب البحر ماء الأشواق من كؤوس انتظارها ؟؟.. ربما رمال المسافة لا ترتوي أو ربما يجف نهر الكلمات على ضفاف حزنها ..

تتفتق عروة الأفكار واحدة إثر أخرى ورماء ما والت تبحث عن ذاتها المشتتة .. لقد ولدت ومعها القدرة على تغيير ما منحت منذ الولادة ، وتملك فكرا متجددا لأنها تمقت الفكر الجامد ، والتقاليد البالية ، وتبحث دائما عن ما هو أصيل في الذات، وما يمكن أن يترجم إلى إنسانية سمحة إلا بالعطاء .. وهل يستطيع الإنسان أن يبدع ويعطي إلا بالحب ؟؟.. وهل يكتشف الذات الحقيقية إلا في لحظات الفقدان ؟؟..

رماء.. كان النثر حرفها ، والشعر نبضها ، والقصة ذاتها الداخلية ، فنفذت إلى مملكة الحلم تبحث عن الغائية في المطلق ، والمعنى السرمدي للحب الخلاف.

حلب 1997/12/10

ظللني
دفء الغياب
أيمم وجهي

شطر السراب
أنا التي
أحرقتُ كلماتي
خبزا للحياة
قربانا للكون
ظللني ....
دم صلاتي
خصلا للشمس
زنبقتي يا وصل الشعر
في صحوي وسكري
هل يبخل الساقي
على نديمه بالكأس ؟؟..

***

هامش :

حقا .. وهل الشعر إلا الذهاب الجميل في طريق

سحر أخّاذ ؟؟..
تحاولين أن تصطادي جمرة الحرف ، فتخرج اللغة مغسولة بكل هذا الجمال ..
الشعر هو اللغة الأولى ، والشاعر هو الذي يعيد للحرف إشراق العطاء "..

نقطة لشعاع نحيل

تتقلب رماء على رغوات الأحاسيس ، والكلمات وحدها التي تستطيع أن تهدهد أوجاعها ، ووحدها التي تستطيع خلق الجمال في الفن .. رماء .. ليست شاعرة زخرفية ، إنما تكتب كما تحس وتشعر وتؤمن .. لذا تنبع الكلمات من ذاتها بكل بساطتها وعفويتها ، وكل معاناة عاشتها رماء فوق جسور عبرت منها زادتها قوة ، ومعرفة .. لأنها مؤمنة أن الحب حتى ولو زرع في أرض قاحلة يزهر ويعطي .. وحياتها مزيج من الماضي والحاضر وطموحات المستقبل ..
ذاتها الأولى قوة وعمل وإصرار .. والذات الثانية طفلة ، تعبث وتحلم وتخاف وتبكي ..
وضعت رماء ملح القلم على جسد صفحاتها ، وأفاقت من سكرات الانتظار ، ونافذة المسافة تلوح برسالة :

كتب لها :
" عصفورة الشعر رماء ..
بي جوع لأن اكتب ، لأن أقول شيئا ، هذا الجوع يتحرك مثل بندول الساعة جيئة وذهابا ، لك أن تتصوري شكل هذا الجوع للكتابة ، ولكن ماذا علي أن أقول بعد تسعة عشر كتابا مطبوعا في الشعر والقصة والرواية والنقد .. وبعد أطنان من المقالات والمسرحيات القصيرة التي نشرت هنا وهناك ؟؟..
ماذا عليّ أن أتلو في حريق الحرف وقد تعاملتُ مع الحرف طوال هذه السنوات التي مضت ؟؟..
تصوري مجرد تصور لو قام الإنسان بإحصاء عدد المرات التي تعامل فيها مع الحرف ، ومع الكلمة ؟؟..
المشكلة أننا نكتب ونجوع للقول في تعبير أو في وصف حالة غريبة من حالات الإبداع.. لا أدري ماذا تقولين عن ذلك ؟؟.. وكيف تنظرين إليه ؟؟.. حاولي أن تكتبي لي أي شيء يشعل أو يطفئ جوعي للقول ، للبوح ، لما شئتِ .. المهم أن تمدي الجسر حتى آخره ..أن تفتحي أبواب الكلام على القلب والروح وما شئت من نبض ، ولا تصمتي .. لا أحب الصمت في هذا الفصل الحار الجارح من السنة ، أخاف منه ، الأعصاب أحيانا مثل جرح مفتوح ، وتأتي نسمة سحرية لتعطيها سكينة ما بعدها سكينة ... هل كتبتُ لك البارحة؟؟.. أو قبل البارحة لا أدري ..

على كلٍ هناك وقت ما ، أذكر أنني قلت فيه أشياء كثيرة عن عالم سحري مجنون ، عندها كانت نقطة الحبر تقطر هما أو سحرا، حزنا أو فرحا .. لكنها كانت في كل الأحوال تنساب مثل شلال صغير فوق السطور.. الآن أشعر أنني أتواصل مع هذه النقطة القديمة ثم أعود إلى النقطة الجديدة ، ربما حينها ستلد نقطة أخرى ن نقطة مغايرة في الشكل والحدود .. هل اكف عن الثرثرة ؟؟. صدقيني لا أدري.."

دمشق 1997/7/12..

تتلمس رماء نقطة وجع الحرف اللاهث،تتراقص النقاط حولها .. نقطة جامدة ، نقطة متحركة ، نقطة عطش ، نقطة تائهة .. هذه النقاط كبرزخ سري بين الظلمة والنور ، بين الدفء والبرد ، بين الحزن والفرح ، بين الغياب والحضور ..

تركض رماء وراء النقاط كأنها فراشات تتطاير وتلون حروفها ، نقطة الروح تومض ولن تخبره عن موعد سفر حرفه إليها ، قلمه يخضر ويصفو.. وترتطم أوراق الحروف لحظة التلاقي مع حروفها وينسال الحبر نقطة لامتداد أسئلة وأسئلة ، وتبقى النقاط نجوما عائمة في سكرات الشعر .. تجمع الحروف وتفرفط النقاط وتصوغ أسورة من زرد الحب نقيا كأنفاس اللؤلؤ ، شذبا كأنفاس الزنبق .. وتبقى

الشمس التموزية مسمرة على جدران المسافة ، وتبقى ظلال الحروف تنسج أغصان الليل ، وسبحات النور للفجر .. تغمض رماء عينيها وخضرة الحروف ترفرف في الذاكرة صلاة للوجدان وأحاسيس العبق ناعمة كألوان الفرح ..

هامش :

" حين يرتبك الكلام تسقط فضة الروح صريعة وقت ما .. لكن هل يستطيع الحرف في لهاثه المجنون إلا أن يلد الحرف ؟؟.. كثيرا ما ينتابني شعور حاد بحرارة الحروف وهي تلهث في حنجرتي .. هل جربت كيف تصرخ الحروف في الحنجرة فتصير كل الكلمات خيولا تريد ان تصطاد عمر المسافات ؟؟..

أكتب بكل أصابعي فيفجرني الوقت كي أستعيد الوقت .. حلم يبقى في البال أن أعيد للورق كل ما لدي من زهر الماضي الجميل .. ولكن لماذا أفكر بالماضي وأنت الآن وردة الزمن الجميل ؟؟.. هل يرتبك الكلام حقا حين نفكر برقصة الحروف على سطور لا تنتهي ؟؟.. أنت لغتي وفوضاي ، وهل للشاعر إلا أن يشعل خفق القلب على كل الجسور والدروب التي تأخذني إليك ؟؟؟.. "..

دمشق 12/ 7/ 2002 ..

عنقود الكلام

يقـول هوسـيه : " إن الـرب بعـد أن خلـق الكـون وجـد عملـه ناقصـا، فعهـد إلـى الفنـان والشـاعر مهمـة تحقيـق عـالم أجمـل وأفضـل .. وسـمح لهمـا أن يصـعدا إلـى تلـك القمـم التـي يزدهـر عندها خياله.."..

أليس الفن أرقى مجالات الاتصال مع البشر ؟؟.. الفن ينبـع مـن الواقـع والخيـال معـا ، ويعتمـد علـى عمليـة الخلـق والتجديـد .. أليس عطاء الفنان تواصلا الألوهية ؟؟؟..

تخبـئ رمـاء أوراقهـا تحـت سـنديانة الوعـد ، وتؤنسـها قرنفلـة الصـمت التـي تتشـذى علـى شـجر الوقـت ، وتهـاجر مـع طفولـة الحـرف عبـر مراكـب الحلـم الأخضـر، والأفكـار تخـض جـرة الذاكرة فترشح الكلمات تلو الكلمات ..

رماء !! هل يستطيع المحب أن ينـال أبـدا غايـة حبـه ؟؟.. دمعـة نجمـة الليـل علـى ثغـر الفجـر صـلاة نـور , لتضـع لوحـة مـن الجمال ، والجمال هو الحقيقة ، كما أن الحقيقة هي الجمال ..

يقول فولتير : " نطلق كلمة جمال على كل ما يثير في نفوسنا السعادة والدهشة والإعجاب والارتياح ..".."..

تنظر رمـاء إلـى آخـر مسـافة للعبـور .. فجـأة تتفتـح بنفسـجة مـن حروفه ويهل عبيرها ..

كتب لها :

" رماء أو عصفورة الشعر ..

قــرأت فــي ســفر انتبــاهي وذهــولي بوحــك ، فارتعش العالم فيّ وغاب صوت الوجود أو كاد !!.. وكأني صـرتُ الوجـود أو كـدت !!.. مـن علمـك أن

تنقشـي علـى بـاب الفضـاء كـل هـذا الهـديل الطويل؟؟..
حاولي عندما يخلـع الصـباح ثـوب الضـوء ويرتـدي ليلك السحر أن تكوني في دمي .. مشيتُ إليك حتى نسيت الدروب إليّ ، وما عدتُ أصحو على صوت القلب وهو يؤرجح دقاته بين فيض مـن نـور ونور من فيض ..
تعتبين أحيانا حـين يطفـو الحبـر فـي حـب امـرأة أخـرى ، وتنسـين أن الشـاعر لا يعـرف أن ينـام على دفة السكون .. ومن باب أولـى أن تتـذكري أن قيساً ما استطاع أن يخرج من أسر ليلى ..
اكتبي حين ينقط الحبر كل فواصل الزمن ، أننـي علـى بـاب كفيـك أجـد الأمـان وفـي ظـل عينيـك أفيض بكل ما لدي من ألق ، وعند طلوع كلماتـك ربيـع حلـم أمـدّ كـل ظـلال جسـدي كـي يعـرش العمر دالية فرح ..
سـيد الكلمـات أنـا .. وحـين تكـونين معـي أكـون النبع والفيض والمسـتحيل .. يصـعب أن تفهمـي كيف تكون خطواتي في كل الشوارع مؤدية إلـى زهرة واحدة .. لكن حين تجدين عند البـاب الـذي تفتحين مطراً من ضلوعي تعرفين أن وجهي مـا غاب في المسافات ، وأن ملامحـي مـا كـان لهـا أن تخـون سـياج الـروح .. لمـاذا أعـري جسـدي وقلبي وروحي إلى هذا الحد وهل علي أن أعيد خطـواتي إلـى بـدء المسـير كـي تعرفـي أن الشبابيك تستفيق الآن ؟؟.. حاولي مـرة واحـدة

أن تستريحي من دوران العمر في لهاث البحث عن جواب .. وافتحي العين على مرآةٍ قرب وجهك ربما عندها ترين أن ملامحي ما تزال مزروعة في دالية العمر .."..

دمشق الأربعاء 7/23 / 1997 م

هامش :

.." كان ما يشبه الذهول ، ما يشبه تطابق الزمان إلى حد سقوط كل الحدود والسدود .. وها أنت ترتبين رحلة الناي في فصول جسدي وترفعين الحبر حتى يطل من ظل أصابعي على الورق .. يدهشني الدخول في المكان إلى حد التطابق مع المكان .. ويدهشني الدخول في الزمان إلى حد التطابق مع الزمان .. أقف على جسد الرصيف فتمتص الأرصفة لغتي وخطاي .. ها أنا أجيئك مساء اليوم الذي كان ، ومساء البوح بكوني الذي يشغل فضاء الوقت حتى دهشة الوقت .. كم من الخطوات مشيت بين الحلم والحلم؟؟.. بين الريشة وحبرها .. وكم من الخطوات تبقى ؟؟.. أعيدي لي نبض الوقت كي أستريح .. "..

دمشق 23/ 7 / 2002 م

نصّ القلب

أتحـدثني عينــاك ؟؟.. أم أتــابع قـراءة نــص خضــرة الزرقة من عيون البحر ؟؟..
لنحتفل أولا بحلم مزامير المياه .. رضاب لعفتها على بروج الموج عناق ، تشف كزرقة السماء ..
سـأتركك قلـيلا لألـوان ثيـاب عشـقي بـألوان البحـر ، وأتابع نبرة النص على إيقاع مجداف الشطر الأول من حديث البحر .. اقترب أكثر لنحتفل بحبنا الثمل ببياض دخان الوجد ..
أتغرق عيناك في هدير الصمت ، وأبقى بوابة مجعدة بالتعب على مداخل الشطآن ، أرقامي بلا أرقام ؟؟..
أريج الشقاء دمعه في عينيك وعيني .. لا بد أن أتابع قراءة سطور خضرة الزرقة في بنفسج المياه ..سواد الرماد كبوة ألوان الضجر ..
حدثتني عيون البحر عن معنى الأغوار المختومة في غرف المياه وغصة الأسرار أكثر اتساعا وغموضا من الأحلام ، تمج اللهب الوردي لزرقة المياه كمد وجزر ، كما يهدم الفرح ولادة الحزن في قلب الإنسان
حدثتني عيناك أن حور الأمواج ترفرف أجفانها مسبلة طفولة النور ، وتتراشق كريات البياض دخانا يراقص الدخان ..
حدثتني أن لون الروح أجمل من لون الفرح ، ومن كل ألوان الحياة ، ولأنه في عروات البياض مدروز بقي

خارج مملكة العقل والقيود ..
حدثتني أن الأفكار حين تجنح في عمق اللامعنى، ترتبك الأجوبة بالاختلاطات ، فتغسل ذاكرة النسيان بدم البحر..
حدثتني كيف يحشد الإنسان ضعفه متارجحا على ألواح الحياة كأنه يغوص في رداء البحر الفضفاض ، هشا يهتز أمام هيبة القوة الخالقة ذاك البقاء .. حدثتني أن ثمة أشياء وأشياء في منطقة عذراء بجوهر الإنسان مستعصية على الفهم ، تلك أحاسيسه السرية راقدة كظل للنقاء..
انكفأت كمدينة متعبة تتعرى تحت زمزمة الظلال..
اطعم جدران البحر نعناع صفصاف الاخضرار ، حين يبكي الشاطئ غربته انتظارا ، وتصبح الرمال حروفا لذاكرة الوجد ..
زرعني المساء قبة برق مع يراع المداد في نبات الصخر ، يغمسني لهب الزيت الأخضر بزيت الوفت.
أنا في قارب الانتظار .. سأقرأ نص البحر من حديث عيون البحر ...

نص البحر

أتابع الاصطفاء
لعيونك ..
التي تضيء برقع الليل
وللبحر المهموم

قبل أن تباغته
فرحة الفجر ..
***
حدثني ..
كيف تتعرج الأرض
من ثقل صلصال التراب
كواحلها مشققة بالعذاب
ثم علمني
أن أشبك زرد الفرح
من سخاء المياه
لقلب الإنسان المغموم
فمداخل القبور
مزروعة بشبح الموت
***
حدثني
عن نجمة شاردة
تستحم كل ليلة
فوق مواقد الغيوم
لأنها لم تجد موطنا
في فسحات الكون

جذبها البحر
بنظرة حنان لخيمة الانتماء
حدثني أن لرسومات الأرض
أيقونات مزهرة
هيولى بخور الماء
كعجوز عذراء
تنتظر أن يأتيها حلم حب

بعمر غمامة الورد
ليبتسم وجهها الحزين
لمرآة الحياة
في سكينة القارب الأخير
لجزر الوقت
***
حدثني أن أعناق الشجر
حين تسكب زمرد الاخضرار في أقداح النور
يترذذ الحنان في أصص هدوء الرمال
حدثني كيف دمع المغيب يضفر أحلامه
بخصل الشمس كل مساء
يعانق النغم الحزين
أغاني الموج في سرر السهد
ويحدثني عن نص الحب ..

نص الحب

ماذا أقول أيها الحب الفياض
في قلب البحر
ترصدتني كمرفأ وأنا
أصغي لشكوى غرغرة الملح

في كؤوس النفس
اغسل بخمور الروح
بوهن البحر .. تعب الجسد

***

لا بد أن أخمّر الكلمات
في دنان البحر والدمع هتون كعناقيد
في جذر الورد
وللبحر طقس وجد
يقول في سطور
" بالحب وحده يحيا الإنسان "

***

سألته : وماذا يقول الجمر
لأجفان مخضلة بالزبد

تعانق مدار الفراغ
وماذا أقول لقلب بالحب فياض
اعتذر مبتسما عن الجواب

***

لنحتفل أكثر
في قراءة
نص خضرة الزرقة
في عينيك والبحر
كأسنا
مثمول ..
بياض دخان الصفاء
على جبين الوجد
نتابع
نص القلب
وذاكرتنا
معتقة
بنبيذ بحور الحب ..

***

بالحب وحده يحيا الإنسان

قال بالد نيرجيه :" لا ينبغي للمرء أن يكون مرفوعا عنه الحجاب كي يرى فراغ النفس المؤلم ، يجب أن يكون عبقريا كي يضيئه ، لأن العبقرية كالزمن تسير ولا يمكن أن تقف ، وهذا العالم يتم التعبير عنه

بقـاموس الطبيعـة الواسـع ن وبواسـطة ذات الفنـان .. والخيـال يجـب أن يكـون دائـم الحركـة والتجديـد ، لأن الخيـال أول ميـزة فـي الفنـان لأنـه يقـوم بعمليـة توافـق الأشياء وبقية الوصول إلى ما يريده "..
أما أحد كهان الفلسفة قال : " الفن بالنسبة للإنسـان هو بمثابة قوة الخلق عند الرب "..

***

تغيـب رمـاء ذاكـرة الفـن وتفـتح سـلة القلـب تهاجمهـا طيـور سـوداء ، فترمـي همومهـا الكثيـرة لهـا ، وتهـرب منهـا إلـى أوراقهـا التـي تتسـاقط فـي لياليهـا الخريفيـة .. هل كان وجع الحب أم رياح البعد هي التي تهز حقائب الـورد وتفتـق بـراعم الحـروف مـن قلـب شـفيف ؟؟.. حروفه التي تأتي من طرقات دمشقية ، تـذوبُ أحزانهـا بنفسجات المسافة وتجعلها تغلق كتاب همومها ..
وتتـذكر رمـاء قـول شـاتوبريان : " إن حيـاة الرجـال العظمـاء خلـيط مـن طبيعتـين ، غـذ يجـب أن يكونـوا قـادرين علـى الإلهـام والحركـة ، فـالأولى تولـد الفكـرة والثانية تحققها "..
رماء تطهري برحيق الفن والحب ، وادخلـي بهمـا فلـك الـوداد .. شـجون المسـاء تقـف حـين يقـف حزنـك ، فالعمر النحيل يرتجف على أغصانٍ عراها الحرمان، فمن أحب شيئا أكثر من ذكره، ومن احب لغة تفنن فـي تلوينها ، ومن احب الفن تفنن في خلق أنواعه ...
هكذا كانت حروفه تلون مشاتل المعنى ، وكقوس قزح

تتمدد في فراغات الأيام .. ستسند رأسها المتعب على نخيل الأغصان والتوت الشامي يتدلى عناقيد خمرية عابقا ببرتقال حيفا ويافا .. وتكتب بحبر الزمن والأمل والروح .. وهل تذبل كلمات الحب في أصص الفن ؟؟.. إنها تخرج من قلب معتق بنشوة الإلهام والرؤيا ، لأن الإنسان بالحب وحده يحيا .. والفن الخلاق يخلده..

كتب لها :

" عصفورة الشعر رماء

لك وردة سلام وألق شوق ..

أمد في فضاء الناي قلبي ، فتكبر زهرة الوعد .. هل قلت لك من قبل إن عليّ أن أعدّ ضلوعي حتى لا ينزاح أحدها تائها في لجة الوجود ؟؟.. لا أدري لماذا شعرتُ في المرة الأخيرة أنك تحملين جبلا من ظالم .. حاولي أن تكوني رغم ما تعانين وتجدين فوق هذا الجرح الصارخ .. أعرف أن ما تعانين صعب ، وأتمنى أن أكون الصدر الذي يحميك من قساوة الأيام ..

رماء

يهمني أن يبقى حبرك الجميل في عيني وقلبي ، لأنه حبر الروح والقلب ، ومع أشرعة البوح أحاول أفرد كل ضلوعي كما تفردين ..

لا أنكر أن الوقت يضيق أحيانا ، لكن لن أسمح لك ولي إلا باستمرار طلوع أشجار هذا المداد الجميل بيننا ، ليس إلى حين بل ربما

حتى يعلن قلبي استقالته من نبضه والحياة ..
حاولي أن تسكبي عطرك في عمري وأشعلي عند المساء سلاما أو وردة أمل واتركيها تدخل عالمي ..
اسلمي يا غالية .."..
دمشق 11/ 8/ 1997

ككل مساء وصباح تقلب رماء أوراق العمر وتقرأ : المحب يحتاج إلى الوحدة ، المتعب إلى الراحة ، المحروم إلى العاطفة ، الغريب إلى وطن ، الحزين إلى حنان ..
من قميص الليل أعصر عنب الحزن .. من دمع الغمامة أسقي خدي الدمع ..من أغنية الصباح أداعب طيور المسافة ..من ركام الذكريات أكوم صرر الحزن، من شجن الشمس اصنع قوتي ، من انتظار اللاشيء أصنع معجزة بقائي ، من الحب الذي أحلم أن يكون يحرن طفل النسيان في قلبي فألتقط حكايات الحروف وصوت فان كوخ يستوقفني " طالما دفعت بي حاجتي إلى الحنان لالتماسه عند أشخاص كانوا يحاولون تدميري"..
العابرون يخلعون علينا ركام أحزانهم ، والعاشقون ركام ذكرياتهم ، والحزانى قميص همومهم .. وأوراق العمر كقطار مسافر يبدل ركابه في المحطات ، ويغير مدنه .. والساعة العتيقة تذكرنا بثقل الزمن ..

ولكن حين نعجن الحب بماء الشمس تضاء الحياة ويقف الزمن ..

هامش :

" وتبقى الشجرة أكثر اخضرارا كلما تلوتُ نشيدك في نشيدي .. تبدئين من حيث أبدأ ، وأبدأ من حيث تبدئين .. وحدك سيرة النبض وسيرة الروح .."..
دمشق 3/16 / 2002

للوفاء زنبقة

قال ديلاكروا :" سأظل أعمل حتى ساعة الاحتضار ، وأصبح في حالة السكر الروحي المساوي للحلم ، وسواء كان هذا الحلم قد مضى أو تحقق فإنه يسكر حتى يصل إلى التعبير عن الإنسانية بكاملها .. وكي يصل الإنسان إلى تعبير ذاتي وصادق يتطلب منه

حرية كاملة مجردة من كافة القيود ، لا توجد قواعد أو قيود للنفوس الكبيرة ، ولا يصل الفنان إلى مستوى القدرة على التعبير إلا إذا تداخلت الأفكار والشكل في خياله كما يتداخل الجسد والروح "..
رماء تتمنى أن تصلي في المعابد الأسطورية كما العذارى اللواتي نذرن أنفسهن للشعلة المقدسة في الليل والنهار .. أليس الحب صلاة الوجدان ، والشعر صلاة الروح ؟؟..
كل شيء يذبل في الحياة ، كل شيء يتغير ، لكن الكلمات تبقى هائمة في البروج الإشراقية كهالات ترفرف وتخلق كونها الشعري .. الكلمة روح الفن ، والفن يولد الفكرة ، والفكرة تخلق لنا وجودا من قصيدة أو خاطرة .. قد يكون الوجود وهميا ولكننا نحياه ، لأن الحياة كالساعة الرملية تفلت منا أو تضيع، فلا بد أن نضع فاصلا بين الممكن والمستحيل ..
الرقة جميلة وناعمة ولكن شرط ألا تؤدي بنا إلى الضعف .. واللغة أداة التوصيل التي تحررنا داخليا وخارجيا شرط ألا نكرر الأشياء ، والشعر وحده يغير الإنسان حين يشتد الصراع مع الذات الداخلية ، ينبثق الشعر كزهرة اللوتس من رائحة الأرض وثنايا الروح.. ألم يجلس بوذا تحت شجرة المعرفة ويقسم ألا يبرح مكانه حتى تأتيه الاستنارة وتتفتح بصيرته ، وحاول رئيس الأبالسة أن يغري بوذا ولكن قلبه بقي ساكنا كبرعم اللوتس فوق مياه بحيرة صافية ..

وأضـاء قلـب بـوذا كزهـرة كونيـة تتفـتح ... هكـذا يفـذ الشعر وتتفتح به ورود الإنسانية ..
حول رماء دائرة أسئلة كونية غامضة ، تضم روحها وتنزوي ، والعقل يسخر منها كما يسخر البعض من العجائز .. سترشف من قارورة الكلمات نغمة المعنى وتنتظر لونا آخر من حبر كلامه الذي بدأ يجف ..

هامش :
ربما كان علي أن أرسم العالم كله بنبض القلب كي تشرق شمس العطاء على كل ذرة تراب .. الشعر هو عالمي ، ومع الشعر يمكن أن يكون العالم أجمل ألف مرة "..
دمشق 2 / 4 / 2002

دندنة مع وردة الليل

هكذا تسامرني .. وردة الليل
فأسامر .. نفسي مع نفسي
نصلي
سورة البدء لاسم الفرح النوراني
ونبارك ..

بجود الوصل قبة الكون

***

أطياف النور تهويما تهوم
ربما أزفت انتماءها
لفجر التكوين
حين فقدت معنى انتمائي

***

هذا القلب مستهام
يرعف هفواته
على زمن مراياه مقعرة بالوهن
تتهالك الروح ينابيع محبة
في ليالي عشقها
والذات تصبو
للمجتلي في غيب المحجب
سيبقى حسيس التضرع
ومضا على أشجار التوبة ..
***
لليل مهاه حين ينقط السدى وريقات الوداد فنتابع مسامرتنا وقد استوسقت الأجفان حشا الحلم لدندنة وردة الليل ..هينمة تجرجر ثوب سوادها هفهافا

بلطيف النور .. تمخر أرصفة السكون مفككة شربكة النور بالديجور .. حقولي فقدت معناها في المرئي واللامرئي .. من تكويني سأراك طويلا .. سأساهرك كثيرا .. هذا ترابي الوردي أغصانه فقدت ذاكرة عطرها حين توحدنا على مدى العمر ..
رماء .. لمَ فقدنا الاختيار ، وتمت ولادتنا الأولى من رغبة الإصرار ؟؟.. تمددي أيتها المعاني تحت حروفنا القديمة لنسامر أصدافا معتصمة مع أبخرة هيامها ..الأمس يولد نشيده لهب فكر حوّام حول وجودي ..
أنا هيمى في المعرفة .. أعيد خلقي بولادة ثانية لانتمائي الإنساني .. أقرأ لغة العصافير البيضاء بألوان حروفي وأحلامي البريئة .. خضل الخضرة ترغو بين زمردات الزمن .. تعيدني طفلة أداعب زهيرات الحب .. حين فقد الاخضرار لونه في رشاقة شوكي .. أتخبو ضحكة النهار ، وتضيع النجوم سكناها في أفياء اللازورد ؟؟.. ألا يضمر الياسمين في قلب مخمور بالحزن ؟؟.. سامريني يا وردة الليل .. أنا مثلك وردة حرى أنهل خفقة عبير الوصل من ليال تبارك البهاء النوراني .. المحب لا يضل مهما أظلمت الحياة حوله .. والشعر يهجرك حين لا تعصر له قلبك.. الإنسان يختنق فيما لو كان وحيدا في العالم ، الروح تحترق حين يضل العقل.. الفكر الخلاق يتلهف إلى الحرف ، وتبقى الحياة محاصرة بتلال الذكريات..

ويبقى الإنسان أجمل قصيدة لم نكتبها بعد ..

هامش :
" أضع خطاي على الطريق .. يأخذني الطريق إليه ، تمتصني الرغبة الجامحة فأمضي نحوك سالكا درب قلبي فأصل ولا أصل أو أكاد .. تسرقني الشبابيك المفتوحة على نظراتك الذاهبة حيث الوعد الجميل .. خذيني فمساحات قلبي تبحث عنك في كل حين ، خذيني فليس لدي إلا أن أعود إليك في كل حين .. تدركني شهوة الصعود إلى المطر الذي بلل الشوارع برائحة العشق الساحر ، آه يا سيدتي كم أحب أن أحب ..
أدركيني فقلبي أرجوحة عمر مجنون ..
أدركيني فشفتي ترتشف السحر من وعد بين أكون ولا أكون .. "..

دمشق 7/ 7 / 2002

شجرة الذات

قيل : " الذات بحر لا وزن له ولا قياس له ، هي جسد الأحلام العاري ، تمشي في جميع الطرق وتطوي ذاتها "..
أليست سكينة الوحدة مرآة تعكس الصور الواضحة لذواتنا العارية ؟؟.. والأجمل أن نترك الروح هي التي تحرك شفاهنا ، وتدير ألسنتنا ..

رماء .. تسترسل مع لحظات الهدوء وطيور المسافات تغرد في زرقة الأزل ، ربما صوت رماء لن يبح إلا مع آخر ضوء شاحب يبتسم على شفاه الأفق ، وستبقى الحروف كنجوم تساهر الأمل وتسرع في خطوها مع سحائب الليل الأولى وترسم ظلال الألم على الجدران العتيقة ، هو غائب في الحضور ، حاضر في الغياب.. فصول الأيام توزع كسرات الخبز الجافة ، رماء امرأة الهجرات تؤنسها أناشيد الصمت السرية ، فالذات المقهورة تغلق بوابة الشكوى ، لأن الشكوى ليست ذات أهمية .. ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم وخسر نفسه ؟؟..

الزمن اللعوب يشيخ على أصابعها وكروم زيتون الشاعر تأخرت في العطاء ، ولكن يستطيع القلب المتألم أن يحول حزن العالم إلى جمال .. خطوات المطر وعربدة الرياح حولها ، ولكن تبقى دروب قلبها مطمئنة ، فتداعب شريط الروح المتراقص كزرقة الغيوم المنسية ، ربما ذبل أقحوان حروفه فكيف يضفر حزمات أوراقها .. حزينة رماء .. فالزهور توقفت عن ضخ العطر الدمشقي والغسق حولها يكدح صامتا .. ترى أنت أم أنا التي تفكر بما حدث ؟؟..

<u>هامش :</u>

".. تسألني شجرة البرق عن وعد ما .. أذوب

في شجر الوقت كما في فجر الروح .. وهل كان عليّ أن أترك كل أصابعي مغموسة بالنار ؟؟.. وظل شتاء ما ؟؟.. كي تكتمل الدائرة أشعر أن العالم علينا أن نمشيها كي نصل إلى ما نريد .. لم تذبل حروف الشاعر ولا ذبلت كلمات الشعر المجنون .. هناك شيء ما حدث .. كثيرة هي الصور التي تسرق شبابيك العمر فأطل منها على سطر أو عرس وردة .. تصر القصيدة أن تأخذني إلى دروب من العشق فأمضي وراءها أو ربما تمضي ورائي كي نشعل حقول النشيد .."..

ضفة للمطر

أكتب بلغة المطر المخمور ، من أنهر الوجد رسالة حب وبريق الاخضرار أسطورة كشفي الأول ، حين ذوب الحب دموعي وعبرت على جسوره طقسي الوثني كغجرية مهجورة .. هاطلني حنانا ، هاطلني حروفا ، ليسهو مطري بنشوته المتوردة ، فشفاه الغيم الساهي ، وسعف النخيل المتفرد تتساقط نورا ، زمردا، أرجوانا على جبين الأرض حين كنا وكنت

تكبب نقاط مطرنا اللؤلؤية وتزنبق خواتم النقاء في فسحات الورق .. وتعطر الرؤى بأريج الوفاء .. أين ولمن تركت ديمة الحب تترنح بالهيام ؟؟.. التهجد سهو الحرف على فواصل الزمن ؟؟.. وكم تسنبلت أجفاننا عشقا صوفيا ترنم تراتيل المطر.. أكتب بلغة العطر البكر ، بلغة المطر البتول .. لأشياء أراها وأشياء لا أراها في قلبك المخدد بعروق العطش وقلبي المخدد بالتعب .. أما زال مطرنا السجوم ينقي خطايانا لنتواصل مع البياض السرمدي أم شحب لونه في عينيك وقلبي؟؟.. أتشاجن كشجن الغيم المتهامي على حزني ، ربما النجم المتروك مثلي لفته منابت الحب والمطر والحرف ..

<u>هامش :</u>

".. تذكرني الدروب التي أمشيها بالطريق إليها..برائحة الياسمين وربما ما تبقى من عطرها الذي ترك في الجو سحرا لا يضاهى .. بين الشعر والشعر تكون نظرتها، وبين الشعر والشعر تكون لمسة يدها .. حين تكتبني القصيدة يطل وجهها صورة عمر .. كم تشتهي أن يكون الحبق خطوتي ..
خذيني فهذا المساء بارد .. ووحدك تستطيعين ملء القلب بدفء لا يماثله دفء.."..

2002 / 5 / 21

قهر يحتضر

تعودت رماء أن تقفز على حبال الحياة من صعوبة إلى أخرى .. إنها ابنة الصدمات التي أفقدتها الثقة بالبشر ، وبقي القلب وحده يرتدي ثوب الحداد .. ورأسها المثقل بالهم يتأمل كل من حولها .. تكتب لتساعد نفسها على النسيان ، ويبقى الفكر منبع كل شيء ..
يبقى القلم بيدها ولكنها بحاجة لدفق الحنان ، إلى رجل

ما ينبض بالأحاسيس الإنسانية ، ويحس بمعنى معاناة أنثى مقهورة محكومة بفقدان كل من أحبت ، ولم تطلب المساعدة من أحد .. هذا الشاعر رجل المسافات، كان يمتد إلى مساحة الوعي الكوني ويخلق لها أفواجا من الصور الإشراقية تملأ وحدتها العنكبوتية .. لقد رسمها بحروف فنان بارع ، وأحس بها ، بروح الإنسان المرهف فدخلت معه مملكة الحلم اللامرئي في لقاء مع المجهول وبقيت انتظارا لغير المنتظر!!..

رماء .. أنسيت من أنت ؟؟...ربما نسيت لوني ، شكلي، ذاتي ، أنوثتي .. فقط أتأبط حقائب حروفي وأرحل ..إنها المتعة الوحيدة المتبقية لي..وكل طيور العمر تهاجر من حولي ، وأصابع الذبول تحني أغصان الصفصاف على ضفاف العشق الأسطورية ، ويرسم الدمع تجاعيده على حلم .. وتبقى رماء شغوفة، رقيقة، هادئة ، لأن النفس القاسية تطلب الحب لذاتها فقط..قد يعود طائر المسافات إليها ليحمل رسائل الحب والشعر ، ربما كسنونو يهزج أغانيه بين غمازات المسافة المرتجفة بالنسيان ، وأمواج الحروف ستشاركها شجو الهمس لتؤكد لها أنها تتناغم مع الروح الخلاقة ..

العتمة بدأت تذوب في خبايا الليل ، وذؤابات النور تنزوي مسبلة مآقيها على أسرار اللازورد الحالم .. فتطوي رماء أوراقها وترميها في سلة الوجدان كغيوم

نسيت ذاكرتها ..

الحب ذبذبة الروح الغامضة
والموسيقى ذبذبة غموض الكون

يقول بودلير : " الموسيقى تحفر السماء لتكشف عنها ، فهي تغوص في مجالات لا نهائية ، كي تتجسد بعض الموجات الزرقاء الهائمة وحلم من أحلام السعادة المذهلة "..

أما ديلاكروا فيقول :" الموسيقى نشوة الخيال وهي القادرة على التعبير عن كل المشاعر والآلام والمعاناة، أي قادرة على التعبير عن الإنسانية

وتحث الإنسان وتساعده على اختراق حافة القيود ليصل إلى عالم الخلق والإبداع "..
شوبان استطاع أن يلمس الأوتار الإنسانية بفضل المشاعر التي تفيض بها كل أعماله ، وهي مشاعر رومانسية ذاتية ، وهو العبقري الفريد الذي غارت السماء من وجوده على الأرض فاختطفته لنفسها ..
بيتهوفن كان ابن عصره ، وقد فتح آفاقا للروح ، أشد تأثيرا على النفوس ، لأنه عبر عن مآسي عصره وروائعه وكان دائم الحزن ..
أليس الحب موسيقى الروح ونغمها الشارد أبدا على إيقاع الأزل وما يربط الإنسان بالله هو الحب وكثيرا ما يشوه الإنسان علاقته بالله بالخوف منه ، والإنسان لا يتمكن من حب أي شيء إذا كان يخاف منه .. ولن يجد الإنسان ذاته إلا بقدر ما ينساها .. ولا حب خارج التضحية والعطاء .. وعندما تسأل من تحب ماذا عملت من أجلي ؟؟..يكون الحب قد انتهى ..
قال الشاعر بيكي : " لا تحاول أن تذهب إلى الله وحدك ربما سألك أين أخوتك في الإنسانية؟؟.."..
والحب والموسيقى هما جناحا النفس ..

نواس كوني

نواس الكون يدور والزمن هارب بنا أبدا.. فهل كانت الأرض تبحث عن المعنى في اللامعنى للأشياء ؟؟..
ليل ينتظر نهاره ، ونهار يهرب من ليله ، فجر يبتسم للظلام ، والظلام يصارع الحياة. ..
قصصتُ ضفائر الغروب حزنا على موت الأشياء الجميلة . كانت دمعة الشفق تعاتبني والغسق يلبسني غلالات الفرح الواهن .. هكذا تبدل الفصول أثوابها ، وتغير ألوان حزنها وفرحها ، والإنسان قاطن في دوائر التبدلات يتابع إيقاع الغياب والحضور ، الخير والشر ، الحزن والفرح ، الولادة والموت .. ناي الروح حزين وكل الأشياء إلى زوال ..
هذا الصخب الكوني يخادع نوافذ الهدوء كما قبل العاصفة بالسكون .. أحب الإنسان غواية التفاحة فسال دم الخطايا ، وشتت أطفال الحب ، أطفالا لم يولدوا بعد ، وأطفالا ماتوا من الجوع ، وأطفالا يمضغون القهر والحروب والدمار ..
تهاوت أحلام السراب في ضحكاتهم وتشردوا في الضياع حين تهاوت أشجار الزيتون تنزف دماء السلام .. فارتجت الأرض على زند الوجوم ، وكل الأشياء تدخل وتخرج من رحم الغيب ، والمجهول يتربص لنا على ألواح الأقدار ..
حزين هذا القلب مثقل بأشجان الحب والتاريخ والموت والقهر ..

يقول جوته :

إن أسوأ ما نلقاه
نتعلمه من اليوم الذي نحياه
ومن تطلع في الأمس إلى ما سيكون عليه اليوم الحاضر
لم يعد يومه الحاضر مجهولا لديه الآن
ومن يتطلع اليوم إلى ما سيكون عليه الغد
فذلك الذي يدب فيه النشاط ولا يحمل الهم

***

أقوى من النسيان

تقول الأسطورة :" إن أحد العصافير نسي لون ريشه ، ولم يعد يسمع زقزقة حنجرته ، وكلما نهض صباحا فرد لون جناحيه وغنى قليلا ، لكنه كان دائم الحزن ولا يعرف أن الشمس تحسده على جمال ريشه ، والجداول تحسده على جمال صوته .. ولما بدأ يستعيد وعيه مرة بعد مرة ، نظر إلى جسده ورأى ، ورأى لون ريشه جميلا ، وسمع زقزقة حنجرته ، فأيقن أن لحنه رائع .. عاد إلى ملكوت طيوره وراح يغني معهم بفرح..

***

بكت الطيور فرحا ، بكى الورد ، بكت الأغصان التي كانت تألفه وتنتظره حين عاد للغناء ، وبكت رماء صوته الشجي يكسر عزلة قلبها الحزين ، ورف من ريشه يتطاير كأزرار الياسمين حول نافذتها .. لمَ غاب تغريد صوت شاعرها الجميل؟؟..

هل نسي لون أوراقه ، وعطر حروفه ما زال يتشذى حنانا على شجيرات أيامها الجافة ، وما زالت فيروزات الحلم تتراقص متلألئة بين جزر النسيان .. رماء قلبها الصغير كطير يرقص حزينا على شريان الوجد المذبوح .. نهر الحب يترقرق كغيوم خضراء تتابع دروب الهجرات الطويلة .. لماذا ينزوي نهر الحب وحيدا والناس يتسابقون في صراع البغض والشر والعنف والكراهية ..

ستكتب رماء من أفق الحلم الإنساني ، من ذات متفردة لإنسانية الإنسان وتؤمن بقول أحد العباقرة " إذا كنت إنسانا كن حبا " وكلما ازدادت معاناتها ، ازدادت معرفتها بمعنى معاناة العالم .. ربما هذه المعاناة تصفي الروح وتحولها إلى طاقة مبدعة .. قال الفريد دي موسيه الشاعر الفرنسي :" إن حياة الفنان هي تحقيق الأحلام ، وأكبر الفنانين عبروا عن أحلامهم بكل قواهم .. وبلا أي تغيير .. والأسلوب هو ألا يعطي القارئ أي إحساس بالزيف ، وأن يتحلى بالصدق والبساطة ، لأن الأسلوب وسيلة من أجل ما

يريد الكاتب توصيله للآخرين ، لأنه يبحث مع الناس في نطاق الفكر الإنساني كمضمون ، وليس في نطاق المحسنات اللفظية الشكلية "..
سأكتب كما أتحدث ، وكما أفكر ، لأن الخيال هو أكثر الأشياء واقعية ، وعندما يتغلغل الظلام في نفوسنا، يبدو لنا كل شيء كئيبا أو غير محتمل .. والطبيعة وحدها هي التي تملك سر الوحدة ، وهي التي تولد لدينا أفكارا تشغلنا .. إن خيالي وكلماتي وتطلعاتي وأحاسيسي الإنسانية تجعلني أتابع رحلاتي في الكتابة وكأن ريح الصبا وحيويتها تنعشني ، ولكن اكبر جرح في الحياة أن قلبي محكوم عليه بالوحدة ..
ربما يكون ذلك لأن كل خلق وإبداع بحاجة إلى محراب ، تلك هي اللحظة الكونية المضيئة التي تجعلني أتواصل مع الذات المتفردة ، لأعيد خلق الحياة والتغلغل في هموم الحياة والمجتمع والإنسان بالكتابة ..
تحس رماء أنها منفية عن عصرها ، عن زمانها، ويبقى الفن وحده ينتعش على أصابع أوراقها كلها مسقي بماء الحب ، وتشذى بحبق الحرف ، فارتقى إلى نشوة الانتعاش بالمطلق الجميل ، وبذلك أتجاوز الواقع واستكشف الجمال في كل ما خلق ..

هامش:

" صدق الفنـان لا يكـون إلا نـبض قلبـه .. وخيالـه رف حمام يحاول أن يزرع الـدنيا بأجمـل هـديل .. كثيرا ما نحار حين نريـد أن نعـرّف الفنـان ، ونحـار أكثر حين نريـد أن نتوقـف عنـد الشـاعر خاصـة .. الأقـرب إلـى الحقيقـة أن نقـول إن الشـاعر طـائر العمـر الجميـل .. هـل نتخيـل وجـودا دون نـبض الفن.. لا يمكن .. ومـاذا حـين يكـون الوجـود دون شعر ؟؟..
الشعر دنيا واسعة لا تحد ، فكيف لا يكون الشعر خبزنـا اليـومي وهواءنـا وماءنـا ؟؟.. آه لـو تـدكون أهمية الشعر في حياة كل واحد منكم "..

لوعة هاجر

لزرقة اللهب
احتضار
ضوء حزين
ربما الذات
تتلو حديث الصمت للصمت
أو ربما
نقاط السكون
أكثر غموضا
من فراغات الاستفهام
أو أكثر اغترابا

***
أيتها الذات
كان لك غصن
يهز
وارفات النحل حنانا
فيا ملاك الحب البريء
ردد صدى ابتهال هاجر
هي مثلي في صحراء الحياة
***

مملكة العشق

جلجامش يبحث عن سر الخلود ..
والقلب الإنساني يبحث عن سر الحب ..
آلهات الحب والجمال في مملكة الأولمب ينثرن باقات الزهور لطفلة منذورة لآلهة الحب والتي سرقت في ليلة قمراء ، فتفتحت نبتة مخملية في مروج الحب ، وقمطت بحرائر الوجد ، ودثرت برسائل الاخضرار . دقوا مسامير حزنها رموزا لمعنى الإنسان وهي تعوم في صندوق لماع .. الصغيرة تطفو على زبد البياض، وترى عبرات المحبين ، ولوعة العاشقين ، اهتزت عروش الآلهة ، وعشتار البكر تمد يدها بحناء الطيب

وتفتح قصب الصندوق ، فتخرج الطفلة على أصابعها ورود الحب .. لمحها أدونيس الراعي الفقير الجميل ، ورمى أوراق رسائله مفعمة بعبير اللوتس ، وخطفها وعاشا في كوخ صغير يحفه النسرين والزنبق والنرجس ، وكل طيور السماء تباركهما ، ونوارس البحر تراقصهما ..

قالت : سأكون المعنى لرموز عشتار أمي .. سأكون الدفء الإنساني .من أرحام الرحمة خلقت وسأمحو من أرصفة الأرض الكره والشر والحقد ..

قال : اقتربي حبيبتي لتزف السماء وليمة الحب .. سأتوجك سيدة لتكوين ، سأصلي لعينيك تراتيل آلهة الحب والجمال .. سأرسمك بين قصائدي بريشة فنان.. وأغطيك برموش الحروف .. فهل تستطيعين الهروب..؟.

ابتسمت رماء وهي تتأمل مملكة العشق الأسطورية ، وهيبة السكون جعلتها صامتة ..

قرأت حروف جوته :" كلما كان أمسك واضحا وصريحا ، استطعت في يومك أن تقبل على العمل بقوة وحرية ، كلما استطعت أن تأمل غد لا يقل عنه سعادة وبهجة "..

طقوس آلهة الحب

رماء تلملم فيروزات الأحلام وتشبكها حروفا على نصوص الأرض .. وحكمة الطبيعة أوجدت أن الرجل والمرأة ، كما النهار والليل ، كما الفرح والحزن .. كما الخضرة والاصفرار .. ضدان .. مختلفان ، متلاحمان .. وبهما يتم الكون..

سقراط قال : المرأة هي التي تعلمنا الحب ..

ستتزين عشتار بكل فصول العطاء للجل ..

حين يخبئ رأسه في صدري متعبا أسقيه مناهل أمومتي فأكون عشتار الأم ، وحين يرجع من قارات المصاعب سأهدهد تعبه فأكون عشتار الحكمة ، وحين يظمأ سأحرق جسدي بخورا لعطوره فأكون عشتار الحبيبة .. فالضعيف لا يعرف مملكة الحب والقوي يكتشف أسرارها ..

ورماء أنثى عشتارية ، تهز خيوط الحياة وتقبض على الزمن ..بين أوراقها الشاحبة دمع محترق يحول الحروف إلى ذكرى ، إلى حنين ، إلى فكرة .. سر حروفها هو قلبها الإنساني حين يرسم مطره الغيمي بين تقاطع السواد والبياض ، بين الفرحة والدمعة .. فالروح الشعرية إضاءات وجدانية حين تنقلها من عالم مخزون إلى عالم الحركة بين المفردات .. ربما كانت متوترة أحيانا ، فالتوتر النفسي أصل العالم ، أصل الشعر ، والمعنى الأسمى للإبداع مدفوع

بالمغامرة والاكتشاف ، بينما الضلوع تشكل حديقة حروف بيضاء وحمراء ورمادية وزرقاء، لتضمها آفاق الحلم البعيد ..

أقوال من الذاكرة :

- كل رجل يقتل الشيء الذي يحبه ..
- الحب يعني انك لست في حاجة على الاعتذار أبدا ..
- أحبك حتى يصبح حبك حاجتي اليومية الهادئة..
- الحب يعني أنك لست في حاجة إلى استئذان ..

عصفور القلب

" الحياة ظل ، الغياب عن الظل حضور إلى النور ، والزمن هو الحركة والإنسان برزخ حبر بين الظل والنور "..

ما زالت رماء تعرج أحلامها على الأرض ، مر بخيالها جلجامش /.. الذي رأى كل شيء ، وعرف سر الإنسان والكون ..فرأى أن الحقيقة ليست في ما رآه وعرفه ، بل في ما لم يقدر أن يراه ويعرفه / ..

تتأمل رماء هذا الكون ، وهذه الأرض التي تشرع قوانين ونصوصا وتسيج القلب المحب .. إذا غرد عصفور اخضر في القلب يختنق في مقبرة الصمت ، أليست بعض النصوص تتفتح على نوافذ

القهر وتوضع المرآة في دائرة وتحجب مشاعرها وأحاسيسها .. فالقوى النفسية والرغبات جوهر الإنسان .. فكيف تحدد المرأة في شرقنا الحزين وتصاب بالقيود والقوانين والحكام ؟؟..
أليس بين أعطافها سلاف الحب الأول .. نبتة الأمومة الأولى .. تفاحة الخلق الأولى ؟؟..
الصبا يذبل .. والألم مقيم ، والزمن لا يعود ..
ما اجمل رباعية دعاء جوته القائل :
يريد الضلال أن يربكني
لكنك تعرف كيف تهديني
فإن أقدمت على عمل أو أنشدت شعرا
فأنر لي أنت جادة الطريق "..

ناي الرحيل

لمحت زهرة الياسمين خجولة تسكب مشاعرها من ثقوب العطر .. كم هي ناعمة ومهجورة !!.. أليس في أنفاسها اللطف والتسامح والرقة ؟؟.. حاولت أن أرسم وجهي بين أنوثة الياسمين ، ربما جدائل بياضها تجعلني أركض مع فراشات اللوز والتفاح والزيتون والحقول .. لمَ أسقطوني شكلا خرافيا يتدلى

وجعي بين أبراج الإنسانية فأتصدع بين العتمة والنور ، بين الزرقة والخضرة ، بين السواد والبياض .. قامتي النحيلة تنحني محروقة بدم إفريقية فأوزع أثواب كآبتي على خلوات التراب وهو يطبق أجفانه على المتعبين مثلي .. أرمي حبيبات حروفي كسنابل بيدر محروق بالخصب ..
سأكتب رموز المعنى للبحر ..
سأكتب لغتي بمطر الحب ..
سأكتب أفكاري لجوهر الإنسان ..
واكتب ملامحي على دفاتر الأطفال لأتذكر ملامحه ذات صباح ..
أحست رماء أنها وردة غريبة تنتظر بنفسجات في حقول تحنو على غربة أشجارها ..
من بعيد ربة القمر مدت لها سلة رسائل وردية ..
ابتسمت رماء .. الكتابة الشعرية وسيلة سحرية لتغيير الإتسان .. الكتابة رؤيا الحياة .. وافنسان والطبيعة .. والكل مبدع فرادة إبداعه.. الشعر يصدر عن ذات تعاني ، وهو عالم الإنسان ، وعالم الطبيعة وعالم الحب ..
تبحث رماء عن ذاتها في الطبيعة مع الفن ..
الطبيعة هي مسافتها الصامتة ..

فاتحة الروح

أيها الحبيب القريب البعيد .. أيها الغريب المألوف .. هل اكتشفت المعنى في معناك ..؟؟..

ذاكرة القلب تشهد كيف يترامى الحب ليضيء الكون والإنسان.. وذاكرة الحروف هي التي تتغرب مع المساءات والنهارات ..سيزيف وأنا ننحت صخرات الرجوع والهجوع .. ربما ننسى أنفسنا على مقاعد الزمن .. ونضحك بعد أن فقدنا معنى الضحكات .. الشكوى تقلق روح الله .. سأبقى مقتولة بشهد الصمت.. وأتلو فاتحة الروح..

" إن لم ترجعوا وتصيروا مثل لأطفال
لن تدخلوا ملكوت الله .."

يا سيد الملكوت ..

سأقرأ نصوص الكون .. من قلب جرحه الهدوء.. السماء هي التي تحرك الأعماق ، هي الجمال ، هي قلب الغموض والأسرار.. سأراقص موسيقى الطيور المنبعثة من سيمفونية خارج حدود الأرض ، حيث هي موسيقى الثلج والمطر والصمت والعواصف والشمس والضوء والعتمة.. إنها لحظات النشوة المرعبة ، فالجمال هو بداية اللحظات المتفردة التي يعيشها المبدع يلامس أوتار ريشته ، لا يفصل بين الحلم والواقع، بين الموسيقى والكلمة .. هو يحترق حينما يشتاق للتعبير عن ذاته ، فيعيش اللحظة الحالمة

اللاواعيـة وبـذلك يخلـق مـا يسـمى / الخلـق الـذاتي / لروح القصيدة والتي هي مرآة ذاته الصادقة ..

فاتحة الصلاة

لا بد من فاتحة الصلاة لهذا الخرير التائه في نوافير الماء .. لا بد من فاتحة الصلاة لهديل البياض من غيره يرعى ذاكرتي التي تلمع بالأحزان ..؟؟..
إقرأني أيها الخرير ..
كرعشة ضوء ضليل ..
أوجاع النوافير أرصفة لبجعات الصفاء ..
اقرأ ذاتي التي حلمت أن تنام على سور الحنان ..
اقرأ قلبي .. كنور مسافر بين عتمات الفراغ ..
عيـوتي هاربـة .. وأنـا أصـلي فاتحـة العطـر ابتهـالا لأيقونة الغياب ..
لماذا خذلتني أيها الحب ؟؟..
لماذا تركتني في حقول الغربان ؟؟..
النفس قصبة مكدودة بالتعب ..
لماذا تخليت عني أيها الحب ؟؟..

سأتلو خاتمة الصلاة لعطر الماء ..
أنا المحترقة بعروق جسدك الرمادي
نهدات ذاك الخرير
أنا التي رأيت العالم صورة للحب في كأس جمشيد
أنا التي قرأت لكل المحبين فاتحة العشق
من يمنحني رقة هدوء النعناع
سأترك هذا النور النحيل مسافرا بين نوافير الجراح..

هزار الأوراق

بلغة الحلم اللازوردي تشع تموجات اليقظة ، وهزار الشعر يصدح من الفكر الأصيل مع صبوات الروح ، ولحظات الانخطاف هي بروق إشراقية في فراغ اللهب الذي يسكر ويضيء ..
ويطوف الحب راجفا في خواء همومي ، وأنا كهمزة رائبة في سكر ناي أشجان حزينة ، أقرأ وجهك من جديد على مرايا تساؤلاتي .. ما تبقى من شظايا الذكرى هباء للرماد .. كل شواطئ الحياة ذاقت طعم دمعي .. أنا المركونة تحت جسور انكساراتي يعبرني الداني والنائي.. يرعف الأسى أفكاري .. الهمني قليلا من الهدوء.. ألهمني كثيرا من صور أحلامي .. أمطرني شعرا نقيا من سماء الورود العبقة بكل حنايا الروح .. ربما ورد الأرض عمره قصير ، أما روضة السماء فتزهر الحروف على أغصان الأزل ..
أيتها الوراق التي تناغم هزارها بعيدا .. كما لو أنها براءة موسيقى السكون في وادي الليل ..

في الأندلس كان هناك واد يسمى " وادي الليل " لأن أشجاره الملتفة تحجب ضوء الشمس ، فيخيل للجالس في ظلها أن النهار ليل .. وكان مجمع السمار والعشاق. وكأن هزاره يقول :

يا صاح لا تلم المتيم في الهوى
هو عاشق لا ينثني عن خلهِ

ورقة الذاكرة :

- العقل ينظم الشعر . والقلب وحده هو الشاعر / شنينه/..
- أفضل ما أستطيع فعله وأنا وحيد ، أن المرء يكون قريبا إلى كل إنسان عندما لا يكون قريبا إلى أي إنسان / جبران /..
- لولا الوحدة .. لما كنت أنت أنت وأنا أنا..
- الطبيعة نقطة تماس بين الإنسان والمجهول.. شرط الشاعر أن يكون عظيما هو أن يكون حرا ../ جبران /..

منفى القلب

يؤلمني أن أرى فراشتين لا تفترقان بين الزهور..كان مضيئا الحلم الطويل كالقمر .. أخرج من منفى القلب وقد انهمر الندى والبرد والريح ، وانهمرت عريشة الحروف.. قطرات من ماء الينبوع أحلى من نبيذ الكروم في ليلة عتقها الشعر بسكراته ، وهمسات الأغصان تستلقي هادئة ساجية على شاطئ الروح .. فهل أثملني الشعر بعطاء الطبيعة الساحر أيها الشاعر المهاجر أبدا .. ستحمل ربابة الحب ، وتنظم الطبيعة بقصائد خالدة ، وتبقى عيناك مسهدتين .. وستبقى حروفك ساجدة بخشوع في محراب الجمال .. أنغام الشاعر المتيم تختلط بكل لغات العالم .. بأي لغة تكتب؟؟.. حتى تبقى دقات القلب تستشف أسرار الغابات البكر ؟؟..

- النجوم تصبح شاحبة إذا ما رأتك ..
- وإذا كنت قمرا مشرقا ، فأنا ضباب جميل أغطيك ..

بعد عام كتب لها :
".. رماء .. عصفورة الشعر .. وما في العمر من عمر .. لا ألومك فأنا كنت أشعر أنني الصديق والحبيب والقريب الذي أسقط كل خضرة الشجر حين انسحب إلى دوامة الحروف وحبر الكلام ، يا الله كم آلمني أن تدحرجي كلماتك على وخز الروح ..
غالية أنت يا رماء ..
وأغلى من أن أقولها على هذا الشكل أو ذاك .. لماذا كنتُ جارحا إلى هذا الحد ؟؟.. وقاسيا إلى هذا الحد ؟؟.. وذاهبا في مطر الفراغ إلى هذا الحد ؟؟..
كلماتك أيقظتني ، نبهتني من غفوة ، سرقتني مني .. فعذرا يا أعز الناس وأغلاهم .. لا يا رماء وألف لا .. فشموخي كله زهرة تزين سحبة عشق في شعرك .. خذي كل شيء يا رماء .. ولا تطفئي لحظة واحدة من ورود الكلام بيننا .. فما كنت ولن أكون ذاك الذي يسقط في سهو العمر زهرة العمر ..
آه يا رماء .. كم كنت صابرة ومليئة باخضرار العطاء مع هذا السائر في دروب النسيان

.. خذي مفاتيح عمري كله ، خذي وجهي وصلاة حروفي ، خذي وقتي ، ولا تزرعي دمعة واحدة في طريق هذا الحب الجميل الجليل .. أعترف أن كثرة العمل سرقتني لكن بقيت طول الوقت في عالمك ، ووالله ما رضيت أن أخطو خطوة واحدة إلا لأن الدروب كلها تقود إليك .. حقك أن تعتبي ، حقك أن تشعلي العمر بألف وألف سؤال .. أعتذر يا أروع الأشجار معترفا بذنب الورد أن نسي في لحظة الحريق تربته وماءه وشذاه..
إن غفرت لشاعرك فأنت النبع الجميل الجليل .. وإن لم تغفري فأنت الروح والريحان .... لك كل ينابيع العمر ، فهل ترضين بما في العمر من ينابيع ؟؟..

دمشق 26 / 8 / 1998.. "

أوراق الذاكرة

- لا يصنع الفن سوى الشعر .. أما القلب فهو وحده الشاعر ..
- الشاعر هو العندليب الذي يغني قابعا في الظلمة ليطرب بأغانيه العذبة وحدته الذاتية .. /شيللي/
- لولا الخيال لعز علينا نظم الشعر .. ولولا الشعر لما أمكننا تحمل أعباء

الحياة /فاليري / ..

- ما الشعر إلا الفيض العفوي للأحاسيس القوية والذي يلقى مصدره في الاتفعال ونستشعر نحن ذكراه في السكينة ..
- القصيدة تذبذب بين قطبين حلم وواقع ، باطن وظاهر ، طبيعة وإحساس ..
- كل شاعر عظيم يندمج في العالم على نحو يبدو وكأنه هو العالم ..

قنديل المسافة

رماء .. حنجرة الليل أتعبها غناء الصمت .. وأنتَ ألم تتعب مناديل المسافة من أغنيات حروفك ؟؟..

رماء .. الحب المغسول بالنقاء لا يموت حين نعرف كيف نغرف من نبعه ماء الروح والوجدان ، قد يموت الحب بسبب الأخطاء ، بسبب الخيانات والجراح !!..

سأغني اسمك في صلاة الفجر .. سأغني كما الشاعر التائه أبدا..الشاعر العاشق مجاهيل مغلقة لا يحدد ما هيته ، قد يطول انتظاره أو يقصر ، لكن في لحظة ما تحدث الإنارة النفسية ..

أنلتقي .. ربما .. وربما كنت حاضرا قبل الحضور ، وغائبا قبل الغياب .. لا أحب الإقامة في مكان واحد ، حتى لا يحف ماء القلب وينتابني الضجر ، لذا أتنقل

بين ارجاء النثر والشعر والقصة والرواية ، وأتأمل الإنسان والطبيعة .. معي النجوم والغيوم ، الينابيع والغابات ، وأتسكع في طرقات الأفكار والصور والحروف .. الوردة تعطيني عبيرا .. والشمعة نورا ، والشجرة ثمرة ، والشاعر العاشق يعطيك الأحاسيس بكل هذا الجمال ..
الشاعر إنسان وقيمة ، علاقته الإنسانية تخلق المودة ، والمودة تخلق الانسجام ، والانسجام يخلق الفهم ، والحب يخلق الحياة .. ربما أصبح الحب جزءا من واقعنا ، أو حلما متخيلا ، ولكنه التخيل الخلاق ، والمبدع الأزلي .. فالأفكار لاتموت .. والكتابة حلم اليقظة للحب ..

رعشة الشجر

قال جبران :" ورود السماء تزهر عندما يمتد الليل ، وودود الأرض تزهر عندما تختفي النجوم في نور النهار "..

***

عادت ورود لغته تشف من دن العطر ، وتسقي أوراق رماء ، فينتشر العبق من الحرف إلى المعنى ، من المعنى إلى الشوق ، من الشوق إلى الانفعال .. من الانفعال إلى الهدوء ..
رعشات الفرح الطفولية تراقص أفكارها في براري الأحلام لتزرع الغابات البكر كلمات وأغاريد وصورا

كتب لها :

" رماء ..
لك كل ما في العمر من شجر ، للوقت أن يشرح ما شاء من وعد العمر .. تأخذني عصافير الكلام فأسقط في حبر روحي وبوحي ..
أستغرب أن تركض الأيام كل هذا الركض ، وأخاف من صرخة الريح الجارحة ، ليتني املك كل الشجر لأكون دقات عمر لا ينطوي إلا على صفحة العطاء ..
يشبهني مطر الصفاء فأضحك حتى احتراقي ..
أعيدي لي وقت الكلام كي أقول : ما أردت أن تذهب سطوري دون أن تلامس كفاك كل ما في العمر من عمري ..لك كل الحب.. دمشق 8 / 9 / 1998 "..

هامش :

يطـول الشـجر ليكـون الآحلـى .. كـم مـن الوعـد تبقى كي تكون أرجوحـة العمـر بطـول أيامنـا؟؟.. نبنـي الحلـم فتضـحك لحظـة الـريح منـا .. هـو الشـوق .. والشـوق مفتـاح الوجـد .. خـذي إذن سمك اللحظة الهاربة القادمة كي نعيش لحظـة الوجد من جديد .. لكن كيف ؟؟.. "..

31 / 7 / 2002م

وطن الجرح

إلى من تبرق وهما وتنرجس شعرك هامات للحب .. ألتهز وربدي أم لتسقيني نبيذ القصيدة؟؟.. ربما ثملت الحروف بيننا من دمي ..
إلـى متـى يسـألونني عنـك ، وأت كجفن يعنبـر رعشـة العين .. كيف تبقى عصفورة الشعر هائمة بين شجر المسـافة تشـد خمـار التعـب وتسـتقي الليـل نـدى الوحدة؟؟..
سـأغمس ريشـة القلـم فـي أعمـاق الـذات لأسـتخرج الأحلام وأواجه بها الواقع ، ألم يقس الفن العظيم في مـدى تغلغلـه بـالنفس البشـرية لا فـي قدرتـه بالتقـاط الظواهر الخارجية ..
قـال جـيمس جـويس :" إن مشـاكل القلـب البشـري فـي

صراعه مع نفسه هي وحدها التي تستطيع أن تلهمنا الإتقان في الكتابة ، لأنها هي وحدها التي تستحق أن يكتب عنها ، وتستحق ما يبذل في سبيلها من عرق وعناء "..
رماء .. لا بد أن نملك لحظة الامتياز في الحب لأنها هي التي تحرك قوانا النفسية ، وتفتح بوابات الفكر والخيال .. وبها نلغي المسافات حين نصل إلى حالة الدهشة فلا نميز بين لذة الحس وصبوات الروح وفراشة الوجد نرقص على كفينا .. ورسائلنا المغلفة بعطر الشعر والوجدان كانت نبض الحرف في وطن الجرح ..
سيبقى العمر يشتعل بالحرف والنبض وعصافير الكلمات تغني ..
ربما نكتب خارج حدود الزمان والمكان ، لأن فوضى الكتابة ، وفوضى المعاني ، هي التي تخلق أنفاس الإبداع ..

جفون للحب

قال جان جنييه :" العبقرية ليست هبة بل هي المخرج الذي نبتدعه في المواقف البائسة والصعبة ، وعملية الكتابة تحررنا من كل شيء، من الماضي ..من

الحاضر .. من الذكريات حين نحولها إلى مواضيع صادقة للكتابة "..
المبدع دائما يتحلى بصفاء نادر الرؤيا ، ويبتدع غير ما هو متحقق في الواقع ، لأنه دائما في حالة تجاوز مستمر .. ألا يبدو الشعر غريبا أحيانا والنثر مشتتا؟؟..
إنها غرابة لحظات الكشف ، لذا كانت التجربة الصوفية تضمر بحثا عن ملاذ روحي وتتوخى حالة الإيمان المفقودة سيبقى قلم رماء يمطر من شراييه النازفة ، لأن الكلمة تحول وهم الحياة إلى معنى ، أو ربما تصبح الشيء ذاته وهذا هو جوهر الكتابة ، فالعوالم الداخلية تصبح مع الكلمات كائنات كونية ..
سأغطي عشب المسافة بكل خلجات الروح ، وأغطي الشوق بجفون الحب ، وأتمم صلاة البنفسج حين تنام كل عيون العشاق ، لأني متوحدة بابتهالاتي.. بلا أمل.. بلا عبق .. بلا انتظار . .
سترشف حروفي نبيذ همي .. لا تحزن .. سأنرجس هواك نديما لشعري .. ربما لن أصحو من سكري ....

فوضى الصمت

ليو الإيطالي قال :" الحب يقسم إلى ثلاثة أقسام ، الحب الطبيعي ، الحب الشعوري ، الحب العقلي..
الأول : القوة التي تجتذب مياه النهر إلى البحر

، والحجـر إلـى الأرض ، وتحفـظ النظـام الشمسـي والنجوم في دوائرها ..
الثاني : محبـة الحيوانـات بعضـها البعض وتعلقها بمن يحن إليها ..
الثالـث : الحـب بـين الخلائـق العاقلـة كالملائكـة والبشر.."..
نادمني وجه عاشق ، أنـا المستغرقة في واحات كنبتة غريبـة .. ثغاء جرحـي يهم قلبي بالحب.. أنـا الوردة الذابلة أفرش الليل بظمأ حروفي ، من يعيد لشيخوخة عتمتي صبا النور ؟؟
قلبي وحده غيمة محترقة بدم الثلج ، أكان الهوى بيننا نقطة تائهة بين الوصل والحجب ..

كتب لها :
"..رماء ..
عصافير الوقت تنقر دفة الريح .. كم تبقى كي أعيد ترتيب المكان والزمان ؟؟..هل هو الحب في صرخة تتجاوز حدود التعريف والتوصيف لتكون على طول الشجر والضوء أو ما شئت من وعد؟؟. إنها الخفقة التي استدارت فأخذت تشبك ذراعين من ذهب العمر ، آه كم هي لذيذة فوضى الصمت!!..وكم هي مدهشة ولذيذة أشرعة الأمل الذي أخذ يطرق مسامات جلدي.. حكايتي يا حلوتي أنني لا اعرف كيف يكون السطر من حبر أم من نبض ، أم من دفقة

شريان..
في كل لحظة تأخذني يداك فأنسى كل ما حولي من حكايات وإشارات وأضواء .. تبهرني لمسة الوقت فأنسى الوقت ، وأنسى أن أكون أنا الذي كنت قبل قليل ..
فاصلتي أن الوقت مفتوح على عناقيد الشمس، تضحكني كركرة الصباح الندي ، فأضع حبري على صفحة الشعر الذي تكتبه أصابع الضوء ..
كم أنت قريبة مني ، وكم أنت بعيدة ..
ذاك سحر المساء ، أم سحر الضحكات التي لا تحد .. حاولي أن تأخذي جسدي من مكان إلى مكان ، وأن تأخذي شفتي من صرخة الفوضى إلى صرخة الزهر التي تتفتح على يدين من حبق..
آه يا حلوة الوعد كم يطيب لي أن أخلع جسدي لأجري على جسد الهواء نسمة تلامس شعرك أو لحظة الوعد ..
خذيني .. فقد أورق الحبر على جسد الماء الجميل الجليل .. دمشق
1998/9/17 "..

ورقة الذاكرة :

الشعر هو الذي يمنح حياتنا الصدق والأصالة ويكون في حياتنا الرعشة الروحية الوحيدة ..
هل نستطيع التوحد مع الشيء الذي نحبه ..
نعترف طويلا ، وتهمد تشظيات الشعلة ، ثم فجأة نلتقي ، وإذا بكل الحب يشع حزنا ولهفة في

السماء والأرض من أعيننا ، فنغيب في عناق العتاب اللذيذ ..

ورقة للخيال

" كل شيء لم يقل بعد .. لا يأتي متأخرا أبدا "..
/ ديلاكروا /..

الفنون مترابطة ، والإنسان مملوء بالتناقضات ، تحس رماء أنها غصن نحيل منفرد في أرض عزلاء ، ودائما تعثر على ذاتها حين تغوص في تشتت الآخرين، مؤمنة أن الصداقة أكثر مكانة من الحب ، ولا يمكن احتمال الحياة بلا صداقة ..

الحب كما دورة الأفلاك يتبدل ويتغير ، والفن خالد أزلي ، إنه ورقة الانتماء الكوني والروحي وهو وحده الذي يكشف الجمال أو يبتدعه إن لم يكن موجودا ..

أما أوراق خيالها هي الرحلة الأجمل في محطات النثر والشعر والقصة .. حين تزهر الحروف نجوما عاشقة في زحمة مراكب الراحلين والغادين ، ربما تضيق مساحة الصفحات ، وتكبر مساحة النفس ويقف التعبير عاجزا عن نقل كل الانفعالات والأحاسيس والتجارب التي نحياها ..

يقول باشلار :" الخيال هو القدرة على خلق صور تتعدى الواقع وتتغنى به "..

يقود الروح لتنتشي مع إيقاع حروفه التي أمطرت

رسالة مغلفة بعبير أيلول ، ربما كان العبير المنتعش برائحة الأرض بعد مطره حزينا أو غاضبا أو راضيا، ولكنها توزع أوراق خيالها على أرصفة مذهبة بورق الاصفرار ، وتعبر معها أحلام الضباب والغيوم والرؤيا ..

وتغني مع الشاعر الذي قال :

ستألف فقدان الذي قد فقدتهُ
كإلفك وجدان الذي أنت واجدُ

***

سيشكل زيزفون حرفك
نصي المهاجر
أعصر ضنى الكلمات
رحيقا
لبحيرة صمتي
هل كان طيفك
أم لمعان النقاط يؤنسني ؟؟..

***

سأرسم رنين الشوق
على مرايا السكون
ربما تنسى يوما
أنك تركت اسمي
هائما
بين ورود الرماد

***

خذ ورقة وفاء
من نحلة اغترابي
أنا مشردة أبدا
أبحث عن وطن لقلبي
لأعلق على صدره
أيقونة روحي ..

الكلمة البدء

- الكلمة هي الإنسان ، هي هاجسه المصيري ، هي علاقة الإنسان بالإنسان ، هي مخزون الأحاسيس ، وحلم اليقظة .. هي الكشف والتجلي في لغة الشعر ، لأنها لا تخاطب العقل إنما تنخطف من نشوة القلب ، وتسكن الإنسان في أزمنة الأحاسيس مع الذات ، هي انعكاس لكل حالات التمزق والضياع والهذيان والفرح والهدوء .. وهي نبض الروح ..
يقول هكسلي :" الكلمة كالموسيقى ، هي لغة لها نشوتها الخاصة ، قد تخطف القارئ وتنقله إلى ما وراء الحلم منتشيا بلغة الطبيعة السكرى.. والفن هو الإنسان العاشق مضافا إليه الطبيعة "..

***

رماء صاغت من رسائله حكاية ليست كالحكايات المعتادة .. حكاية حروف زنبقية لها خطوات على صفحات الضباب الأبيض وعبق يفض

المسافات بينها وبينه ..
رماء لم تبحث عن نهاية .. ولا كانت البداية ..
الحروف هي البداية حين تتخطى كل النهايات المألوفة.. هو راحل أبدا في مزارع البيلسان ، والعطاء .. هي تترك ضفائر الياسمين تنساب من أغصان حروفها وربما نظرات الليل الساهمة تهدل أجفان الكتابة فتبتعد ويقترب .. وتقترب فيبتعد .. وبذلك نمد خيطا وديا مع القارئ حين يحس بنبرة الصدق وبمعنى تجربة الكتابة الخلاقة ..
هي لحظات مسروقة من السنين .. لحظات تضيء الحروف بيننا كالجمر الأخضر .. فتولد اللقاء واللا لقاء..
والذات المحترقة بدم الحروف هي زهرة النار المشتعلة ..

غيمة الحروف

كتب لها :

" رماء عصفورة الشعر والروح ..
فرد البحر كل قوافل الروح ، ونام على أغنية العمر .. اشتقت يا امرأة من صهيل الصباح للمسة يد .. اشتقت لكل الأزمنة التي كانت وما كان لها أن تكون إلا في مسافة من وعد ، وأفق من زمان محمل بالشذا .. ما أروع أن تصهل الذكريات في الكريات لتنسج من ذهب الوقت غطاء الأيام الذاهبة الآيبة ..
أتدرين كثيرا ما أفكر بنجمة تكون في كل خيوط روحي لتضيء الدروب على المستحيل، أحب هذا المستحيل النائم في شهوة الكلام البعيد .. كسرتني حدود الوقت ، و أعادتني من مدينة الظل على مدينة النور .. ما اجمل أن تكوني لي وطن الكلام ، وخفق القلب ، أعيدي عقارب الساعة قليلا إلى الوراء كي أشرب من مئذنة الريح شكل أصابعي ، كي أعرف كيف يطير القلب جناحا من نور .. هل كان علي أن أعيد للوعد نقطة الحبر كي أفسح المجال أمام طيور المنافي لتعود إلى ديار من عناق تضيء شمسا

في فسحة اللقاء..
لا أقول متى فقد ضيعتُ نصف عمري وأنا أتسلق جدران وعد لا يجيء ..
أحب أن تشدو كل البلابل لتعيد إلى صباح الخير تفاحة لا يصدا فيها انتظار قطارات الندى .. واقف على ذاكرة الوعد ، واقف على ذاكرة الآتي ومن كل ابتسامة أعيد إلى صدري ضحكة بحجم العالم ..
حبي اكبر من أن يحد .. وهل هناك متسع في هذا العالم لحبي ؟؟..
دمشق 18 / 9/ 1998 م .."..

لنطير حلم الشعر الخرافي

تقول الآية الكريمة :" والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون "..
الشاعر نجم هارب أبدا كطائر الليلك المستحيل ، يترك في الطرقات والمسافات الرموز ، والإشارات والحكايات ..
والحلم هو الصلة بين الإحساس والذكريات ، بين ما يختبئ الماضي في جزء منه . ولكن اللحظات المتشابهة ، والعادات المتأصلة تضغط على إرادتنا ،

والإنسان يمر بتبدلات نفسية ، ودورة الذات كدورة الأفلاك ، الذات الشاعرة تبحث دائما عن شيء لن تجده أبدا ..
قال محب : ظللت أصحب غبار الحبيبة حتى جعلت من نفسي غبارا .. ولكن الظل مر دون أن يتوقف ، ولم يتحقق الوصال المنشود .. " ..
الحب ليس نشدانا للذات بل للذات الأفضل ..
المثل الفرنسي يقول : إن كل شيء يغني ما عدا الحب والموسيقى ، ولو لم تكن هناك روعة أشجار الكرز ، لبقي قلب الإنسان ساكتا بلا ربيع"..

شيء من ذهب الوقت

كتب لها :
".. رماء وشيء من ذهب الوقت ..
ربما على الساعة أن تعيد ترتيب دقائقها فقلبي مولع بارتقاء عتبات الوجود حتى الثمالة ، سرقتنا فسحة الربيع ودحرجتنا رتابة الأشياء ، وها أنا حين أنت أعود إلى ملامحي كي أعيد للحروف قدرته على دخول جنة الوعد ، فمذ كان الحرف معي وأنا أشعل رصيف الوقت ، وأطلق لأريج الحب هذا الصعود الجليل .. ولأنك تذهبين حتى ندهة القلب أعطيك ذهب الكلام ، ورعشة الحرف ، ورقصة النقاط والفواصل في عرس النشيد . أنظر إلى عقارب الساعة فأتوه

حين لا أجدك في ندهة الوقت .. وأضحك حين تكونين هناك بين دقات القلب .. غريب أمر هذا العشق العجيب .. وكأن الأشياء لا تكون بزهوة جمالها وذروته إلا حين تضع بصمتها على أرصفة من خفق ..

رماء ..

قبل حين كنت أقرأ من جديد في كتابنا "زمن البوح الجميل " وتوقفت عند الكثير من الفواصل والحروف ذاهلا أو ذاهبا في شرود لذيذ ..كانت الحروف تفتح حدائق ورد، ورأيتُ أنّ مدينة الكلام قد تكون الأقرب إلى الإنسان في إنسانيته .. فلا شيء يشبه صفوة وصفاء الروح كالحروف ، لذلك كان الشعر تحليقا في صباح مشرق أخّاذ .. وكان الحرف الجميل أطول قامة من كل الأشجار التي تقف على الرصيف .. ذلك أن الحرف لا يعرف الذبول .. يبقى ما بقيت الأيام ، ويستمر ما استمرت الحياة .. ولأنه كذلك نبقى ، فالحرف أقدر على وضع صورنا في وجود مستمر ..

الحرف يا رماء .. والكلام .. وشيء من ذهب الوقت ..كان علينا أن نعيد لما انقطع ماء الخصب.. فهل بدأنا ؟؟..

ظني أن لا شيء توقف عن العطاء .. وهاهي الأبواب تشرع الوقت لوقت جديد ..

دمشق السبت

20 / 2 / 1999 م "...

أحبك

كتب لها :

" أنقّطُ من باب عمري شظايا الحكايات عشقاً
وأمضي إلى غابةِ المستحيلِ أفيضُ على بحر
بحري وأشربُ ما بين ظلّي وظلي نجوم التمنّي
وكأس السرابِ أداخل وجهي على بعضِ وجهي
وأضحك هل تذكرين لماذا تركتُ الرصيف ورحتُ
أوزّع في كلِّ شبرٍ دموعي وجوعي وعريَ
اختناقي وكانت يداكِ تلمانِ عبر الدخول إلى جلد
جلدي بقايا سؤالٍ وشيئاً من الذكريات حلمت
ورحتُ وخبأتُ نايَ اشتياقي وحين انتبهتُ إلى
راحتيَّ تذكرتُ أنّ السحابَ الذي ما أطلّ وأنّ
السحاب الذي ما أظلّ تهاوى على بركةٍ من
وداع وراح يمصّ جدار الزمانِ ويمضي إلى
المستحيل أحبكِ قلت ارتدي بعض مائي وعودي
إلى ما تبقى من الأغنيات وصوتك كان يردد في
كلّ وقت لماذا أخذتَ من الصوت صوتي ورحت
تكسّرِ فوق المسافات صرخةَ جوعي إليك أطلّ
من الوعدِ نحوي وأحمل سلّة ريحٍ وأشتاق
للذكرياتِ أكاد أجنّ وما بين صمتٍ وصمتٍ أحنّ
أعيدي إلى بلح الروح عمري وعودي إلى
شهقتين من الدندناتِ تقطّع وعد الثواني على
درجٍ من زجاجٍ وفي لحظةٍ من بكاءٍ وكنتُ على
ما تبقى من الريح أمتصّ وجهي وذكرى الرجوع
إلى أغنياتي وأخطو على شارع من

ضبابٍ وبابٍ يصفّ النهايات فوق النهايات يندهُ
بعض وجوه الذين استفاقوا على بعض ذكرى
لماذا تميلين نوراً وناراً ونصف سؤالٍ ونصف جوابٍ
أحبك حتى طلوع الدماءِ مرايا إلى وجنتيّ وحتى
خشوع المسافات جمراً من الأمنياتِ أعيدي إلى
بعض نفسي حليبَ الطفولةِ أركض في شارع
من أمانٍ وأرمي قميص التغنّي خذي بعض فنّي
ومني خذي كلّ هذا التنفس هذا التوجّس خمرٌ
سطوري وخمر مروري وخمر عبوري أنا بعض هذا
الزمان الجميلِ وبعض انكسارات هذا النخيل ورفّةُ
همسٍ تطالُ السماءَ وترسم فوق اشتداد التمنع
جسمي ولحمي وهمي فلا تأخذيني إليك ولا
تشربي قهوة البحر قربي أريدك أن تحتوي كلّ
عمري مآذنَ عشقٍ صراخاً نبيذاً نداءً رداءً ولا
تأخذيني إلى بعض رقص الثواني وهمس
الأماني فأنتِ التي أنتِ داخل عمري على كلّ
سطر وفي كل سطر وأنت التي أنتِ جمرة
عشقي وأحلى من الومض في بعض بعضي
أحاول حين تكونين أقرب مني إلى نبض قلبي
أحاول أن أستفيق على صرخةٍ من دمائي وأنظر
في وجه وجهي أراك تطلين من نور عيني على
نبض نبضي ويذهب جسمك مثل الصلاة يعانق
جسمي ويذهل فيّ الذهول ويسرج فيّ الخيول
يسابق فيّ الذي في غنائي الذي في دمائي
ويطلع بحر الكلام جرار أمانٍ لك الآن أن تأخذيني
وأن تشربيني وأن تطلقيني أميل إلى كل سطرٍ

فمري إلى ما تبقى من الأغنياتِ وعودي إلى عزف عزفي ونزفي ولا تستردي سوى ما يكون أحبك حين تصير الظنونُ فتات غبارٍ وآخر دفقة نارٍ أحار تحار الحكايات أمضي إلى سكة المستحيل وأمتصّ ما قد تبقى من الوجد في وجد هذا النخيل فردّي إلى بعض روحي زمان الوصولِ سئمتُ من الركض خلف السراب تعبت من الركض خلف العذاب وجئت إلى باب بابي أرد على بعض بعضي جوابي وأحمل من راحتيك الشهور الزهور ارتطام السؤال بظني وأدرك أنك أني حكايةُ عشق تظلّ على كلّ سطرٍ أعيدي إذا ما أعدت البدايات عودي إلى لحم لحمي أحبك لا تأخذيني خذيني فقد دقتِ الساعة الآنَ أن تحتويني وأن تغلقي باب روحي على باب كفيكِ لا تتركيني ..

دمشق 14 شباط 1999م "..

فصل الغياب والحضور

سأقرأ
صفحة .. صفحة ..
قصيدة ليلكية
تتراءى
كفصول الغياب
والحضور
سأقرأ
اغتراب روحي
عشبة ملح
تسقي جذوع الغياب
***
أقرأ وجهي
ملامح طفلة
نسي ملاك الحب
أن يمسح جبينها
قبل أن تنام
***
تسامرني حروف الرؤى
مرتحلة بين أوراقي
وعينيك ..
***

كتب لها :

" الغالية الأحب رماء
تحياتي واشتياقي
كل الأمنيات أن تكوني بأحسن حال ، وأن تكون جولاتك الفرنسية التولوزية عامرة بالجمال والحب وهدوء البال .. وتذكر من تريدين من منتظريك في سورية ..
ويا غالية كل عام وأنت بخير .. كل مرة وأنت بخير .. كل ألفية وأنت بخير ، وكل دقيقة ، وكل ثانية وأنت بألف وألف خير ..
اشتقت لكل همسة حب ، لمرآك ، لكل ابتسامة ، لكل كلمة حلوة ، وكل كلمة خارقة حارقة في آن ..
اشتقت لأن نبدأ رحلة جديدة بعد " زمن البوح الجميل " اشتقت لأن أقول لك : كيف الحال يا عصفورة الشعر ؟؟.. تمنيت حقا أن أكون معك .. أن أضحك .. أن أشاغب .. أن أمارس كل طقوس جنوني أن أضيع في تولوز .. أن اكتب الشعر دون أي قاعدة أو حد ..
" سلم لي عليه ... بوسلي عينيه "..
بانتظار عودة الطائر إلى عشه ..
اسلمي
دمشق 12 / 1 / 2000 م "..

نقطة هائمة

لم يكتب الليل
غربة وجهك عن وجهي
ربما محت الزرقة
حيرة نجمة لماحة بالأمل
***
لم تكتب الريح
أحلام الفجر
ربما الشفق الساهي
نسل هفوات قلبي
حين صمتك نسي
أن يكتب
تعب الحب على وجهي
***
حروفك ترجف الغسق الشاكي
فكيف أسقي الأرض
نبيذ حرف محروق بالغياب ؟؟..
نسي حرفك أن يكتب
نبضي
سهدي
انتظاري
فنعنعت أهداب الشعر
سهوة شاعرة
تساهرها

هواجس البحر
يا ماء الشعر
يا مائي
يا نديمي وكأسي
واشتياقي
سأزف شوارعي
بستانا للأفق
***
أراك ولا تراني
طيفك شجاني
كسر قدح الغياب
وسقاني
فتركتُ على ثرى الشمس
شقائق دمي
لتنبت
صورة وجهينا
أسطورة للعشق
ولا أراك
نقطة هائمة
مدى سرابي
***

حتى لا تكون بداية

كتب لها :

" رماء وكثير من الحب والشجر الذي لا ينام
كم كان علينا أن ننتظر كي نعيد إلى المكان طعم المكان وللزمان طعم الزمان ..
كان علي قبل صلاة الروح والريحان هذه أن أغتسل بكل مطر الدنيا محاولا قدر استطاعتي الفكاك من أمطار زخت في مجرى العمر الذي مضى ، أو قولي في مجرى السنوات التي تفصلنا الآن عن كتابنا المشترك " زمن البوح الجميل ".. الذي صدر في العام 1999 ، هذا الكتاب الذي شكل زهرة من هذا الحب الجميل الجليل الذي لا ينسى ..
نعم يا عصفورة الشعر كان علي أن أتخلص من كل ذلك ، لكن يبقى السؤال الشائك : هل تخلصت ؟؟.. حقا لا ادري ، فقد كبر العمر .. كبرت السنوات ، كبر الشعور بكل الأشياء المحيطة ، لكن ببساطة شديدة وجدت فيك على الدوام رماء التي تستطيع في كل الأوقات أن تغزل من ضوء الشمس أروع حب ، فكنت الحبيبة التي تسافر مع الكلمات بصورة لا تشبهها أي صورة ، وتلك رماء التي كنت أريد على الدوام .. وتلك رماء التي كنت أبحث عنها في فضاء القلب والنظر والبال والشريان .. كم نبحث عن الأشياء الجميلة وتكون أقرب إلينا من حبل الوريد ..

هل رحلتُ في عالم الحب ؟؟.. هل عرفت نساء حبيبات غير رماء ؟؟..
متهم يا صديقتي حتى العظم بـذلك .. العاشـق الذي لا يريد أن يستقر به مقام .. المحـب الـذي يرى حوله عددا من النساء لايحصـى .. كـان كـل ذلك ، وهو مرضنا نحن العشاق المسافرين فـي ملكـوت الحــب الأبــدي أو قــولي مرضــنا نحــن الشـعراء المغـامرين أبـدا فـي دنيـا البحـث عـن الجمال والجلال ، وإن شئتِ فقد كان الواحد منـا يسر أي سرور عندما تحيط به كوكبة من النساء الرائعات ..
وما زال الشعور كما كان ، ما زاد ولا نقص .. هـل هو مرض من نوع خاص ؟؟.. ربما.. هل هو الحب المقـيم فينـا للشــعور بأننـا قـادرون علـى ربـط النســاء بنـا ؟؟.. ربمـا .. وأحسـب أن هـذا الحـب للأنثى نعمة تكاد تشعل ألف لهيـب مـن روعـة ، لكنها فـي كثيـر مـن الأحيـان تتحـول إلـى نقمـة حين تلاحظين هذا النزاع الخفـي أو الظـاهر بـين هذه وتلك..
آه يا عصفورة الشعر كم من الوقت مر ، كـم مـن النســاء أحببـت ، لكـن واحـدة يصـعب أن أصـرح باسمها دفنت في القلب جرحا ، جرحا اسـتطاع أن يولـد الشــعر والقصـة والنـاي والمطـر والـريح والعذاب .. والمشكلة يا عصفورة الـروح أننـي مـا زلتُ أحبها وأشـعر أن الـدنيا كلهـا مكتوبـة علـى صفحة واحدة من صفحات يديها ..

رماء .. عصفورة الشعر والحبيبة الرائعة ..
هل علي أن أفرد كل الأوراق كي أعيد للورقة الأولى حبر الوقت الجميل ؟؟.. هل علي أن أتلو كل ما في القلب كي تكون الشجرة مثمرة ثرة العطاء ؟؟ .. أعرف أن بعض الكلمات قد تكون اكثر بريقا وجمالا وهي مخبأة تحت غطاء الوقت أو الزمن .. لكن كان علي ، كما عودتُ نفسي ، أن أكون صادقا في نكء الجرح ، وحتى في فتح كل شراييني على الورق ..
تقولين من شعر البسطامي :
قالت لطيف خيال زارها ومضى
بالله صفهُ ولا تنقص ولا تزدِ
فقال :خلقته لو مات من عطشٍ
وقلت عن ورود الماء لم يردِ
قلت: صدقت الوفا في الحب عادته
يا برد ذاك الذي قالت على كبدي "
وأقول في أبيات لي :
أحبكِ فوق الذي أشتهيهِ
وفوق الذي في الهوى أرتضيهِ
وفوق جميع حدود التمني
وفوق المحال الذي أبتغيهِ
تطيب الحياة لأنكِ قلبي
وانكِ نبضي الذي أنتِ فيهِ

وأقول :

عمري وما عمري سوى
أحلى ترانيم الهوى
لا أرتوي إلا إذا
قلبي من العشق ارتوى
تاج الغرام ملكتهُ
قلبي على العرش استوى

وبعد أترك لك القلم والقلب وحبر الروح ..

دمشق 14 شباط 2002 م ..."..

أوراق من شجر الروح

أنا لم أحجب حوريات البحر عنك ... مجداف قلبك تركني محارة ضياع بين الموج والصخر .. هل لبحر زورق أوحد ؟؟.. هل يتغنى بالوفاء الشاعر إلا في قوافي الشعر ؟؟..
أنا ألم أسق الزيزفون غربة دمع أيامي .. يمامة حروفك تركتني يمامة تهدل أغانيها على أغصان الخيال كقطرة محبوكة بين الرمال والغيم ..
أنا لم أعترف لعينيك بأني أحبك .. قلبي متفرد بنبرات وله صوفي .. كل أوراقي تتأبط صرة أوجاعي .. وأنت الهائم أبدا بفتنة الصبا والجمال في فصول الأنثى المتقلبات ..
أنا لم أذلل الدمع كمشتاقة .. إنما كسرتُ أقداح حبي في حانة صبري .. وسقيت آخر عنقود زمن البوح الماضي ..
أنا من رموز الليل جمعتُ مفردات اسمي .. أنا عسلت حروفه بتغريد الشعر ، فاندلقت نشوة معناه خمرا سوداء على كأسك ومنعت النديم والساقي ..
أنا لم أضيق بنات القلوب من حولك .. كنت في منعطفات عاطفتك ظلا يبحث عن شجرة الأنس.. أنا لم اجعل من خريفي ربيعا .. أنتَ جمعت شحوب الاصفرار وقلت سأشجر أغصانك بشامات الحب .. بقيتُ في ذاكرة أيامك طيف عتمة أليف .. وحروفك تعللني بأحلام الورد ..
أتعبتني .. !!..

من ترك عصفورة الشعر شريدة في فلاة الهيام؟؟..
وكنت أظنك نخلة تهز حولي رطب الحنان !!.. وطن قلبك المتقلب لم يترك لي قشة زيتون .. سأبقى زهرة حرف على شجرة روحك، أغزل بأصابعي بستانا من ريحان النبض ..

نثيث الحرف

أنا لم أكلمهم عنك .. هم قرأوا كتاب الحب .. أكان اسمك حرفك السري ؟؟.. هم لحظوا شذا حروفك يتزنبق على عري غصني ..
أنا لم أشعل الصحو حلما في أصيل متواصل من سر الشفق .. هم لمحوك رفيف خيال من نافذة غسقي وكم خبأتك أغنية فريدة في حنجرة الشعر..
أنا لم أرسم الوقت بشغب لغتك ولغتي .. هم لمحوا نداوة حروفنا تتناجى على مرايا المسافة وتسقي سدى الليل ريق الشعر ..
أنا لم أنشر الحديث عنك .. هم أفشوا حسيس الخزامى حين فاحت على خدري ، حين كان قلبك الدافئ يعسل حروف الوجد ..
يا شاعري ..
نويرة الهوى مهما حجبت ، برقها يشع في الدياجي ..

أسطورة

/ من شأن كل إنسان أن يصنع سعادته كما يصنع حكمته / كانت سبلينه آلهة القمر تفتح عينيها كل مساء وترسل نورها الوردي إلى الأرض لقبول لفح النهار وتصونها من ضرره ..
وقد ساقت جيادها ناصعة البياض ذات مرة فلمحت على سفح الجبل شابا من الرعاة فاتن الجمال هو انديميون وكان نائما نوما حلوا ، فانحنت إليه تقبله ، وتوسلت إلى كبير الآلهة أن يلبي أمنية واحدة للشاب الجميل .. فتمنى أن ينام نوما أبديا كي يحتفظ بجماله وبشبابه ، وحقق كبير الآلهة أمنيته وأخذت سيلينه تقف بعربتها كل ليلة في المكان ذاته وتقضي مع الشاب الفاتن لحظة قصيرة هي عندها لحظة السعادة .. وولدت من هذا اللقاء خمسين بنتا لقاء القمر بالشمس عند الغروب ..

***

هامش :

" هل للأسطورة أن تزرع ورد الوقت في حديقة حلم قريب أو بعيد؟؟.. ربما كان على الشاعر أن يسرج كل الخيول كي يطارد خيوط النور الراعشة .. أيام تمضي وتفتح أبوابها على الوعود التي كانت والوعود التي تأتي ..
ماذا يعني كل هذا الانشغال بأصابع الفتنة على سوار عمر تسقط دقائقه من بين الأصابع في

ديمومة الانسحاب المر ؟؟..
أضحك كلما اصطادني الوقت ، وكلما أرجحتني أغنية الربيع القادم الذاهب.. وتسألين عن بحر يطرح الذهب في سلة شاعر ما عرف إلا العزف على قيثارة الروح؟؟..
محقة أنت يا ليلى ، فكل القصائد ذهب يشعل الرغبة بالطيران حتى القمر .. أعيدي لي أصابعي لأعيد لك أصابعك من جديد .. لكن لماذا لا تكون الأصابع كلها في درب واحد ؟؟.. ضعي إذن شمس الأصيل في سلة اللقاء وتعالي نشعل روعة العمر من جديد ..
ذات يوم كانت رماء .. وذات يوم كانت كل الأشواق أعلى من أي شيء .. تعالي فقد بدأ الوقت في دورة الوقت من جديد ..
دمشق 4 / 8 / 2002 م .."..

<u>هامش على الهامش :</u>

" تدق المسافات بابنا فنطل من شباك اللحظة الراهنة على شارع اللحظة التي انطوت .. عبثا نحاول أن نقبض على صورة مرت أو أسقطت ظلها على جدار ما في مكان ما !!.. كم من الوقت تبقى كي نرفع قامة الوعد قليلا ؟؟ ..
أقرأ في دفاتر الزمن الذي مضى وافتح الروح على دفاتر الوقت الذي أتى ويأتي وسيأتي .. دائما يسكنني الحنين فأشد الأصابع حتى التوتر

على خيط يربط بيني وبين عصافير العشـق فـي فضاء مفتوح .. هو الشاعر المسكون حتـى الـدم وغليانه بنشيد العشق الذي لا يعرف الانطفـاء .. أصابعي ظل دمي ودمي ظل جنوني وجنوني لا يعرف غير التحليق في الأعالي.. ربما ذات لحظة ذاهبـة قادمـة ، ذات وعـد أتـى ويـأتي ، يصـعد الشعر حتى البرق جنونا وفتنة "..

دمشق 18 / 3 / 2003 م

زمن البوح الجميل

دار المقدسية
للطباعة والنشر والتوزيع

حلب/ ليلى مقدسي
هاتف- 2241094
ص ب 12894

دمشق / طلعت سقيرق
هاتف – فاكس 6336106
ص ب 5663

الطبعة الأولى 1999
عدد النسخ / 1000

جميع الحقوق محفوظة

زمن البوح الجميل

نصوص

ليلى مقدسي طلعت سقيرق

طبع بموافقة اتحاد الكتاب العرب
مسجل برقم 142 تاريخ 6/3/1999

لوحة الغلاف هدية من الفنان : نمار حمادة

كلمة أولى

قال ابن عربي :
لست أنا ولست هو فمن أنا ومـن هو
فياه ، قل أنت أنا ويا أنا هل أنت هو
* * *

ويقول ستندال : إن الفن ابتداع أحاسيس لم يسبق إليها أحد . فهو خلق إنساني من أجل غاية جمالية " .

ـ لم أعرفه .. لم يعرفني .. قربنا الشعر ، فالتقينا دون أن نلتقي ، تداخلنا في الأحاسيس وتواصلنا.. فابتدعنا حين تفتحت براعم مشاعرنا على الورق .

ـ في أزمنة البوح ـ لغة لمدار طقسنا السري ، لغة نتناغى بها تحت ظلال غيم الحروف الأخضر ، وفراشات كلماتنا الملونة تتطاير عبر مسافات تفصلنا :

- هذا النسيم هو الرسول إليك ليتني
وجدت إليك مع الرسول سبيلا

كتابتنا لا تتبع ترتيب الأحداث ، ولا تتقيد بنمـاذج الألـوان بل هي بـوح الـذات الـتي أيقظت فاعلية ســـــحرية في أفكـــــار روحينا المشـــــتركة ..

ألم تكن ـ مي مع جبران ـ في تواصل حديث الروح وشعلة حروفهما الزرقاء لم تخمد من ذاكرة الأدب بعد ..

هكذا ـ طلعت مع ليلى ـ في هدوء الروح الشاعرية معاً وحروفنا تتجلى في البوح ـ فرأيته في مرآتها ورآني :

إذا تجلى الحبيب بأي عين تراه ؟.
بعينه لا بعيني فما يراه سواه

زمن البوح الأول
" للنبضة غموضها "

للنبضة سرية لمسات الندى ، لعشب الحـروف عطر استفاضات الروح. لفراشة المسـافة تهـدل زهـــرة قلب تنحـــني على قلب آخر ، تحط على سرة ياسمين الشوق. وبلبل الشعر مسـافر أبـداً على إيقـاع حـبر ومضـاته المتهدلة كخفـوت حلم على أجفـان عاشق شـارد في مـراعي الخضـرة المتفتحة على شفاه بياض أصـابع الزرقة الليلكية .

حلم اللقاء يربكه الخجل ، وألق النشوة يترمد على خافيات الغياب . العمر المبعثر سكن شرفات ليل صامت ، لأن ثقل الزمن أحنى

هامات أغصان الروح، بينما الريح بقيت تشاكس السراج، فهل يحجب خمار السحب الرؤيا عن وجهي الواهن ؟..

كغمزات نور تتمرد الأحاسيس الغافية ، لتريق أرجوان العشق على صدري المعتم ووشيش المطر خريرها المتفرد ، وتهافت الشجن في أمسياتي المنزوية صمتاً ، يربك زمني الظامئ المنساب في الوجع ، تهفو الروح إلى وردة فل هادئة لتتسربل أيامي بالأحلام . لأعود كهدوء طفلة تناغم الحنان الذي يرقد على سريرها الوردي ، وابتسامة الوداعة تنعم على الشفاه . لغموض آلهة الغيب ـ زمن بوحك الأول.لترقرق حروفك الراعفة أشعة فجرها العذري على صدر عتمتي تلافيف نرجس حائر ، وبحة الورق ترعش عطره مع تناغم صوتك الدافئ ..بلبل للشعر ، أم طيف أنت ، أم سمر لياليَّ المهجورة ؟ !

18/6/1997

زمن البوح الأول
أبحث عن رأس امرأة

ليلى ، عصفورة الشعر ..هل علينا أن نرتّب وقع خطواتنا، ونشكل وردة من نسيج الروح لنقول بوحنا المشترك .. تدركين ليلى أن الكتابة خروج عن القاعدة .. لذلك كان عليّ ، وأنا أخرج إلى بحر حروفك، أن أخلع كلّ الضوابط والقواعد .. كان علي أن أتماهى مع لحظة البوح الذي يكسر حاجز الاحتمال ..

أتدركين أنني أميل إلى الرأس أكثر من أي شيء آخر .. الجسد كله احتمال مهما كان . لكن

حين تغوصين حتى النخاع في التجربة ، تعرفين أنّ الرأس في النهاية شراع الأشرعة . كثيراً ما نلعب لعبة التراخي مع جسد مفتوح على المدى ، وبعدها نبحث عن لحظة إشراق .. لا أدّعي بطبيعة الحال توحداً بعالم نوراني يفرد في فضائه ألقه الخاص . لكن بكلّ كياني أبحث عن رأس امرأة ، لأنني عندما أجد الرأس، أستطيع بكلّ بساطة أن أتحد مع الكلّ . أنا مشاغب كما تقولين ، لكن هذا الشغب الذي يعلو ويرتفع أحياناً ، لا يرضى أن ينام على ذراع لا تتصل تماماً بفكرة .. لماذا ؟؟ ربما لأنه الشغب .. وربما لأنه النسر الذي يحب الارتفاع إلى الأعلى ..

في ساعة من نهار كان يخلع آخر ضلع من فصول الريح والمطر ، رأيت كفكِ زهرة تلوّح في فضاء لا يحد .. لا أدري كيف استطاعت زهرة الصباح أن تكون في هذا الزمن المشتهى إلى جانبي .. ربما أدرك الآن بكلّ الوعي ، لأنّ هناك أزماناً تدخل في اللا متناهي ، وتخرج تماماً عن واقع الحال في قاموس الوقت .. مثل هذا الزمن كان في أنفاسي ، عندها ، وربما للمرة الأولى ،

صار الحبر فضاء من نور ، وانقلبت الأوراق لتكون رائحة الزهرة المغموسة حتى الخاصرة بالألق ..

عنـدما خـرجتُ من الـبيت .. ربما وقتها كـانت الزهرة في الطـرف الأيسر من الصـدر .. راودتُ الرصـيف أن يخلع حـذاء الالتصـاق بـالوقت ، كي تمتـدّ خطـواتي حـتى المعجـزة .. وكـان لي في منتصف الدرج الصـاعد إلى روحي ، أو إلى سـدّة روحي ، أن أشـعل فتيل الفـرح لأبلل بالنـدى كـلّ الشبابيك الــتي انفتحت على وعد ما ، أو ربما كي تأخذ من محفظة الهـــواء الأنفـــاس الطريـــة.. شعرت أنّ الهواء ، خـارج المحفظة تمامـاً ، كـان قد فـــــرد جناحيه حـــــتى اســـــتفاض ..

تدرين يا ليلى أنّ الشعر ينقط سنابل القمح حين يداخل تماماً شعلة الإنسانية المتوقدة . بين الشعر والفلسفة مساحة من وقت ، مساحة تكفي لتذيب حرارة الوجد التي يجب أن تكون في الشعر إن أريد له أن يكون شعراً .. ولا أدري يا عصفورة الشعر ، كيف يفصّلون ثوب الشعر من قماشة لا تناسب جسد الشعر. أظن أن للشعر جسداً .. كنت أقول دائماً وما زلت : الشعر لا يعرف العين المفتوحة على وسعها

وبكلّ الوعي أثناء حالة الإبداع ، هذه العين التي تراقب الفواصل والنقاط والحروف والأوزان والقوافي ، تطلق الرصاص على الشعر .. مع الوعي التام المتكامل ، يموت الشعر ، وتنطفئ كلّ جذوة متقدة فيه .. إذا لم نخلع قبل التداخل مع سحره ، كلّ تفاصيل اليقظة الحادة ، نقتله .. الشعر فضاء مفتوح على تلك النقطة الفاصلة بين الوعي في اكتماله ، والغياب في تمامه .. لذلك ترين يا عصفورة الشعر ، كيف سلخوا جلد الشعر ، ثم سلموا ما تبقى منه إلى مصانع التعليب .. ما عدنا في هذا الزمن نشمّ رائحة النعنع في الشعر ، عطر الوردة ، عطر الهواء النظيف . هل أحاول أن أقف ومعي شفرة النقد أمام ما يقال من شعر ؟؟ تدركين يا عصفورة الشعر أنني لا أريد أن أذبح الشعر، ولا أن أريق دم الكلام . لكن علي ، وأظنك إلىجانبي ، أن أقف في وجه كلّ الشعر الذي أدار ظهره للشعر .. هذا الشعر الذي أعلن الاستقالة رغم كلّ الدواوين التي تطبع .. الشعر يا ليلى يجب أن يبقى على وحدة الحالة ، لأنه لا يجوز بأي شكل أن نفصل الوردة عن عطرها، والشمس عن

ضوئها ..ليلى ، لا تحاولي وأنتِ تقرئين سطوري هذه أن تفصلي بين ذاتك وذاتي ، لأن الذاتين تداخلتا أو انصهرتا في ذات واحدة .. كوني في مرآتي، كما أكون في مرآتك .. وتعلمين يا عصفورة الشعر أنّ المرآة التي أعني لا تخرج عن كونها الكينونة كلها في أناي ، في داخلي.. أريد أن تتشكل الكتابة نبضاً متواصلاً .. وأول ما أسعى إليه ، يرتبط هذا الارتباط الحاد بجعل الكتابة شلالاً يحاول أن يكسر الحواجز كما قلت . ولا أدري إن كان بوحي هذا ، قد استطاع أن يعبر عما أعنيه ..

أعلن للمرة الألف أنني أحببت حتى ما عاد بإمكاني أن أصف الحب في جملة تكفي لأن تقول الحب .. عندما تكون التجربة ضيقة ، تصبح التعاريف أسهل وأبسط . رغم ذلك أقول مع الكثيرين إنّ الحب يملك الإنسان ويحول مجرى حياته .. لكن مثل هذا التعريف يشبه حبة المسكّن. أحار أحياناً وأقف مثل إشارة استفهام .

في لقاء نشر في واحدة من المجلات ، سألتني الصديقة هالة نحلاوي عن الحب ، أذكر أنني

قلت: ((الأنثى التي أحبها قريبة إلى حد الاحتراق ، بعيدة إلى حدّ المستحيل .. تعصرني عند كلّ مفترق ، تقتلني عند كلّ زاوية من زوايا النسيان .. هي سري الذي أشهد أنه يذبحني .. لها تشكلت قصيدة ـ طائر الليلك المستحيل ـ هذه القصيدة التي تقول كلّ الأشياء دفعة واحدة ، ولا تقول شيئاً .. الحب هنا مثل كلّ الفصول ، مثل كلّ المواعيد ، مثل كلّ الحكايات ، وحين تقترب الأصابع منه لا تستطيع أن تقبض على شيء .. لا أحد يعرف سرّ حبي ، إلا تلك التي أحبها ، وفي قمة معرفتها لهذا الحب تستدير وتمضي لتتركني وحيداً .. إنها طائر الليلك المستحيل)) .. وعندما سألتني هالة سؤالاً يتعلق بالذات، قلت ((أنا بسيط كالماء ، صعب كالمستحيل .. طموحي لا يحد، وبساطتي لا تحد .. أكتب في كلّ حين . وتمر أيام كثيرة لا أكتب فيها شيئاً.. أحب الناس إلى حدّ العشق .. أحب الحياة والجمال .. مليء بالتفاؤل .. في داخلي طفل لا يريد أن يكبر .. أحياناً أعيش حالتي الفرح والحزن في وقت واحد ، وهي من أشدّ الحالات إرباكاً وتعقيداً . بعض المواقف تبكيني فلا أخجل من دموعي وإن

تجاوزت الأربعين بسنتين .. بعض المواقف تضحكني ولا أخجل من ضحكاتي التي تملأ الزمان والمكان.. قدرتي على الكتابة هائلة .. أنا إنسان مسكون بالكتابة .. لا يصعب عليّ شيء .. كثيرون يقفون حائرين أمام هذا النوع أو ذاك من الكتابة .. أنا أحب كلّ الأنواع الأدبية وأعشقها وأكتب فيها . عندي جوع هائل لكلّ إبداع .. أقرأ .. أسمع .. أعيش . مشكلتي أنني أحتاج لمن يفهمني بشكل صحيح ، من يفهم خجلي وجرأتي . من يفهم تركيبة المبدع داخلي ، هذه التركيبة الغنية . ولأنّ كثيرين لا يفهمون هذه التركيبة ، أشعر بالغربة كثيراً . لكن تنقذني طفولتي دائماً فأعود إلى التواؤم مع الحياة.. مع الابتسامة .. مع إشراقة الشمس .. وبعد : هذا أنا)) .. وقد التقطت الشاعرة المغربية حبيبة الصوفي قولي ((أنا بسيط كالماء ، صعب كالمستحيل)) فقالت :

كالماء سهلُ وعذبُ كالمستحيلات صعبُ

كالروح عمقاً وسحراً كـالقلب نبضك حبُّ

كالشعر تكشف دنيا كالنثر سحرك عجب

لعمري سهلك صعب وأنــت عندي أحبُّ

ما أردت يا عصــفورة الشــعر أن أصل إلى ما وصـلت إليه .. لكن كما قلت لك أحـاول الخـروج عن أي قاعدة .. ربما ما زالت الزهـرة في القلب تماماً .. وربما كان علي أن أقول أكـثر .. لكن آن للحـــــــــــــــــــــــــبر أن يتوقف ..

زمن البوح الثاني
" لغة الصمت "

حين تصلب قلب العالم ، آلهة الحب تشي بدمعها إلى غابات تضفر الكآبة لأن الإنسان ضيع مكان قلبه الحقيقي، تدلت ضفائر الشعر تعبث بأوراق الصفصاف الشاحبة .. وعطرها يتهدل على جنبات التراب الدامع.. هل أبقى غريبة وزفرات الجفاف تغني حزنها في شرود صمتي ؟ . على أصابع ناي كان الصدى البعيد يترك لحنه العنان لأغصان الروح الذابلة .. رشق الحروف غرد لوعد قادم من فراغات الضباب .. رشرشني عطر شِعرك فأفاق المجهول المتربص . زحزحت قسوته وراء أبعد أفق .. لأحيا من جديد ..

ذاك هديل بلبل كموشحات تغزل فرح جزر حب اسطورية فصنعنا نفينا عن هذا العالم .

وألقينا حركة الصخب . هل أزف وقت عبقر ليعود من صومعته السحرية المجهولة ؟ .. صوتك الرخيم يعرفه قلبي .. شاردة في شرود شغافه .. وهومان شجن الروح يعتلي أقواس ضباب هلامي تركن فيه الشمس على خاصرة الغروب ..

هل تستطيع خصل الشمس الواهنة أن تضم عبيرنا السري .. تتابع خطواتي الراجفة تعرجات تراب الزمن الغباري .. وأتابع فراشات الشوق لأن غابات الحب مسيجة بمواكب العشاق الغادية والآتية .. لمَ تركوني وحيدة .. هل هناك شيء أكثر صعوبة من الحب والنفري ـ القائل :

" أهل المؤانسة .. أهل السر .
أهل السر .. أهل الحب .
أهل الحب .. أهل الخطر

2/7/1997

زمن البوح الثاني
ذهول البوح .. بوح الذهول ..

من الصــعب أن نغسل ضــلوع الياســمين بما تبقّى لنا من حلم .. ومن الصـــعب أن نصـــطاد عصافير الـروح بما لـدينا من دمـوع .. فالمسـافة تبقى هي المسـافة في كـلّ حين . لـذلك حـاولت وأنا أصعد درجات الـوقت ، أن أخلع أول ما أخلع ، نعل الالتصــاق بــزمن لا يعــرف طعم اخضــرار الأمـــل.. وكـــان القمر وقتها معلقـــاً على حافة ابتسـامة .. ليس لأنّ القمر لا يعـرف كيف يـدمن الصعود إلى صدري ، ولكن لأنه لا يحسن الغنـاء ..

تلك أول مسـافة ممكنة أدركها البـوح ، فكـانت الأغنية نرجسة الـــــــــــــــــــــــــــــروح ..

لماذا تريدين يا ليلى أن ندوزن خطانا على وقع هذا الشكل أو ذاك .. افتحي كلّ صنابير البوح على ما تريدين من مسافة لا تحدّ .. في النهاية سأتلو في دفتر الذهول المفتوح أنّ عصفورة الشعر ليلى كانت تكتب على شاطئ خفقة مجنونة ، وكانت تصلي على ذراع وردة من باب الحلم.. فكوني معي إن شئتِ أن تكوني، خارج حدود اللغة والوقت والتعريف .. لا أريد أن نكتب مسافة مكتوبة من قبل ، ولا أريد أن نضع الخطوات على درب مطروق آلاف المرات .. لذلك أشعلتُ فتيل الذاكرة خارج حدود التذكّر ، وأسرجتُ أصابعي خارج حدود الانغماس في الأشياء..

لماذا كان عليك يا ليلى أن تكتبي الشعر وأنت تفكرين بالخاطرة .. ولماذا كان عليك أن تكتبي الخاطرة وأنت تفكرين بالشعر .. ؟؟ تظنين الآن أنني أسأل ، وتلك مشكلة .. فأنا لا أسأل يا ليلى ولا أحاول.. لكن سأقول لك في ومضة التجلّي ، ولي : أجمل شيء في الكتابة يتجلى في

الاستغراق دون بروز الانتباه .. وتعرفين أن الاستغراق لا يقبل أي انزياح ذهني .. هناك في كثير من الأحيان حالة من حالات الوقوف على حافة الذهول أو الدخول في كينونة الوجود.. أتدرين ؟؟ أحب أن تشعلي شحنة وجودك في شحنة وجودي ، رغم المسافات .. يكون ذلك في الاستغراق .. الاستغراق يا ليلى صورة لا تشبه أي صورة أخرى ..

مرات عديدة حاولت الخروج من جسدي لأراقب خطواتي .. وفشلت.. يصعب أن تتركي الجسد وأن تغادريه لوقت محدد .. لكنني أذكر الآن وبكلّ الوعي ، أنني حين مات والدي يوم 3 تموز 1991 .. ووقفت أمام جسده .. أمام تسارع مذهل في مرور الصور .. استطعت بشكل ما ، أن أقف خارج جسدي .. وقتها شعرت ، رغم ضاغط الموقف ، بلذة المغامرة.. كان جسد أبي ، وكان جسدي ، وكنت أراقب الجسدين .. لا تستغربي ليلى ، فأنا لا أتوهم حالة ما ، لكنني بكل الوعي أصف واقعاً لمست كلّ جوانبه .. طبعاً ما دمتِ تعرفين الحب الصوفي ،

فلابدّ أن تعرفي شيئاً عن الوصول إلى هذه العتبة ..

الآن وبكلّ التحديق في سرّة المكان ، أستطيع أن أقول إن ليلى مقدسي تريد أن تعرف أكثر عن هذا الداخل في لحم الوقت طلعت سقيرق .. كما أستطيع القول إنني أريد أن أعرف عنك الكثير .. المعرفة يا ليلى لا تكون كاملة في يوم من الأيام .. تدركين أنّ الأوصاف تعنى باصطياد الظاهر .. والظاهر خاضع لقانون التبدل والتغير .. أنا الذي تعرفين الآن ، قد لا أكون كذلك بعد هذا الوقت أو ذاك .. وأنت حين تقرئين كلماتي تشكلين وقع كلماتي حسب حالتك .. الكلمات التي وقعت على السطور وتأبّدت بشكل ما ، هي هي ، لكن هناك حالة القارئ ، حالة المتلقي ، هذا ما يعطي للكلمات شكلها المغاير ، مع أنها لم تتغير.. غداً عندما تضعين يدك في يدي .. هل ستكون كلماتي كما كانت من قبل .. هل سأكون أنا كما كنت من قبل.. وعندما تكسر خطوات كلّ واحد منا الأوراق الذابلة في شارع الوداع.. هل ستبقى ملامح وجهي محافظة على كلّ الخطوط السابقة.. لماذا أقول كلّ ذلك يا ليلى ؟؟ لأنني لا

أريد أن أضع أي حاجز.. صدقيني إن الكلمات تتشكل في رأسي وتسقط مثل مطر لا يعرف غير الانهمار .. لذلك لا أهتم كثيراً إن جاءت المفردات مرتبة أو غير مرتبة.. المهم أن أشكّل التواصل بكلّ جماله ..

أعرف يا ليلى أنك تقشّرين الآن كلّ الأسئلة والأجوبة ، لتعرفي أين أقف في شارع العمر .. معك حق .. لأنني أقوم الآن بهذا الفعل تحديداً .. ولا أدري ما هي النتائج التي سنصل إليها .. لا يهمني كثيراً أن نصل إلى نتائج .. النتائج تذكرني بجو الامتحانات ، وأنا بكلّ صراحة لا أحب الامتحانات .. أتدرين ؟؟ أحب أن تكوني سمكة في بحر العمر .. ربما هو الجنون .. ربما هو الخيال الجامح .. ربما هو التوهّم.. لكن لماذا سمكة ؟؟ البحر يا ليلى أول لغة في قاموس البشرية لا تعرف الحدود .. غريب أمر البحر .. والسمكة حسب اعتقادي لا يمكن أن تعيش خارج خفق القلب..

مع كلّ نقطة جديدة تزداد رائحة الحبر حدّة .. لا أدري إن كنت في لحظة البوح هذه قد سكبتُ شيئاً من جنوني أو شجوني أو فرحي .. كما قلت

لك ألغيت الحدود والسدود والفواصل .. ألغيتُ كلّ شيء وأخذت أرقص رقصة لا أعرف اسماً لها فوق الورق .. كلّ سؤال عن أي خطوة من خطواتي السابقة سيكون وهماً، لأنني لن أخضع لأي سؤال .. في لحظة ما ، كان القلم بين أصابعي ، وكانت السطور بيضاء ، وكنت أضعك في البال .. ربما كان البوح ، وربما كان الصراخ .. لا أدري ما كان .. إنّها السطور النابعة من الداخل مباشرة، وكفى ..

26/7/1997

زمن البوح الثالث
" وجع الكلمة "

رجع كلماتك يغتسل بخرير الســــــــــــؤال ..
" لِم ذوت زهرة الشعر ، وما عدنا في هذا الزمن نشم رائحة النعنع في الشعر ؟ " تتداخل الأسئلة ، وتهتز أشجار الروح ، يتوحد صمت الأسئلة وأنت تقول : " لذلك ترين يا عصفورة الشعر، كيف سلخوا جلد الشعر ثم سلموا ما تبقى منه إلى مصانع التعليب "
هل يشرق جسد القصيدة إلا من خلال غمامات الحلم اللا مرئية ، وهل الشعر إلا تغريد سرية الحرف لزرقة البحر ، ولخضرة غصن ناعم ، ولوهن جسد عاشق ولصلاة ولهٍ صوفي ، ولموقد قلب لا ينطفئ ؟..
الشعر هو بوح سري لخلق حالة ارتعاشات الانبهار، وصلاة دوح للطبيعة في دهشة تجليات المطلق ، لتتناغم مع آلهات الجمال والحب .
هل وصل الشاعر إلى الحضرة الكيانية من اللاوعي ، وعكس حركة الكيان الإنساني ؟ بحيث تغلغل إلى الداخل وفتق الأحاسيس براعمَ ملونة على الورق ؟؟ فالشاعر نشوته اللغة ، وتغريد حرفه جسد الخيال ، وبذلك يجسد الجمال والحب باتحداهما مع الطبيعة على أجنحة زرقة الحلم

الفضفاضة وصناجة الوجد تمتم لعشتار بموسيقا الشعر ..

في هذا الزمن المغبر ، ذبل الشعر بين حقول جافة تفترض نبتات الكلمات أدوات زينة ، وزخرفة غموض، وقد تعرى من الانفعال الأصيل. وتاه في عتمة اللغة ، وزركشة البيان .. وبلاغة الألفاظ ففقد النص سريته الداخلية ، رغم أنه قد يبهر لأول وهلة البعض . أما التراث وقور وجميل ولكنه القيد الذي يشدنا إلى الماضي ، وبذلك لا يجعلنا نحلق في آفاق التجدد والتطور ويمنعنا من خلق روافد له أكثر رقة ونعومة . وأعمق إحساساً بالإنسان ، والشعر دائماً هو الطفل المدلل للحرية . لِم لا نرسم من لغة النص لوحة يشع جمالها في فضاءات أوسع ، فتصبح القصيدة لوحة، أو قصة ، أو رمزاً ، أو أسطورة ؟ .

ألا نستطيع أن نخلق للقصيدة نبض الكون ، وايقاع المشاعر الإنسانية على موسيقا القلب ؟ .. زهرة الشعر يابسة . وعند البعض أقفلتها أطرِ اللغة المقفلة . لذا سوف أزرع نمنمات شِعركَ لربيع لم يزهر بعد .. وإلى طائر مساء .. سيورق

غصـــــــناً على جنبـــــــات الاخضـــــــرار ..
10/7/1997

زمن البوح الثالث
الدخول في الخاص

أتدرين ، ربما هي المرة الأولى ، التي أحاول فيها أن أراقب خطواتي . بمعنى آخر ، أن أتحدث عن الخاص في حياتي ، إذ تعودتُ خلال كلّ اللقاءات الصحفية والإذاعية ، أن أروي ذات المبدع ، ذات الفنان ، ذات الشاعر . أما هذا الجزء الذي نسميه حياتنا الخاصة ، فكان بعيداً عن الطرح ، بعيداً عن البوح . ربما لأنّ للخاص عندنا ، ولا أدري لماذا ، نوعاً من الحرمة . ولأنني صادق مع نفسي أولاً ، ومع الآخرين ثانياً ، فلا أجد في رواية الخاص أي مشكلة . لكن وأعترف ، أن الصعوبة تكمن في السقوط فجأة أمام صورة الأنا ، ليأخذ الواحد في بعثرة محتوياتها ، دون أي إنذار مسبق .. وكأنه ، هكذا بشكل فجائي ، يشعل ضوءاً مبهراً أمام عينين تجوسان في العتمة .. لكن لابأس، مادام علي أن أروي

ذاتي ، في كلمات قليلة قدر المستطاع ، حتى لا أتحول إلى راوٍ يريد أن يطرح أناه في مزاد الكلام الكبير ..

ولدت يا سيدتي ، كما تعلمين ، في الثامن عشر من آذار عام 1953 ، في طرابلس لبنان ، أثناء زيارة والدتي السيدة حورية يونس الخطيب ابنة الشيخ يونس الخطيب لأهلها هناك . ومن ثم عادت بي إلى دمشق ، حيث كان يقيم الوالد محمود حسن سقيرق ، بعد اللجوء من مدينة حيفا في فلسطين عام 1948 .. قبل أن أشرّف سيادتي إلى الدنيا ، كانت أمي قد وضعت بنتا اسمها غادة ماتت صغيرة ، وقبل اصطدامي بهواء الحياة في العام الذي ذكرت .. أمي تقول إن عيناً أصابت البنت الجميلة غادة ، والعلم يقول إنها أصيبت بمرض فكان لها أن رحلت ..

وعيي تفتّح في حي الشيخ محي الدين ، وهو أحد الأحياء الشعبية الدمشقية ، فيه عشت حتى اليفاعة ، وتعلمت ، وعملت في أعمال كثيرة لا تخطر على البال. ذلك أنّ الحي الشعبي مفتوح على كلّ احتمال وجمال . وكان أبي ـ وقد مات قبل عدة سنوات ـ يعمل ميكانيكياً في رحبة

الشرطة ، حيث يقوم بإصلاح أعطال السيارات . ومن غرائب الأمور، أنني حتى الآن ، لا أعرف ، ولم أحاول أن أعرف ، قيادة السيارة . وإذا بقيت في دائرة البيت، فقد أنجبت الوالدة خلال عشر سنوات ، أخين وأختين لي ، وكلهم طبعاً أصغر مني . وهم على التوالي : رجاء ، عصمت ، رأفت ، أمل .. وهذه الأخيرة أصغر مني بعشر سنوات، فهي من مواليد 1963، وربما لمجرد المصادفة ، فإنّ أمي من مواليد 1933 .

كنت منذ صغري شيطاناً في المدرسة والحارة والبيت ، لينقلب الأمر عند كبري إلى هدوء وسكينة . وربما عليّ أن أذكر هنا أن خالين لي ، توفيا، هما بدر ونور الدين الخطيب ، كانا شاعرين .. وأنّ خالين ، هما سيف الدين ويحيى الخطيب عملا في مجال الصحافة .. وأجمل ما أستطيع أن أذكره هنا ، أنّ الوالدة والوالد ، علمانا الحب .. لذلك يندر أن يجد المرء أخوة يتعاملون كتعاملنا كإخوة حتى الآن . فأنا على سبيل المثال ، لا أستطيع وما أزال ، الانقطاع عن زيارة الأهل كلّ اثنين وخميس من كل أسبوع . هذا إلى جانب الأعياد ، وما إلى ذلك . لذلك كانت معنوياتنا وما

زالت رائعة ، وكان الحب وما زال ، زهرة لا تعرف الذبول في حياتنا . طبعاً كلّ إخوتي تزوجوا ، لكن ما زالت علاقاتنا ولقاءاتنا كما كانت .

من جهة المادة ، وإن كنت لا أعيرها كبير اهتمام ، فقد كانت حالتنا المادية وما زالت متوسطة. فبيت أهلي مستأجر ، كذلك بيتي ، وبيوت إخوتي . وللحقيقة يصعب أن تقفز حالة الموظف ، ما دام الراتب محدداً، من حال إلى حال . فهو مرتبط بهذا الراتب الذي يأخذه أول الشهر ، ليصرف على ما يحتاجه على مدار ثلاثين يوماً .

في الجزء الخاص جداً ، أي هذا المتعلق بشخصي، فقد قلت ذات مرة ، وأظنك قرأته في أحد لقاءاتي : أنا سهل كالماء صعب كالمستحيل .. أحياناً أشعر بطفولة غريبة ، وأحياناً بحزن ، وأحياناً بفرح .. انفعالي إلى أبعد حد ، وهادئ إلى أبعد حد .. أرتبك في أمور لا تستدعي الارتباك . وأقف بصلابة أمام أمور تتطلب شجاعة ما بعدها شجاعة .. أحياناً يركبني الخجل ، وأحياناً تكون جرأتي دون حد . لكن في كلّ الحالات ، أحب

الناس ، وإيماني شديد بأنّ الحبّ هو الشيء الوحيد الخالد في الحياة)) .

علاقتي مع الأنثى كانت علاقة جميلة ومتعددة منذ صغري .ربما أحببتُ كثيرات .. وكان من أصبحت زوجتي واحدة منهن ، وهي تعرف أنني كنتُ أحب هذه وتلك ، وأنني أكتب الشعر للكثيرات .. وأنّ فتيات الحارة ، ثم الجامعة ، كنّ حولي دائماً .. لكن علاقتي بها استمرت ست سنوات ، كان بيتها في الحارة في الشيخ محي الدين مواجهاً لبيتنا .. وبعد ست سنوات أصبحت السيدة إنعام محمدية زوجتي .. ولا أدعي أنني أضربتُ عن الحب ، إذ للشاعر على ما يبدو ، قلب لا يعرف أن يتوقف عن النبض مع كلّ جمال . لكن وبصدق ، كان عليّ أن أحترم مشاعرها ، فما حاولت في يوم من الأيام ، أن تؤثر أي علاقة على منزلي .. بقي الأمر بعيداً عن البيت . لأنني مؤمن بأنّ بيت الزوجية ، هو بيت الزوجة ، ولا يحق للزوج بأي شكل من الأشكال أن يمس كرامة زوجته .. ومن جهتها احترمت ، أو لنقل فهمت طبيعة هذا الشاعر الطفل الذي لا يريد أن يكبر . فأغمضت العين عن الكثير ، ما دام

الشاعر المشاغب لا يمس كرامة البيت. وما كان لها طبعاً أن تقف في وجه الرسائل والمكالمات الكثيرة ، لأن طبيعة العمل الصحفي تقتضي ذلك ، ولأن الشاعر ـ ويا سبحان الله ـ لا يستطيع أن يتخلى عن جمال الأنثى . وإن تخلى ، فمن لهذا الجمال الفتان يرعاه ويتعهده بالغزل والتغني .. وكما قلت، بقيت محافظاً ، وما أزال ، على كرامة الزوجة ، إذ ما حاولت في يوم من الأيام أن أقترب بأي علاقة من محيط البيت .. مع أن أكثر العلاقات لا تتجاوز معنى الصداقة والزمالة ، ولا أدعي أنها كلها كذلك .. ما دمت أحاول البوح الصريح ..

البيت الذي أسكن فيه في مخيم اليرموك / شارع 15 / مؤلف من غرفتين ، وصالون صغير ، طبعاً أصبح لا يستوعب العائلة كما يجب .. لكنه على كلّ حال ، ما زال بيتاً بالأجرة وهو المتاح في ظروف الوظيفة كما قلت . واحدة من الغرفتين للنوم ، والأخرى تضمّ مكتبتي ومكتبي إلى جانب بعض الكنبات لاستقبال الضيوف والأصدقاء ..

أولادي ثلاثة ، الكبرى سهير وهي الآن في الحادي عشر ثانوي ، والثاني محمود وهو في

الأول الإعدادي، والثالثة ديما في الثالث الابتدائي.. وربما عليّ أن أذكر أنّ زوجتي من مواليد 1959 .. وأنّ زواجنا مضى عليه ، خمسة عشر عاماً ..

هل هناك شيء لم أتحدث عنه .. تقول الصفات في الهوية : الموطن الأصلي حيفا .. لون الوجه حنطي .. لون العينين بني / الأصح عسلي / العلامات المميزة شامة على الخد الأيسر / وأضيف الكثير من الشيب في الرأس / الطول 182 سم .. وماذا بعد ؟؟ .. لا أظن أنني تركت شيئاً.. وإن تركت فلكِ أن تسألي ..

دمشق في

11/5/1997

زمن الرابع

" نقطة ضوء "

" لم أدرِ من أهوى ولا أعرف اسمه .. لم أدرِ من هذا الذي ضمه صدري " ؟ ـ ابن عربي ـ

الفن أتاح لنا التعرف على أنفسنا في هذا العالم المتخم : بالعنف ، والفوضى ، والعبث

والضياع. والمادة . وسنابل الزمن ترسم قوس قزح على بعض الوجوه المفعمة بصفاء المحبة. لذا طفولة قلبي هادئة تنساب فوق نقاء مياه زمردية الخضرة تخطط هامات الجبال من خمرة الأزهار وترشف نخب القمر .

شفافية الليل تسترخي على أضلع الرمال ، وأقحوان حروفك المضفورة يقول :

ـ حين سُئلت عن الحب أجبتُ : " الانثى التي أحبها قريبة إلى حد الاحتراق ، بعيدة إلى حد المستحيل، تعصرني عند كل مفترق " هذا العشق المتفرد وجدت فيه تجاوزاً لأشكال الحب في الوجود . فالحب ـ هو المحرر الأول للإنسان ، وهو الذي يوصلنا إلى جوهر الإنسان وطبيعته الخفية ، والحب لديّ نقطة ضوء تولد اشراقاً ، وهو الطفل الذي لا يكبر أبداً في أعماقي . هذه النقطة تجعلني عاشقة سرمدية ككاهنات المعابد الاغريقية .

ـ لولا الحب لانتفت أسباب الحياة ـ ففي الحب يكون الواحد تجلياً للآخر تعال .. نتداخل في الحلم ، ننزلق بين أجفانه ، ليرفرف بنا في

فضاءات تستحم بالبياض على شواطئ المستحيل..
وايقاع ـ الشبلي ـ كما ايقاع حوريات البحر لموسيقا موج عاشق : " ذكر المحبة يا مولاي أسكرني
وهل رأيت محباً غير سكران

22/7/1997

زمن البوح الرابع
ضوء آخر

ليلى كان لابدّ من لحظة وجد كي نغسل بالضوء أجسادنا وأرواحنا ودفقة القلب .. هل جربتِ في صباح الورد أن تعيدي إلى الساعة شيئاً مما تسرّب من وقت ؟؟ .. يبدو الأمر مضحكاً أحياناً ، فالساعة التي تنقط الوقت على الرصيف ، لا تترك لنا فسحة من زمن كي نعيد إلى الوردة ظلّها ، وإلى القلب نبضه ..

كنتُ أنتظر رسالتك حين رنّ جرس القلب معلناً بدء النشيد .. في حركة الشارع ساكنتني الأغنيات التي تختلف بالتأكيد عن وقع الشارع الحقيقي .. أحياناً يكون شعورنا هو المبتدأ والخبر ، وتكون أحاسيسنا هي المرجع الوحيد الذي لا يمكن الاعتماد على سواه ..

ليلى ذات مرة قلت ، وكنت أجيب : ((الأنثى التي أحبها قريبة إلى حدّ الاحتراق ، بعيدة إلى حدّ المستحيل، تعصرني عند كلّ مفترق)) وتلك هي الحكاية باختصار شديد، الحب هو هذا التسرّب

الأبدي لكلّ ما نظنّ أننا نملك نصف جسده .. وتسألينني كم مرة أحببت؟؟ آه يا ليلى ما أصعب السؤال والجواب .. لا أعرف أنني عشت يوماً من أيام عمري دون حب .. ولا أعرف أنني كتبت قصيدة واحدة بمعزل عن الحب.. تلك مشكلتي الجميلة.. حتى الشعر الذي كتبته للوطن ، لم يكن بعيداً عن الحب ، لذلك كثيراً ما قيل إنّ الوطن يظهر في شعري كحبيبة تمدّ شعرها على طول السطور ..

عندما تقولين لي : ((أنت الصديق الوحيد في العالم الذي يعرف كيف يدخل كلّ جزء من حياتي ، لأنني أثق بك كلّ الثقة)) .. أرتبك .. أجل أرتبك يا ليلى وأضيع .. أخاف من هذا الكم الرائع الذي تضعينه زهوراً في درب عمري .. أخاف أن يطول الطريق فأسقط قبل أن نكمل المشوار معاً .. وعندما تكون يدي في يد حبيبة أو صديقة ، أخاف من بحة ناي تجرح عتمة الليل .. ولا أدري لماذا كان عليّ دائماً أن أعيد أشجار الوقت إلى رصيف العمر .. لماذا كان عليّ أن أداخل ضلوعي كي أداخل جسد المكان..

وتسألين : هل رأيتَ محباً غير سكران ؟؟ ..لا أدري يا ليلى كيف يكون الجواب إذا كان السائل والمجيب في حالة وجد لا حدّ لها ..

أعيدي للوقت وقته كي أجيب .. وللجسد صحوه كي أقول .. تعرفين أنّ حالة الوجد تسرق كلّ ما في اليد من زمن .. وحالة الحب تسحب كلّ حدود الكلام والصمت ..

أحبك .. تحبينني ؟؟ أحياناً يشبه المطر لحظة ضوء خاطفة .. وأحياناً تشبه الساعة في معصم الريح سراباً لا يشبه السراب .. أنا معك أنّ الحب إيقاع في زمن الغرابة .. لكنني كثيراً ما أصر أنّ الحبّ وقوف على حافة الفراغ الجميل اللذيذ الأخّاذ .. حالة يصعب وصفها أو سكب الكلمات على مقاس جسدها .. حالة نكون فيها أو لا نكون .. نغيب فيها في كلّ مرة مرتين .. لذلك كان الحب تجاوزاً لأشكال المستحيل والبعيد والقريب .. وكلّما زرعت يدك في جسد الحبّ تخرج مسكونة بكلّ ما في الدنيا من ضوء ونور ولمعان ..

أريد حبك ، لكن في نقطة هذا الحب ، أريد تجاوزاً للحب .. أريد مسافة تلغي التعريف

والتوصيف .. الحبّ لا يشبه في لحظة الغياب أي حب .. والحب لا يشبه في دفقة الوجد أي وجد .. قليل من الوقت وتدق الساعة على جدار الروح صرخة النداء ، فأطلّي من بوابة الحلم لنسبق ما تبقى من زمن ..

زمن البوح الخامس
" خصل الوجد "

" شربنا على ذكر الحبيب مدامة
سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
((ابن الفارض))

سرقت حروفك رموش الياسمين لتغزل رعشِ القلب، رغم أن هذا القلب المنزوي يظمأ دائماً إلى الأشياء التي لم تخلق بعد ..

دائماً أجنح خلف صدر أفق موجع ، وناي الحب كمزمار راعٍ حزين.. نعاس الحلم في صدري الواجف، بلا وعد .. بلا لقاء .. بلا أغنية ..

لم أعرفك بعد .. ولكن حضورك وهج الحلم على شجر الروح ، أحاول أن أتلمسه فيذوب كالشمع على أصابعي المرتعشة . زهراتك المجهولة نسيت حزن البنفسج وبقيت تحوم حول زورق العشق العابر .. ربما حلمنا يدخل مملكة الأزل .

ـ هل أحلام العشاق تدوم إلى الأبد ؟ ..

أصمت دائماً لأنهم لا يفهمونني ، والجوع الروحي جعلهم يحسون : بالخوف والمرض ، والقلق، من وجودهم ذاته .

شرانق صمتي تحوم لتنسج سراديبَ للنحلة الدؤوب في ذاتي .

لِم دائماً تبدع الجمال من دروب ـ عبقر ـ الملهمة، وقد غفا إله الشعر الوديع بين مشاعرك الإنسانية ، والأحاسيس مسافرة في مغامرة الآتي .

تتسلل سلافة حروفك إلى أيامي الخاوية فتجددها وتنبت حولها ذهول المعنى .. تغيب

لمسات الفتنة في البياض الوحشي ، زمني لا حدود له لأني لن أقع في شرك المنفى ..
صلوات ملائكية تلون أعشاب الأرض حولنا بلون الوجد الأرجواني وخصل الغمام الوردية من حروفنا تظلل الآتي بوعد قد لا يتم ..
ستبقى طائراً غريداً فوق مروج الروح ، وقد توجتك حلماً للضباب .. وحاورتك من بين فجوات الغيوم .. كنور تلصص على غابات الاخضرار ..
28/7/1997

في الزمن الخامس
للوجد عمري

كان لابدّ من بوح الياسمين كي نعرف إلى أي حد يستطيع العاشق أن يضبط إيقاع قلبه على وقع الموسيقى التي تذوب في حالة ذهول .. كأنك كنت تقبضين ذات صباح على جمرة الوجد حين رحت تهزين شجر الكلام في طريق حبيبين

كان ذراع كلّ واحد منهما عصفور العشق لخاصرة الآخر .. وحين أينع الكلام ارتسمت على الوجه ضحكة باتساع العالم.. لماذا تصرين على الإمساك بمزمار الراعي الحزين؟؟

إذا كان حضوري وهج حلم ، فكوني عرس صلاة تسقي الكون أروع الألحان .. الشعر يا سيدتي لا يطفئ اللحظة المسكونة بوعد يشبه اليقين.. لكن حين يكون الشعر ورقة توت ، تظهر عورة الريح جرحاً لا يدمن غير البكاء .. لذلك أحبّ الشعر جنوناً بين لحظتين ، وذهولاً بين دفقتين ، ودخولاً بين راحتين من حبق مجنون لا يعرف الانطفاء ..

أحياناً يشدّ الوتر الصمت فتصرخ ساحة السكون لتسجّل في أذن الوقت أنّ النحلة لا تحوم في فراغ .. لماذا نهرب من الوجد إلى الوجد ؟ لماذا نغسل خفقة القلب بخفقة القلب ؟ ولماذا حين نسرج حصان الريح ، تكون المسافات رغم اتساعها ورقة من وردة حمراء تشبه الحلم ..؟؟

أعرف أنّ الحوار بيننا يتسع كلّما أغلقت كأس الروح أصابعها على خفقة القلب ورسمت طائراً

ريشه من نور وخيال .. لا أدري لماذا تسرقني اللحظة مني فأبحث دائماً عن مكان في وجد المكان .. ؟؟..

هل كنت ليلى أقرب مني إلى جدار الحلم ، فأينع الوقت نشيد غرام يستطيع أن يسبق كلّ ما في الوجد من وجد ؟ أعيدي إليّ الوقت فقد تعبت من اللهاث في الفراغ ، وكوني مع كلّ ثانية حلماً أو حضوراً أو زهرة لا تعرف الذبول ..

زمن البوح السادس
" زهرة صخرة "

" خذ حبيبي بقية ما أبقيت من رمق
فلا خير في الحب إن أبقى على المهج
"

ابن
الفارض

غاباتك تتداخل بين أغصان الغيد الحسان ، على أصابعك ضمامات الزنبق فتثمل الشفاه من كؤوس الشعر .. تغص أوراق الحور من سجع شِعرك فترسم تلافيف الرؤى على خد خزامى مبلل الأردان .

الغيوم بدأت تبدل ألوانها ، ربما أحلامنا لن تنتهي..

وحروفنا كانت تذوب في جدول جارٍ ، ثم أصبحت إيقاعاً للبحر الهادر على صدر أمواج الزرقة تضم ابتسامات الزبد المعربد .

مبثوث الفرح يخترق مسافة البعد ، وكلّ ندف البياض على أيامنا تنهل من خجل عطر الياسمين .. ربما أغمض جفنيه لأنه نسي العطر على دفاترنا ؟ ..

لِم تحاول أن تزهر الصخرة ؟ ..

كل من حولي يتهاوى إلى قعر الأودية ويكتفي بالصدى ، ولكنك تملأ جباه الجبال بسلال عناقيد تتدلى خمورها على شفاه التربة الافريقية السمرة .

كل يحاول أن يحصد الفرح من أيامي ، إلا أنت ترسم أحلاماً مرمرية لاشراقات الياقوت ، تدثرني عباءة الذبول ولكنك تجعلني أحيا حياة الحياة طالما أن الروح متقدة في مواقد المعاناة ، والحب طمر في جرن الظلام..

نغيب ونغيب في بياض رؤى الزرقة البنفسجية ، حيث لا حدود للزمان والمكان . قد تطول وتطول ساعات السكر مع عبق زيزفون الروح وخمرة الحرف كأس حب ثمل ..

أشـــيع الدمعة الأخـــيرة ، فـــالحب هو ذاك المجهول المرئي الهـارب أبـداً مـني ..

2/8/1997

في الزمن السادس
الزهرة والناي

ليلى ثم ليلى وشيء من كلام ..
أشرع بقية الناي ، فتضحك موسيقى القلب رغم ما في العمر من ذهول.. هل حقاً زرعتِ الشمس على كفِّ الصباح فضحكت وردة الحلم وصلّت لشجر الشعر صلاة أمل ووجد وعنفوان ؟؟..
هل تزهر الصخرة حقاً ؟؟.. أعيدي ترتيب الحكاية كي تكون الزهرة أكبر من كلّ الصخور ، وكي تكون الصخرة جذع حلم يستطيع أن يكون دافئاً ليناً كلما تدفق مطر الكلام من سماء الوقت القريب .. ولا تقولي لماذا علينا أن نحب ؟ لماذا علينا أن نعشق ؟ لماذا علينا أن نملأ الكون بزهر القلوب ؟؟ بل قولي إنّ أجمل وقت في ساحة الوقت أن نلغي دقائق الزمن من ساعة على جدار ..

تزرع كلماتك شاطئ عمري بكلّ ما في الورد من عطر .. وأحاول دائماً أن أسيج القلب بنداء لا يفتر ، فتضحك زهور الوعد ، وتشرق ورود العهد، وأكون في يديك زهرة وقت يذهل الوقت . غريب أمر المحب إن أحب ، وغريب أمر العاشق إن عشق ، وغريب أمر القلب حين يراقص كلّ الخفق في سكرة تمتدّ حتى آخر المشوار ..

صعب يا ليلى أن أحصد الفرح كما يفعل الآخرون.. صعب أن أسرق من زهرة الوقت أجمل الألحان .. لذلك أتيتُ حين أتيت كي أعطيك ما تريدين من شجر ونور وعنفوان لقاء .. ولن أرضى ذات يوم أن يدقّ الذبول على باب عمرك، لأنّ قلبي لن يسمح أن تعكر صفو الندهة البكر صرخة فوضى .. ولا تسحبي على سراج الوقت دمعة أو رعشة بكاء . فالعمر الذي نمشيه سيكون لنا ، ولن يكون خارج حدود أحلامنا .. كوني ذاتي وأشرقي في ندائي .. ولا تضيعي الزمن في لهاث لا معنى له .. هل سمعتِ نشيد عمري ؟؟ إذن أعيدي ضبط الوقت على ساعة حبي التي تدور معلنة أنّ العمر لا يمكن أن ينام خارج لحظة الصحو الجميل ..

البوح السابع
" قهر صموت "

الشاعر الصيني ـ أنون ـ والذي وجد في طائر ـ البوم ـ رمزاً للحكمة والمعرفة قال ـ بوم حكيم جلس فوق سنديانة .

رأى كثيراً .. فتحدث قليلاً ، وكلما رأى أكثر .. كلما صمت أكثر ، وكلما صمت أكثر .. كلما سمع أكثر ، لماذا لا نكون مثل هذا الطائر القديم الحكيم ؟ .

ترانا غرباء عن أفكار وتقاليد وآراء الناس في هذا العالم المنطفئ . والخطر الذي يكمن حول المبدع أن إبداعه يجعله يسمو ويرتقي ويعاني أكثر .. لذلك يصدر الآخر بحقه فتوى وقراراً وحكماً جائراً ، لأنه يسعى ليخلق حالة انسجام

بين ذاته الموروثة مع ذاته المبدعة والمتفردة . فيحس المبدع بشعور السجين في ذهنه وجسده ويرى البشر من حوله أرواح ضائعة قاسية ، وقد يسميه البعض غرور الفنان ، أما أنا أسميه ـ أصالة الفنان ـ وفرديته .

ويكون في داخله مشاكسة طفولية في تمرده على كل آراء وأفعال متوارثة وقد اهترأت بفعل الزمن ، فيحاول بقلمه وفكره أن يخلق مفاهيمَ أكثر إشراقاً وأعمق تطوراً ضمن مساحة من الحرية ـ الذاتية . والفكرية . والاجتماعية. وحين يعيد إلى هذه الرواسم البهاء بكشف أكثر إشراقاً يقع في متاهة لأنه يترتب على الآخرين في نظره أن يشاطروه مشاعره وأحاسيسه ونبله وصدقه ، ويكونوا أكثر إنسانية ، فيحس بالمعاناة مع من يتعامل معهم حتى مع أقرب الناس إليه ، لأن أفكاره لا تنسجم معهم ، ومعتقداته ومبادئه لا تلائمهم ، لأنه يكسر قيماً ليخلق القيم الأفضل والتي لا يألفها البشر ، فيغدو بنظرهم ـ مغروراً ، منفياً ، متعالياً .

هذه النرجسية البريئة في ذاته تؤدي إلى مقته وكرهه وحسده . وهذا التعمق في وحدته الذاتية

طبيعي جداً لأنه لا يفصل بين الحياة والفكر،ففنه هو انعكاس لحياته على أحاسيسه وأفكاره ، خاصة في هذا العصر الضيق والمذبوح على أعمدة ، المادة ، والمصلحة ، والمظاهر الخارجية . والأفكار المستوردة والتقليد الأعمى . والكثير يمارس الأطر الخارجية للمجاملة ، والنفاق . لهذا يكون الفنان الصادق والمتوحد مع أفكاره وكتابته وسلوكه موضع ملاحقة الآخرين له لإحساسهم بالنقص في داخلهم ..

وما أكثر الأمراض النفسية المتفشية في مجتمع يرزح تحت عناكب الجهل والتخلف لذا هذا العالم يحتوي أكثر مما نستطيع احتماله . ولكن لابد أن يتلاشى الذين لا جدوى فيهم وأكثرهم من الثرثارين، والأ نانيين ، والماديين . فالحرية والشعر يبعدانا عن العالم ، ولذا ينعت العبقري بأنه مجنون . لأن المشكلة التي نواجهها ونشقى بها دائماً أن وعينا غير منسجم مع الواقع وغير مألوف من عامة الناس .

أما الانتماء فأيضاً مشكلة ، لأنني لم أختر ـ ديني. ولا أهلي . ولا اسمي ، ولا أرضي . إنما أنا حصيلة باهتة لوجهات نظر الآخرين . حتى في

كثير من الأحيان لا أنظر بعيني بل أنظر بعيون الآخرين المدقوقة في اللاوعي ..

15/9/1997

في الزمن السابع
الفن والذات

سأحاول مداخلة الكلام عن الفن والذات من خلال قراءة شعري لا شعر سواي ، فلا تستغربي إن كان الفنان فينا مصراً على وضع بصمته في كلّ خطوة من الخطوات .. وأصدقك القول : لا يهمني في كثير أو قليل ، أن يأخذ الآخرون في ملاحقة خطواتي وأنفاسي ووقع تدفقي على

الدرب الطويل . ذلك أنّ الناس بين اثنين : محب يطربه الفن فيصفق من القلب لكلّ نشيد جميل ، ويكاد يرقص لكلّ لحن أخاذ .. وكاره يأكل الحسد قلبه ، وتنهش الغيرة صدره ، وإن حاول أن يرسم على الشفتين ابتسامة لا تشبه الابتسام .. وفي الحقيقة فأنا أكتب للأول وأشعل أصابعي وعمري من أجله ، وأتجاوز الثاني مدركاً أنه لا يستطيع مهما حاول أن يكون غير ما هو عليه ..

الفن يا ليلى نشوة وخمرة وصلاة .. نعرف كلّما أمعنا في دراسة الفن، أن لا شيء يمكن أن يشكل البديل .. لذلك نعزف صوتنا في دروب الحياة، ونغني أشواقنا في الطريق إلى سدّةِ الذهول الجميل .. ومهما قست قلوب الحاسدين الناقمين ، فلن توقف تدفقنا وصوتنا وصورة رقص الينابيع على الورق .. تدركين أن خمرة الكاتب تسكره فلا يصحو ، وتأخذه فلا يقف عند أي حد من الحدود .. تذكرين قولي :

عمري و ما عمري سوى أحلى ترانيم الهوى
لا أرتوي إلاّ إ ذا نبضي من العشق ارتوى
تاج الغرام ملكته قلبي على العرش استوى

وقولي :

غيبتُ وجهي بين صدركِ
والسماءْ ..
ونشرت قلبي
في فضائكِ والفضاءْ
وإذا تواترت الحكايا
كنتُ بينك والمرايا
زهرةً في كوب ماءْ

وقولي : كم من مطرْ
كمْ من صورْ
والريح تصطاد السّحرْ
قلبي انهمرْ
عينا كِ أم ضوء القمرْ
ضاع الخبرْ ..

الفن في كلّ ذلك .. وذاتي في كلّ ذلك .. يصعب الفصل والبتر .. فأنا الكلام ، والكلام أنا ، ويبقى الفن حين يكون جميلاً أروع من أي شيء آخر في العالم . حاولي أن تعيدي قراءة الكلام .. كلّ حرف يطرز الروح بأجمل الألحان .. كلّ حرف يعطي الوقت معنى الدخول في الوقت ..

هناك من يسمع هذا الشعر ويرقص مع دفئه ، ذاك إنسان كان أكبر من فاصلة الجسد . وهناك من يسمع فيقطر وجهه سماً وحقداً ، ذاك مخلوق ما استطاع أن يبقي الإنسان في داخله . بين هذا وذاك مسافة .. الجمال يجب أن يشدّ الإنسان ويأخذه إليه . بينما لا يستطيع من سقطت ملامحه في مستنقع الحقد أن يحب الجمال والخير وكلّ ما هو استثنائي .. ودائماً تتكرر مثل هذه الصور .. في كلّ زمان ومكان .. لكن الفن الجميل يبقى رغم أنف الحاقد الحاسد ، لأنّ الفن أكبر من قانون الزمن والفناء .. لذلك أميل دائماً إلى إعطاء الفن كلّ ذاتي ، ولن أغير شكل خطواتي من أجل حاقد أو حاسد ، فأنا أكتب وأبدع للذين يحبون الحياة ، ويعشقون الجمال..

البوح الثامن
" نشوة الوهم "

" من سقط في عشق المعنى صار دموعاً للإنسان "

قرر البعض أن الحب الرومانتيكي وهمٌ ، ربما تناسوا أن ما نتخيله وهماً أو حلماً قد يكون في بعض الأحيان حدساً في الممكن ، أو أنه رؤيا تكمن فيها بذرة الخلق . فالحب الرومانتيكي هو ذاك البوح اللاواعي الذي يتذبذب خافتاً على ارتعاشات الروح . وتبقى اختلاجة دمعة الحزن صامتة.

هذا الحب يشكل حالة الكتابة المتلهفة والتي نتواصل بها مع محبوب غير مرئي والاتصال به لا لشخصه فقط ، إنما لحالة الاشراق والنشوة التي يخلقها لنا . لأن الحب ليس له فعل الثبات ، ولا يحدد بشيء . إنه الحالة الدائمة للحركة والتحول والتي تولد حالات غيبية فيما وراء اللا شعور لأنه يؤثر في المشاعر ، ويجمد الفكر . أما المشاعر

في الكتابة تشبه لغة الموسيقا السرية التي لا نفهمها إنما نتواصل معها . فالشاعر يحترق كما المحب يحترق . وهما دائما الاحتراق كالفراشة العاشقة للنور ..

احترق اراغون بعيون اليزا .. واحترق قيس بعيون ليلى . واحترق الصوفي بعيون الله . وكما يحتفظ الشاعر بمعنى علاقته الحية مع الحبيبة الرمز . كذلك يبقى في حالة هيمان دائمة بين الجنون . والحلم . والكتابة. لأن الكتابة تحول وهم الحب إلى معنى وتحول حبر الورق إلى حبق بين رموش الاخضرار .

واعتبر البعض الجنون في بعض حالاته هرباً من الحياة العادية . وفي الاعتقادات القديمة أن المجانين قد مسهم الإلهام . وفي معظم الأحيان هم: أهل النبوة والحكمة والشعر.

أما شكسبير فقد قال : المجنون . العاشق . الشاعر.جميعهم مصنوعون من الخيال .

15/1/1998

في الزمن الثامن
نشوة الوصول ..

تلك قامتي أزرعها في مسافة الذكرى فتجوع لبقية من سؤال .. وأزرعها في زبد الفوضى فتورق على الشاطئ حلماً من خيال .. وأنسى في لحظة الوجد أن أكتب على ورقة الصمت أنّ روحي ما عادت تتسع لغير الحب..

هل يكون الحبّ الرومانسي وهماً ؟؟ هل يعني ذلك أن نمدّ الشبك لنصطاد السمك السابح في الهواء ؟؟ .. يصعب أن نغلق الباب على كلّ ما كان من حب رومانسي بدعوى ترتجل الأحكام في غياب من يطلق الأحكام عن خوض التجربة حتى الاشتعال .. لا تسألي من لا يعرف الحب عن متعة العشق ، ولا تسألي من لا يعرف الجمال

عن روعة العطر في وردة .. فالكلام من فم إنسان ذابل لن يكون غير كلام ذابل !! لذلك حاولي أن تفهمي الجرح من صاحب الجرح ، ونغمة الناي من إنسان أدمن الالتصاق بثغر الناي.. كلّ شيء لا يكون خارج معناه ، ولا يكون خارج مجراه ..

لا يهم كثيراً أن يكون الحبّ وصفاً على شفة باردة، أو تعريفاً في سطور جافة . إذ يعرف المحب من لمسة الحرف، إن كان صاحب الكلام عاشقاً أم مجرد راقص فاشل في زمن لا يناسب روحه ، وفي وقت لا يناسب جسده ، وعلى موسيقى لا يفهم شيئاً من وقعها ودفقها وجنونها..

الحب يا ليلى جنون .. والجنون انطلاق .. والانطلاق حب .. تكتمل الدائرة كلّما عاد المطر إلى وقعه الصحيح ، وكلّما عادت الوردة إلى عطرها الحقيقي.. لذلك ندمن الحب ونكتوي بناره حتى الاحتراق فرحاً .. يصعب أن يفهم الآخرون كيف يكون الاحتراق فرحاً !! لكن ماذا يهمنا ما دمنا نفهم ما نريد أن نفهم ، ونعرف ما نريد أن نعرف ، ونعشق كما نريد أن نعشق ..

وما دمنا في سعي لا يفتر باحثين عن نشوة الوصول التي ستبقى الكأس المستحيل!!

زمن البوح التاسع
" حلم للمعنى "

" لك قربٌ مني ببعدك عني وحنو وجدتُه في جفاكا
علّمَ الشوقُ مقلتي سهر الليل فصارت من غير نومٍ تراكا
(ابن الفارض)

أحلم أن أكون الجنية العاشقة التي تُروى عنها حكايا الليل ، أو السمكة المتمرغة بين عيني البحر . من الزبد أملأ سلال الياسمين ، ومن الموج غضب البنفسج وغمامة الروح ترسم

للحبيب ألف لون على ثنايا المسافة . وأتمنى ألا أراه .. ألا أعريه .. حتى لا أفقد طقوس الحب رمزيته ..

دائماً أنت محاصر ضمن دائرة أسئلتي ، ومع ذلك لن أسرب إليك أي سؤال لأني لا أرغب أن أصنع منك حلماً حقيقياً ، لأن الحلم الحقيقي يولد لي كائنات مشوهة ، سأصنع حلمي من غرغرة شفاه حروفك التي تغني مع كل فجر لسقسقة العصافير المهاجرة ..

وظاهر ما أراه لا يهمني ، لأني عقدت فعل اتحادي مع المعنى وحاولت الاختلاء به في كلماتي ، لأن الحياة الحقة تحيا في براءة الحرف فتخلق جدلية العمق من الأحساس . هكذا أرسم لوحات كلماتي الغجرية الألوان ، والنص لديّ حر ليكن شعراً . أو قصة . أو همسة . أو خاطرة. أليست الطبيعة حرة في ألوانها ، ومتجددة باستمرار ..

لقد سُلبت الكثير في هذه الحياة . ولم يبق لدي سوى: الحرف والحب والعطاء . ولا أريد أن أعرفك كما يعرف الآخرون بعضهم ، إنما معرفتي لها خصوصية مميزة ، لأني سأكتشفك من خلال

أحاسيسك، أليس الحب معرفة كلية وكشف وتجلٍّ ، ولا تهمني الأنثى في حياتك طالما أحمل البعض من الرمز الانثوي..

السهروردي ـ شيخ مشايخ الصوفية في عصره ، كان يصعد جبل ـ عرفات ـ فلما رأى خلقاً كثيراً قد تبعه قال لنفسه: أو تحسبن أن مكانتك عند الله كما يتصورها هؤلاء الناس ؟.. ظهر ـ ابن الفارض ـ أمامه وقال له: إني أحمل إلى قلبك رسالة سعيدة ، اخلع ثيابك كي تظهر شكرك لله. لقد كنت موضوع تفكير من تهواه على الرغم من كل ما فيك من عيوب ونقائص . فخلع الشيخ ثيابه .. ودخل الحرم .

1998 / 2 / 27

في الزمن التاسع

معنى الحلم / حلم المعنى

ربّما يستطيع العاشق أن يصطاد الفضاء رغم اتساعه بقصيدة شعر .. وربما يستطيع الشاعر أن يجمع كلّ العشاق في فضاء قصيدة من ذهب الربيع ..

تريدين أن تكوني، وأريد في فسحة الحلم المفتوح على فضاء الروح أن أكون .. ولن تجدي في كلّ حقول الورد البريّ وردة تشبه قلبي ، أو صرخة يمكن أن تملأ الفراغ الواقع بين فاصلتين مثل هطول حروفي حاملة مطر المكان والزمان ..

هل غامر العاشق فترك على شرفة الوقت بقية من سؤال؟؟ أم أنّ العصافير رفّت فزفّت لمناديل الوداع لحظة لقاء ؟؟ يشبه الوقت أن تدخلي بين ضلعين من حبق الصباح كي تشربي قهوة النهوض الجميل الجليل.. أحبك وأشعر أنّ الحرف يلغي في فصل الغناء كلّ الفواصل كي ينقر عند كفيك أحلى موسيقى في الوجود .. ولا أدري إن كنت أشعل فتيل الحلم في فضاء المعنى، أم فتيل المعنى في فضاء الحلم ؟؟ لغتي تشرب نخبَ نهوض الحرف دالية من عنب الذهول . ولغتي تخلع ثوب الوقت كي تتخطى الزمان والمكان حين تشكل وردة حلم .. لماذا شرّش الوجد في قلبي إلى هذا الحد ؟؟ أفهم أنّ صدري كلّ بساتين الورود ، وأفهم أن عمري كلّ نداءات الحبّ الذي لا ينام .. وألف مرة أعيد

دحرجة كرة الحلم ، فتضحك عيناك في عيني..
هل أستعير من الوردة سرها كي أكتب صباح
الشوق ، أم أستعير من الوعد ذهوله كي أرسم
طائراً يترك جناحيه على سحبة الفضاء.. لا شيء
يشبه ظلي ، ولا ظلّ في المكان غير امتداد النداء
، أعيدي للحلم معناه ، وللمعنى حلمه ..
فالشبابيك استفاقت على ندهة الشوق وأشرعت
للعطر ألف خَفقة ودفقة وذراع..

زمن البوح العاشر

" للحب نبيذه "

قال بريتون ـ لا حل .. خارج الحب ـ
علمني الشعر أن الحب الأبدي هو الخير المطلق .. وهو جسد الإنسانية. نرتعد من برد أنفسنا، لأننا لا نعرف أن نشرب من بحيرة الحياة الممتعة رشفة تلو الأخرى . فالكل يريد أن يشرب جرعة واحدة . لذلك دائماً هم في ظمأ . لماذا لا ننظر إلى الشمس فهي أكبر حقيقة منظمة في الكون ، وترتدي ثوب إخلاصها حتى لا تنسى أحضان الغروب كل أمسية. ما أشد حزن النهار دونها ، وفرحة الليل بغيابها . رغم أنها ترمي للمساء ثوب الحداد وتمضي .
الكل يتوارى عن طريقنا بفعل الزمن . ولكن القمر يبقى مرافقاً كبيراً مستديراً صافياً ، ويرسل غمزاته لشجرة الحب السرمدية ، ويتوج رأسها بسحائبه البيضاء ، وما تبقى من الغلائل الوردية يمنح للعاشق منها رائحة الليمون المنعش ..

قد لا ألقى الذي أحب ، والذي لا أعرف ، لأن ـ الشبلي ـ أدخلني مملكة كتمانه وأنشدني : " صح عند الناس إني عاشق غير أن لم يعلموا عشقي لمن ؟ .. "

وقد لا ألقى الذي أحب أبداً . لأني أخاف الانتظار على شرفات الشوق ، حين يموت ويحيا الانتظار القلق في أنفسنا . سأترك الليل يتضوع شذى قمح كروم العسل ، والحضور الخفي متسرباً في نبض العالم كله..

ألم يكن المسيح مثل النبيذ ـ يفتح قلب الإنسان بالمحبة ـ حتى يسع العالم كله . فالحب هو نقطة انطلاق تجربة بالنسبة للشاعر ، لأني مؤمنة بالشاعر مستقلاً بفنه وحبه عن جميع المعتاد والمألوف . لأنه في كل نقطة من تجربته يحيا لحظة توهج مع افتتان الفؤاد ، وسحر الخيال . ونبض الحرف . هذا ما يقوده إلى ابتداع صورة الجمال من هالات الحب المضيئة..

1998 /1/3

في الزمن العاشر
مرايا الحبِّ الجارح

هل كان عليَّ أن أمضي في زمن البوح إلى هذا الحدّ ؟؟ أحاول أحياناً ترتيب شجر المكان، فيرتبك شجر الزمان .. يصعب أن أفتح بوابة قلبي على مطر الوقت الذي كان ، وعلى مطر الوقت الذي يكون .. ويصعب أن آخذ في تفتيت كلّ الحكايات كي أشكّل في النهاية صورة من صور الروح.. أحياناً أسأل : هل كتبتُ الشعر كي أحب ، أم أنني أحببتُ كي أكتب الشعر .. أليس غريباً أن يأتي السؤال على هذا الشكل؟؟ ..

حين أمدّ أصابعي لألامس بعض فيء الورق ، تضحك الحروف مشعلة ذاكرة الوقت الطويل . ومن زمن ما ، في مكان ما ، ينبت هذا الصبيّ في حي شعبي من أحياء دمشق.. تركض الحارات والأزقة والبيوت .تنزف الشبابيك عطر وعد.أرأيت إلى الشبابيك وهي تنزف وردة وحلماً وزقزقة نور ؟؟ ..

كان حيّ الشيخ محي الدين طازجاً بما يحمل من رائحة الزمان الجميل .. لا أدري الآن إن كانت الذاكرة كعادتها تلون الماضي بألوان براقة زاهية ، فنقع دائماً في شباك حب الذي كان.. بينما ننسى أو نتناسى حلاوة الوقت الحاضر الجميل .. ربما بشكل ما، نحب دائماً أن نعود إلى ما مضى .. وربما بشكل ما ، نحبّ أن نبني الماضي بالشكل الذي نريد ..

أعود إلى المكان ، ومن صورة البدء آخذ جمرة الروح ، ولا أفارق في هذا وتر الشعر .. فالمكان يستطيع أن يزرع في الدروب الشعر حتى التوقد ، كما يستطيع أن يمسح كلّ ملامح ومعالم الذات الشاعرة .. وهناك إلى جانب المكان صورة أنثى عندها يرتبك القلب ويشعل فتيل النبض الاستثنائي الذي لا يشبه أي نبض .. وحين أعود الآن إلى الشعر لا أستطيع نسيان صورة واحدة من صور المكان وأشخاصه . ودائماً تشغلني صورة أنثى استطاعت في البدء أن تشكّل ولع الصبيّ الذي كنته بالشعر .. يومها كانت المعادلة مقلوبة ، فكان الشعر وسيلة ، وكانت الأنثى غاية . كنت أكتب كي ترضى . ولا أدري إن كان الشعر

وقتها قادراً على حمل صوته بالشكل الذي يصل بالكتابة إلى ما هو شعري أو شاعري ..

كنتُ مسكوناً إلى حد ما بهاجس اللعبة التي لا تعرف أين البداية وأين النهاية . إذ كانت الحدود وقتها أكبر أو أشدّ اتساعاً من قدرتي على المحاكمة الصحيحة . لكن في كلّ الأحوال، كان الشعر جسراً ينقلني إلى الأنثى . ولا أدري الآن حقاً عدد اللواتي كتبت لهنّ الشعر ، لأن الأسماء كانت كثيرة ، والوجوه كثيرة ، وعصافير الفرح كثيرة .إذ كانت الأنثى مأخوذة بأن تكون مدار قصيدة ، وكان الصبي مأخوذاً بالتفاف الإناث حوله .. كان وقتاً رائعاً .. وكنت أفتح صنابير الشعر لتسكب في الكأس عسل الكلام ..

منذ سنوات ، أحرقت دفاتر كثيرة كانت تضمّ الكثير من قصائد العشق في زمن مضى .. لا أدري الآن إن كنت آسف على حرق القصائد ، أم أنني آسف لأنّ القصائد أحرقت أصابعي. إذ في كلّ الحالات ، ومع كل قصيدة سقطت على حدّ النار ، كنتُ ألغي خطوة من خطواتي، وأمسح عن زجاج الوقت حلماً أو نفساً من أنفاس الوجوه التي سكنتني ذات يوم ، وبعضها ما زال ..

الآن وبعد أن صارت كتبي تأخذ شكل ملامحي ، أضحك لتلك الأيام التي مضت، أعترف أنّ الشعر صار أكبر من شجرة وأجمل من وعد . وكم يطيب لي أن أضع صورة عمري على غلاف كلّ كتاب .. لأنّ الأوراق التي بقيت ، والأوراق التي احترقت ، تشكل ما وصلتُ إليه. ولولاها ما كان لي أن أقف الآن مليئاً بالشعر الذي يملأ المكان والزمان. وإذا كان البعض يفخر بأنه صنع من الشعر نصف حقل من حقول العطاء ، فأنا أفخر بأنّ قصيدتي تستطيع أن تملأ العالم بالدفء والحيوية والأمل . أجل صار شعري قادراً على تجاوز الكثير من شعر الآخرين ، لأنني سقيته سنوات عمري بعاطفة قلّ أن تجدي لها مثيلاً ، وسقيته من دفقات قلبي حباً لا يعرف الانطفاء ..

هل كان الشعر بعد كلّ ذلك قامتي وصورتي وصوتي وملامحي ..؟؟ أجيب ببساطة أنّ الشعر سكنني وسكنته ، أخذني وأخذته ، أعطاني وأعطيته . لذلك يصعب أن يكون أقلّ قيمة من مجموع ذاتي . فالذات الشاعرة تسقط إذا كانت غير قادرة على ضخّ الشعر ، والشعر يسقط إذا

كان غير قادر على ضخ الذات . وفي كلّ معادلة جديدة ، يكون الشعر سيد المكان والزمان ، وتكون الذات الشاعرة روح القصيدة وريحانها ..

أعيد ترتيب المكان .. وأعيد ترتيب الزمان .. وأعود دائماً إلى صورتي وصوتي لأقول إنّ الشعر لم يفارقني ، ولم أفارقه .. كان العهد بيننا أن نستمر في التداخل حتى الاندماج، وأن ندخل في التوافق حتى الارتفاع إلى الأعالي . وحين يقرأ الإنسان شعري ، لابدّ أن يجدني عند كلّ حرف . حضوري طاغ ، وحبي للشعر كبير .. لذلك أقول كلّما سئلت: الشعر هو الأول بين كلّ ما أكتب ، والبقية الباقية من رواية وقصة ومسرح ومقال تأتي بعد المعشوق الأول الشعر، وهل هناك أجمل وأحلى وأروع من الشعر؟؟..

هل تحدثت عن الصبي الذي كان .. هل رويت حكاية المكان الذي زرع في داخلي شهوة الشعر ؟؟ وهل قلت إنّ الحب كان جارفاً وجارحاً ؟؟ ربما كان علي أن أقول كلّ ذلك.. لكن في المقدمة يبقى القول إن الشعر كان ربيعي الدائم وما زال ..

28/4/1998

زمن البوح الحادي عشر
" بعض من الحب "

قيل " " صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين "

الريح عذراء المسافات تصفر لحنها اللطيف ، والأنهر خرارة بشدوها للحمامة البيضاء الآتية بغصن على تجعدات خصل الهيام إلى فلك ضائع . للبوح سرية الرمز ، يعطي الحياة ويفنيها، وعلى زهر صدري يورق كرى الحلم ، وبأصابعه الهادئة يمس جراح جدران وحدتي .

زارتني الحمامة المغردة على رموش ضفاف الحروف الخضراء ، فكشفت لنسيم الصبا مرام القلب..

عينان غائبتان على أضلع الفرح ، ومبثوث الشعر ينثر رذاذ المحب . يتوقف كل شيء حولي. والغرباء وحدهم نسوا أن يملأوا سلالهم من عناقيد كرومنا ، رزم المعاني تغمس الروح بنبيذ الحروف . ما أقرأه وما تكتبه كلامٌ أم أنفاس سحر مزروعة بين الصفحات حتى جعلت تباريح الصبابة توحدني بالشعر والخيال بين مسننات المسافة . والورقة .

رغم أني لا أعرفك .. انظر في الآخرين .. وأفكر بك .

العالم الفرنسي ـ لابلاس ـ

عندما حضرته الوفاة ، لام أصدقاءه الذين أرادوا تعزيته بشهرة كتبه واكتشافاته . فقال لهم آسفاً : إن هذه الأمور ليست كل شيء في الحياة . فلما سألوه : ما هو أهم شيء في الحياة ؟ أجابهم وهو في النزع الأخير ـ الحب ـ والكثير من الفلاسفة شبهوا المرأة : بالماء والتراب . وشبهوا الرجل : بالنار والهواء .

1998/ 3 /11

البوح الحادي عشر
بعض من القلب ..

يصعب أحياناً وصف ما لا يوصف .. كان عليّ في سدّة الحلم أن أدير كلّ عقارب الساعة نحو انتصاف النهار .. كم من المرات كان عليّ أن أحب .. تقع الرسائل دائماً في حقل الوجد فتزهر .. كان عليّ منذ أن فتح الشاعر في ذاتي عيناً

تنظر إلى كلّ الأشياء بحنان وحميمية ودفء أن أدفع عمري في طريق عشق لا ينتهي .. ولا أحد يستطيع أن يفهم كيف يحب الشاعر ، وكيف يستطيع في لحظة أن يكون قلباً بحجم العالم .. تأخذني كلماتي .. أنسى وقع خطواتي على الأرض.. أقطع المسافة بين روح وروح ، أضحك حتى ازدهار العبق ، آخذك حتى اشتعال الياسمين .. وأعرفك أكثر مما أعرفك .. أغرق ذاتي في تفاصيل البوح حين يكون السطر خطوة تنفض عن عمري غبار الوقت .. الأشياء التي تقرب بيننا تكاد تملأ كلّ المسافة والمساحة ، فلماذا لا يصهل حصان الورد في حقول القرب أكثر..؟؟

أقيس أحياناً طول الشجر الواقف على رصيف عمري ، وأضحك . أشتهي بصدق أن أختصر كلّ الأشجار بشجرة واحدة .. لماذا حين أنظر في المرآة أرى كلماتك وملامح وجهك بدل وجهي ؟؟.. هل على الكاتب أن يكسر كلّ الحروف وجداً كي ينهض حبق الكلام ؟؟.. أعيدي إليّ رائحة الصبر فقد ضيعت في الوصول إلى الطريق قبل الأخير روحي وانتظار عمري.. أعيدي إليّ كلّ الشموع حتى أشعل أصابعي على

سطر يكون بحجم حبي .. وأعيدي لي فمي كي أقول الكلام الذي أريد أن أقول .. ربما كان عليّ أن أقدّم بعضاً من القلب ، أو بعضاً من الحب .. فهل فعلت ؟؟ لكِ يا ليلى أن تزرعي قمح السؤال على أصابعي لتزهر الدروب بألف جواب ..

زمن البوح الثاني عشر
" للبنفسجة سرها "

" ليس في الرؤيا وقفة .. ولا عبارة " النفري

هناك نزوع مشترك يجمع بين " الصوفي . القديس. العاشق ـ نحو الاتحاد بالمعشوق . فالفن يرضع من أثداء الحب ، ويتفق معه على انزياح حب الجسد حتى يرتقي به إلى نشوة الاندهاش بالمطلق ، والارتعاش مع الروح .

والفن يثمر حين تُهيّم على الهام الفنان ربة وحيه ، أو آلهة فكره .

وربات الفنون هن ـ الميوسات ـ المتوجات بالبنفسج وهن تسعٌ ، والإنسان الذي يلهمونه يعتبر مقدساً ، وقلوبهن تهفو إلى الغناء ، وروحهن لا يشغلها شاغل ، وكل إنسان متألم في أعماقه حين يسمع ـ الميوسات ـ لا يعود يتذكر منغصات عيشه . فالشاعر، والموسيقي، والأديب ، والفيلسوف . والرسام الانثى المصطفاة له يخلد فيها ـ الطهر . والرمز . هي ـ كعشتار ـ رموز البدء وحبال الخيال تدخله إلى مملكة الأحلام ، وقلاع الرؤى ، وتربة اللقاء. فيحقق نشوة وجد الغبطة ـ بلوحة ، أو قصيدة ، أو لحن .

وقد كان ـ زيوس ـ العاشق الأزلي لعذارى الشعر..

هكذا نحيا تواصلنا الداخلي العميق من خلال الشعور الذي يوصلنا إلى حالة الكشف والتجلي وإشراق الدهشة .

هكذا هاجرت إلي عصافيرك وسألتني : لِم تزقزق أغانيك على أهداب الأشجار ؟ أمد لحروفي أجنحة فتحوم مسافرة إليك ، وتحلق فتذوب المسافات بيننا كما ذاب الشمع تحت أقدام ـ ايكاروس ـ ذلك الطائر بجناحين ملصوقين بالشمع فلما ذاب الشمع تحت أشعة الشمس سقط في البحر .

تنزلق الكلمات على كتف الغيوم ، وتمشط شعر الموجة المتهدل . ووردة الغياب تشرد خصل الشعر على رياح غادية آتية .

الزمن لديّ طيف يرقص ثم يتلاشى ككل شيء إلا الكلمة التي تكسر عزلة الروح وبدل أن أضيق العالم حولي تعودت أن آخذ العالم كله بين ذراعي . وحقيقة الحياة الوحيدة هي في عدم انقطاعها عن الاستمرار .

وتعودت أن أتلو حروفك التي تهلّ ببوحها الشعري:" لن تكون هناك غير واحدة افرد لها

صفحات روحي من بوح الذات لها . ما دمت تداخلين نبض القلب بشجر الروح " .

19/3/1998

البوح الثاني عشر

حكايتي مع الشعر
حكايتي مع القصة
ـ أ ـ

في حوارات كثيرة ، وربما في كلّ حوار معي ، كان يطرح السؤال على هذا الشكل أو ذاك ، للاستفسار دائماً عن سبب توجهي للتنويع في الكتابة الأدبية ، وصولاً إلى القدرة على التماهي مع كلّ الأنواع .. والسؤال الأكثر تحديداً كانَ يقول : أين تجد نفسك أكثر ، في الشعر ، أم في القصة القصيرة ، أم في الرواية ، أم المسرحية ، أم الأغنية الشعبية ، أم النقد الأدبي ؟؟ ..

والإجابة بكلّ بساطة تقول : إنني أجد نفسي في كلّ ما أكتب ، وطبيعي أنّ وصولي إلى ما وصلتُ إليه ، لا يمكن أن يكون بعيداً عن واحد من هذه الأنواع . إذ أنّ أي تجزيء أو فصل، يعني انتزاع جزءٍ من شخصيتي الأدبية الإبداعية ، وهذا مرفوض تماماً . لأنّ حالة الاكتمال عندي تتطلّب وجود كلّ الحروف التي شكّلت مسيرتي الأدبية .

ولا أستطيع التنازل عن أي حرف . وإذا أردتُ الحديث عن جزء من التجربة، لا التجربة كلّها ، فربما الأقربُ إلى البال والنفس والذات ، أن أتحدث عن الشعر والقصة . حيث أجد ميلاً إلى النظر أو القول بأنّ هناك تكاملاً بين الاثنين ، فالشعر عندي يؤدي إلى القصة ، والقصة عندي تؤدي إلى الشعر .. وإذا لم أفرغ شحنتي الإبداعية في الشعر، أستطيع دون تردد أن أجد مبتغاي في القصة ..

ـ ب ـ

لا أذكر تماماً متى بدأت خطواتي الشعرية الأولى في التكوّن . لكن على الأرجح أنني كنتُ في نهاية المرحلة الإعدادية عندما كتبتُ الشعر . ربما جاء ذلك من أجل حبيبة ما ، ثم تطور الأمر ليكون الشعر غاية. طبيعي أن البداية في الإبداع لا تخرج عن خطّ الشعر. فأكثر الإبداع يبدأ شعراً ولا ينفصل في هذا الجزء أو ذاك منه عن الحب والعشق وما إلى ذلك . لا يعني هذا شعراً كامل النضوج ، ولا يعني انحيازاً نهائياً للشعر دون سواه . إذ كثيراً ما يكون الشعر بدايةً لتشكيل ملامح المبدع في حالتها الأولى . وبعد ذلك ،

يكون النضوج أو الاكتمال ، من خلال انحياز كلّي لهذا النوع أو ذاك .. لكن دون ضرورة التفرّغ لنوع واحد ، كلازمة لا مكان لسواها في الإبداع .. والخطأ الأكبر ، يكمن في القول : إنّ التوزع ، يعني أن يقف المبدع في الوسط من كلّ شيء ، دون القدرة على التفوق في هذا النوع أو ذاك . !!..

ـ ج ـ

لا أريد الخروج أو الابتعاد عن حدود التجربة الذاتية .. وحسب ظني فإنّ التوزع لا يعني الانتقاص من هذا النوع أو ذاك ، كما أنّ الوقوف عند نوع واحد لا يعني بالضرورة ، أن يكون الانتاج متفوقاً جيداً .. فحركة الإبداع قابلة أكثر من أي شيء آخر ، لكسر أي قاعدة.. وأجمل قاعدة في الإبداع على الإطلاق ، هي الالتزام بالخروج عن أي قاعدة .. وكلّما كان عطاء الإنسان كبيراً مؤثراً ، كلّما كانت بصمته أكثر ظهوراً ووضوحاً وقدرة على البقاء والصمود ..

ـ د ـ

قلت إن الشعر كان أسبق بالنسبة لي . لكن أستطيع القول إن القصة كانت حاضرة في حياتي ووجداني إلى جانب الشعر دون محاولة كتابتها في ذلك الوقت المبكّر. كنتُ أحبّ أن أحكي الأشياء بصيغة قصصية ، وأجد متعة لا تماثلها متعة حين أستطيع جذب انتباه المحيطين . إذن كانت القصة واحدة من أدواتي الإبداعية الأولى في زمن يقترب من عالم الطفولة ، لكن دون الخوض في تجربة الكتابة .. بينما كان الشعر أقرب إلى السطور والخروج إلى النور . إذ كان من الطبيعي أن أوجه القصيدة إلى طرف آخر مقصود، وهذا يعني كتابة القصيدة .. أذكر أنّ أول ديوان شعري لي صدر في العام 1974 بعنوان ((لحن على أوتار الهوى)) وكانت أول قصة مطبوعة قد ظهرت على صفحات ((الثقافة الأسبوعية)) أيام الدراسة في الجامعة .. وربما كان موضوعها على ما أذكر ، عن هذا الطالب الذي يجلس في بوفيه الجامعة مدهوشاً مأخوذاً ـ أقول ربما لأنه يصعب الجزم تماماً ، بعد سنوات قد تكون طويلة إلى حد ما ..

ـ هـ ـ

ربّما كانت البيئة الشعبية ، بكلّ ما تحمل ، هي الخزان الأول الذي آخذ منه الكثير من صوري وشخصياتي وأحداث أعمالي .. فقد عشتُ طويلاً في حيّ الشيخ محي الدين ، وهو من أشدّ الأحياء الشعبية امتلاءً وغلياناً .. ولا أستطيع إلاّ أن أذكر ملامحي المزروعة في هذا الحي .. وكان قرائي على الأغلب ، من الأصدقاء في هذا الحي .. ثم كانت الدراسة الجامعية ، فالعمل في صحيفة ((تشرين)) ثم تسلّم المسؤولية الثقافية في مجلة ((صوت فلسطين)) لتتعدد المشارب وتتلون . وأظنّ أنني بعيد كلّ البعد حتى الآن ، عن أيّ تصنيف أو تنميط أدبي يضعني في هذه المدرسة أو تلك ، وفي هذا المذهب أو ذاك .

كتبتُ للوطن ، وكتبتُ للحبيبة ، وكتبتُ للإنسان ـ وما أزال . دون أن أضع يافطة تعلن أنني أنتهي هنا أو هناك . فأنا بالدرجة الأولى شاعر وقاص ومبدع .. وأي تصنيف أو توصيف نهائي ، يعني إصراراً على إدخالي في قمقم أرفض أن أكون فيه في يوم من الأيام، ولن أكون . إذ أشعر، وهذا من حقي ، أنني أكبر من كلّ المدارس والمذاهب

الأدبية ـ والتسميات تبقى تسميات تخصّ الآخرين ، ولا علاقة لي بها..

بعد تسعة عشر كتاباً مطبوعاً في الشعر والقصة والقصة القصيرة جداً ، والرواية ، والدراسة ، والنقد.. أستطيع الاعتراف أنني إنسان مجرّب في الفن والإبداع والكتابة .. الشخصية القصصية عندي تأتي لتقول كلّ ما تريد وتذهب دون أن تأخذ إذناً مني في كثير من الأحيان.. كذلك الشعر ، فالقصيدة قد تكون عمودية ، أو قصيدة تفعيلة ، أو قصيدة نثر .. طويلة أو قصيرة.. وقد تكون ذاهبة حتى العمق في التجريب كما في ديواني المفتوح زمنياً ((ومضات)) الذي أتى على شكل بطاقات .. ومن يقرأ القصة القصيرة جداً ، قد يطّلع على حجم التجريب عندي .. وكما قلت سابقاً لا أحبّ الركون إلى شكل نهائي يضعني في توصيف نهائي .. أحبّ أن أكون حراً ، كامل الحرية على الورق .. وبعد إنجاز العمل، يصبح ملكاً للآخرين ، وهم الأحقّ بنقده أو وضع قيمة له .. وحتى هذا الأمر لا يعني الكثير لي بالنسبة لما أنجز من عمل

، لأن المنجز منجز في كلّ الأحوال .. بينما يمكن أن أستفيد في أعمال أخرى قادمة ..

- ز -

ما كتب عني حتى الآن يقول إنني مغامر ، مجرب، خارج عن أي نمط .. أقول : ربما .. ولا أدري إن كانت بعض القصص أو القصائد تحمل شيئاً من ملامحي أو صورتي أو تطلعي .. لأنّ كلّ شيء في النهاية جائز .. ولا أظن أنّ هناك أدباً ينفصل عن حياة الإنسان بشكل نهائي .. لأن الأديب لابدّ أن يحمل في النهاية صورته ، أو حلمه ، أو شيئاً من خياله .. وفي هذا أو ذاك، يبقى الأديب تجربة ، في قصة كان أو قصيدة.. ويبقى الأدب هذه الواحة الأجمل في العالم، مهما ضاقت المساحات .. لأن الأديب يستطيع من خلال أدبه أن يضع في ورقة بيضاء العالم الذي يريد.. وتلك نعمة لا تتوفر لكلّ إنسان ..

زمن البوح الثالث عشر
" للقلب فجوة "

" الحزن كل الحزن في أن نعبر الحياة من غير أن نحب"ـ

فالحياة تكون أكثر حكمة ليست في العقل بل في المحبة .

ومتى تصبح بلا قانون ؟ ونختصر القوانين جميعها بقانون جديد اسمه ـ المحبة . الروح ستفنى مع الجسد فلماذا لا نحقق فرحتنا ونغمر بها الآخرين .

وجدت سعادتي دائماً في اسعاد الآخرين ، ولكني كنت محتاجة لسعادة الجميع لأكون سعيدة. لأن إيماني ينبع من أن كل شيء يتألق بالعطاء . وينبع من المحبة. وأعظم قوة هي قوتنا الذاتية. لذا عشت مع ذاتي رغم أني تعاملت مع بشر ، وابتسمت لبشر لا أشك أبداً في سخافاتهم ونفوسهم الجائعة إلى الحب ، كانت ضعيفة ، وأرواحهم مشوهة بالشر ، والأنانية والثرثرة . لِم لا نخترع خطوات جديدة للتخلص من معاناة الحياة الصعبة ؟؟ أحياناً أحس بالغربة ، أو أنني شبه منفية في هذا العصر . وهذا الشعور يجعلني أحس بالملل مع الآخرين والنفور في أكثر الأحيان..

أتمنى أن تقفز الطفلة المشاكسة في داخلي لتعبث وتلعب وتركض في براري لا حدود لها ..

وحين أعود إلى واقعي وثقل السنين أتعب أصبح حكيمة هادئة متزنة ، وأدخل بوابات الصمت والتأمل ويشدني صمت الحزن إلى ذراعيه ، فأضم همومي الخاصة ودمعتي محروقة على خد ينتظر مسحة حنان صادقة .

الظروف الصعبة لا تقتل الإنسان القوي ، إنما تجعله عظيماً حتى في احتمال الألم ، وربما وحده المبدع . وغربته هي التي تفجر طاقاته . لا أدع الماضي يستوقفني . بل دائماً أفكر بأني لو سلبت هذه اللحظة لن أراها بعدئذ أبداً . فيمتلئ قلبي بالمحبة وروحي بالحيوية .

ـ امرأة لوط عندما نظرت إلى الوراء تحولت إلى تمثال ملح .. إلى دموع متجمدة ـ تباريح الجرح تسكن الألم . كما أن الربيع يستند على عتبة الشتاء . الرغبة تبكي أحياناً والظمأ يغرقني فأسكب عطشي على أوراق صامتة ولا أحد معي ..

الزمن جدول جارٍ أبداً ، وكل دقيقة تمر أقول لها أنت جميلة فتوقفي معي .. لا تسأل عن الضعف فينا بل عن حبنا..

4/4/1998

البوح الثالث عشر
معاً للصباح الأحلى

يصعب أو يستحيل أن نعبر الحياة دون أن نحب حين نكون في واقع الحال من الفضاء الحقيقي لما في كلمة الإنسان من معنى ..

أتخيل أحياناً أنّ الإنسان قلب ينبض ولسان يغني .. فكيف يسقط الحبّ خارج هذا الكيان الجائع أبداً لنور من صفاء الحب ؟؟..

لا أدري لماذا تضعين يا ليلى آخر فصول البوح في إناء من ندى الحزن المصفّى .. لا أريد أن أعيد ترتيب ضلوعي كي أهبك شعلة الفرح من روحي، بقدر ما أريد أن أبسمل على وردة قلبي كي تنبض في يدك آية نشيد لأمل لا ينطفئ.. هل كان علينا أن نقطع كلّ هذه المسافات كي نحرق في آخر المشوار نحلة الوعد ، أم كان علينا أن نبدأ من كلّ حرفٍ صياغة أغنية صباح جديد لا يعرف الانطفاء أو الركون لسكون لا يشبه السكون ؟؟..

يسرقني آخر سطر من شجرة بوحك ((لا تسأل عن الضعف فينا بل عن حبنا)) فيطيب لي أن أسرج العمر في اتساع المدى حتى لا أغلق كفي على فضاء لا يحتمل غير الفضاء ، أو على بحر لا يحتمل غير البحر .. فالشاعر لا يحب

الكلمة التي تكون ذات وجه واحد ، وفصل واحد، ومعنى واحد .. بل أشدّ ما يكون حباً للكلمة التي تستطيع أن تقفز مع قفزة قلبه ، وتضحك مع ضحكة عمره ، وتشرب الشاي معه في الصباح .. تلك كلمة الشاعر ، وذاك مدى الوجد الذي لا يحد .. خذي فصول رحيلي في وقت اللقاء ، وفصول لقائي في وقت الرحيل .. ولا تفردي منديل وداع فأنا أكره الوداع .. هل اتسعت السطور لي ولك، أم ضاقت ولم تستطع حمل ما نريد أن نقول ؟؟ كان بودي أن يتسع الحرف لكلّ فصول عمري، وأن يحمل الكلام كلّ دفء ذاتي.. ربما كان .. وربما ما زال في الإمكان أن يكون .. أحياناً يزفّ المطر نشيد روحي فترقص حقول عمري .. وأحياناً أشعر أنّ الحروف لا تورق إلا بين أصابعي ، فأرفع كأس الكلام وأشرب حتى الثمالة ..
2/5/1998

زمن البوح الرابع عشر

(فوضى الذات)

قال النفري ـ بين النطق والصمت برزخ فيه قبر العقل ، وفيه قبور الأشياء ..

دخلت مملكة الفوضى ، أو توحدت بها ، أستحم في فوضى الحبر ، فوضى الاغتراب ، فوضى الصمت ، فوضى الحب ..

هو .. يخترق هذه الفوضى الضبابية ، يحتل مساحة من العمر متأخرة، لكن الزيتون نسي اخضراره الدائم في خفايا شعابها ..

تصحو الذات من لحظات الوهن ، لتختبر الاخلاص،لتجرب نخب الوفاء ، لكأس الصدق نشوة الخمرة الصوفية ، وللنبيذ ارجوانه المعتق في مسارب النفس الهوّامة . كم يلزمها من الثبات ، كم يلزمها من الزمن لتعيد ترتيب طقس الذات المقهورة ولتمتحن الصدق فيه ، لتؤمن به ، أو لتثق به ، وسط ألغام الحروف المتطايرة وحرائق الكلمات الشاعلة والمشتعلة.. تعودت أن تغفو الذات الوهاجة على رماد الصفحات ، ورسمته بصور الكمال ، أليست هذه عادة المحبين ؟ حين باغت غابة صمتها العارية كانت

قد نسيت حفيف الحنان ، كانت قد اختبأت في اصفرار ما تبقى من الأيام . اقترب أكثر منسلاً ليلامس الانثى الخجول المنزلقة من حصار الحواس هو .. عرف كيف يجسد مقولة " اوسكار وايلد " ـ خلق الإنسان اللغة ليخفي بها مشاعره ـ

بقي شوق المسافات ، وفرحها البريء ، وتراويح اسطورة حائرة من معابد ـ الاولمب ـ تراود ذهنها المشوش ، الوقت يهرب لفرط ما انتظرته ، ومن مشارف جوقة الآلهة قال لها ـ ايروس ـ إله الحب..

" كانت الأرض شاحبة مجدبة ، فتناول سهامه التي تشيع الحياة في كل شيء تمسه أو تغيب فيه، ولم تكن إلا لحظات حتى اهتز وجه الأرض، وتشقق عن الخضرة والصفرة والحمرة ، فيبسم أشتات الزهر ، وتطن اسراب النحل ، وتغني الطيور . وأصبح كل شيء جميلاً ، واستيقظت الأرض ـ حبي ـ وأعجبت بكل هذه الآيات التي صنعتها سهام (ايروس) فضحكت وعرفت أنها ربة ثم أدركت أن شيئاً ينقصها.. إله ذكر .. فخلقت (أورانوس) .

هو .. كلما كتب تكتسي براعم اللغة بالاخضرار الربيعي المورق ، ويقفز صمت مراوغ بين الجمل المسترسلة . بينما صهيل الرغبة يوقظ نبض الاحساس.. فهل بقي على شرفات الزمن مكانٌ لخلوة حب ؟ ..

شرر الاحتراق يبهرها مستتراً في الذات ، يقف العمر ، تشيخ الأزمنة، وترجع طفلة المستحيلات تقفز على سياج العبث الجميل . لكن الابتسامة غائبة دائماً في هطول حزنها السري الدائم ، ستجرب معه الابتسام. وكم جربت الصمت لتمويه اخفاق العشق ، وبين البوح والآخر يتابع الوجد النواس ذبذباته ، مربكة اللغة . فتدخل الكلمات في ثنايا لحاف الصمت كي تحتفظ بالمشاعر التي ربما تكون أجمل في الغياب ..

تخرج من الذات المطعونة بسكين العشق ، تترنح على جدران مفخفخة بالتحدي .. كل دموع الأرض لا تغسل خوفها ، قلقها ، اضطرابها ، والقلب يطفئ سجائر البوح على رمال الحب المترمدة ، ديمة البوح المفاجئ تنهض بها عودي قوية ادخلي دورة الحب من الفصل الأول .

وترتسم دوائر ودوائرٍ الثنائيات المضادة أمامها ، والتي ما زالت قانوناً يحكم عالم الحب.
ـ الوفاء والخيانة ، الصدق والكذب ، الاخلاص والغدر ، الحزن والفرح ، العرس والمأتم ، وهل نختار شيئاً مما كُتب لنا على ألواح الغموض السرية ؟ ..
هو رجل اللغة يتوغل معها في منعطفات ويمنحها التعابير الفضفاضة بحيث بدأت ترتاب باللغة ، وتشك في المعنى ، فاللغة ذات حدين ..
والمسافات تكبر علامات الاستفهام ، فأي مذهب من مذاهب الحب تعتنق وكانت صرخات كفرها ضجيج صمت . ربما تستعد للمبارزة .. فالحب لا يحتمل التفكير العميق .. والحب ذاكرة نسيان للخيبات والحماقات ، للفناء والبقاء ، ويبقى الحب جرحنا الكبير في مراجل الفقدان..

16/4/1998

زمن البوح الرابع عشر
في نفي النفي ..

قد يكون .. أو في الإمكان أنه يكون .. هل استطاعت شجرة الروح أن تضمّ في استنهاضها رائحة المطر وأن تأخذ ما شاءت من وقتٍ كي تداخل جنون الدفقة الأولى في سحر التوحّد مع ثمر البوح في دفقة حبرك الآسر الذاهل .. ؟؟ أعترف أنّ العناوين فقدت عناوينها ..

كان الصباح ضمة ورد في عينين من مدى مفتوح.. وحين أردت تفسير مفردة بحجم الحب ضاعت التعاريف وراحت تبحث عن خفقة تشبه الموجة السحرية في كتاب الكون الشاسع الواسع .. يقولها الموج مفرداً ، وتقولها الفضاءات جمعاً ، وفي كلّ الحالات تأكيداً لما هو

مؤكد ، وتثبيتاً لما هو مثبت.. إنه الحب .. وساعة الوقت تبلع ريقها كي يبقى طعم الدقائق حلواً ..
لا أريد أن أكسر زجاج العمر بحجر الوقت .. لعلّ أجمل اللحظات هي تلك التي تخرج من قاموس الزمن.. لا أحبّ هذا التحديق الطويل في عقرب يلهث، وآخرين يتمطيان على مساحة الروح .. ألا نحاول قدر المستطاع الخروج من كلّ ما في الوقت من وقت ..؟؟
أحياناً وفي هدأة الليل ، يأخذ الزمن شكل الصورة المتداخلة الألوان .. تصبح لوحة ساحرة بما تحمل من حبق.. كلّما غاصت الألوان أكثر في تداخلها .. كلما انفتحت شهوة العمر لامتداد جديد.. هل أحاول تغيير وقع الأشياء .. هل أحاول تغيير قانون الرتابة .. أدّعي أن ربما .. فأنا لا أحب كلّ ما هو رتيب عادي مغلق.. وعندما أبحث ، فأنا أبحث عن سماء بغير حدود .. ربما هي روح الفنان ..

زمن البوح الخامس عشر
(طفرة بوح)

وارحمتا للعاشقين تحمّلوا ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء العاشقين تباح
عودوا بنور الوصل في عنق الدجى
فالهجر ليل ، والوصال صباح
((السهروردي))

كيف بدأنا زمن البوح ؟..
حين نبت الحرف على أهداب صفصاف الغياب ، حين تبرعم الزنبق على شجر الروح . حين

سمحنا لطائر الوجد أن يرمي رسائلنا لكل عشاق العالم ، حين ضفرنا لغة الحب جدائل وردية لقامات جسور الكلمات، أليس الحرف كاللغم في ارض مجهولة لا نعرفها . كالحب تماماً ، قد نتعلق بأشخاص لا نعرفهم ، وثمة بشر لا نستطيع أن نكتب لهم حرفاً واحداً ، أو نمنحهم لحظة ثابتة في زوايا الذاكرة .

وثمة أشخاص يدخلون الأنفاق السرية خلسة فتحدث لحظة اليقظة الذاتية وتتقد شهوة الكتابة النهمة ، وكما أني أحكم على الأشخاص والأشياء منذ اللحظة الأولى بحاسة لا تخطىء ، هكذا أندفع إلى الكتابة ، ولكن هل من جدوى للاحتماء بالكلمات فقط ؟ .. هكذا اندفعت إلى الكتابة بأصابع تلاعب الحروف على قيثارة الأحاسيس ، وقد تتجاوزني الحروف أحياناً مأخوذة بهذا السر الغامض والذي لا يقبل أي تفسير .. فالحب كالفن لحظات احتراق ذاتية ، ولحظات احتراق للزمن، للعرف ، للمجتمع ، للأديان ، للمألوف ، دون أي مبرر منطقي يحتل إنسان ما مساحة اللا شعور ، دون أن ننتظر العثور عليه ، ويحاصر

منطقة محرمة لا يدخلها أحد ..كيف أنبتَّ الياسمين على صدر الحجر؟..
كيف غيرتَ ألوان البحر ؟ ..
صمت المحب يربك خارج حدود الكتابة ، ويجعل أسلاك الهاتف تغرد كعصفور شريد يدمدم بنبرات شجوه ، قلقه ، فرحه ، هذيانه ، ويبقى يحوم بلا عنوان في فضاءات الاندفاع العشوائي..
حضوره مربك على الورق بمحاذاة أنوثتها المحجوبة بخمار الصفحات، وحين يغادرها عصفور الحب المسافر أبداً ألا يمارس ساديته ، و يمارس ظلمه بقهر آخر ولكنه يتركها ليساهم في سعادة الآخرين .. وهل تستطيع الكتابة وحدها أن تعري كل تفاصيل رجولته ؟..
ما بيننا لغة ، فهل تكون اللغة أجمل منا ؟ أجمل من قصتنا ، أجمل من أحاسيسنا ، أجمل من أمزجتنا ، أجمل من اندفاعنا ؟..
هو .. يبعثر ألوان لغة لا لون لها .. ولها كل الألوان ..
هو .. ينقط على شغاف القلب حروف الحب واللا حب ، يبعثر أوراق المعنى واللامعنى .. من

المستحيل اعتقال لحظة الذهول التي يخلقها حين يشد معطف صمته ويمضي لا مبالياً ..

لماذا يثير فيها كل هذه التساؤلات ، ولماذا يطوف بها حلقة الاستفسار ؟؟ ولماذا يخلق لها حالة من حالات خروج الذات من حصار المنطق العقلاني ، لجامد الأسئلة المنهلة حالة عشقية غامضة تتقمصنا ، وتشدنا إلى الآخر المجهور بخيوط لا مرئية . الغموض يثيرني ، يشدني إلى حالات التوتر الخللي للأفكار حين أمتطي مراكب التيه على لجة تفاصيل لا أجد لها تفسيراً ..

أحب لحظة المفاجأة العشقية ، ولكن ماذا لو أخفى وراء الحروف رجلاً آخر أتابع قراءة بوحه الخاص مع العام لأتتبع الاحداث ، إنها مغامرة جمالية المعنى ، وهذا هو خلطي الدائم بين اصراري على الطفولة وبالمضاد لها في الحياة .. هل يبقى طفل العشق يحبو في ذواتنا ولا يكبر ويتعقل ؟ .. وهل نبقى كائنات عشق حبرية .. اسطورية .. افلاطونية .. إذن علينا ألا نغادر الورق ..

1998 / 5 /23

زمن البوح الخامس عشر
شهوة الكلام

هو الإنسان .. وفي الصيغة الأولى والأخيرة
كلمة تعبر عن مكنون الذات.. كثيراً ما يكون

الشكل الظاهري ذا بريق .. وما أن يكون الكلام ، حتى تسقط الصورة وتنكسر .. وتتمنى أن يبقى الشكل صامتاً .. لكن مع الصمت يكون ملل وموات .. ومع الكلام تنبت كلّ زهور الدنيا وورودها ويصير الكون أحلى .. لكن ليس كلّ كلام ..

الشكل أم الجوهر ؟؟ يقفز الجواب أسرع من البرق، الجوهر دون جدال ، فهو الدال .. أنت لا تستطيع ، مهما أوتيت من صبر ، أن تعايش شكلاً لا معنى لجوهره .. والجوهر ، إذا لم يكن جميلاً أصيلاً ، فلا قيمة له .. أحياناً يصبح الكلام ثرثرة .. وكلّ ثرثرة تخرج بالتأكيد عن خطّ سير العطاء الجميل ..

كثيرات مررن في حياتي .. وكثيرون .. كنت أبحث دائماً عن العمق.. هناك في منطقة سرية بعيدة كنت أجد ما أريد ، أو لا أجد .. فإذا وجدت طالت الصحبة ومضت الأيام والسنوات.. وإذا لم أجد انقضى كلّ شيء بعد حين ..

فالإنسان لا يستطيع أن يبتعد عن سحر وجمال ورونق الشجرة ذات الحروف .. والشاعر خاصة ،

لا يمكن أن يذوب احتراقاً إذا لم تكن الشجرة بحجم حلمه..

ربما عليّ في كثير من الأحيان أن أوضح ، أن أقول ، أن أشرح ، وكثيراً ما يضيع كلّ شيء في زحمة فوضى الآخر .. لا تكون صورتك ، كما أنت ، إذا لم تكن المرآة صافية .. وظني أنّ القصيدة لا تكون بكامل عطائها إذا لم يكن من نحب رائع الخصب والصفاء ..

هل ابتعدت عما أردت أن أقوله .. أظن لا .. فما زلت في حدود الحديث عن الشهوة للكلام الجميل ..

زمن البوح السادس عشر
(براعم الحب)

من هيكل السهروردي الثالث قرأت : الجهات العقلية ثلاث : واجب. ممكن . ممتنع . وغيَّبَ معانيه في منافذ رؤى المطلق الغامض ..

حاولت أن أغوص بأفكاره عبر منافذ الأرض ، وبوابات الحياة ، فكان لها لديّ تفسير آخر ، ـ الواجب ـ ضرورة الوجود وأحياناً نرغم عليه . ـ الممكن ـ ارتجال الحرف على أوتار اللغة . أما ـ الممتنع ـ في كل العصور هو ـ الحب ـ .

هذا الممتنع الساحر يرسم لي الغمام السابح في غربته وشاحه المزركش كلما هبط الليل ، وكلما غرد صبح ، إنه حالة الديمومة التي تتفتح كاشراق الإيمان في روح ضالة ، هكذا تبقى شموع معبد القلب في رقص نورها الأزلي الذي لا ينطفئ ، وتخرج الروح لاكتشاف هذا المعنى الغامض في سرية كل الأشياء فتختصر الوجود بمعنى واحد ثابت ـ الحب.

هو المعنى الحقيقي ، هو المحارب دائماً ، المعتقل دائماً في سجون التعذيب وزنزانة الأحكام الجائرة بقسوتها ، وهذا المعنى الذي

اختصر كل المعاني للحياة، ألم نخلقه نحن فيما لو لم يوجد؟.

لمسة الفنان لريشته ، وحروف الشاعر لنبضه ، والقلب المنتظر لهمسة حنان . وخيال المبدع ، كل هذا عملية خلق على وجنات الجمال ، وخمار حلم الخيال يلف جدائل الأزهار الوردية ، والبنفسجية ، لتتفتح براعم الابتسامة على شفاه كل العشاق ، كما تتفتح رغبات الحياة ..

الوقوف بلا حب يشوه معنى الحياة ، ويفقدها أهميتها . والشكوى غير ذات جدوى ، لأننا نحن دائماً مسؤولون عن معظم آلام الحياة وليس الله . فالضعيف هو الذي يخاف ، ويتهرب من المواجهة ، ثم يحمل الله مسؤولية فشله ، أما القوي فهو الذي يقول لله .. كم أحبك من أجل اللاشيء .. وبذلك يتحمل مصيره لأنه من بشر ، والبشر تخطئ وتصيب، فلِم نرمي الأخطاء التي مارسناها على القدر ونخاف الله ..

كلما نظرت إلى السماء يطالعني وجهك سبحة تدفق وعطاء وصفاء ..

أقرأ بين خفايا الزرقة والغمام سرك ، لأن العاطفة الصادقة والعارية من كل منفعة تبقى

إحساساً مستمراً ، وشعاعاً جميلاً يوهج الزرقة العاشقة للامتناهي الأزلي. ألا تكمن قيمة الحب العظمى (بالعطاء) .

الحب طفل حر يعبث في كل زمن ، وفي كل مكان. وفي كل سن . وفي كل قصر . وفي كل كوخ . ويتعربش على سياج المسافات .

إنه يرفض المقايضات ، والحسابات . والتدقيق . والشروط .. وإلا سقط في بئر اللامعنى.. وانزوى في مركونات الزوايا .

وهذا الذي يمارس الناس كل طقوسهم به ويسمونه ـ حباً ـ هو إهانة للحب . لأن الشمس لا يلزمها حجاب ..

هكذا تعودت أن أحب .. هكذا تعودت أن أنبذ الضعف فالضعيف لا يعرف أن يعطي . ولا يعرف أن يحب ..

28/5/1998

البوح السادس عشر
احتضار قهر

هي رعشة عصفور جريح .. صرخة روح آلمها كلّ هذا الأذى من بشر تحوّلوا في فوضى البحث عن مكاسبهم إلى وحوش .. لكنني أرفض ليلاي أن أكون غير ما أنا عليه .. الوردة وعطرها .. البحر وماؤه .. القلب ونبضه .. المرآة التي لا تحب أن ترى غير ابتسامتك .. مهما كان .. فهذا لا يعني أبداً أن تكوني في حالة من حالات ((احتضار القهر)).. سنبقى أقوى من أيّ انكسار في هذا الوجود الزائل .. ألا يكفي أننا أبقى من كلّ الذين يحاولون سحب كلِّ ما تقع عليه اليد لملء جيوبهم .. شعرك .. كلامك .. نبض روحك .. أقوى من الذهاب والقهر .. لذلك أعيد القلب ملفوفاً بنبض قلبي وأقول لك : لا يا ليلى .. لن يكون المشوار إلا معاً .. يداً بيد .. ولن أتخلى عن نجمة الوعد مهما كان ..

ذات يوم .. سيطلع زمن بعيد .. أبعد من بعيد .. وعندها ستكون حروفنا في كلّ دقة من دقات

الزمن .. لا تقولي لماذا تكتب في بوحك عن " رسائل رماء " ؟ فأنا أنسى المسافة الفاصلة ، أو ربما أحاول أن أتخطاها.. قد يكون ذلك مخالفاً لقاعدة ضبط إيقاع الروح في زمن البوح ، وهو تماماً ما أريده، أن أخالف كلّ قاعدة ..

أعيدي الحساب .. حاولي مرة أخرى أن ترجعي الجداول إلى مجراها وقمح العمر إلى حقوله.. فما كان ذلك اليوم الذي تكتبين فيه صرخة قهر.. خذي عمري حقل ورد وحبق ، وأعيدي لشفتيك ابتسامة الأمل .. خذي صوتي وصمتي واكتبي على كلّ جدران الوقت أن لا مكان لغير الشمس مهما كانت الظلمة شديدة الحلكة .

زمن البوح السابع عشر
"لا زمن للحب "

ـ فإنك لا تدري بأن رب لحظة تفوتك لاتدري متى تستعيدها؟..

(النفري)

علمني فقدان كل من أحببت أن أخاف دائماً من اللحظة الهاربة، وأن أكتب باستمرار وكأنني على موعد مع الموت..

هروب اللحظة يجعلني أصرخ بها ـ توقفي كم أنت جميلة ـ توقفي أنك لن تعودي بنفس القوة ، ونفس الدهشة ، ونفس الانفعال ، ونفس الصدق .

قد نلتقي بعد زمن طويل ، وقد .. نلتقي في زمن أقل ، وقد لا نلتقي . كل ذلك لا يهم طالما أننا ساكنان ومسكونان في ممرات الحب الضيقة

، كل ما أرجوه ألا تتصدع جدرانها من الصدأ في زمن ما ..

أغطي قلبي بجلباب الكلمات ، وأخمر وجهي بجرار الحروف ، وأتوغل في منطق الكلمة التي تحمل جفافنا وخصبنا ، حزننا وفرحنا ، دمعنا وابتسامتنا . فوضى الحبر ، وفوضى الصفحات، خلق لي منطقي الخاص لحب اسطوري ملحمي من اللامنطق ، من اللاشرعي، من اللامألوف . لأن علي لوحة أقداري مكتوب بخيوط الأزل ـ لا تلمس أي شيء تحبه ـ.

أتمنى أحياناً أن أخرج من حدود الحروف ، من حدود الزمن ، وأكسر الأطر المصنوعة لمقاساتي قبل أن تستهويني لعبة الكلمات للنهاية وبذلك أقسو على الحب وأظلمه ، وتعود حروفي بحنان أمٍّ لتضم أحزاني المزروعة شتلاً للنفس التي دخلت مملكة الصمت المغلقة .. حتى بت أخشى أن أرى وجهي المرهق ، الحالم ، العاشق على صفحة مياه بحيرة فأهيم مع السراب كما تقول الاسطورة :

(نركسيسوس) ذلك الشاب الاغريقي الذي دلّه الآلهة بجماله، وتام عذارى أثينا بنضارته

واشراقه ، أّخذ بجمال نرجسة حلوة قطفها من غصنها المياس ، وحدق فيها بعينيه المعسولتين ، وما هذه النرجسة الا فتاة رائعة الجمال .. فأحبته بكل أحاسيسها وكشفت له عما تضمر من هيام ، ولكنه تركها وانطلق إلى الغابة لا يلوي على شيء، ذلك أنه لم يجرب هذه المفاجأة بالحب ، وبكته حتى شف قلبها الهم والشجن أضنى جسمها الناحل . ثم اضمحلت وغدت لا شيء..لكن الشاب (نركسيسوس) الذي حطم قلبها الغض، عرج ذات يوم على خميلة ليشرب من الغدير الصافي . وما كاد ينحني حتى رأى صورته في صفحة الماء الساكنة فبهره حسنها ، وأخذ يرمقها بقلب مشوق ، ونفس هائمة ، وهو لا يعلم أن الحبيب الذي تيمه هو ظله ، وعروس الماء هي خياله . خاطبه كثيراً ولا مجيب إلا ما تهمهم به الريح ، واقترب يريد قبلة فاقترب الخيال من فمه ، وفر في الماء فتحطمت الصورة الرائعة . فذبل عوده ونضارته ، وكانت عدالة فينوس حين دنت ساعته ، فأقبلت عرائس الماء تنوح وتجمع الحطب لاحراق جثته ، ولكنهن لم يجدن غير زهرة جميلة من أزهار النرجس

انحنت على صفحة الغدير تنظر فيه إلى ظلها وتذرف دمعها ..وهكذا تبقى نرجسة الحروف هي المعشوق والعاشق على صفحات غدائر الزمن ..

30/5/1998

زمن البوح السابع عشر
هذه الحروف ذاتي ..

يسألون : أين أنت ؟؟ كيف نستطيع أن نعرفك ؟؟ أيمكن أن تقدّم لنا نفسك ؟؟ وكثيراً ما أوثر الصمت .. لماذا ؟؟ ..

ببساطة أنا موجود في كلّ ما أكتب .. في شيء من القصة هناك جزء من شخصيتي .. في الشعر صورتي.. في كلمات الوجد التي أصوغ ..

فكيف أختصر كلّ ما كتبت خلال سنوات طويلة ، لأقول من أنا .. ؟؟ ..

هل أنا القصيدة ؟؟ ولماذا لا أكون هي في جزء من عمري .. لماذا لا تكون كلّ كلمة من كلماتها معبرة عن ذاتي .. ؟؟ فالشعر أقرب الأشياء إلى الوجدان ، إلى صورة الإنسان الحقيقية.. والشعر هو التعبير الأوفى عن الشاعر ..

هل أنا القصة ؟؟ في جزء منها هي أنا ، وفي جزء آخر هي طريقة تفكيري ، وفي جزء ثالث هي التعبير عن حالة من حالات إحساسي بالوجود والمحيط ووقع الأحداث .. وتكون النتيجة الطبيعية ، أو المحصلة النهائية ، أنّ القصة أيضاً هي أنا .. فلماذا أهرب من كلّ ذلك؟؟..

هل أنا الدراسة أم الخاطرة ، وما شابه .. في جمع الخطوط ، والوصول إلى نهاية حقيقية ، أكون أنا .. فلا شيء منها يخرج عن كونها تعبيراً عني ..

من يدير ظهره لما يكتب ، يخون الحرف والذات ، ويكذب مرتين ، مرة لأنه تخلى عن مرآة ما كانت إلا المعبر عنه .. ومرة لأنه خاف أن يعرف الناس صورته الحقيقية من خلال ما يكتب

.. فالكتابة هي الرجل.. كما تكون الكلمات هي الملامح .. ولا معنى لأن نصرّ على فلسفة الأمور بعيداً عن هذا المعنى .. فلا شيء أدل على الكاتب من كتابته .. فهل أستطيع أن أقول بكلمات مختصرة من أنا ؟؟ أظن أن ذلك صعب .. لأنني عمرٌ في كلمات ..

البوح الثالث عشر
(عيد القلب)

" أهيم بلاد الأرض الموحش رقعٌ يطبق بي وجدي وشوقي مُسامري"

لم لا نحتفل ـ بعيد القلب ـ حين ينام كل عشاق الأرض؟ ..

اللقاء السري حين لا أراك ولا تراني ، بينما يتكئ الحب بين جفنيّ وجفنيك والروح تعانق الأحلام ، بينما يبتسم القمر خجولاً ويتوارى ..هذا هو سر قلبي حين يبتسم الجرح في خفقه ، وحين تتلوى أماني لقياك في صدري المهدم، أحس بخيالك يمحو عن مآقي لون الدموع ..

لذلك دعني أقطف لك زهيرات بيضاء من ممرات العبق البنفسجي .. كوجهك الخيالي .. بينما تاهت غيمة مخملية الزرقة وهي ترسل قبلاتها إلى الأرض ، فلثمت خضرة الخمائل الناعسة ..

يحتفل العشاق ـ بعيد الحب ـ ولهذا العيد الرمز أصل شرقي يسمى (تكريس الربيع) ـ عند اليونان كانت ـ افروديت ـ تجعل الأفئدة تخفق كخفق الحمام، وابنها ـ كيوبيد ـ يطير بشكل حمامة ويرمي سهامه ليزرع الحب بين البشر ، وتماثيل افروديت حوله الحمام والطيور ..

ـ أما العرب (كوكب الزهرة) أو العزى ، نسبوا إليه العشق وأسموه (كوكب الحب) . فالزهرة امرأة جميلة فاتنة تعيش على الأرض ، أغرت ـ هاروت وماروت . عندما أرسلهما الله

إلى الأرض ، وطلبت منهما (شرب الخمر ، أو قتل نفس ، أو عبادة الأوثان ، لتبقى معهما . فاختارا شرب الخمر ، وحين أرادا العودة إلى السماء ، علماها الكلام الذي تعرج به إلى السماء . فعرجت ولكنها بقيت معلقة بين السماء والأرض بـ اسم (كوكب الزهرة).

ويروى أن شاباً اسمه (فالنتين)فجع بقصة حب عاشها ، فانزوى عن العالم وتنسك ، وأصبح شفيعاً لكل المحبين في الأرض ، يوصل رسائلهم ، ويوفق بينهم ، ويتسلل خفية ليواصل مهماته السرية للحب . واكتشف الكهنة سره فحكموا عليه بالموت وسمي ـ شهيد الحب ـ .

يحتفل في أوربا بذكرى وفاته يوم / 14 / شباط. والاحتفال بهذا العيد ذكرى وفاته ولهذا العيد طقوسه ورموزه .. فالعاشق يكون استمرارياً بمحبته وتزداد أواصر المحبة بينه وبين البشر..

ففي هذا اليوم من كل عام يتبادل الأحبة الهدايا ضمن احتفالات جميلة وهي :

1ـ رسائل حب جميلة ، مطرزة بشعار الحب وهو: رسم خصل الشمس بحروف مذهبة

وضمن اشعتها يتعانق قلبان محبان وتكتب عبارة ـ اليوم أحبك أكثر من الأمس . وأقل من الغد ـ .

2ـ يهدي العشاق بعضهم البعض كتاب ـ فن الهوى ـ لأوفيد .

3ـ زهور جميلة .

4ـ قطعة حلوى تسمى ـ مار صبان ـ تشبه بمذاقها (الكعك باللوز) في الشرق ويكرم في هذا العيد كل محب . وكل من لم يتزوج ، وكل إنسان مهما كان سنه ، وتقدم إليه الهدايا ضمن حلقات الرقص والأهازيج العابقة بقبل الحب ..

2/6/1998

زمن البوح الثامن عشر
الحزن وكرة الثلج

كلّ واحد منا سيدخل مدينة الحزن مرة ، وألف مرة.. يشعر الكاتب أحياناً ، أنّ الحزن جزء من

تركيبته ، أقصد هنا المبدع .. لكن هل من المجدي أن نسلّم مفتاح الروح لأصابع الحزن؟؟..

أقول بكلّ بساطة : لا .. فالحزن الذي يصنع في كثير من الأحيان أجمل ما في الإبداع من وقع ، يكون حين نترك له الحبل على الغارب قاتلاً .. ولا نريد بأي شكل من الأشكال أن نحوّل الحزن إلى سكين ، بل إلى زهرة سوداء نستطيع رغم مرارتها أن نملأ الكون بالعطاء الجميل ..

من البدهيات القول إن الحزن يشبه كرة الثلج ، ندحرجها فتكبر كلّما ازداد مسيرها ، ويتضخم حجمها كلّما مرّت ثواني الزمن .. لذلك كان جميلاً أن نوقف لحظة الحزن ، أن نبقيها بحجمها الطبيعي ، حتى لا تكبر ـ خاصة في حالة الحزن السلبي ، الحزن الذي يهدم ولا يبني .. لكن هل هناك حزنان واحد يهدم وآخر يبني ؟؟..

الحزن حزن .. والألم ألم .. لكن هناك دائماً صورة وهيئة .. فعندما يأخذ الحزن صورة التدمير ، يكون مدمراً ، وحين يأخذ صورة البناء يكون بناء مفيداً ، وإن كانت ألسنته من نار ولهب ..

في الأدب والإبداع تظهر خاصية الحزن الجميل النبيل .. الحزن الذي يرفع البناء ويعليه وصولاً

إلى الأعلى .. مثل هذا الحزن لا نستطيع أن نوقفه أو نمنع صورته وصوته ودفء وقع خطواته..

في أمور كثيرة يكون الحزن مفيداً حين يبني الشخصية ويدفعها إلى الأمام .. ويكون مدمراً حين يدفع إلى الانكفاء والانزواء والتقهقر .. فالحزن إذن يكون بناء عندما نريد ، ويكون مدمراً أيضاً .. فلنكن دائماً مع الحزن البناء ..

البوح التاسععشر
(انخطاف الروح)

النفري : إنك ما أضمرتَ في قلبك ..

إن لم يكن بيني وبينك مجاز فليس بيني وبينك حجاب

لماذا أتعرض دائماً لاغراء رؤيتك ، رغم أن أعظم ما يميز العظمة في شخص ما هي الفطرة المدركة لا المنطق ، والعقل الباهت لا يرى الأبدية . لأنه يفكر أكثر مما يجب ، وهذا التفكير يجرده من أحاسيسه ويجعله غير قادر على تجربة أي كائن آخر غير نفسه فيصبح سجيناً في عقله وأفكاره المتكررة .. هكذا عشت زمناً غير زمنك مع هذا الانسان ، ولكن الشعر والحرية والحب أبعداني عنه . رغم أني أحسست أني كعريشة زهر قديمة انهارت على الطريق وفقدت براعمها وأصيبت جذورها ، ولكنها عادت واستقرت بالتربة الجديدة بجهد كبير وأنقذت من الذبول . تلك هي إرادة القوة . ويخيم علي القنوط الخفي كسحابة سوداء لأني ضيعت شباب العمر، وتعلمت من البجعة العاشقة أن آلام المحب تكون أكثر خفاء وعمقاً. لماذا الصخرة الصماء تتصدى لموجة القلب الكبيرة ؟ .. أصمت في لياليّ المترملة، أبحث عن وجهك في ضوء الشمس عن روحك التي هي في رقة الشمع ، وزهرة القلب الرقيقة

لا تزدهر إلا بالحب كما أن للموسيقى لغة سرية ، وللحروف زرقة المعنى . كذلك للأسماء تموجات خاصة مع الذات. يُقال عن اسمي إن لفظه ـ ليلى ـ استعير معنى النشوة من الخمر السوداء التي اسمها ـ ليلى ـ كما استعير الخمر السوداء من الليل. حيث يقال ـ ليلة ليلاء . وليلى ، وأشد ليالي الشهر ظلمة . هكذا يقول (خير الدين الاسدي) في موسوعته ومن طرفاته هذه الحكاية الصغيرة حين كان مدرّساً في إحدى المدارس :

سألتني طالبة كسلى من طالباتي عن معنى اسمها (ليلى) فقلت (النشوة) . فسرت إليها النشوة وتاهت وباهت وازدهرت بهذا المعنى . وغدت من يومها تصلح زيها ، وترسل الكلام همساً ناعماً فيه الدل وفيه المرح ، أما زميلاتها فأخذت الغيرة مآخذها منهن . وكتب لليلى سوء الحظ إذ رسبت آخر العام الدراسي ، وبدأت تبكي وتبكي . فوجدت زميلاتها فرصة للكيد بها فقلن : لأن تسمى بلوى خير من ليلى فثارت عليهن ، وهات يا سباب ، ثم لطم ولكم. وتنتيف الشعور .

هل لاسمي مدلوله السري حتى جعل نفسي شفافة بين تموجات دائمة عبر رؤى نشوة الحب البيضاء ، رغم نغمة الحزن والتي هي كغمامة سوداء على دمعتي .. أليست النشوة انخطاف الروح للحظة ؟. فمن يمسح سكون دمعتي السرية ؟ ..

5/6/1998

زمن البوح التاسععشر
البحر والتفاصيل

في هذا البوح ، والذي يدخل مسافة النداء التاسع عشر ، أحبّ أن أكشف للقارئ ، وربّما لك ولي ، أنّ هناك نوعاً من أنواع التنافر أو ما يمكن أن نسميه التباعد بين موضوعة بوحي وموضوعة بوحك .. إذ من سيقرأ بوحك التاسع عشر ، وما قبل وما بعد أحياناً، سيقول لماذا لا يكتب في الموضوع الذي كتبت عنه ، ولماذا لا تكتب في الموضوع الذي كتب عنه..؟

ولكلٍّ حق في أن يسأل ، لكن من المجدي أن يكون النظر إلى أنّ البوح يشبه البحر ، فهو في النهاية بحر في مجموعه ، لكنه في الجزئيات والتفاصيل ، يحمل الكثير من التعدد ، من الألوان ، من الأشياء التي قد لا تتشابه .. وبوحنا حسب ظني يشبه البحر تماماً ، قد نلتقي في الحديث حول موضوع واحد ، وقد يتحدث كلّ واحد منا عن

موضوع ، وفي النهاية، سيكون البوح في مجموعه بوحنا معاً ..

هل يشبه بوحنا يا ليلى تلك القطع الصغيرة التي تجتمع لتشكل في النهاية صورة كبيرة واضحة الملامح والمعالم والتفاصيل ؟؟ .. ربما .. فكلّ بوح قطعة من بوحنا الكبير الذي لابدّ أن يعطي في النهاية ما نريد قوله تماماً .. ألستِ معي ؟؟..

نقترب من الصدق أكثر ، حين نخلع كلّ قناع ، وأقول ببساطة ، إنني قد أكتب البوح التاسع عشر مثلاً، دون الاطلاع على بوحك التاسع عشر .. وهذا يعني أننا قد نكتب في اللحظة الواحدة ، لكن كلّ واحد منا في مكان .. وكلّ واحد منا يدور حول موضوع .. ولا معنى هنا ، لأن ينتظر الواحد منا وصول البوح ، كي يقول صداه ، أو كي يكتب في الموضوع ذاته.. وكما قلت ، تبقى النتيجة ، أنّ كلّ بوح ، سيشكل في النهاية صورة بوحنا الكبير .. وقد شبهته بالبحر، لأنني لا أعرف أروع منه .. فالبحر أجمل الأشياء ، وربما أروعها .. وما أجمل أن يكون بوحنا في مجموعه بحراً .. فلا

شيء يغري أكثر من الوصول إلى هذا الحدّ من الجمال..

البوح العشرون
" خضرة قلب "

النفري ـ أهل المحبة يحجون بمحبتهم..
في الخلف البعيد البعيد ـ انحنت الشمس حزينة منطفئة كالزهور فقد توقف النبض غاضباً ، كانت تتقلب في فراشها ، والغسق يكدح صامتاً يفكر بما سيحدث .. فللحب هداياه ، وهي تبحث عن شكل آخر للهدية ، عن نبتة اسطورية ، لكن هذه النبتة تنحني أمام اغتراب المفاجأة، فالحياة مهددة دائماً بالحزن لولا وجهه المألوف .
الزمن يهرم تحت ثقل نظراته الواجفة ، والقلب يبتسم في اخضراره فوق العشب اليابس .

في زمن ما كان الرجال يلبسون ساعاتهم معلقة بسلاسل ذهبية تتدلى من جيوبهم . أما النساء يتميزين بشعرهن الطويل ويزينه بالأمشاط والحلي.

هذه الفتاة تحب شاباً فقيراً ، واغرورقت عيناها بالدموع: غداً عيد الحب وأجمل هدية ستكون للحب ـ وليس لها مال لتشتري لحبيبها هدية، ولكنها استدارت فجأة وذهبت إلى محل يتعامل مع بضائع الشعر ، وباعت شعرها الذهبي المسترسل بعد أن خبأت خصلة الشمس عن رياح القهر ، واشترت لحبيبها سلسالاً لساعته التي ورثها عن أبيه وأخفاها لأنه لا يملك سلسالاً لها . وحين التقيا مساء نظر إليها نظرة غريبة واجفة، ارتعشت نظراتها المفعمة بخوف الحب والتوسل . ـ سينمو شعري لا تقلق يا حبيبي ـ بقي صامتاً مذهولاً وهي تقدم له سلسال الساعة الذهبي.

ضمها إلى صدره ، قبلها بحرارة ودس يده في جيبه وأخرج علبة فيها أمشاطاً جميلة مرصعة بالجواهر . أطلقت صيحة فرح ، ثم أجهشت

بالبكاء ، كم وكم حلمت بهذه الأمشاط .. وكم حلم بسلسال الساعة التي باعها لأجلها ..

ضمها إلى صدره أكثر فأكثر بحزن يهدهد الفرح قائلاً :

دعينا نترك الهدايا لوقت آخر .. لا يمكن لشيء أن يجعل حبي لك أقل . ولنحتفل بأجمل عيد للحب .

طلعت الرائع :

أليس نخر صلصال الخطأ المتقطع عبر حضور الأزمنة يحفر ..وتبقى الورقة المهددة بالريح تنزع من الشمس أنفاسها الحارة . وتبقى كلمات الحب على الشفاه ، كقطرات ندى حائرة على خد زهرة حزينة ..

9/6/1998

البوح العشرون

الطريق إلى عمري ..

تلك هي الحكاية ، وهذا هو النداء .. في كلّ قطرة من هذا البناء ، أشعر أنني أضع قطرة من عمري .. يا ألله هل وصلت حقاً إلى هنا ؟؟ أحياناً

أنسى فأعود إلى طفولتي لأشرب حليب الصباح من يد أمي .. كم من الوقت مضى .. كم من الوقت تبقى .. كم من الوقت سرقنا كي نرفع أعمارنا إلى هذا الحدّ ؟؟ مضحك جدول الضرب حين يكون مقياساً للزمن الذي راح ، وحين يكون مقياساً للزمن الذي يأتي .. ومضحك أكثر هذا المرور السريع لقطار الوقت .. هل تحولت أعمارنا إلى دولاب يدور بسرعة الصوت ؟؟..

الطفولة باب إلى السحر .. باب إلى الخلود .. ودائماً أحبّ التشبث بكلّ ما في الطفولة من جمال .. أرفض أن أنظر إلى الشيب في شعر رأسي.. أرفض أن أرفع قامتي أكثر لأدّعي أنني أطول من كلّ الحكايات .. فأنا ابن الطفولة .. والطفولة وحدها هي التي تحميني من كلّ ما في العالم من حزن .. لذلك أبتسم .. أضحك .. أعري شجر الحزن والألم وألقيه خلف ظهري.. تلك ميزة الطفولة .. لكن هل يستطيع الواحد منا أن يبقى طفلاً إلى الأبد ؟؟..

أن تولد طفلاً ، وتعيش طفلاً ، وتموت طفلاً ، فتلك أجمل الأمنيات.. وليس تحقيقها مستحيلاً.. إذ كلّ ما عليك أن تبحث عن عطر الوردة فيك..

أن نبقي كمّ البراءة دون أن يطاله الصدأ .. أن تضحك ..
لماذا أصرّ على الضحك إلى هذا الحدّ ؟؟ .. لأنّ الضحك هو الإنسان ، ولا شيء آخر يعطي الإنسان إنسانيته مثل الضحك .. ولأنّ الطفولة هي الأحلى ، فقد كانت مرتبطة بالضحك .. هما محوران لا غير ، الطفولة والضحك ، فما أجمل العمر الذي يمتلئ بالطفولة والضحك .. ما أجمله ..

البوح الواحد والعشرون

" للتأمل غموضه "

يقول القديس ـ اغناطيوس ـ:إن ساعة تأمل واحدة، علمته حقائق كثيرة ، أكثر مما أفادته تعاليم رجال الدين جميعاً ..

تأملت الإنسانية ، وشعرت برعشة من الخوف لا أدري كنهها ، لأني وجدت أنها مبنية على خوف الإنسان من الموت ، فكأن بالإنسان يتأمل الموت فيعي الحياة ، ويخيل لي أن الموت لن يحدث إلا للذين هم خارج نطاق محبتي ، أما ما يعانقه حبي سيبقى إلى الأبد ..

" وعلى ضوء النجوم أفقت من تأملاتي وقد تبدى لي تمثال ـ الزهرة ـ آلهة الحب واقفة بين الشجر وقد سقط على انحناءة كتفها شعاع أزرق ، وعلى إحدى ذراعيها من الضوء مما جعلها تبدو كغصن يابس منحن ، ولكنها ساكنة سكونها الأبدي " .

وكان جمع من العشاق في ملابس زاهية اللون ، وزورق ينتظر صعود العشاق ، وزهور مجهولة الأسماء تعوم حول الزورق ثم تتفتح أوراقها لتقود سفينة العشاق ..

يبدو أنني حين أدخل أزمنة البوح بعد أن أكون خرجت منها لفترات. وفترات متباعدة .. أو متواصلة أحياناً ، أكتب بشكل لا واع لأني لا أفكر بألوان الصور التي يسلسلها الفكر التأملي، وبشكل لا واع أيضاً أنتقي الألفاظ ، وربما تكون أفكارنا اللاواعية أدق وأعمق لأنها حين تدخل المدرسة التحليلية تتعثر.. وتضطرب .

وقد قال ـ شاتوبريان ـ" يجب أن تكون طبيعة المبدعين قادرة على الالهام والحركة . فالأولى تولد الفكرة ، والثانية تحققها " .

أليست الفنون مترابطة ولا انفصال بينها ، إنما كل شيء لم يقل بعد وكل شيء لم نعبر عنه بعد..

لماذا تورطت معي للدخول إلى هذه الأزمنة الفوضوية ؟

وورطتك هذه جعلتك ملزماً أن تسمعني وأنا أتنقل في قاعات الأفكار ، والتأملات ، فنولّد

فكرة . وننسى أخرى ، ونتعثر في التعبير أحياناً .. ونهاجر من أزمنة بوحنا أحياناً أخرى ويتجمد الصمت على شفاهنا ..

أحس هذه الأيام وأنا أترع كؤوس وحدتي ، وأشرب حتى الثمالة نخب الألم من مقلتي ، أنني فرع نخيل منعزل في صحراء والأعاصير تهزني بعنف ، وتتفتح على رمال المفاجآت من كل جانب ، فأحمل أمتعتي من المتاعب الزائدة وأنثرها في غياهب هذه الصحراء اللامتناهية ، لأثبت لنفسي أني أستطيع العيش بمفردي، أليس هذا يعني أني أتمتع بحرية حزينة يا صديقي ، لأن الحياة التي حولي خلت من الشجيرات غير المتراصة ، غير المتماسكة بأرض الصداقة. ومعاني الإنسانية ، وما الصداقة التي يعيشها الآخرون إلا حالة من النفاق الاجتماعي ، لأن الشكل غير متناسق ومنسجم مع المضمون ، وكأن في هذا الزمن القلوب تحجرت ، والروح تجف وتذبل..

وقد قال أحد الحكماء :البوم يشبه الإنسان كثيراً ، مخالبه مخبأة تحت ريشه فالإنسان بشرِّه المخبأ تحت قناع تهذيبه الاجتماعي هو انعكاس

لصورتنا في مرآة الحياة الحيوانية ، وفي الطبيعة لذا نكرهه ، ونحبه ، بآن واحد ..

وقد كان البوم في بعض العصور رمزاً ـ للحكمة ـ منذ / 2500 / سنة وقد صك اليونان صورة البوم المقدس على عملتهم مقروناً بأثينا ـ ربة الحكمة .. والبوم يملك أكثر العيون جاذبية وغموضاً وإثارة في العالم.

1/7/1998

البوح الواحد والعشرون
الصوت والصدى

من البعيد تأتي لحظة الحلم ، لحظة امتشاق الصورة التي كانت .. في مثل تلك اللحظة السحرية يخرج مني آخر يأخذ في ملاحقة الظلال .. وأرقبه .. لا يكون عليّ إلاّ أن ارقبه .. أتلذّذ بكلّ حركة من حركاته .. أضحك بصوت مرتفع عندما يأخذ في القفز والركض واللهاث .. ولد يلعب في الحارة الضيقة ، أو في باحة المدرسة ، ويقف مأخوذاً عندما تمرّ تلك التي كان يحبها..

كان الولد مشاغباً .. كثير الحركة .. لا يعرف الهدوء .. يتمنى أحياناً أن يملك جناحين ليطير.. لا تتسع المسافات والمساحات لأحلامه .. يتلذذ بممارسة طقوسه الخاصة التي لا تصدر إلاّ عن الأولاد .. تدوخه القبلة الأولى فيظن أنّ الوجود كله في شفتين من كرز .. هل كانت تلك البنت الحلوة تشعر بمثل شعوره، أم أنها ذاقت القبلة

قبل أن يذوقها ؟؟.. الجواب يحتاج إلى العودة طويلاً في الزمان .. وهذا مستحيل.

يقف الأطفال الذين كبروا ، في المدرسة الجديدة مبهورين .. ويقف هو آخر طالب ، لأنّ طوله يستدعي أن يكون الأخير .. ولهذا الطول رغم سيئة الوقوف في آخر الصف ، ميزة القدرة على المشاغبة ، وممارسة الحركة بحرية ، والحديث مع الطالب القريب دون أي حرج.. لكن المدرسة الاعدادية تختلف عن المدرسة الابتدائية .. فهنا تكبر المسؤولية ، ويدخلون الطفل ، شاء أم أبى ، في زمرة الأولاد الكبار .. وعليه أن يتصرف على هذا الأساس ، مع أنه ما زال راغباً في ممارسة طفولته بطولها وعرضها .. ويستطيع بين الحين والحين ، أن يلقي حجراً في البركة الساكنة ، لتكون الدنيا كما يريد .. ومع الأيام ، يشعر أن منطق الكبار لا يرحم .. وعندما يصل بعد سنوات إلى التواصل مع أصواتهم ، مع صورهم، يمارس دون أن يدري منطق الكبار ، صارخاً في وجه الأطفال : الهدوء .. الهدوء.. ويتمنى الأولاد الذين ما غابت طفولتهم ، أن يصمت ، ليعيشوا سحر الطفولة كما يرغبون ..

البوح الثاني والعشرون
" رؤى الخيام "

إلهي قل لي من خلا من خطيئة
وكيف ترى عاش البريء من الذنب
إذا كنت تجزي الذنب مني بمثله
فما الفرق بيني وبينك يا ربي ؟
عمر الخيام

لقد كان عمر الخيام ليس من أولئك الذين لا يعدو إيمانهم أن يكون خوفاً من يوم الحساب ، ولا تعدو صلاتهم أن تكون سجوداً ..
وطريقته في الصلاة : يتأمل وردة ، يعدّ النجوم ، يتدله بجمال الخليقة ، بكمال نظامها وترتيبها، بالإنسان أجمل ما أبدع الخلاق بعقله المتعطش إلى المعرفة ، بقلبه المتعطش إلى الحب . بحواسه متيقظة كانت أو مترعة .

وقد قال : أنا متعبد للحياة ، أنا أهتف إن كنت لا تعرف الحب فما يجديك شروق الشمس أو غروبها ..

وهل يتجاهل الناس ـ الحب . والموسيقى . والشعر ، والخمر ، والشمس . هل نحتقر أجمل ما في الخليقة ونجرؤ على التلفظ باسم الخالق؟. فسلام إلى الإنسان في ظلمة صمت الآخرة .. ومن أقواله : ـ عندما يريد المرء أن يشرب فإنه يختار ساقيه ونديمه .

ـ ليس للبحر جيران ، ولا للأمير أصدقاء .

ـ الشعر لا يعرف قانوناً .. إنه لا ينكر ما سبقه ، ولا ينكر ما تبعه ، وهو يجتاز العصور في دعة تامة .

ـ جعلنا الله عاشقين . كما جعل بعض الأزهار سامة .

ـ لا تعجب لشيء . إن للحقيقة وجهين .. وللناس أيضاً ..

ـ إن اليوم الذي تستطيع أن تعبر فيه عن كل ما يجول بخاطرك ، سيكون فيه أبناء أبنائك قد وجدوا الوقت الكافي ليصبحوا عجائز ..

ـ إننا في عمر الأسرار والخوف ، وينبغي أن يكون لك وجهان : واحد تريه للناس . وآخر لنفسك ولخالقك .
ـ ما أشد وحدتك وأنت بقرب محبوبتك ، والآن وقد رحلت تستطيع أن تلوذ بها .
ـ الجنة والنار هما ذات نفسك .
ـ السعيد من لم يظهر قط إلى الدنيا .
ـ العلماء لا يجود الزمان إلا بحفنة منهم في العصر الواحد ، في حين أنه بالإمكان تعيين خمسمائة وزير في العام الواحد .
ـ ينبغي أن يوارب المرء في حديثه مع القضاة والسلاطين لا مع الخالق.
ـ حُرمت الصلوات الخمس لأننا الآن في الجنة متصلين بالخالق على الدوام ولا حاجة بنا إلى التوجه إليه في ساعات محدودة .. فمن يعاند في إقامة الأوقات الخمسة يكشف بذلك عن قلة إيمانه بيوم الحساب ، ولقد غدت الخمرة وهي شراب أهل الجنة كما في ـ القرآن ـ من المحللات وعدم شربها آية على ضعف الإيمان .
وقد قال :
كسرت يا رب ابريق المدام كما

سدد ت لي باب عيشي حيثما كانا
أنا شربت وتبدي أنت عربدة
ليت الثرى نعيمي . هل كنت نشوانا
3/7/1998

البوح الثاني والعشرون
القصيدة والحب ..

لا أدري إن كان بالإمكان فصل الشعر عن الحب ، أو الحبّ عن الشعر .. في الأول لا يكون الشعر شعراً ما لم يكن في البداية خفقة قلب ، وصرخة عشق .. وفي الثاني لا يلجأ الحبيب حين تضيق الكلمات عن استيعاب ما يريد قوله للحبيبة إلا للشعر .. فالشعر يطابق الحب ويداخله.. ومن الصعب الفصل بين هذا أو ذاك ..

في ذواتنا منذ الصغر احترام للشعر غريب عجيب.. كأنّ الواحد منا يرضع الشعر مع حليب أمه.. ويكبر واحدنا ليكبر معه هذا الإحساس الجميل .. ويكون تواصله مع كلّ فتاة ، أكثر

حضوراً وجمالاً وروعة ، حين يكون الشعر حركة القلب واليد واللسان والملامح .. فالشاعر ، وإن كان في طور الأولاد الصغار ما زال ، مميز في كلّ حركة من حركاته، ومرهوب الجانب حتى من الأصدقاء والأحباء .. لأنهم يعتقدون ، أنه يستطيع بشعره ، أن يسرق الكحل من العين ، فكيف يصمدون في وجهه وينافسونه في حب هذه أو تلك .. وفي مثل هذه الحالات ، يكون الأجدى، أن يقربه كلّ واحد إليه ليتلافى منافسته عند الحاجة ، أو ليكون إلى جانبه يسانده في قصيدة إذا أحب .. وكم كان القلم يتحرك ليكتب لهذا أو ذاك ، قصيدة تحكي عن اللوعة والحزن ، لتقدم إلى فتاة ما زالت بعمر الورد ..

قد يكون الأمر مجرد صورة أو تصور فيما بعد .. لكن لا يمكن أن يكون الشعر شعراً في البداية وإلى سنوات ، ما لم يكن الحبّ محرك الشعر ومؤجج صوره .. وحتى عندما يصبح الشاعر في الثمانين ، لا يكون الشعر شعراً حقيقياً ما لم يكن الحب وقوده ومحركه ودافعه .. ويخطئ من يظن أنّ الحبّ يتوقف في هذا السن أو ذاك ، أو أنه يموت .. فالحب مثل الحياة ، مثل الأنفاس ،

وإن أخذ أشكالاً متعددة ، لكن الاستغناء عنه لا يكون ، خاصة عند الشعراء ..

البوح الثالث والعشرون
" صمت الجواب "

" وضعتني في جواب الصمت ، لأنني أحببت قلقاً يا قلبي أراك .. تندي أعماقي بأحزان هواك "

-0 أسطورة سمرقند –

يحكى أن ملكاً من ملوك سمرقند أراد أن يحقق ما يحلم به كل إنسان أن يفر من الموت ،

وإذا كان مقتنعاً بأن الموت يُقبل من السماء رغب في القيام بعمل يمنعه من ادراكه ..

فابتنى قصراً تحت الأرض ، قصراً شاسعاً وسد جميع منافذه ، وكان ثرياً ثراء خيالياً وقد اصطنع فيه شمساً تشرق في الصباح وتغرب في المساء كي تدفئه، وتعين له مرّ الأيام ، غير أن إله الموت تمكن من خداع نباهة الملك ، وانسل إلى قلب القصر لانجاز عمله ، وكان عليه أن يثبت لجميع الناس أنه ما من مخلوق يهرب من الموت مهما تكن قوته . أو ثروته . أو حذقه أو صلفه .وهكذا غدت ـ سمرقند ـ رمز اللقاء المحتوم بين الإنسان وقدره .

وفي ـ نيسابور ـ حجب الخيام إلى مثواه الأخير وهو في الرابعة والثمانين من عمره . وقبره مستند إلى جدار حديقة، وشجيرات كمثرى ودراق تمد أغصانها وقد نثرت أزهارها على القبر حتى أنه كان مختفياً تحت بساط من ـ البتلات ـ .

وقد قال الخيام قبل موته : ـ سيكون قبري في مكان تنثر فيه ريح الصبا والأزهار في كل ربيع ـ .

قد تبدو هذه الكلمات غير معقولة على الفور . ومع ذلك رجل مثله لا يمكن أن ينطق عن هوى . وكتب على قبره ما قاله من تأمله في الموت :

كقطرة عادت إلى الخضم أو كذرة قد رجعت إلى الثرى
أتيت للدنيا وعدت حاكياً ذبابة بدت وغابت إثرا

ألم يكن الشاعر قد تمنى ـ لرباعيته ـ الخلود على الأقل . ذلك الخلود الذي لم يكن يجرؤ على تمنيه لنفسه.

وقد قاله لحبيبته جيهان :

هاتي خمراً ولتكن في مثل ورد خديك
وليكن نديمي مثل خفة خصلات شعرك

وحين وجد حبيبته ـ جيهان ـ في خطر أراد أن يهرب بها من قصرها قائلاً ـ اتركي هذا القصر .. لا تلتفتي وراءك ، لا تقولي وداعاً ، لا تجمعي حتى متاعك . هاتي يدك . ولنعد إلى بيتنا فتنظمي قصائدك وأرقب نجومي . وتأتين كل مساء فتلتصقين عارية بي وتحدونا الخمر الممسّكة بالغناء .. ويتوقف العالم في نظرنا عن الوجود ، ونقطعه من غير أن نراه أو نسمعه ..

اغرورقت عينا ـ جهان ـ قائلة : هؤلاء الناس يا عمر لا يفكرون إلا في الانتقام . وسيأخذون عليك أنك خبأت ـ جهان ـ وسوف يقتلونك في الوقت الذي يقتلوني أنا فيه .

أجابها : سنظل في بيتنا معاً . وإذا كان مكتوباً لي أن أموت معك فإني أذعن .

لكن جهان رفضت أن تذعن لموته معها ـ وعادت إلى القصر حيث ذبح الجنود جميع أهل القصر ـ وصرخ ـ جهان ـ ثم هدأ روعه فجأة ـ فعلى المرء أن يحتفظ بكرامته في اللحظة الأخيرة . لقد عرفت ـ جهان كيف تحتفظ بكرامتها .

فقال :

انقضى عهد الصبا الميمون ولكي أنسى أسكب الخمر
وطعمها مرّ هكذا يعجبني وهذه المرارة هي طعم حياتي

4/7/1998

البوح الثالث والعشرون
هذا التواصل الجميل ..

وكان زمن البوح روح الروح .. حاولت أن أغسل عند الصباح ضلعين من وردة الحلم ، فكان

صوتك مائي وامتداد الخصب في عمري .. وكنتُ أعلم أنك ترسمين بحبق الروح دفء وجهي ، وترسلين كلّ الحكايات لتطرق في صلاة الوجد باب عمري .. فكم كان رائعاً أن آخذ كفيك في دفقة وجدي لأرحل في كلّ خط من خطوط يديك حتى الثمالة ..

هل حاول العاشق أن يشعل الوردة في دروب الزمن الجميل ؟؟ كلّما أعدتُ ترتيب أصابعي يدركني الذهول فأعود إلى كأسي العاشرة لأشرب نخب تفاحة فردت سرّتها على سنابل شفتي فأزهر الوجد قبل أن يطلق الربيع دهشة الورد في صباحات الحدائق والحقول ..

لماذا كان عليّ وأنا أمشي إلى جسدي أن أصعد سلّم الزهرة الأولى ؟؟ لا تقولي انني أضعتُ انتباهي حين تركت ذهولي على مقعد حجري أمام الباب .. ولا تقولي إنّ الصباح كان ساحراً إلى الحد الذي ينسيني كيف أعود من حقل الوعد إلى حقل العهد ..

فأنا في صعودي نحوي أو نحوك ما نسيت أن أحمل سلّة الشعر لأسكب عند يديك كلّ ارتعاشات قصائدي .. وأنا في صعودي نحوك أو

نحوي ما نسيتُ أن أحمل كلّ حقول الشوق لأفرد جسدي غصن عمر لا يعرف غير الحب زهراً ..
ضيعتني الدروب .. تهت .. نسيت الطريق إليّ .. وحين صحوت كنت في الطريق إلى سرّة تفاحة أخصبت في العمر حقل أغنيات .. لا أريد أن أستدير حتى لا أفقد شيئاً من حبق الحضور المذهل .. فخذي شكل يدي واتركي لي شكل يدك ، حين يسيج العمر أيامنا بألف لقاء ..
12/8/1998

البوح الرابع والعشرون
" للخيال سحره "

يقول جيته :

أنبئيني ما الذي يهواه قلبي
إنما قلبي لديك فاحفظيه

امبراطورة النمسا الفاتنة كان جيته يقدسها حتى العبادة، ولكنها شاءت ألا يذكرها الشاعر في أي مؤلف من مؤلفاته ، فوعدها جيته أن يظل مخلصاً لها في قلبه ، وأن يضلل الباحثين عن تقديمه لها . بأن يجعل إشاراته إليها عسيرة الفهم كل العسر .. فلا يستطيع المولعون باصطياد النوادر أن يعرفوا من تكون حبيبته؟ ..

فقال : إن حبي دائماً يقسو علي ، فأشدو بقلب يختنق .

أما مجنون ليلى : إني لا أستطيع أن أكون رضي البال لأني بعيد عنها كل ذا البعد الكبير .

فسأله الآخر : فهل لديك شيء أكون رسولك إليها به ؟ ..

أجابه المجنون : لا حاجة لأن أنكر حيث هي توجد..

ـ أليست أجمل قصيدة نكتبها ولم نستطع الغوص في أعماقها حتى الآن هي (الإنسان) ـ رغم كل شيء .

إن الجمال في كل ما حولنا ، في كل مكان ، لِم لا يعبر عنه الإنسان بطريقته الخاصة . بأسلوبه الخاص. بإحساسه الخاص .

قال فولتير ـ نطلق كلمة جمال على كل ما يثير في نفوسنا السعادة والاعجاب وهو انطلاقة القوة الأصيلة .

أما لامنيه ـ أحد كهان الفلاسفة :

" إن الفن بالنسبة للإنسان هو بمثابة قوة الخلق عند الرب.

أما فان كوخ ـ يمكنني التخلي عن ربي . وعن حياتي ولكن لا يمكنني التخلي عن مقدرة الخلق أبداً ..

ويقول ـ ديلاكروا ـ الفنان ليس الذي يملك الموهبة والعبقرية والقدرة على التعبير ، إنما هو الذي يملك معرفة واسعة بالعالم وممارسته مستمرة . بذلك يستطيع أن يعبر عن كل شيء ابتداء مما هو مرئي إلى ما هو خفي وحالة النشوة والالهام تنبع من داخله . وهذا العالم يتم التعبير عنه بقاموس الطبيعة الواسع من خلال ذات الفنان . والموهبة المفتعلة لا يمكنها أن تثير النفوس الصادقة .

ويقول جيته : الخيال هو ابن الإله المدلل الدائم الحركة والتجديد . فالخيال هو تلك الرقة الخفية في الشعور ، والتي تجعل الفنان يرى في الكلام ما لا يراه الآخرون بطرق مختلفة . ولا توجد قواعد أو قيود للنفوس الكبيرة ..

سُئلت في إحدى الحوارات الصحفية .. ماذا يعني لك الحب . وقد أسست له كل أعمالك النثرية والشعرية والقصصية ؟ ..

قلت : الحب الذي أكتب عنه كمثل الكون لا ينتهي، إنه تجليات المطلق للتسامي بالإنسان ..

والحب لديّ يتجه نحو الكينونة لا نحو الملك . وليس هو عاطفة وانفعال وتأثر وجداني .. هو فعل ، تضحية . عطاء . وحركة نشاط إبداعي .

قيل ـ لديك التكرار في موضوع واحد ـ الحب ..

أجبتُ : التكرار لدي حركة للنمو .. والتغيير . والتنوع . لأني بالحب وحده أجسد حلم اللحظة .. وأرى فيه سكري الروحي مما لا يراه الآخرون.. وأعبر عنه بطرق مختلفة .. وألوان منوعة ..

6/7/1998

البوح الرابع والعشرون

وقت لوقت قادم

تغسل المسافات جسدها بعسل وفضة الوقت الجميل.. ومع كلّ دقة على جدار الزمن ، ينفتح باب يوم أحلى سيأتي .. أتدرين ؟؟ كثيراً ما أفكر باليوم الذي مضى ، وأصر رغم كلّ الجمال فيه، على أنّ اليوم القادم أجمل .. قد تقولين إنّ مساحة التفاؤل عندي كبيرة ، وأقول لك بصراحة: ولماذا لا تكون ؟؟.. أليس جميلاً أن تقف النحلة على زهرة الحرف ذات صباح؟؟..

أجمل الأشياء تلك التي لا نعرفها .. وأجمل الأيام تلك التي لم نعشها.. وأجمل الساعات تلك التي خبأها لنا الزمن في جيب سترته .. ليس جنوناً ، ولا يشبه الجنون ، أن أكون مع ضوء الأغنية ، مع نشيد الصباح ، مع يقظة الوردة .. إذ ما أزال مصراً على أن التوازن النفسي والجسدي يستدعي أن نكون أكثر تفاؤلاً بما هو قادم .. ربما كان هناك جزء من خطأ .. جزء من فلسفة تقول إن الإفراط في التفاؤل يؤدي إلى الغرق في بحر الوهم .. لن أناقش ولن أحاول..

فأنا لاأريد أن يكون الفرح نوعاً من التظاهر ، ولا أريد أن يكون التفاؤل نوعاً من التعلق بوهم .. بل أريد أن ينبع كلّ شيء بشكل طبيعي ، وإن لم يكن ذلك كذلك ، فلا جدوى ..

الوقت الذي نعيشه ، يعني أن نمهد للوقت الذي سيأتي .. فالسلسلة متتابعة الحلقات ، وحين تكون حلقة ما ضعيفة ، ينكسر معنى الترابط في السلسلة .. والأيام القادمة ، لا تكون بعيداً عن الأيام الراهنة ، فما يأتي يكون من الذي مضى .. لذلك أحب أن نزرع الوردة في كلّ زمن ، لتكون الأيام القادمة أكثر حضوراً .. ولا يظن أنني أقول إنه لامكان للحزن .. لأن الحياة لا تسمح بلون واحد ، وصيغة واحدة .. لكن علينا أن نكون مع الصورة المشرقة ، مع التوازن ، لا أن نحول الأيام إلى مجرد توجس وخشية وخوف مما هو قادم .. لأنّ هذا مرض .. وأي مرض ..!!..

13/8/1998

البوح الخامس والعشرون
" نشوة اللغة "

" اللغة طاقة وهي التي تبني رؤيتنا على العالم وتفتح آفاقاً أخرى على ذواتنا وهكذا تتوصل اللغة إلى وحي . واللغة الشعرية هي لغة تخطف القارئ وتنقله إلى اللا منتهي . واللغة الصوفية عالمٌ داخل عالم هي لغة الحب " .

وجدت يا صديقي .. يا من رافقتني بأزمنة البوح المتشعبة ، أن اكتشاف حقائق الحياة يعني تدمير الأوهام الجميلة ، ورغم ذلك فإن تلك الأوهام تعاود الظهور متجاهلة كل معرفة قدمتها التجارب ، ولذلك يبقى الإنسان مشروعاً منفتحاً لكل الاحتمالات ، وبنفس الوقت الإنسان موقف فإذا تخلى عنه فهو ليس إنساناً ..

أحياناً أكره هذا الانتماء الذي وجدت نفسي فيه ، هل يعني لي شيئاً ؟ وهل أنا إلا مجرد حصيلة باهتة لوجهات نظر الآخرين ، وهل أنظر لهم بعيني أم أنظر إلى الحياة بعيون الآخرين المدقوقة في اللاوعي .

والأفكار المتوارثة ، والمعتقدات الخاطئة والتي تتخذ صفة الحكم في نفوسنا ليس بالضرورة صحيحة ، فلو حاولنا مرة أن نسأل أنفسنا عنها ونناقشها بوعي ومنطق عقلاني ؟ ..

قال أب لابنه : إذا خيبت النساء يوماً أملك فاذهب إلى أصدقائك ، فالصداقة أعمق من الحب ، وإذا خذلك أصدقاؤك كلهم فالجأ إلى ثروتك لتروح عن نفسك ، وإذا وجدت أنك بسوء تدبيرك بددت مالك ولم يبق لك صديق أو حبيب ، وخيم اليأس على قلبك ، فاعلم أنك كنت فاشلاً في عمرك ، فخير لك أن تضع حداً لحياتك..

وقد هيأت لك حلقة في منتصف السقف لتستعملها في انتحارك . حين فشل هذا الشاب في كل شيء ، ربط الحبل حول عنقه وقفز عن الكرسي فوقع على الأرض ، وهطلت عليه دنانير ووجد بينها رسالة من والده يقول فيها : علمت أنك سوف تتدهور مع تقلب الزمن ، لذلك هيأت لك بهذا المال حياة جديدة ، وأملاً جديداً . ولكن اعقل في تصريف شؤونك هذه المرة.

لذلك بعض الناس لا تستعمل كلمة ضجر قط ، لأن الإنسان يكون جزءاً من الفصول : الربيع

بأزهاره وأغانيه ، الصيف بحصاده وشهواته ، الخريف بزيتونه وأعراسه ، الشتاء بزمهريره وتوقعاته ..

رغم أن الصعاب تتآلب عليّ من كل جهة ، ثم تنزل في لهب محرقة الذات . ولكن سأحاول ألا اسمح لشيء في الوجود أن يشوه صورة الحياة والحقيقة . طالما أني لست قادرة على تفريغ شحنات الحب من مجاري دمي ..

8/7/1998

البوح الخامس والعشرون
وكان الشعر .. كان القلب ..

أحاول الكتابة أحياناً فتطل الحروف من مخابئها ثم تعود رافضة أن تسير معي إلى حيث أريد .. من قبل كان ذلك أكثر من كثير .. ثم أخذ يقلّ شيئاً فشيئاً ، ليكون في القليل النادر اليوم .. وقد يسأل سائل : لماذا.. هل تغير الإبداع .. هل تبدلت روح الكتابة .. ؟ وأحبّ هنا أن أقول إنّ السنوات ، والكتابة باستمرار ، تجعل التآلف قائماً بين الحرف والكاتب .. فلا يعود الحرف على جفائه الذي كان ، ولا تعود الكلمات على نفورها الذي مضى .. وتصبح الخبرة ميزاناً جميلاً يستطيع الكاتب من خلالها أن ينتقي المفردة التي يريد دون حاجة لإطالة البحث والتنقيب.. وهذا لا يعني بأي حال ، أنّ الكاتب يتحول إلى مضخة تضخ الحروف في كلّ وقت ..

هناك دائماً مساحة تجدر دراستها عند الكاتب ، يمكن أن نسميها مساحة التآلف والالتصاق بدفء الحرف .. وكلما ازدادت هذه المساحة اتساعاً، كلّما كان الكاتب أقدر على التعامل مع الحرف بتدفق وحيوية وتميز .. وإذا كان الكاتب المبتدئ يحتاج لساعات طويلة كي يشكل نصاً إبداعياً ، فإنّ الكاتب والمبدع الذي أمضى سنوات طويلة من العطاء ، لا يحتاج إلا إلى القليل من الوقت ، ليقدّم نصاً أكثر نضوجاً وجمالاً وروعة ..

أذكر ، وربما تذكرين ، أننا كنّا نتباهى بتمزيق الورق وإعادة الكتابة ، وكلما ازداد عدد الأوراق الممزقة أو الملقاة في سلة المهملات ، كنا نشير إلى حجم التميز الذي عندنا ، وندّعي أنّ فعل الإبداع يستدعي ذلك ، وأن العبقرية لا تكون إلا مع تمزيق الورق مرة بعد مرة .. ومع الأيام تغير الحال ، وعرفنا أنّ الصورة القديمة ، كانت تدلّ على أنّ نضوجنا لم يكتمل ، وصرنا نضيق الآن حين نمزّق الورق ، وكلّ ما نفعله ، حين تأبى القريحة أن تجود علينا ، كما نريد ، يبدو في أن نترك الورق لمرة أخرى.. فالعبقرية لا تعني أن

نمزق الورق ، بل أن تكون الحروف مسكونة بكلّ ما في العالم من سحر ..

14/8/1998

البوح السادس والعشرون
" الزمن من نقطة انطلاق "

" الزمن هو أسوأ اللصوص لأنه سلبني بقية الحب الذي كان لا يزال في قلبي "

الزمن نقطة انطلاق ، فإذا أضعنا نقطة الانطلاق .. دخل الزمن منطقة الخطر .. مع أبخرة فنجان القهوة الصباحي ولهاث الدخان يضج في رماد حزن مذبوح على خاصرة الزمن ، كنت أتأمل حالة الصراع بين العقل والروح .. في الأرجح أن الفوز سيكون في معركة المعرفة والنور.. لأن الروح وضعت في سجن الجسد فهي في خطر دائم لأنها لا تستطيع مد ذراعيها فيه بحرية.. أليس الإنسان هو الذي يصنع تاريخه ؟ ..

الأفكار وحدها لا تفعل إنما الفعل الحر ، الأثر الممتد.. هو التاريخ .. لي .. ولك .. ماهو فعل الزمن ؟ .. هو شعورنا بالعجز والقصور والملل، والكتابة وحدها هي التي تحول وهم الزمن إلى معنى ، وتأخذه إلى شاطىء الأمان حين تركض الحروف في حقائب المعاني وتفتح في فضاءات أبراج النجوم السرمدية .. كالطائر الحر في بياض لا حدود له ..

الأخيلة تتداعى كالجدول المنساب الذي يتمتم ، ويقلق أشجار المسافات التي تنسى ما همست به لغمامات متوردة ؟ .. إذن لمن يعزف لحنه ؟ ..

الرغبات هي اشتعال الحيوية مع العطاء ، فنحرق الأوراق ، ونحزن الكلمات ، ونرمز بالمعاني ، لأننا نبحث دائماً عن شكل آخر لتنطلق الروح من الواقع المؤلم .. إلى العقل الحي ، إلى المعنى.. إلى المعرفة.. هذه القوة تشيع الانسجام أو التنافر في شبكة الحروف ، ثم تتآلف وحدة متناغمة كنبتات اسطورية تنمو في غابات اغتراب الكلمة المرتجفة على فراغات لا نهائية ..

21/8/1998

البوح السادس والعشرون
ذاك الجانب من القلب

وفي ردهة البوح بوح .. تأخذني الشوارع فأرمي على رصيف الوقت بعضاً من معطف انتظار كان .. تسألين كم كان عليّ أن أحبّ ؟؟ كم كان عليّ أن أعطي ذراعي لوردة تخطف العمر في ردهة الذهول؟؟ وتعرفين ليلى أنّ الشاعر معلق في لحظة الوعد مثل بندول الساعة الذي لا ينام .. لكن كم عدد اللواتي سرقن قميص عمري حين أخذت في تلاوة النشيد الطويل ؟؟ متهم أنا بكلّ زهرة كان لي

معها وإن نصف لحظة في حديقة عابرة .. لذلك يصعب أن أحدد شكل ملامحي في مشوار الحب .. وأستطيع قبل أن تطلقي الرصاص لاغتيال مسافة قد تطول أن أقول : فرق كبير بين أن أعطي قلبي ، وأن أعلّق طوق الياسمين على شرفة في طريق.. في الأولى يكون العشق ناراً أختبئ من لفحها وفي الوقت ذاته أحترق .. وفي الثانية أكشف صدري للعابرين وأضحك من جهلهم بالذي كان أو يكون..!!.. فأين هو الحب في طلقة الورد وصيحته ، وأين هو العشق في طلوع المطر حتى غسق الكلام ؟؟..

حاولي أن تعبري لحظتي مرتين لأدخل في كلّ أزرار الروح وسر الوجد الذي لا ينام .. لماذا تريدين أن يطارد الناس ظلين من وعدٍ في مساء شفيف؟؟ أردت أن أخبئ وردة حلمنا في عالم من سرّ مغلف بسر .. وعندما بدأتُ في بوحي كنت تكشفين مع الوقت، عن دقات قلبك في ساعة قلبي، وعن دقات قلبي في صدرك الذي حاول الاختباء ذات كلام وراء ظلّ حرف من زجاج ..

لا تقولي طال الشجر حتى وزع الورق على فضاء من ريح ومطر .. ولا تقولي كان الذي كان همس عاشقين في شارع مكسور .. ولا تتركي يدك تبحث عن مسافة تخبئ ارتعاش الوعد في ظل أخير .. فما زال في الشرفة وقت من وقتنا .. ما زالت في كلّ زاوية رائحة من بنفسج الروح وسحر الهمس الجميل.. ضعي ما شئت من حبق الاختباء ومدّي ذراع النوم لكلام يدور في شوارع المدينة .. فما كان كان .. ولن تعيد الساعة عقارب الوقت إلى الوراء ..

هل كان عليّ في وعد من مطر ، وفي ساعة من وقت ظليل ، أن أفتح باب الكلام للكلام .. ما كان عليك أن تسألي في استدارة غضب .. وما كان عليّ أن أتلو كلّ طلوع الشجر والورد وحناء الوقت في ذهاب حتى حدود الروح .. مطارد يا ليلى الكلام في شرقنا وملاحق.. مطاردة حروف الجر والعطف .. ومباحة كلّ الفواصل التي تمدّ ألف بياض بين الحرف والحرف .. لماذا نعرض أمام المتخمين بغفوة الأحلام التي لا تحمل صورة واحدة ، هذا الكمّ اللا نهائيّ من وجد الكلام ؟؟ أما

كان من الأجدى أن نبقي بوحنا في سلة الأيام التي لا تجيء ..؟؟..

أي حب .. وأي مطر .. أي شجر .. وأي ربيع ؟؟ نسي الكلام بعد أن خلع الورد ثوب العبق ، كلّ ما في الحروف من كلام .. وها أنا أتلو صلاتي في ندهة صباح مزروع على شفة حملها طائر الليلك المستحيل..

أعيدي ذاكرتي أو خذيها .. لمي فوضاي أو بعثري ما شئت من ورق وبقية نبض تشعل الواحدة منه الف عالم من هوى .. سأبقى مع ذاك الجانب من القلب .. سأبقى محتفظاً بكلّ ما في الورد من ورد .. أحمل المكان للمكان .. والزمان للزمان .. وأضحك من مشاوير لا تغسل العصافير دروبها بزقزقة الغرام ..

هكذا أنا .. ولن أكون إلا كذلك .. ربما نبتة غريبة في زمن غريب .. وردة تطلع لتطلق الصباح .. ندهة تقف مثل إشارة التعجب في وجه كلّ ظلام .. ولن أحني قامتي إلا لأشم عطر الزهرة الأولى في دفتر صباح لا ينام.. خذي مفتاح عمري فلن أغلق الأبواب إلا على ابتسامة من ضوء النهار..

1998 / 10 / 9

البوح السابع والعشرون
" للحب عصيره "

" الحب يبدأ حيث تنتهي الرغبة بالأخذ "

زمننا يافع أبداً ، أحس أنّي لم أكتب بعد .. رغم أن الكلمات تتفتح بيننا كالأزهار الخيالية على مروج الحب والإنسانية ، وتلتقط العبير من الوجدان ، وأوراقنا مسافرة وراجعة ككل ربيع .. تهدهد أنفاس الحروف بالأمل المرح ، ثم تسترخي ضفائره ممتطية على سياج المسافات.. متى تسترسل على سفوح رحبة لا يحدها شيء ؟ . أليس الإنسان أسمى من كل الأشياء ؟.. ومصدر فرحه وجوده في الحياة ، إنما الأعظم هو التمتع بالوجود ..

تفرغ الكلمات من شفتيك كقطرات ندى فرحة على أرض عشبي بعد مطر خريفي ، فأغرق في بحيرة مغسولة بالصفاء .. ونجوم الأمسيات شاردة حولي تخبو كالبجع المتموج في صمت السماء المسكون بالعتمة .. مدّ دافق من لمسات الفتنة يشجيني خريرها. لِم لا تكون الحياة لي ولك بلون العشب المنتشي بُقبل المطر ؟ لِم تبقى ابتسامة الحب خافتة ولا تلامسها بخصل الغمام الرمادي ؟ . متى ندخل بياض الروح ، ونعبر جسر المسافة ، في هذا العالم المثخن بالجراح؟..

أليس الشاعر طفل الزمن الذي يخلق المعرفة برؤيا جديدة ؟ ألا يصنع الجمال لحبيبته بلوحات مختلفة .. لأنه يدرك قوانين الكون من أجل غاياته الجمالية . وهو الظامئ أبداً إلى تغيير الإنسان ، وتحريك القوى الخيرة في كيانه .

في شجر الذاكرة تنبت الرؤيا الروحية والشعرية لتشكل تناغماً لكشف الجمال الحقيقي والداخلي ، هل كانت ـ الجوكندا ـ غير خلق فني لم ينته . وابتسامة باهتة ، أو ساخرة ، أو فرحة تشع من بحيرة دموع ساكنة .. لأنه فن عظيم ما زالت تعطي للمشاهد حالة خلق ذاتية لانفجار داخلي لحزن ما .. لفرح ما ، لذكرى .. أو للامبالاة بكل الأشياء ..

30/8/1998

البوح السابع والعشرون

شجرة الوقت الآتي ..

هل تستطيع الكتابة أن تغطي أعمارنا بما نريد من شجر وحلم ومطر؟؟ يصير السؤال في بعض الأحيان دالية لا تحمل عناقيد عنب .. حيث يسقط القلب في مساحة الجواب مجروحاً مثل قبرة تتخبط بحلكة وجع لا يرحم.. ودائماً تعود العصافير حاملة بمناقيرها ما تبقى من رائحة الوقت الرخو..

أحاول قدر استطاعتي ، في أحيان تقلّ أو تكثر ، ضبط إيقاع صوتي حين أبحث في زمن الكلام عن تلك التي أحب .. ولا أدري لماذا تصفعني مآذن الأشياء الباردة حين لا تكون التي أحب إلا في زاوية المكان الذي لا أصل إليه .. تلك هي المعادلة الأصعب ، وذلك هو الصوت الصارخ .. وبين أن تحب في تواصل مع من تحب ، وأن تحب في احتراق جارح لا يصل بك إلى من تحب .. تكون رخاوة الوقت الرجراج دون حد .. وأكاد في كثير من الأحيان أن أترك العنان لدموع القلم أن تشجّ مساحة البياض بصرخة لا تحد .. وأضحك ..

لماذا يضحك الإنسان في حالة البحث عن وقته الضائع الغائب ؟؟..

لا تظني ليلى ، وقد سكن وجع المساء في أضلعي عند مخاض الوردة الذهبية ، أنني أوزع ورق الذات على سطر الشموع المائلة نحو المغيب .. فما تعودت اجترار الألم ، ولا تعودت وضع قامتي في قالب من عمر مكسور.. كلّ ما أردته أن أداخل مساء هارباً ، لأفتح الباب لشجرة الوقت الآتي ، فأنا مع الصباح القادم ، مع الضحكة التي ترتسم على باب الشفتين الهامستين لوعد جميل .. وفي كلّ فضاءات المطر.. سأكون الرعشة التي لا تحترق ولا تنام .. سأكون ظل النهار إن لم أكن النهار كله.. فلا تبحثي طويلاً عن قامتي إذا كان الشجر في كلّ مكان ، لأنّ كلّ شجرة قامتي ، وكلّ رصيف خطوتي . ولا شيء أجمل من ضحكة بطول الزمان والمكان..

11/10/1998

البوح الثامن والعشرون
" الشاعر يصب أحلامه .. "

" الشعر كالمرأة .. يهجرك حين لا تعصر له قلبك "

كالشرر المفاجئ يتقد شرر الحب في نبض الشاعر، حين ومض الشرر بين مسافات تأكل جوعها النهم في الأبعاد ، نجمة الخيال أغمضت عينيها في ليل معتم بينما الدموع الواكفة ما زالت تقدح على محارق الانتظار ..

رفة البعد بيننا تواصل حزنها بينما شجو الحروف يغني لنا .. ولولا حبر الحروف لبقي العالم وهماً باطلاً ممعناً في قسوته ، متشرباً حنين أغصان الروح التي تتفرع وتتهدل على شجرة حياتنا السامقة . فتخصب الأوراق ، وتثمر الحروف .. وتعرش العناقيد على دوالي العمر .. أليس قلب الشاعر المحب يعتلي هامات الشمس على ظلال الحبيبة ؟ .. وأيام الحب كالزهور يصنعها حلم ضبابي معطر بأبخرة البياض

، وأنفاس الشوق، أحس أنّي ورقة مرمية ضمن فراغ باطن زهرة برية محاصرة في براري الاغتراب منسابة في هدوء السكينة ، والأبخرة السحرية ترصع الصفحات سابحة بي في حالات الانفعال . والخلق . الغضب والحب . تتيه الروح في شروق آتٍ ما من شرفات قد تمزق ستائر العتمة في فرح ما ..

أثمل في حانة الشعر بلغتي السرية التي تتوالد في لحظة بوح اللاوعي في النفس ، هذه اللحظة ترعشني، وارتعاشتها لا تدوم إلا هنيهة قليلة .. ثم كالغيمة المخضلة أعصر قبلاتي للأرض/ الصفحات وأنبت براعم الأحاسيس من داخل الذات لأخلق مادة .. نصّاً وأنا في نشوة سكر الانخطاف ..

15/9/1998

البوح الثامن والعشرون
زهوة التماهي

من بابِ أولى أن يعيد الشجر في زهوةِ التماهي مع حبر قلبي ترتيب خطاه على شارع من شوارع الياسمين .. أحياناً يطيب للبعض أن يصفني بالغرور ، وربما أكثر من الغرور .. وأضحك .. صدقيني يا ليلى أضحك ولا أجيب . لأنني أمام احتمالين لا ثالث لهما : إما أن يكون الذي يصفني بالغرور صغيراً إلى حد يراني فيه أكبر من احتماله ، وإما أن يكون حاسداً لا يريد لي أن أتقدّم خطوة إلى الأمام .. ومع هذا وذاك ، لا يطيب لي أن أجادل ، والأغلب أن أترك في رأسه أنني أكثر غروراً مما يظنّ ..هل أنا مخطئ ؟ ربما .! لكن أحياناً لا أستطيع التعامل مع

الجميع بمستوى واحد.. لأنّ هناك ، من يظنّ ، وينتفخ في ظنه ، أنّ التواضع يتيح له أن يفعل بنا ما يشاء ، ومع هذا ، أستطيع أن أكون جبلاً ، ليكون قزماً ..

أعترف ، وأنتِ أدرى الناس بذلك ، أنني طيب مليء بنبض الحبّ والحياة والعطاء والشعر والجمال . لكن مع من يستحق ذلك .. مع الناس الذين ترتسم في وجوههم وقلوبهم كلّ آيات الجمال والبهاء والطيبة .. هؤلاء أعطيهم دون قيد أو شرط ، كلّ مفاتيح قلبي وعمري.. أكون طفلاً في حدائق أعمارهم ، وشاعراً يغنّي ويشدو في كل دقيقة من دقائق أوقاتهم .. فأنا يا ليلى مع الحب والحياة ، والماء والهواء ، لكنني أشترط حتى لا يظن الآخرون ، أنني سهل حين يريدون ذلك.. هل يدهشك هذا القول .. لا أظن ..

من حقي وحقك يا ليلى ، ومن حق كلّ مبدع ، أن يكون في المكان الذي يستحق .. لأنّ المبدع إنسان استثنائي ـ وأنا لا أتحدث هنا عن المبدعين الذين لا يعرفون عن الإبداع شيئاً ـ ومن واجب الناس أن ينظروا إليه على أنه إنسان استثنائي .. ألا يقوم بتقديم عمره شمعة تغير لهم الطريق ؟؟

ألا يعمل على أن يكون الكون أجمل من أجل كلّ واحد منهم؟؟ فلماذا لا يكون استثنائياً في كلّ شيء ؟؟..

صدقيني يا عصفورة الشعر أنني أبعد الناس عن الإيمان بالغرور .. لكنني لا أريد في يوم من الأيام إلا أن أكون أنا .. وكم أكره أن ينتفخ الصغار أمامي .. أن يتباهى البعض بمال أو جاهٍ أو مظهر وما شابه .. عندها أحبّ أن أكون أنا .. أحبّ أن أريهم أنني أكبر منهم بما أملك من حب وشعر وإبداع وعطاء .. هذا هو غروري ، ولا شيء سواه .. ألستُ محقاً في غرور كهذا ..؟؟..

الحياة أجمل من أن يشوهها البعض بصور مزيفة.. والحب أكثر اتساعاً من أن يجعله البعض صورة لمظهر ما.. لذلك أحبّ أحياناً أن يكون غروري صدمة لكلّ ما هو مزيف، ولكلّ ما هو أجوف .. أحبّ أن يكون غروري صرخة في وجه كلّ من يحاول أن يرى أنّ هذا الإنسان أو ذاك أقلّ شأناً منه .. وهذا في النهاية يا ليلى ليس غروراً ، لكنه محاولة لترتيب الأشياء .. محاولة لجعل الإنسانية أكثر جمالاً وسطوعاً وعطاء ..

ما أصعب هذا الطفل المشاكس داخلي ، وما أجمله.. لا يريد أبداً أن يصمت أمام أي خطأ .. لذلك يعلو صراخه كلما رأى اعوجاجاً في هذا المكان أو ذاك ..

ستقولين ذات يوم ما أجمل هذا الطفل المشاكس وما أروع صلابة رأسه حين يواجه الناس المزيفين .. وستضحكين يا ليلى حين تقتربين من دفقة الشعر الفوّار في قلبي .. فأنا مع من أحب ، أكثر الناس عطاء ومرحاً وحباً..

البوح التاسع والعشرون

الشعر ، الحب ، هما واحد حارق ومحروق

" أنت رائعة كالمسك .. فأينما تكوني يلحظك الناس "

(جيته)

أما كان الهدهد رسول الغرام بين سليمان النبي والملكة بلقيس ؟ .. والحرف طائر

المسافات بيننا . رسولنا للحب والشعر ..
فالحب هبة إلهية كالشعر تماماً . وهل يستطيع أي إنسان قسره عليها ؟ ..
نحب ، نتغنى شعراً ، ونثراً ، بمن نحب ، وحين يقسو الحب نشدو على أوتاره الجريحة بقلب يحترق .
وكما قال ـ جيته ـ :
إن حبي دائماً يقسو علي أشدو بقلب يختنق
فالمعرفة الحقيقية هي التي تصدر من الحب ، وليست التي تؤخذ من الكتب ، لأن الحب عاطفة ومعرفة (كالحب الصوفي) . والذي يجعل له قيمة أنه تجربة حية روحية ، وقد عرف الإنسان الحب قبل أن يعرف الله . وبالحب استطاع الإنسان أن يهتدي إلى الله، ثم إلى الإيمان ..كل شيء في الكون يفنيه الزمن ، أما كتب الحب والشعر نبض لحروفها ، كل سطر فيها خالد خلود الحب نفسه .. لأننا نقيم في الكون ثم نولي كفرار حلم ، ومع ذلك يحاول البعض تقليل الشمس بالظلام، ونزع الظل من نضارته .

والحياة تسلب منا الكثير ، ومع ذلك تبقى سخية لأنها تترك لنا (الفكرة ، الحب ، الذكرى) .

كم تمنيت أن أنعم بمن أهواه .. وكنت مع سؤال الشاعر ضمن إشارات استفهام أجوب متسائلة :

أنبئيني ماالذي يهواه قلبي إنما قلبي لديك فاحفظيه

وخرجت من دوائر الكثير من الأسئلة المستعصية الحل ، لأنها لا تجد لها جواباً إلا عند المحبوب !. وهل يرتوي ظمأ المحب وهو في بيداء المسافة وسراب الماء يغريه عن بعد؟

20/9/1998

البوح التاسع والعشرون
أغنية لمساءات الشعر

أردت في بوحي هذا أن أتحدث عن طيور قلبي ، فانفلت الحبر فجأة وأخذت أحدّق طويلاً في عالم الشعر، هذا العالم الجميل الجليل ، ولا أدري لماذا شعرت وأنا أحدق فيه ، وأداخله ، أنني مسكون بالحزن والفرح معاً .. صدقاً لا أدري.. فالصورة ما زالت غائمة ، أو مشوشة ، وظني أنّ الحديث عن الشعر يجعلنا نقف دائماً في هذه المساحة الغريبة من الذهول والغياب معاً .. وربما الأصح القول إنها المساحة التي لا تتصف بأي صفة من الصفات المتعارف عليها .. لكن لماذا كان الشعر .. وما معنى أن نصرّ على عالم من الشعر ؟؟ ..

قد أعود إلى طفولة ما كان لها أن تبقى حتى الآن دون شعر .. فالشعر أبقاني في عالم الطفولة ، والشعر أعطاني الحق في أن أبقى مسكوناً بفرح العالم وحزنه.. وجعلني قادراً في كلّ الأحوال على التوازن والصمود والوقوف

بثبات .. وظني أنني دون الشعر ، ما كان لي أن استمر على ما أنا عليه ، وما كان لي أن أحب كلّ هذا الحب ..

كنت طفلاً مليئاً بورد الفرح .. وعندما كبرت صرت طفلاً مسكوناً بزهر الليمون الذي تماوج بين الحزن والفرح .. وبذلك حققت أروع المعادلات . وكان لي كلّ هذا العشق الممتدّ على كلّ الأرصفة خطوات لا تعرف التعب..

كثيراً ما يسألني الآخرون : متى تكتب ؟؟ ولا أدري لماذا أضيع في الإجابة ولا أستطيع تحديد الملامح تماماً .. ربما لأنّ ((متى)) هذه تحاول أن تبعد الطفل قليلاً .. أو ربما لأنّ كتابة الشعر لا تحتاج إلى مواعيد هبوط وإقلاع .. إنها الإنسان في كلّ حالاته .. ولا شيء يعادل الشعر أو يشبهه ، لأنّ كلّ الكتابات الأخرى تبقى بحاجة إليه ، ويبقى هو مكتفياً بما فيه . فالشعر تكامل ، بينما الكتابات الأخرى بحاجة إلى التكامل ، ولا يكون تكاملها إلا مع الشعر . وحتى لا أطيل ، أختصر فأقول : إنّ الشعر طفولة الإنسان وبراءته ، وعندما يتخلى الشاعر عن الطفولة والبراءة، يفقد بالتأكيد كلّ ما لديه من شعر ، عندها يتعالى

صراخه : إنّ زمن الشعر قد ولّى.. وينسى أنّ هذا الزمن قد ولى بالنسبة له، ليس إلا ..

البوح الثلاثون

" الشعر سحر اللغة "

تحت قميص الليل الفضفاض ، أعصر عنب الحزن وأشرب خمره .. لماذا وضعتني في جواب الصمت .. أ لأنني أحببت ؟..

" قلقاً يا قلبي أراك .. تندي أعماقي بأحزان هواك "

أليست روح الحب هي نكران النفس من أجل من تحب أو توسيع النفس إلى حد أن تراها بالذي أحببت..

ربما لأنك تختلف عني أحببتك ، ولا أحب فيك إلا ما يختلف عني.. ولأنك الغمامة الشاردة التي تداعب أفكاري مع أغنيات كل صباح يتأرجح الفرح على أغصان محبتك ، وفي فلك بوحنا همسة الكون الغامضة ، ولهذا غرقنا في نشوة الكلمة ، ونشوة دن الشعر أليس من يشرب يختار ساقيه ونديمه ؟ ..

فالشعر هو الذي يجعل النفس منطوية على ذاتها على أعماق أعماقها . لأن النفس لحن تقوم على إيقاعها ارتجاف دائم لتموجات جنبات الكون..

والشعر ليس الاغراق في اصطياد الألفاظ والعبارات التي تؤدي إلى ترمد العاطفة وصنع لوحة براقة من القصيدة ، الشعر هو لحظة الرؤيا تأتي ثم تختفي فجأة .. لذلك الشعر الحديث يمر بمرحلة القلق والضياع وتعقيد التراكيب ، وغموض المعنى ، وقد أهمل الصورة الشعرية التي هي الضوء الذي يخترق ويكشف ، الكلمة في الشعر التقليدي جاهزة المعنى ، حاضرة الفهم ، وسحرها البيان وفي الشعر الحديث الكلمة تحمل المعنى إلى مرحلة الحدس والرؤيا لا في الشكل بل بما يوحي به هذا الشكل من معنى إنساني لخلق هزة كيانية تستمد وجودها من معاناتنا ، من تجاربنا ، من الصور المحلقة في الأخيلة .

فالشاعر هو الرسول الذي يعلمنا أن نتحدث كما نشعر ونرى . والسائد في النقد الحديث أن التجربة لا تنفصل في الأثر الفني عن أسلوب

التعبير عنها وهي أسلوب الرموز والكلمات واللغة والصور التي تصبح شيئاً نابضاً يفاجئنا ويدهشنا ، ويعيش معنا اللحظة . وقد صنعت زمني بتأملاتي بالحب ، ولغتي بالغيمة الرقيقة تستر الشمس بحيث يصبح من الممكن النظر إليها والتمتع بدفئها .. وزمني حركة متميزة ومستمرة . ضمن الأضداد والمتناقضات ..

25/9/1998

البوح الثلاثون
دهشة العمر .. دهشة الحلم

تلك إذن آخر الأغنيات .. أو ربما آخر الفصول في حكاية زمن البوح الجميل .. لا أدري كم من الوقت مضى .. كم من الصرخات اشتعلت في عالم الروح .. كان عليّ أن أبوح بشكل لا يخرج عن عنب القلب وخمرته، لذلك جاء الحرف أول ما جاء ، مسكوناً بشيء من ذهول المكان والزمان ، وربما بدهشة العمر الجميل ..

أتذكرين يا ليلى كم من الوقت أمضينا ؟؟ أتذكرين كم من صراخ العمر أرسلنا ؟؟ أتذكرين العتب والألم واعتصار الذاكرة شوقاً لأيام مضت ؟؟ أتذكرين ما كان من غضب وبعاد وكسر لزجاج الحروف في ساعة من ساعات التوحّد بطرقات الغرابة وانشغال العمر بسيرورة الحياة ورتابتها؟؟..

كانت محاولة منا أن نبقي على النبض خالياً من الشوائب.. وكانت محاولة منا أن نبقي الأنفاس مسكونة بعطر الورد .. وكانت محاولة قبل كلّ ذلك ، أن نحافظ على نقاء العالم الذي صنعنا ، بعيداً عن حد السكين التي حاولوا أن يغرسوها في قلبينا .. كان علينا أن نجترح معجزة البقاء في فضاء خاص بنا ، وفعلنا.. رغم كلّ الحرائق .. فعلنا .. وخرجنا من دفقة الوقت معبئين بكلّ هذا العنب الجميل وسكرته ..

هل هي الحروف الأخيرة في السطر الأخير من دفتر البوح ؟؟ لا أظن.. فالامتداد الذي بدأ منذ أورقت شجرة العمر لا يمكن أن يكون امتداداً مرتبطاً بتوقيت أو نقطة نضعها بعد هذه الجملة أو تلك .. إنها معجزة اللقاء الذي ما كان

له أن يكون إلا في هذا البوح الذي خرجنا به عن جادة الصمت ، لنقول ما نريد قوله دون خشية . وظني أنّ البوح في زمن قادم ، لابدّ أن يمتدّ ليأخذ شكلاً آخر .. لكنه في كلّ الحالات سيكون كما أردنا له أن يكون ، بوحاً صادقاً متصلاً مسكوناً بما نملك من حلم وفرح ودهشة وحزن وتطلع .. كلّ واحد منا استطاع أن يقول ما يريد ، وكلّ واحد منا وضع الحرف الذي يريد في ا لمكان الذي يريد .. لذلك كان البوح حلواً مثل قطعة سكر .... هل آن للحروف أن تنام إلى حين ؟؟ ..

صدقيني لا أريد للحروف أن تنام ، لا أريد للعصافير أن تترك الشجر.. لا أريد للبوح أن يترك مقعد الاعتراف خالياً من صرخة حب تريد أن تقول العالم كله بجملة ، وتريد أن تغني القصائد كلها بدفقة موسيقى ..

كان حباً ، وصار عشقاً .. أين الفواصل .. النقاط.. الجمل التي تقول شيئاً من العمر الجميل .. إشارات التعجب .. صرخات الحبر .. فوضى السير على رصيف مجروح .. سماء قبرة نسيت أن تضع زجاجة العطر في مدّ الفضاء ..

أصابع يد امتدّت لسلام ما في شارع ما ، وتركت نصف حضورها المدهش على حافة اللحظة المشتعلة بالياسمين والنرجس وزهور النداءات الجميلة ..

في الوعد أن المطر قد يحمل العالم كله قطرات لا تذوب.. وفي الوعد أنّ الحلم دهشة ، وأنّ العمر دهشة.. وما بين دهشتين كان عليّ أن أضع خطاي .. أن أعبر سكة الروح إلى سكة الروح تماماً .. قد يصعب التفسير، لكنها المعادلة القابلة لكلّ البراهين ، والرافضة لكلّ البراهين . وبين هذا وذاك يكبر الشارع وتمتلئ الشبابيك بصرخة المكان ..

ربما جاء المساء بعد وقته بقليل .. وربما جاء الصباح في غير موعده .. كذلك ربما وضع البوح شيئاً من دفتر الحلم على طاولة لا تكون .. هل يعني ذلك أنّ الوقت لا يتسع للوقت أحياناً ؟؟ قد يكون الأمر مضحكاً .. لكنها الحقيقة .. فالظلال التي ترتسم على جدار من ورق مفقود ، تبقى هي الأجمل .. وأعترف أنّ البوح كان سلّم الصعود إلى سرّ الروح ، مع أنّ الروح تحاول أن تصعد إلى سرّ القلب ..

يستريح الحبر في هدأة القلم .. وتستريح الضحكة في هدأة الشفتين .. هكذا كان الحب دهشة الحبر الأولى ، وكان الحلم لحظة الصعود إلى الحلم الأروع.. وكنت في كلّ اللحظات أسجل بصماتي كي لا تضيع ، وكي لا يقع مطرها في غير الأرض التي أريد ..

البوح الواحد والثلاثون
" عمري لحظة وحدة وتفرد "

وحدتي الذاتية لحظة سكونية صامتة مضيئة بتوهج الروح ووخز الألم.. الكل يحاورني أتواصل معهم .. واليوم أستجوب ذاتي .. باستفسارات تحمل المعنى لحياتي ..

الحب .. لغز كالفن لا يفسر .. الصداقة .. أعمق من الحب، هو يومض كالشرر وينطفئ ، هي تكسر عزلة القلب وأصابعها الفضية كشعاع نحيل تغمس بموجات عطر ناعم يتدفق بسخاء الأرض ..

الشعر : في الشعر كما في الحياة يصح تطبيق عبارة ـ برناردشو ـ اللا قاعدة هي القاعدة الذهبية .

لأن الشعر وليد أحداث هامة في الحياة ، وليس للحياة قاعدة معينة تتبعها في ترتيب الأحداث ، ولا نماذج معينة للألوان ونقاد الشعر من مدارس ومذاهب يقولون :هذا شعر كلاسيكي

، رومانسي ، واقعي ، رمزي ، سريالي . هذه ليست قواعد إنما أحكام..

فالروح هي التي تجعل من قول ما قولاً شعرياً ، والإبداع لا يتمثل فيما عرفناه ، ولا فيما نعرف بالتقليد، إنما يبحث عن استشفاف هذا الجمال في كل ما يخلق من صور الفنون وأشكال المعرفة والأصالة ليست اللوحة ، ولا القصيدة بل شعورنا باللوحة والقصيدة هذا الشعور يثير دهشتنا بغرابتها وهذا سر إبداعه ..

لايمكن أن أنسى : أن الحياة جميلة ولكن بعض المخلوقات تشوهها بقسوة .

نقطة تحول : حين أنتعش بالكلمة الصادقة الملتهبة في خدود الشفق يرتجف صوتي مع بحة أغنية الحب الخالدة..

أبتسم : عندما تكون أغصان الزيتون مسترخية بين خضرة السلام في هذا العالم المثقل بالجراح .أبكي .. عندما أرى دمعة حزن صغيرة على وجه طفل ، وصرخة احتجاج من حيوان يؤذى ويتألم..

أتعجب عندما : أسمع النهر يغني منتشياً بخريره ، رغم غربته في كآبة أرض مهجورة..

أخاف من : الذين يملكون الكثير ، وهم حائرون بين عناكب الأنانية والقلق .
أحب الصراحة : ولكن يجب أن أعرف الحد الذي أتوقف عنده وعندما أصل إلى هذا الحد ، أحس بالأمان.
أشعر بالخجل .. حين أقف كالقطار الذي لا يتحرك تحت المطر .. والزمن يسبقني ..
التأني ..في أشد المواقف غضباً .. أستطيع أن أسيطر على انفعالاتي ولا أقرر موقعاً ..
تمنيت أن أنسى : منظر الأوراق التي تنتحر عندما تشعر باصفرارها ، ومنظر الشجرة التي تموت واقفة .
شيء لم أذكره : إساءة كل إنسان لي ، أغسل ذاتي بنقاء طهر أطفال العالم ..
أعجب : بالذي يستطيع أن يغني وحيداً في قرار بحيرة مهجورة وروحه تنتشي باللحن . فيمسح بأنامل الحنان دموع عرائس البحر الحزينة .....ما أتمناه : أن تقرض جميع أسلحة الشر الفتاكة والمكروهة من البشر لأن حيث تكون الأشواك والأحراش تسكن الجيوش .

أسأل : أين ينتهي قوس قزح .. في نفس من أحب أم في الأفق البعيد ؟ لأنه يزهر أشجاري دائماً بربيع الحلم ..

أليس ما نسميه حياة . أسرع من خفقة الأوراق الذابلة على كتف الريح ..

كلمة لا أنساها : يا رب .. لا تعلمني الحكمة .. بل علمني المحبة .. ولا أنسى أن أسأل من أحب : لماذا كلما أمعنت في غيابك يتكشف في ذاتي توهج حضورك .. فهل أراك وأنت البعيد القريب ..؟..

1998 / 9 / 24

البوح الواحد والثلاثون
بدل المقدمة ..

تتلو العصافير وعدها ، والبوح لا ينام .. كان الحوار بيني وبين ليلى عزفاً على وتر جميل .. حاول كلّ منا أن يقول الكلمة دون رتوش ، أولنقل ، دون فواصل تداخل الحرف فتلغيه.. هي في البداية والنهاية، قصيدة شاعر وشاعرة ، مكتوبة بهذا الأسلوب الذي يقارب النصّ السردي في بنيته ، ولا يكون هذا النص في المطلق العام ..

أعترف ، كانت الشاعرة ليلى مقدسي ، أكثر مثابرة مني على إعطاء البوح استمرارية جميلة.. وأعترف ، أنّها كانت، كما هي في الحياة ، ورقة خضراء لا تعرف إلا العطاء الجميل ، وقلباً كبيراً يستطيع أن ينبض لأجلها كما للإنسانية.. فقد

تعودت ليلى أن تكون قامة عالية ، رغم البرد والعواصف والنار .. ولعمري فقد كانت أكبر قلباً من التوقف عند محطات باهتة كثيرة ، امتدّت فيها بعض الأيدي لتخدش مساحة البياض عندها ، ولتجرح مشاعرها الرقيقة، دون ذنبٍ، إلا حبها للناس ، إذا كان مثل هذا الحب ذنباً ..!!.. إذ أنّ بعض الناس ، وللأسف ، يضيرهم أن تكون مساحة البياض واسعة شاسعة إلى هذا الحد..

ولا أكتم خشيتي من نشر هذا البوح مرات ومرات، لا على نفسي والله ، بل على الشاعرة ليلى مقدسي .. لأنّ الخائضين في سير الآخرين ، سيطيب لهم أن يخوضوا في بحر البوح هذا ، ولن يصدّقوا كمّ العطر وأريج الورد في هذا البوح .. لأنهم يبحثون في كلّ وقت عما يعكس صورهم في المرايا .. وما تعودوا أن تعكس المرايا ملامح عمر جميل ثر عذب .. بل تعودوا في كلّ مرة ، أن ينظروا في المرآة ، ليروا وجوها تنقط عذاباً وغيرة وتلذذاً بدخان الحرائق ..

لا يهم ، فإني وليلى ، نتوجه مباشرة إلى الوجوه التي تشبه وجوهنا، وإلى الملامح التي تشبه ملامحنا ، وإلى النبض الحقيقي والطبيعي

الذي يشبه نبض قلوبنا.. ولا نريد غير هؤلاء .. فالكتابة في البداية والنهاية ، اتجاه نحو السموّ والنبل وتحليق الروح والتواصل .. ولا شيء يشبه التواصل الإنساني في جماله ورقته وعذوبته ..

هل يعني كلّ ذلك ، أنّ زمن البوح قد انتهى .. لا أظن .. فالبوح لا ينام في يوم من الأيام .. وإذا كنّا نضع نقطة النهاية في هذا الكتاب ، فلكي نفتحها نقطةً للبداية في كتابٍ آخر سيأخذ الشكل الذي يريد ، والبعد الذي يريد .. وسيأتي يوم يتواصل فيه القارئ مع كتاب جديد للشاعرة ليلى مقدسي ولي ..

هذا البوح إذن أكثر من مجرد سطور ، وأكثر من مجرد حكايات كتبت بقلم شاعرة وشاعر .. إنها في المحصلة بصمات أرادت أن تتلو نشيدها وحضورها وألقها ، فكانت كما هي عليه ..

وبعد ، أشكر للشاعرة ليلى مقدسي أنّها حافظت على شكل قامتها العالية ، وعلى مساحة النور عندها.. فكان لها أن كانت أقوى وأشدّ من الانحناء جراء عواصف كثيرة ساقها أو أثارها بعض ضعاف النفوس، هؤلاء الذين يخافون صعود كلّ شجرة خضراء ..

إنه البوح .. زمن البوح الجميل .. يمتد ويمتد .. ليعلن على الدوام أن السطور المكتوبة بنبض العمر تبقى الأحلى والأجمل ..

16/1/1999 م

من منشورات دار المقدسية

أغاني فراتية	خلف العلي	1998
بعض الشوق لرواء	ليلى مقدسي/شعر	1998
أوراق مسافر	سامر كبة /شعر	1998
أوراق من شجرة العمر	نبيل شاكر /شعر	1998
قناديل الوجد	فوزية المرعي	1998
غريبة بين الشاهدة والقبر فوزية المرعي /رواية		1999
وردة أخيرة للعشق ليلى مقدسي /شعر		1999

القصيدة الصوفية طلعت سقيرق/شعر 1999

طقوس لزمزم علي محمد شريف/شعر 1999

زمن البوح الجميل ليلى مقدسي /طلعت سقيرق 1999

ثقافة المنهج / الخطاب الروائي نموذجا—حسين المناصرة

دراسة 1999

كتاب الزمن

" تأملات "

ليلى مقدسي

رموز الإهداء

الرموز علامات تعطي طريقاً للمعرفة .
الروح تنتظر حزينة الصدى ، والنفس صريعة الحيرة .
على مضارب الصخر الشوق يخفق ، فأزهار الحب الأزلية لا تنفع إلا في الحلم .

الرمز الأول :

- همست لي النون :

" أنا كرة الصفاء والطمأنينة المسورة في إثبات الوجود، أدور مع فصول الزمن، كالنهر أسيل، كالسنين، كالحياة، والحب ...
دورتي استمرارية في قاع المجهول، مظلمة ومنيرةفي تناسق الكون .
نقطتي (.) وجع المتعة حين تلثم الشمس الفجر، فيولد النور من لظى قبلتها " .

الرمز الثاني :

- تقعرت السين :

" دخلت في بحر إلى أبد الآباد، لهيب ينشأ يتلظى، ويُؤَجِ
في داخل الأسرار، سكون أزلي ينشر أوهام الأسئلة
الغامضة في ثنايا الضباب، فأتوه في دائرة المعنى
المغلق " .

أوقفني (أبولينير) :

" تحت جسر ميرابو ينساب نهر السين
وحبّنا تجاوز الأيام والأسابيع
لا الزمن يعود، ولا الأحبّة يرجعون
يأتي الليل، تدق الساعة، تمضي الأيام
... وأبقى "

حيرني لغز ابن عربي :

" لم أدرِ من أهوى، ولا أعرف اسمه
لم أدرِ من هذا الذي ضمه صدري ؟! "

ليلى مقدسي

تأملات

الحياة حلم . والحلم حياة
وها نحن ذا سنتلاشى
تلاشي الحلم عند مطلع الفجر
آه ! فكيف لنا بِصِلات حقيقية
حتى مع أحبِّ النَاس إلينا ؟..
وهل الأشياء إلا تأمّل في ذاكرتنا
... ... وتأمل في أحلامنا
الحياة تستمر ..
والماضي يستمر

والحاضر يستمر
والمستقبل يستمر
والزمن لا يقف عند فشل
ولا يقف عند نجاح
ولا يقف عند فرح ولا يقف عند حزن
أوَ ليست حقيقة الحياة في حياة
الحقيقة
وحقيقة الحلم أليست في حلم
الحقيقة
وحقيقتنا هل هي سوى قدرتنا
على أن نُكوّن حزيرة في بحر أنفسنا
وأن نجوب شواطئ أيامنا
بين مدّ الحياة ، وجزر الحلم
وبين هدوء الحلم ، وعواصف الحياة ..

الحياة إرادة ، والإرادة حياة
وكلّنا نريد وسنريدُ
وأغرب ما فينا ..
أننا نستسهل ما نريد
ونستصعب تنفيذه

فلِمَ نَعقد القرار
ونصعّب العمل ؟..
لِمَ لا نهوّن التفكير
ونسهّل الفعل ؟ ..
وإذا كانت الحياة سؤالاً
فهل يكون الموت جواباً ؟ ..
والعالم فينا
والحياة معنا ، طالما أننا معها
وضدنا، طالما أننا ضدها
شقاءٌ هناء ، هناءٌ شقاء
الحياة بوجهين :
والحياة جوابٌ فهل الموت سؤالها ؟
وفي كل الأحوال ستنتهي
تنتهي بأنّة خافتةٍ
فما الداعي إلى هذه الرجّات الصاخبة
يا حياة !؟

الحياة تأملٌ ، والتأمل حياة
وكلّ شيء قابلٌ للتأمل
وبالتأمل : كل شيء قابل للفقدان

إذن : الحياةُ عديمة القيمة
لا بل : التأمل عديم القيمة
إذ يسحبنا في حلقة مفرغة
فيضخّم رغباتنا
ويُضائل قدراتنا
ويحدو بنا إلى :
أن نفكر أكثر مما نعمل
أجل .. لا ثقة في التأمل ، في الخيال
ولا شكّ في الحياة، في الفعل
وسواء رفضنا أم قبلنا
فنحن شركاء
في الحب أو في البغض
في القسوة أو في اللطف
في إنسانية أو همجية الحياة ..

الحياة إبداع .. والإبداع حياة
وهي ذي آفاق الذهن تتسع
فتسعُ أبعادَ الأكوان المجهولة
إذن .. لا تدقق .. بل تدفّق
ولا تقارن .. بل تمرّس

ولا تنبش .. بل أضف
فالإنسان حقاً ..
ذاتيّ الإرادة
ذاتيّ القوة
ذاتيّ الرغبة
ذاتيّ الفعل
يرى خوف العالم ، رجاءَ للحياة ..

أسطورة

قالت الأسطورة :

حين افترقت السماء عن الأرض ،
غضبت الأرض وانزوت وحيدة ، بعيدة .
ولإرضائها صُنِعَ:

من شَعرها: الأشجار، والأزهار، والأعشاب .
من عيونها: الينابيع .
من أفواهها: الأنهار .. الكهوف .
ومن أنفها: الوديان .
ومن كتفيها: الجبال .
ومن روحها: القمر .
ومن عقلها: الشمس

الأزل ..

خطوات مطلقة في رحى الوجود
سيول من النور مشتعلة بالأبدية
متناقضات تغلّف الكون
تنبثق من رحم مظلم مخصب أبداً ...

المساء يبدو قاتماً ..
نور النهار يموت فيه
الصباح يبدو مشرقاً
كل شيء يولد منه ...

البشر مشتركون في القسوة والعنف
... في المحبة والتضحية

فلا تتلاشى الثقة بالحياة، قد نرفض
أسباب الود
لكن هل نستطيع قطع جذور :
المحبة ، والحياة ، والخلق ؟..
فهي .. منه، وفيه، ومعه .
ليس لبدايته خطوة، وليس لنهايته
وقفة
متبعثر في الأزمنة ..
ختال بين إشعاعات الروح الخالدة .

الزمن :

الثانية :
تنثني غصناً يلثمه الريح ، خصرها يهزّه
النغم ..
تعبر مسرعة، جدولاً جارياً أبداً
كل شيء يتعكّر، كل ثانية تتبدّل وتتغيّر
..

الدقيقة :

تدقّ يَقِظَةً موقظة، تدق في كلّ مكان ، تدقّ في كل إنسان دقّة سؤال، ودقّة جواب .

الساعة :

تتمطى عقاربها، وتشكّل خطوطاً ..
خط يستمر .. وخط لا يستقرّ ..
خط يمتد .. خط لا يُحد
خط يتنامى .. خط لا بتناهى
ومع ذلك الساعة ليست أبدية
لأنه ليس هناك شيء لا يمكن فقدانه .

ساعة الصفر :

لمحتُ زهرة ترتجف قلقة فتساءلتُ :
هل يمكن للذي خلق وأبدع أن ينظر
إلى شقاء البشر بلا اكتراث ؟..
تضيع النفس في متاهات محيّرة ..
لأن كل ما نملكه ..
.. وفعلناه
لا يستطيع أن ينقذنا ..
أرواحنا هائمة .. تائهة في مجهول
غامض ..

* * *

الساعة الواحدة:
يولد الإنسان وحيداً في رحم ..
فيفرحون بقدومه ويبكي . ينتهي
وحيداً في قبر .. فيبكون ويفرح .

الساعة الثانية:

يتدرّج بين الخمائل، يغريه تألّق الدالية، ولون الفاكهة المتدلية ولذة الثمرة ..
يبقى بين ما يلذّ وما يطيب، وينسى أنه سيفقد كل ذلك .

الساعة الثالثة:
يغتبط بما يسرقه من متع عذبة، وينعشه الذوبان في اللذة وينسى لعنة الملل والضجر، فالتكرار يُعدم الانجذاب بفعل العادة .

الساعة الرابعة:
ينهش الإنسان ليسدّ نهمه وقلقه، لا ليسدّ رمقه وحاجته وينسى ما في جعبة الغد من مفاجآت عند تتالي الفصول .

الساعة الخامسة :
لِمَ لا يشعر بجزئيات العالم الصغيرة، فتتمتع روحه بالغبطة، وقلبه بالصفاء،

وعقله بالقناعة.. ويبتعد عن عناكب التشويه والعفن ..

الساعة السادسة :

يدرك أنه غريب عن نفسه، وعن أفكار ومعتقدات الآخرين وجعلوه يرزح تحت رعب الخطيئة .
ليته يعي أن الذنب كامن في الأحكام المسبقة. وفيما تسببه الخطيئة من ضرر وإيذاء .

الساعة السابعة :

يدرك الذنب على القدر، ويلعن الظروف، والذنب فيه . في عبوديته لغيره لا لنفسه ، وفي هدره لوقته وجهده وفي تقوقعه ضمن تفاهات تتراكم ..

الساعة الثامنة:

إنه تعيس دائماً لأنه غير كامل، وتعاسته تزداد بتعلقه بالظواهر الموروثة من

تاريخه . متى ينظر إلى أعماقه المورّثة ليتجدد مع الزمن .

الساعة التاسعة :

ويمنع دموعه عن اقتحام أسوار نفسه، فيا ليته يدعها تتغلغل إلى صدأ أعماقه، فتذيب ما فيها من أوشاب وتجرف ما عليها من عوالق. وتُنقّى حتى تصبح كجدائل المطر الصافية .

الساعة العاشرة :

ويستسلم للألم يعتصر قلبه كمنديل بين أصابع نَزْقِهِ ، فمتى يصمد، ويخمّر آلامه سماداً تزيد خصبه وإبداعه ؟

الساعة الحادية عشرة :

يتعصّب لعواطفه السطحية فاعلاً، ويتعاطف مع تعصّبه العميق جاهلاً .. فمتى يكتشف أنّ الحب شمولٌ، وأنّ على بذوره أن تنزرع في حُفر لتكون جذوره مُوغلة في الصميم .

الساعة الثانية عشرة :

يقتل رغباته لدى أقلّ اصطدام بالواقع، ويبرر تخاذله بأنّ الفشل ضرورة من ضرورات الحياة، ويقعي في ظلمته، فلِمَ لا يبحث أن يفتح نافذة صغيرة ليخرج منها ويضيء العالم .

الساعة الثالثة عشرة :

يقتضي أن يحتمل الوحدة والعزلة فربّما وجد فيها شموعاً تضيء كهوف النفس ، وتفجّر الإبداع الفنّي، وتفتح أمامه نوافذ ليطلّ على العالم ويعبّر عن ذاته بشتّى أنواع الفنون .

الساعة الرابعة عشرة :

قد يكره نفسه لما فيها من آفات دائمة ، وقد ينقم على الحياة لما فيها من ضيق مقيم، وملل دائم ، وكآبة مستمرة .

الساعة الخامسة عشرة :

يتفحّص هذا العالم فيجده غريباً :

الأب يستعبد أبناءه باسم الحق الأبوي

والأحبّة يعذّبون بعضهم البعض باسم الحب

والأمّ تنذبح عطاءً باسم الواجب الأمومي

والأخ يحتال على أخيه باسم الدم

إذاً – فماذا يبقى للطيبين في عالم أغرب من كائناته ؟..

الساعة السادسة عشرة :

تتكدّس تجاربه بين جديد يتقادم ، وقديم يتجدد ، فتتلبّد أحاسيسه ، ويبتعد عن الشعور بمتع الحياة

فيا لبراعة ممثّليك يا مسرح الحياة .

الساعة السابعة عشرة :
يتحوّل إلى جهاز آليّ ،
ويمسخ نشاطه بالرتابة القاتلة
والتكرارِ المميت،
ويجمد ويحجم لأن الحياة تضيع
بالعيش .
فمتى يكتشف أن كلّ جامد يتجدد ،
وأن الحياة على مرمى يديه ؟

الساعة الثامنة عشرة :
ويفرط في حساسيته أحياناً،
فيتحسس ولا يحس،
وإن أحسّ فلا يقلق ويغتم ويشقى
ويتكدّر ويبكي ويعاني ، ويسهو عن أنه
قد أضاع المعاني ، وعن أن رهافة
الأحاسيس ، وشدة الحسّ تنحو إلى
الأمان والاطمئنان والبهجة .

الساعة التاسعة عشرة :

وينجح فيغترّ ويستقر ، ويتكاسل وتشلّ أناه حركته وتنفلت منه نفسه ، فيغرق في تهاونه ، ويستنقع في أخطائه ، فمتى يدرك أن النجاح محطة راحة عابرة ؟

الساعة العشرون :
هل حقاً يولد الإنسان حراً ؟..
وجفناه ما أن تنفتحا على نور العالم حتى يتكبّل بآلاف الألوان ، وآلاف الأشكال التي تساكنه أينما حل ، وتلاحقه حيثما ذهب ، ونفسه أين حريتها وهي في بحث دؤوب عن الخلاص ؟..

الساعة الواحدة والعشرون:
ويغفل في هنائه عن الشقاء ، ويستهين في سعادته بالتعاسة ، وما أن يداهمه أي عارض حتى يستفيق وتبدأ الأسئلة تنهال على خطوط

ذاكرته ، وتحل عليه بركة الإيمان ، ونعمة التوبة .

الساعة الثانية والعشرون:
ما أكثر ما يكتب ، وما أمتع ما تزدهر به الصفحات ، وتتنمق وترمد الكلمات . فمتى يستطيع الكتابة بدماءٍ مخططة من صفاء نفسه ، وصدق مشاعره .

الساعة الثالثة والعشرون:
وينخدع والأحاسيس خدّاعة لا شك ، ويُحار والأفكار مُحيّرة ، وحين تتّضح الحقائق يتبجّح مدعياً بأنه قد كشفها بلوذعيته لا بأنها قد اتضحت بذاتها .

الساعة الرابعة والعشرون :

الروح تعيش في خطر دائم في كل ساعة ، فعبثاً يبحث الإنسان عن ساعة مامونة ، وعن ساعة فارغة يفرغ فيها لنفسه ، فالوقت يتسع بالفراغ والفراغ بالاتساع يُقلق ...

اليوم

تقبّله نجمة الصباح ، فيصبح ذائباً بين ضجيج اللهفة العابقة وبين سكون النور المترقرق .

ثم يضحي نقلة من سطح إلى عمقٍ ، ومن غور إلى سفحٍ ويظل يكررٍ سويعاته حتى يعصر ساعاته خلقاً ، فيغيب منطوياً بين أحضان نجمة المساء الهاربة به إلى عوالم

الظلمات حيث يهيمُ في غياهبها
المجهولة باحثاً عن كوّة الفجر .

* * *

أيام الأسبوع

يوم الاثنين :

المثل تتلاشى مع انقشاع
السحب ، وتبقى قيثارة حزينة تسبح
في النسيم ، وترقى إلى الأعالي .

يوم الثلاثاء :

الاحتمال يدخل القلوب مع خروج القدرة من الأيدي ، وعظمة الحيوية في أنها لا تنتهي.

يوم الأربعاء :

الأرواح النقية تتناغم ، والبشر والطبيعة يتحدون في لحن شامل ، فحب الواحد يعني حب الجميع .

يوم الخميس :

القلوب ما تزال تجلجل رعباً من الوحشية ، والحب وإن كان في رقة الشمع ما يزال أعظم أحاسيس النفس .

يوم الجمعة :

الشمس الوهّاجة أسيرة في ذاتها ، في سباتها .

والنجوم البراقة مقيدةٌ مواعيدها .

أما القمر الشاحب فحرّ في سحره ، ومذهل في حريته .

يوم السبت :

الحرية أروع وثاق يربط البشر بالعالم ، فينكفئون على أنفسهم فزعين .

يوم الأحد :

الأخيلة المزهرة في اليباس ضرورة فدغدغة الريح تتسرب إلى أعمق الخمائل ، ولثمة النحلة للورود خلسة فيها متعة وأي متعة.

الأسبوع

وقف حائراً في خطوات أيامه
السبعة ، متنقلاً بين الليالي الغامضة
الهادئة ، والنهارات الواضحة الصاخبة .
تخطو الحيرة تحت الشمس
المنتظمة ، والقمر الفوضوي والأيام
تبسط أذرعها وتضم الكل .
فتبزغ الغرائز ، وتغيب عبر أحلام
الأيام طافية حيناً ، غارقة أحياناً ،
يجرفها شلال الخيال .
والقرار ينبعث ثم يموت ،
ويموت ثم ينبعث كلهيب السرو
الأخضر يواريه ضباب العذاب والقلق
والترقب .

الأسبوع الأول

مضى على أكتاف السكون ،
مضى وجسدُ الأرض يمزقه الحزن
فيتوجع ، ويحمل تنهدات الزهرات
العاشقة إلى غابات المطلق بعد أن
هزلت وغاب أحبتها .

مضى والزمان بين أيامه انتحر ، والمكان يبكي ، دموعٌ قبلئل بقيت كرعشات الندى ترشف الذكرى من جزر النسيان ، وتلثم ما تبقّى على وجنات الوجد .

مضى وأسراب الطيور تهاجر ، وقلوبٌ طال انتظارها تسافر. ، والأشجار. لفّ خصرها زنار من الوفاء ضفرته لها الأرض من تربة الخصب المتجددة في الديمومة الأزلية

الأسبوع الثاني

الصبح شاحب بعد أن غمره
نشيج المساء، وقد جفّت ورود مائدة

الحب الحانية ، الحزن يتغلغل في مساحات النفس ، ويتداخل ويغيب كغمامات سوداء .

إلى أين نمضي ؟..

ولم نستطع بعد أن نهدم أشواكاً حملتها الرياح الغاضبة، وحزم الأشواق تقلقنا ..

متى نصل إلى ضفاف الصفصاف الشامخ ؟..

ومتى نطأ جزر الحب والملح والفرح ؟

أشرعة بيضاء ترسم أحاسيس النفس ، وسلام الهدوء والأغصان تميل نشوى، والطيور بأحلامها تغني ثم تغني وتمسح دمعة الغسق المحترق بين بقايا الشمس الغاربة .

الأسبوع الثالث

تصرخ رياحك المسافرة
كالرغبات المكبوتة ، وتسكن أيامك مع جنبات القلق .
وتتبدل مع تقلبات الأيام ، تصفع الليالي فتسيل دموع شموعها جامدة على التراب فترتعش بائسة، وتقشعر من البرودة، والأحبّة يهربون إلى حيث لا مكان ولا زمان للانتظار .
والحب يُوضع في أرجوحة الصمت والوفاء عند التهاب الشفق، لحظة تهمس الرياح لدمعة الشمس المهاجرة إلى الأرض الباقية .

الأسبوع الرابع

خفقة قلب تنتظر كطير مجروح،
والذات التي كانت مغرقةفي عزلة
الوحدة تحتج على الصمت غاضبة .
ودمعة نجمة شقية تنهمر حزناً ،
وتسقي جفاف النهاية التي تجتاز
دهاليز الزمن، هاربة من بحيراته
المرعبة والبعض ضم الفرح الذي
غمرته العتمة فدغدغ القلوب الصافية
المطمئنة.
بكى الزمن وبكيت حزناً لأجله .
غربة الأماني عمقت وحشة
الروح، رغم أن الأحلام أشعلت الدفء
في الفجر الآتي .

الشهر ..

كف قلبه عن الخفقان بضع لحظات، وغرق في فيض من الغبطة والحزن حين اكتشف كم كانت آفاق أيامه الثلاثين الأكثر أو الأقل، مليئة بالمتاهات المحيرة .

فالحب والكره، والحرب والسلام، والأمل واليأس، والمرض والصحة، والحزن والفرح، والدمع والابتسام ليست إلا أطيافاً ترقص في الأيام، ولا شيء مهم ما دام كل شيء سيتغيّر بعد حين من الزمن .

فابتسم ضامّاً إليه أيامه القلقة والمقلقة والتي لم تترك له سوى ابتسامته التي نثرت النور والعطر في جدوله الجاري أبداً ..

ولولا هذه الابتسامة التي
نستمدها منه لانتفت لدينا دوافع
الحياة، ولبقيت أيامنا غارقة في
الظلام، والرعب ..

الفصول

فصل الخريف /1/

شهر أيلول

{**الألف**} - ترتجف كالألم ،
تقوى وتضعف ، تتأوه في قلوب
الحزانى وفي حرقة العاشقين ،
ودمعة المظلومين .

{**الياء**} – تصرخ من حدة
جراحها، تنز في الأعماق، تتمزّق الياء

لغز البشرية القابع في صمت قاهر، ومزروع عبر الأزمنة .

{**اللام**} – تستفهم بحيرة عن سر الحياة، ولغز الموت، تطول وتمتد، تقترب وتبتعد، وجلة خائفة قوية عنيف، فهي لي ولك ولكل البشر القلقين .

{**الواو**} – تزأر كريح مجنونة في وداع الأحبة، وفي رجفة تراب يضم الرُفات العزيزة في حفر تتعمق في المجهول .

{**اللام**} – تصرخ محتجّة، غاضبة، لا تتدفّق ، ولا تقارن ، وتنبش فيما حدث، لا تتوقف .

رغباتك قوية، وإرادتك تنبع من ذاتك .

* * *

خطة تأمل /1/

رعشات ناعمة ينثرها جسد أيلول، فالفكر يضطرب، ويسبح في الذاكرة معتّمة وحدتي، متفردة في همومي الذاتية .

هل يأتي هذا الذي أحسه دائماً ولا أجده ؟

رغبتي بعناقه تشتد، ورعب الأمل يخدر نفسي فأحس بالزمن يحترق، وأنا تائهة بين الضياء والعتمة والألوان

المصفرة تشتتني، والغيوم المشبعة بالسواد تهبط على آفاقي ..
تعتم مشاعري ووعد بعيد يمتد بين عذارى أحلامي فيجعلني أنتشي ..
كل شيء يذوب في الهدوء ، والشحوب يقتات به القمر وحزن الشجر يذكرني بموت الأشياء المحببة إلى قلبي أتقلب بين فيضان الرغبة والألم، وقطرات ندى خرساء مثل الدمع تغسل صلوات المساء .
أغرق في شاطئ التأمل ..
أدخل في خريف الزمن ..

شهر تشرين الأول

{**التاء**} – تتقهقر تدير وجهها عن العالم فيعتم، ويجف الخصب، وتنوح الأشجار تغضب الأزهار، تهاجر الفراشات، وتنفض العصافير قطرات الماء خائفة . يأتي غراب حزين يمج العواصف والرياح والأمراض .

{**الشين**} – تركض لاهثة
لتقبض على الزمن، لتوقف الغضب،
لتمسح دمع الأرض، النوم يشتد
ةيتعمق، كل شيء يتبدل كل شيء
يتشرد، فقدت الطبيعة مقامتها، لؤّحت
لأحبّتها حزنها فيه شموخ وصبر .

{**الراء**} – ترن كدقّات الأحزان.
ترقص في مجاهل الكون، وينساب
من لحنها نشيج الدمع، ويتدخل في
قدر الإنسان فيغرق في الوحدة،
ويتفرد في الأمسيات الكئيبة الباردة .

{**الباء**} – تصرخ بكتمان جرح
ينزف، بتأوه بلا شكوى . تسري جدولاً
شارداً في متاهات الأرض البعيدة .
تبحث عن مصب حنون لتستريح .

{**النون**} – دائرة مغلقة، رمز البشرية والخلق . دائرة حق، جوفها خلق ، تدور في الوجود . أولها حب وافتراق ، آخرها حب وتلاق ..تقول :

الكل يخرج من المركز والكل يعود إليه.

* * *

{**الأول**} – الألف تحنو على الواو، وتدنو من اللام تائهة.. أول ما خرج من دائرة العماء المغلقة " الحب " . وأول ما تمّ به خلق العالم .

الحب .. الحب ..

التحام الموجودات، والذوبان فيه حتى الاحتراق ..

الحب .. الحب .. فقدانه افتراق الروح في حفرة التراب .

لحظة تأمل /2/

الغسق يقترب منحنياً غائصاً في دخان الشحوب المنبعث من السماء . الغابات حزينة انسكب شحوبها بين رعشات العشب الخائف والمضطرب . أوراق، وأوراق تبعثرها رياح الخريف، ترصع بها الطرقات تغضب الشمس حين يمتصّ الاصفرار الباهت أشعّتها المتلألئة والممرات، والدروب مهجور تبحث عن شعاعها الذي ابتلعته الغيوم الهاربة .

وجه السماء عبوس . تجر أذيالها الرمادية الممزقة ،تسأل بوجوم عن غلالاتها الزرقاء الصافية والمتسربة إلى الأحلام الوردية.

الأمسيات تلتف بالبرودة ،وتنكمش للقشعيرة ، عشتار الأم الكونيةتنزوي مرتعدة ، قلقة ، وقفر الحدائق يرعبها ، يبتلع الجفاف كل شىء وتتعمق العتمة ، وتشتد القسوة ، قطرة ندى شاردة فوق خد زهرة

تقف مذهولة .. وأيامناالجميلة قصيرة الأمد .

شهر تشرين الثاني

{**التاء**} – تضيع في ضباب الخريف الزاحف خلف الجبال، وتنحدر نحو الجدول الذي يهدر في وحدته الممتدة بين الحقول الغارقة في متاهاتها كقنديل يتذبذب نوره في هدوء العتمة بلا قوة .

{**الشين**} – تشتدّ وتضعف كضوء الصباح الباهت، تغرق في تقلّبات القلق بلا شكوى، تتأمل بهدوء ، تتحدث بوشوشة قليلة، وهي غارقة في برودة منعشة .

{**الراء**} – تهدر أمواجاً غاضبة، تفيض دموعاً نقية ترقرق بين جنبات

الفقدان والرعب، وتغرق في صمت مروع حين يتحوّل حزنها إلى هدوء قلق .

{**الياء**} – تتكئ على مسافة الأيام الهرمة، تزيحها الرياح تغريها تغوص في بحر المعاناة ، تئن الطيور لرحيلها، والقمر وفيّ مازال يرسل لمساته الحنونة المليئة بالرغبة والشوق في انتظار للبعيد الآتي .

{**النون**} – تُغلق على ذاتها في رقصها الدائري المستمر ، تترنح بين البدء والمطلق ، ثم تنظر إلى عمق نهر الموت الغامض وتترقب هلعة مرعبة ، كلما بزغ صبح جديد ، وكلما مضى مساء بين الضجة والصخب .

* * *

{**الثاني**} – تنسل بعض الزنابق، تركض لاهثة مضطربة، من صفعات الخريف ، يعلو نشيدها الوردي في الأرجاء حزيناً خافتاً .. الطيور لا تتركها وحيدة تحملها على أكتاف الغيوم وترحل بها ...

لحظة تأمل /3/

لو كان العالم يخلق ثانية لأتيت إليك ...

الأحاسيس تعشب وتترعرع في ذاتي ، وأنت تعبث بها كذرى الأشجار التي تقلقها الرياح .

أرنو لعينيك التي لا أعرف . نقاء الزنبق ينعشني ، قلبي في ذوبان اللهفة . ووجهي فقد حيوية الفرح ، لكن ابتسامة الحلم تترك آثارها وتجعلني أحيا .

أبحث عن شيء أكبر من الحياة ، أعمق من الحب ، أسمى من النجوم وأجمل من القمر. ورحلة الروح تجعلني أتبع طريقاً فيه ظلاً ، وابتسامة ، وأملاً .

الشوق إلى المطلق مضني ، لكنه يغريني بالعبور .

شهر كانون الأول

{**الكاف**} – تشع من كلمة الله (كن فيكون) تنعشها رعشة الإيمان الصادقة . وتختمر في انعكافها بذور الحياة . وتتعبد في سرة الأرض بابتهال صوفي متوحد .

السماء تفرش ثوبها والليل يرخي ضفائره السوداء . البحر في أزلية التدفق ، والجبل شامخ لأن الأرض ترتكز على أعطافه هائمة في وديان مجهولة .

{**الألف**} – مستمرة في شخوصها ، تتآلف مع حقيقة الحياة التي تقول : " إني مستمر في الجريان لا ينقطع " .
تستمر في تأملاتنا .. لا صلا أزلية تربط البشر . فأعمق الصلات تغدو في حالة تأمل في ماضينا .

{**النون**} – تدور وتحتار، وتحتار وتدور في استدارتها السحرية تخترق كل الحدود .
من خصر دائرتها تلتف وتدور ، وتدور وتلتف ، وتلفّ زنارها حول الوجود .

{**الواو**} – كالروح الغامضة بين قوى الظلام وقوى النور تبقى هائمة متجددة كزهرة اللوتس المخصبة .
الجسد يهتز تعباً بين العدم والاكتمال . الجسد يضعف وتشيخ ويتقهقر .. وهي في استمرارية الصراع .

{**النون**} – مستمرة في رقصها عبر إيقاعات البيضة الكونية . الهواء حاقد غاضب يخترق أرجاءها المغلقة ينثر غدائرها المتعانقة بود عميق ، يتمدد بين السماء والأرض ، يعتم الوجود حين تتباعد .

* * *

{**الأول**} – أنا البدء أنا الكلمة في دروب الأبدية، أنا الأول حزن الشمس يتخلل أيامي حين تميل عن كبد السماء .

يتضاءل النهار ويقصر منكمشاً حين تودعه راحلة إلى برجها المائي ، تنبثق من جديد .

يشب النهار يكبر قليلاً ..

تبتسم من برجها السماوي وتشع بمنطق الحكمة والتفكير المنظم .

* * *

لحظة تأمل /4/

برد يركض، مطر يقفز باكياً .. والناس هاربة.

الشتاء يقتحم الطرقات ، يدق الأبواب عنيفاً صاخباً .

الرعد يعلن قدومه .. الغيوم مطيته ، الصاعقة سلاحه والبرق هيبته والمطر نعمته .

فصل صاخب مضطرب ، لسعاته قاسية ومؤلمة .. البحر يغضب ويضطرب أيضاً ، صفحات النهر ترتعش من البرودة ، حصى صغيرة تئن ، غصن قاحل وأوراق مشرّدة غفت من التعب في كل المنعطفات ودفنت كالماضي في صقيع الزمن .

أرنو إليها، كلانا في قشعريرة الوحدة والأفكار تأتي وتروح، وتروح وتأتي . تستريح وتمضي تمضي ولا تستريح الريح تبكي في

الليل بنشيج مؤلم والنهار مختبئ في حيرته .

قلبي يرتعش لشيء ما يشتعل خلف النجوم الضائعة في المتاهات لشيء ينبعث من شفاه اللازورد المنفرد بين طبات النور الخفي ..

هذا الشيء الذي أحسّه ولا أعرفه .. أيكون سرّ الوجود ؟..

شهر كانون الثاني

{**الكاف**} – تكف عن الشكوى ، وقد غدت سيدة الأبدية في فعل الكون أزاحت بمسحة طيب مباركة غشاوة الوجود .

انبثقت المخلوقات بفعلها .

فالكل متداخل في الدائرة العذراء ، والكل منها .

{**الألف**} – تتمدد تطول في كبرياء وشموخ .

ليس هناك حزن يقيم وفرح يدوم
ليس هناك فشل يستمر ولا مجد يخلد
فالبشر يتلاشون تلاشي الحلم عند
نافذة الصباح

{**النون**} – تلتف النون وتدور
حول نفسها ملتوية كأفعى في دائرة
الخلود ، تختال في غموضها السحري
بين نقطة البدء وسدرة المنتهى، تجدد
، تكرر ، تحيا ، وتخلد ..

{**الواو**} – مشدودة وراء الأفق
منصبّة بين شلالات السحاب يعتريها
شوق إلى التجوال بين غابات مغسولة
بدموع الطبيعة وبين حقول عارية من
المحبة .
تتيه خلال ضباب بين الدموع
الغزيرة والساخنة .

{**النون**} – تضم السكون
المنبعث من سبات العالم البدئي .
وتدور والعالم ينهض، وتدور والعالم
يحيا ويموت ، ويموت ويحيا . تلتف
بصمتها وجيب قلبها الدائم الخفقان
ينبثق في الدوائر المترامية بين
مساحات صغيرة وكبيرة بفعل الزمن .
تبتسم وينوح يصرخ وتهدأ وتلتف وتدور
وتغرق ويغرق .

* * *

{**الثاني**}

يرتمي كانون الأول معانقاً كانون
الثاني
لحظة ذوبان هائمان معاً ..

ذهول عميق .. يتغلغل في
الطبيعة المغتبطة بحيوية اللقاء
ونشوة الأمل تعبر دروباً كانت مغلقة .
والفرح وجد له بوابة عبر
مشتاقاً وتقدم..

لحظة تأمل /5/

دموع الطبيعة سخية تنغمس
بالتراب . تحرق الجسد رماداً . تُفتت قهر
الروح ..
أنتظر تألقها الذي سوف يأتي ..
أنتظر ورودها لأغتسل بعطر الصفاء
والبياض .
قمر حزين لم يجد له مكاناً ، جرجر
آلامه ، امتطى قسوة الانتظار ومضى ..
بقيت في ليل بلا قمر وفي أرض
تنتظر الربيع .
بقيت ونيران الرغبة تلسع أعماقي
..
أعانق وهماً تبع الشوق وغاب .
كل شيء يطوح بلا رحمة والنجوم
تموت في عتمتها .. والبراعم ترتجف في
مخابئها ..
أبحث عن عذارى الربيع الخجلة
والخائفة ..
أبحث وروحي مغرقة في صمت
الوحدة ..
صمت مرعب كصمت الأبد ..
وقهر الروح ينتحب ..

شهر شباط

{**الشين**} – تضم شوقها متكئة على حافة التنهدات، تشهق، تتشنج وترانيم الطبيعة تهدهدها بلغة ألحانها الغامضة والسحرية. تهدأ تثور تشتد تخف تتعب وتتمدد

{**الباء**} – يرتكي خدّها بكبرياء على كتف الأرض متعبة من حمل جرارها المعتقة بخمرة النشوة لربيع آتٍ وما زلت تنتظر ..

{**الألف**} – تآلفت مع أغنيات العشاق الأبدية، تتمنى لو نسغ الوفاء تستمر بين فراق ولقاء. ود وجفاء، لهفة حروفها أمواج تغضب وترضى حين تلامسها رمال ملتهبة وباردة .

{**الطاء**} – تطأ بخطواتها الواثقة ضفاف الأنهار المسترخية بين أحضان التراب البحر يلمها وهو غارق في قبلة حنونة مع إشراقة السماء الزرقاء. النوارس تشكو غربتها وتنتظر، خافت من الفناء فهجمت إلى الماء ساكنة مستسلمة لرضاب الزبد المترقرق .

لحظة تأمل /6/

رائحة الأرض تذكّرني ببخور المعابد حين ينبعث من جسدها العاري فيغري العابرين، رغم أن السماء عكرة المزاج بين رعد وغيوم تضم زرقتها متوارية من جحافل السواد المبهمة

الطيور خائفة قلقة تنتحب لمصيرها ونشيج البشر وشكواهم لعنة تضايق النجوم، وتعبث بهدوء السماء .

أتأمل الأرض. هل خلق البشر لعبور تيه الأبدية الموعود ؟.. إذن لِمَ تتصارع بعنف وأنانية طالما أنها ستسقط مثل حبات المطر في التراب المترامي بين الغموض والمجهول؟.. ومتى كانت الحياة تستحق

هذا الفيض الهائل من الحزن والغضب والكره ؟..

متى يرتشف البشر جداول المحبة الصافية والتي سخت بها الأرض ؟ متى تستقي من البراعم النقية التي تنمو في الأرواح حتى تساعدها أن ترفرف وتتفتح أجنحتها متداخلة في رحاب الأريج بحيرة. أعماقي تغوص بين حنايا الأرض، ثم تستقر كجذع شامخ لأتجدد بالعطاء والخصب ..

شهر آذار

{**الألف**} – تنهض منتعشة بحيوية روح الخصوبة، انطلقت من مضجعها بعد ركود واحتجاب، ملوّنة الأرض بالأخضر وبقية الألوان تتدرّج بالازدهار ..

{**الذال**} – عذراء تتهادى فرحة بالعرس، تذر همسها فرحاً في النباتات المترقبة والأشجار المتألقة والبراري

الموحشة وحقول حقول ممتدة مشتاقة للعناق .

{**الألف**} – تجوب متاهات
الحروف خفيفة الحركة، ثابتة الوثبة ، ترسم جسراً سرياً بين الطبيعة والروح ، وحنين كامن في مشاعرها يخدرها .

{**الراء**} – تطير خافقة هديلها
يضرم العواطف، ترمي على الربيع رقتها . توقظ النفس تبعث الانفعال تلهب الأحاسيس الغافية وخفق القلوب ينتعش ...

لحظة تأمل /7/

ذاب صوتي، ذابت كلماتي في ذهول الصمت، خلقت لي لحظات عشق صوفية عشتها مع افتتان الفؤاد..
الحياة محزنة جداً، ولكن الابتسامة المشبعة بالأمل جعلت عفن الأيام ينتشي

بالعطر، والنور يرقص وينثني مع دفقات الحب الأرض يدغدغها همس السماء الحالم .

هلّت عيناك وغفت في عينيّ، أطبقت الجفن على ذرات حنان ناعمة والنسائم ترطب الذكرى والقلب موشح بالحلم. أحسك في ذاتي.. أحسّ معانيك تلد في أفكاري .

ودموع سخائك تقيم تقيم في مآقي الأرض، وفي نظرات المروج الخجولة الرياح تقبلها وتمضي، زارني عصفور شارد واستقر بين همهمات الشجر. ترى هل يغني الفرح لجنية الليل؟

خبأتك في قلبي، وأنا أشتاق وأبكي، وأبكي وأشتاق حملتك مع قطوف كلماتي، فذابت مع كروم أيامنا العذبة .

* * *

شهر نيسان

{**النون**} – تصغر وتكبر تتلوّب في رقصها، تفوح من أذيالها ورود حمراء تجروح النعمان، مبعثرة في الأرض، مغمورة بالنضارة مفتونة بالإشراق ..

{**الياء**} – تئن تطن فراشة ملونة، تدغدغ شوق الأزهارِ الملتهب، يسيل رضابها لثماً وضماً وصوتها هامساً، ابتدأ وقت الحب .

{**السين**} – هامسة حالمة يمسح الفجر دمعه الأبيض النقي، لمساتها الناعمة تزيل شحوبه فيجفل، هل أغضبته أم امتصت حزنه فابتسم وصحا .

{**الألف**} – لغزها محيّر ترتسم في ثوب بحار مهاجر في لجة الأبعاد..

تتداخل بخفية إلى زرقة السماء، تنسج غيوماً بيضاء، تغامز الريح، تلمس صفاء النجوم، تتوهج فرحة بنظرة القمر.

{**النون**} – تنساب في غفوة أحلامها بين تموج الحياة، تضطرب تترك تموجاتها في شفافية البحيرات الحالمة . رذاذها برودته الناعمة تمسح أقدام الليل الجافة فيرتعش بلذة.

* * *

لحظة تأمل /8/

صمت يكسرني وأكسر صمتي بالكلمات، وأحتال على شفتي بالابتسامات شيء ما يطرق صدغ الشوق الغافي في عينيّ. أرمي أتعابي خلف الحفر. وكل قطوف الكروم ترتعش من خفقات الطبيعة الموشّاة بالتألق .

أمضي مع شعاب الربيع متمددة كدالية بين ضفائر أيامه الجميلة والقليلة، ألمس وردة واقفة مثلي على قارعة الغيب شجرة وارفة تعانق أغصانها المتشبثة بحنانها الطيب والسخي فراشة صغيرة تدنو من زهرة غافية توقظها، تحترق حباً وهي تحوم حول شرانق النور .

تمنيت أن أثمل هنا من نشوة الزيزفون قبل أن يغادرني الربيع القليل، وحين أعود إلى دائرة ذاتي يبقى عبق الصفاء في وحدة الروح يفوح .

شهر أيار

{**الألف**} – تتعب من تمددها تعلو هائمة في الأرجاء، تنظر إلى المحبين الذين روّعهم الحب كثيراً وقبعوا في كبرياء الصمت وضباب الزمن يغلفهم بشفافيته .

{**الباء**} – تتجوّل في عربة الغربة، تغني في صوت مبحوح من الأنين والألم سجينة في قفص، شرار الغضب يحني قضبانها . ترى أيستطيع الربيع القادم أن يعيد إليها ابتسامتها ؟

{**الألف**} – الآه.. الآه.. تغسل رذاذها المتطاير همسات جنيات البحر،

وتبعثر الرمال قبلاتها المشبعة بالرحيق على شاطئ يعبق بالذكرى.

{**الراء**} – تبعثرها رياح، وتدنيها رقة منبعثة من أحلام راكعة بهدوء مليئة بالخوف تصلي مبتهلة لربيع ربما لن يعود إليها مرة أخرى بنفس الإشراق .

لحظة تأمل /9/

غمرتني أغصان شجرة متناهية في رقّتها، كنت أحنو على براعمها الناعمة خشية أن يمسّها الحزن والقلق. شفاهها الملوّنة تلثم بسمة الشمس وقلبها يرفّ وجداً لأجفان الفجر الناعسة .

حزن خطفني لأن الأزهار النضرة المتمايلة بأعماقي فرحتها لا تدوم إلا أياماً قلائل .

لاح لي وجه حزين متّقد بنور الأمل الغافي والزهور كانت تقول لي : " هنيئاً لمن يقع في هذه الدنيا على قلب يفهمه

بعمق .. ومباركاً الحب الذي يجعلك تقدم نفسك محرقة على مذبحه "

احتفظت بصورتك الربيعية، شفافة كروح جميلة كخيال بعيدة كحلم .. القمر يعبر مسرعاً ينبئ العشاق بمرور زمن الربيع، ولكن الغيوم تشفق وترق وتمنحه استراحة قصيرة، رغم أن الندى ينثر دموعه في كل ممرات الحقول .

العصافير لم تنسَ أن تعطر ريشها من الجدول الصافي المغسول ببياض الحب .

وجدت أن الوحدة والتوحّد معك ممتعاً جميلاً . حضورك يجعل كل أيامي ربيعاً ..

شهر حزيران

{**الحاء**} – تحتار غاضبة من قبلات الغيوم البيضاء .. متمايلة كعرائس المروج على نغمات الفرح .. تأتي وتروح .. وتروح وتأتي ممعنة في حيرتها وقد مسحت الغيوم غضبها ..

{**الزاي**} – تزورها أحلام اللقاء، والأرض ضجت من الانتظار.. لكن الثمار المشبعة والناضجة ألقت لذّاتها وازداد النهم، ولكن هل يقف عند شبع ما .

{**الياء**} – يتوهّج خدّها بحمرة الرغبة القانية، جسدها ينثني مشتعلاً وذرات رمال تمسح أحزانه. الشواطئ الظمأى تحرق وتترطب بلمسات البحر الحانية .

{**الراء**} – يؤلمها التهاب الشوق، حرارته تلذعها، تهرب إلى الظل تتيه حلماً ، تتمرّغ في البعد .

{**الألف**} – تتمدد بين عذارى الأعشاب الهادئة الوادعة ..

كل شيء يمتصّه الصمت.
وأوراق الأزهار مشعّة بخيوط الشمس
تشرق ، تمر ، تنتظر ..

{**النون**} – تستدير وتضيء،
تتمطى بين الشمس والأرض ، تتكوّر
..
جدول يرقبها غاضباً، يلتوي هارباً
..
توقفه، ألا تعرفني؟.. أتتجاهلني
؟..
أنا النون النون سيدة الكون .

لحظة تأمل /10/

النفس توّاقة للحياة، صورها تشعّ في روحي ..
النهار يمتد وعيناه مشعة ..
الليل يطول متدثراً بعتمته ..
قمره الوحيد ينعشه، والبحر ولّه بأبديته .
نبع صغير خجول يعبر ببطء، هدوء رقرقته لا يستطيع منع أكوام الحشائش المتعكرة من السحب أن تسبح فوقه بسكون ويسبح في شعاع ابتسامته الهادئة المطمئنة .
النوم هرب مسرعاً، قاتل جفوني بقسوة .
ما زلت في شوقي إليك أشتعل ولم أبح .

من سجن الروح كنت نافذتي الوحيدة ..
قدست زهرة اللوتس الحالمة في سجن نقائها .
فيض الوجد جعلني أذوب هياماً، وأنا أرتقي لعينيك التي لا أعرف عمقها ..

شهر تموز

{**التاء**} – تطأ خطواتها الخفيفة على عشب الأيام الندي، تنعش الأرض بخمرة تسكب في المحاصيل الجافة. السنابل جذلى في رقصها على إيقاع الريح المحبب، والعناقيد تمددت منتشية ذاهلة.

{**الميم**} – مورقة بالنغم، تفرش النضارة في دروبها اخضراراً ويتموّج ضفائراً مزيّنة عتمة شعرها

المسترسل . سيقان الزرع مياسة برشاقة قوامها .

{**الواو**} – وقورة في رقصها الغصون تداعبها، عيون الأزهار ترمقها حسداً وغيرة. تهمس الواحدة لجارتها بوشوشة مبسوسة غير مبالية تعبر الحقول المتتالية برشاقتها المتبعثرة.

{**الزاي**} – مزدانة بأبهى حللها.. تطل من قمم الجبال. تنظر بصمت إلى الأزهار التي شابت في عنفوان صباها.. تطربها أغاني الحصاد، فتنزوي سارحة نحو كوة في الصخور على زقزقات أنغامها .

* * *

لحظة تأمل /11/

درب مجهول يتلوى بين قهقهة الوديان الغامضة في عمقها، والريح في صخبها وضجيجها تخترق دائرة الحياة من ممر خفي وتعبر أبواب الموت المرصوصة بين صدأ المجهول.

أحسّ بالهلع، وصراخ الطيور موحشاً في الأقفار.. يذكرني بفقدان الأحبة. هاجمتني بعض الأسئلة المحيّرة لأني لم أجد مكاناً آمناً لأستقر .

ألا تسير النوارس هادئة رغم أرقها؟
ألا يحيا كثير من البشر غير مرغوب فيهم عمراً طويلاً ؟ لِمَ فرض علينا أن نتحمّل رؤية عري الأشجار في الغابات المرعبة؟
لذا فنحن منقسمون :
نعيش لأشياء محزنة ومؤلمة .
ونعيش لأشياء سعيدة وممتعة .
هبّ دخان كثيف ضيع لي بقية الأسئلة.
الصمت سيّد الكلام ..
لذا لم أطرحها على أحد .

شهر آب

{ آ } – تصرخ مستغيثة .. قسوة مناجل الحصادين تمزّقها، أغنياتهم المفجعة تندبها .

جسدها .. يتمزّق، يتفتت، يتكوّم، يتوزّع ذرات ذرات. كانت ضحية لقوة مخصبة ومغتصبة .

{ **الباء** } – تبكي الآه. تشهق بالعويل .

تتّقد لهباً في روح الأرض المتأججة .

تنبش التراب، تبعث الحياة في البذور الصمّاء .

دموعها كانت الرواء .

لحظة تأمل /12/

الروح هاجرت إلى أغوار مجهولة، ولكنها رتّلت آيات البشارة بعودتها إلى الطبيعة .. السلام عليك أيتها الأرض .. الأرض القديسة والمباركة .

وقف آبٌ شامخاً معتزّاً بجبروته
حوله حوريات بأيديها شعلة من خصل
الشمس المتهدلة المسترسلة، بين هرج
ومرج الفلاحين السنابل ترقص على
قيثارة ألحان ساحرة توقظ التراب، تفجّر
المياه في هدوء مرعب طاغي .. سيدة
الموكب عشتار تحمل حزمة قمح صفراء
أولى باقات الخصب إلى تموز .
تتأبّط ذراعه، يمضيا، تتناثر الباقات
منتعشة ومنعشة روح النباتات والغابات .
السنابل نسيت شكواها وصفعات
الألم .
سقطت مستسلمة لصمت
المناجل الحادة ..
ربات الينابيع بأرديتها الطويلة
الهفهافة يعبرن الحقول .
ابتسامة حالمة ترسم غلالات
التأمل الكونية
أفكاري بقيت سابحة في خصب
الذاكرة .
أعد وأرمي وريقات رزنامة هذه
الزهرة الكونية المتجددة دائماً .

السنة ..

مغزل القدريغزل خيط الأشهر
الاثني عشر. نسيج الحياة تتعانق عذارى
النور والظلام، وجنيات الليل والنهار
وربات الروح والجسد، على محراب
الطبيعة.
تختال الأشهر، تنحدر وتحيا، وتحيا
وتنحدر.
تجفّ وتخصب، تغضب وتهدأ .
تحب وتكره، تضعف وتقوى .

الطبيعة كطائر الفينيق يحرق
نفسه كلّما آنس ضعفاً ومن رماد جسده
ينبعث غصناً فتياً كما كان .
كل ذلك يتم خلال سنة حين ترسل
أولادها الاثني عشر يعبثون في حرية
وصفاء .
أشهر على شفاهها: همس متوحد
بالعشق، وعطاء متدفق بالتفاني وأشهر
أخرى: تتألق بالخصب وتنهار لصفعات
الجفاف .
تتناجى الأشهر.. تبكي الأشهر..
تفرح الأشهر وتتألم. الزمن هازئاً..
يدغدغ كل الأشياء..
يقهقهه غير مبالٍ بما يحدث ..
مستمر في دورانه .

* * *

العقد ..

نعقد حبال الود مع الحياة ونظن أنها عابرة.. لكنها في الحقيقة دائمة بكل ما تحمله من متع وعذاب طالما أن شعاعات الروح تضيء آفاقاً متجددة أمام رحلتنا بها. وتحمينا من تعثرات الجسد الفانية ومادية الأرض الزائلة.

الحياة تجسد لنا شيئاً نفعله، وبذلك نعيش في نشوة القديسين . إنما الإنسان ليس ثابتاً ، فالأفكار تتغيّر، والمودّة تتحول الفنان وحده يمتصه العذاب، وتقوده المعاناة إلى الأسمى والأخلد.

يتحمّل غربته بعيداً عن الآخرين، متفرداً في شقائه ويستمر متأملاً أوراقاً تركها في كل ربيع يومض بين شيخوخة

الزمن. خضرة أوراقه تزداد اشتعالاً ودفئاً لأنها الرمز المستمر .
أما الأشرار والأنانيون والثرثارون.. يتلاشون لأن الحياة تعبر بهم ولا تقف خطوة.

الجيل : 33 سنة ..

تجوع النفس البشرية بشكل مخيف.
وكل التجارب العاطفية لا تعلّمنا شيئاً سامياً مهما اشتدّ عمقها وفعاليتها .
الجسد يفقدها شفافيتها ونقاءها، ويفجر مشاعر الغيرة والملكية والقهر واليأس والأنا.

وبذلك لا يستطيع أن يمنحنا حباً خالداً .

لذلك من المستحيل أن نلمس شيئاً نحبّه بالروح لأن الروح تنزوي في غربتها القاتلة بعيدة عن هذا العالم متمسكة بقوّتها ، محتملة عنف الجسد ونزواته في هذا الكون المضطرب ..

كل ما لاح من هذا العالم يبقى حلماً.. وأثراً..

متى يعي الإنسان أن معبده الأخير هو الروح وفيها يكمن سر المعنى والأعمق والمقدس ؟

القرن : 100 عام

- يشيخ الزمن – تمرّ أحداثه على صفحات الحياة المتقلبة، تطمر وتولد سنواته في خضم ديمومة الحياة، تشتعل وتنطفئ.. تنطفئ وتشتعل.

- يبكي الزمن – تسقط نجوم على الأرض، ترحل نجوم إلى السماء، نور النهار يتوهّج بتألقه .

- يتأوه الزمن – يتقهقر الوعي عندما يلتف الفعل في ضباب كثيف. يخطأ الإنسان ، يصيب أحياناً، يقوى ويضعف . الروح تعانق خوفها رعب خطواتها خدراً في دروب المجهول .

- يتوب الزمن – يمتد في الهدوء.. يشع بالصلاة المتناغمة بوداعة الإيمان ونقاء الأطفال، ورؤيا سماوية تلوح مطمئنة منغمسة بالأسرار .

- ويمضي الزمن – الحياة كانت صعبة وسهلة. قاسية وحنونة ومع ذلك نتشبث بها بعنف .

الأرواح تتناغم في لحظات وداع مروّعة من القهر. الجسد يفنى في قنوطه، ويد الشمس تمتد قوية وثابتة بلا ضجة، بلا أمتعة.. كل الأشياء تمضي بهدوء وتتابع الحياة .

الحقبة : 1000 عام

الدهور تركض لاهثة وراء العصور..
الحكايا تمطّي حروف التاريخ ..
الإنسان شارك في كل مشاكل الوجود ..
كل الكائنات الحية كانت مشتركة: في القسوة واللين
مشتركة: في الصراع والهدوء .
رغم كل لطفها وحضارتها ، رغم ما يتميّز به الإنسان من ذكاء وعقل لكنه في أزمنة كثيرة كان أشد وحشية وأشد عنفاً، وأكثر ضراوة من الحيوان.
كثير من البشر لا جدوى فيهم .
لقد احتمل هذا العالم أكثر مما يستطيع احتماله منهم .
وهل الزمن السرمدي إلا عندما يصبح الإنسان سيّد نفسه وقد خلا وتنقى

من كل الشرور التي تستعبده وتستقر في كيانه .

الأبد

حين يبدأ ينتهي.. وحين ينتهي يبدأ ..

سر الحياة كامن خارج الحياة .

الشجرة الإنسانية فيها كثير من الأغصان الدائمة الخضرة ولكن الإنسان لم يقترب منها .

لذلك بقي تعيساً وحزيناً وشقياً .

لم يبحث عن الكمال بين غاباتها ..

ربما أرعبه فيها الصمت الخالد في أزلية السر .

جوعه الروحي جعله يحس بالرعب والقلق من الوجود ذاته ..
صحيح أن الشقاء والموت ممزوجان بالعالم. لكن الروح شعلة تقدح في صمت البياض .
هل عاشت أجمل زهرة طويلاً ؟

الوجود

في كل الطقوس ظهر الوجود بالقتل.. وظهرت الحياة بالقتل (اقتطاع الأشجار: قتل.. حصاد القمح: قتل.. صيد الحيوانات: قتل).

الوجود له وجهان:

آ – وجه مضيء: وجه الحياة والخصب والفرح والسعادة حين يعانق الهلال الأفق باسماً .

ب – وجه معتم: وهو وجه الحياة المغضن بالعواصف والكوارث والأمراض والحزن والألم .

حين يغادر الهلال ويتناقص منحدراً معتلاً.

الإنسـان

بقي حائراً ومحتاراً في مظاهر الكون، يبحث عن تفسير لها . راقب أجرامها، تعمق في شمسها وقمرها .

والإنسان القديم جعل من القمر مؤشراً لمرور الزمن بانقضاء اثني عشر قمراً متتالياً. وبذلك أصبح ساعة كونية ترصد الوقت. والساعة الشمسية ظهرت في وقت متأخر من الحضارة .

القمر

متألق في الروعة والرهبة في خضم الليل الغامض. سابحاً في القبة السماوية، متغلباً على كل الأجرام الأخرى . هو سيّد الليل ، سيد الفوضى، والحرية واللامبالاة يشرق من مكان ويتجدد شروقه في مكان آخر .

كذلك في غروبه، يحطّم قيود النظام.. والروتين والتكرار.

يبدأ نحيلاً صغيراً هلالاً، ثم يكبر ويترعرع يأخذ في الامتلاء والاكتمال حتى يستدير محيطه، يتوسط السماء بدراً مشعّاً .. يشعر بالملل يضجر يتناقص يختفي رويداً رويداً في عالم آخر.. بعد تسعة وعشرين يوماً تظهر قرونه عند الأفق.. يولد من جديد.. أنثى كونية .

القمر يحكم حياة المرأة، حكمة الطبيعة في حركة الجسد، وإيقاعه الطبيعي، نوره متبدل متغيّر، وشروقه تابع لمزاجه الخاص ربما يفاجئ الليل بأوله، أو في وسطه، أو في آخره .

اليونان اعتقدوا أن عدد أضلاع الحية يعادل عدد أيام الشهر القمري. فالحية مشتقة من الحياة وهي خالدة تبدّل جلدها وتتجدد مع دورة القمر.

القمر سيد الإلهام .. حاكم حركة الحياة .. وخصب مملكة النبات ..

* * *

الشمس

منظّمة ومنتظمة.. حكيمة
وقادرة.. مبدعة وثابتة، تشرق وتغيب من
نفس المكان .

تمنح .. تحكم .. عنيفة قوية ..
نظامها دقيق .. توقيتها ثابت ..
منها النور والحرارة .. منها القوة والجبروت ..
تحكم حياة الرجل ..
هي كالذكر تضع القوانين .. تصوغ الأهداف.
هي حركة الذهن في إيقاعه المجرد المتعالي .

* * *

حكمة الشمس تقول:
التفكير المنطقي.. العقلي الدقيق .
هي زاد ليوم الواقع ..
ترويض للعقل .. إضعاف للروح .. تركيز للحواس .
بناء الجسد وتوجيهه إلى وظائفه .

* * *

المحتويات

تأملات 5
الأسطورة 9
الأزل 10
الزمن 12
اليوم 21
أيام الأسبوع 22

الأسبوع 24
الشهر 29
السنة 64
العقد 66
الجيل 67
القرن 68
الحقبة 69
الأبد 70
الوجود 71
الإنسان 72
القمر 73
الشمس 75

للفن
آلهات حبّ

أسطورة آلهات الفن

في الأســاطير اليونانية يقــال أن للفنــون الجميلة تسع ربـات هي ثمـرات ليـال من ليـالي الحب بين أبيهنّ – تــزوس – وأمهنّ – فيموزيتا – أو الذاكرة .

هــذه الربــات تؤلّف مــوكب شــرف في حضرة – أبولون – وأمرهنّ لا يقتصر على الغنــاء للآلهات ، إنما تقضي الربات نهارهنّ عندما ينــام الشعراء بالاستحمام في ميـاه – الوعد الصـافية في ينبوع - عبقر – وهـذا الينبـوع انحبس عنـدما ضــرب الحصــان العجيب – الــبرّاق - بحــافره سطح الجبل ضرباً إيقاعياً .

أمّا في الليل فإن آلهـات الفن تهبط ملتفّة برداء السحب وتـأتي لتجلس على نحو لا مــرئي على مقربة المصباح الذي ينير الظلام للفنانين . وتحمل إلى من تلهمه الأفكـــــــــار الجميلة ، والألفاظ المتناغمة ، هـذه الجوقة الإلهية تعـزف لتوحي بكل جوانب الإبداع ، فيتجلّى الشــعر في أفكـار بليغة ، وبصـورة شـعرية نبيلـة. ولما قـرّر البشر فيما بعد أن يكون لكل فنّ مجاله الخـاص ، اختصّت الآلهات كلّ منهنّ بنوع من الإبداع .

(كاليوب) الشعر الملحمي
(كليو) التاريخ
(بوليمني) بالإيماء
(تربيكور) بالرقص
(أوترب) بالموسيقى
(إيراتو) بشعر الحب
(مليبومين) المأساة
(تالي) الملهاة
(أورانيا) الفلك

ويعتــبر الفكر – الأفلاطــوني – انبلاج نــور العقل عن ضـباب الأسـاطير . ويعـالج أفلاطـون مشكلة الإلهام بالحب – طبيعته وأثــره . وتتجلّى

حقيقة الحب في أنه رغبة بما لا يملكه المـــرء ، فـالحب بحـدّ ذاته خشن فقـير يعـوزه الجمـال ، وهو كـــائن وسط بين الإلهي والإنســـاني ، بين الجمـــــال والقبح، بين الجهل والعلم . وتتجلّى وظيفته في إنجـــاب الجمـــال بحسب – الـــروح والجسد والتغلّب على الموت وبلوغ الخلود.

ومن هنا نشأ ســـــرّ الحب لأنه ينطلق من حبّ جسد جميل ويـرقى إلى الجمـال الحسّـي، ثم إلى جمال الـروح حـتى يبلغ الجمـال المحض .وهو الجمال الذي يملأ حضوره النفوس بنشــوة غامرة . وهو هذيان صـادر عن أفـروديت ، وهـذا الهـــــــــذيان ينشأ عن الحب ويتبع بنية النفس وظروفها لأن النفس خالــدة . وكل حركة تتّصل بها هي حركة لا نهاية لها . مثل الكــواكب الــتي هي أكثر النفـوس اتصّـافاً بالصـفة الإلهيـة، لأنها تجري في حركتها بنظـام أبـدي. وكـانت الأرواح تجري في السماء بصحبة الآلهة ولكنّها في بعض الأحيان تفقد أجنحتها فتسقط في الفراغ وتنحدر إلى أجساد الأحياء الفـانين . وعنـدما تلمح بعض الأرواح الحقيقية تتجسّد في جسم الإنسان . هو الإنســان المبـدع المحبّ للمعرفة ، والشـغوف بحبّ الجمال .

فالحبّ ينشأ عن ذكرى الجمال الذي كانت النفس قد لمحته عندما كـانت روحـاً في صـحبة الآلهة في الســـماء . والهـــذيان الرائع للحب ، يعمل على أن تنبت أجنحة الــروح فــترقى نحو الجمــال المطلق ، والــذي لا نــدرك في الأرض سوى شبحه ومحاكاته . فالحبّ الحقيقي ينتزعنا

من الجسد ويســـمو بنا إلى الجمـــال فـــيرقى المحبّ بالمحبوب حين يقوم تيار بين الـروحين ، ويظهر في قلب المحبـــــوب حبّ هو صـــــدى العاشق .

الفنان وآلهته

الآلهـات هي الربّـات الـتي تخيّلها الإغريق لأشـكال الفن الكـبرى ، ولأنمـاط في المعرفة هذا الاسم يدلّ على الإلهام. أو كما قال أفلاطون : " يدلّ على الهذيان وعلى الحسّ الناجم عنه " . لذا يطلق اسم آلهة على الإلهام الذي يدين به لها الشــعراء والفنــانون ، مبــدعو الآثــار الفكرية العظمى . ونقـول عن كل شـاعر موهـوب بـأن آلهته تزوره . ولكل فنان آلهة فنّه . والآلهة جميلة في عيــون الفنــان . وتظل في نظــره وحــدها حقيقية . ويظل يجهد في اســـــــــترجاع آثارها وذكراها . ويحسّ دائمـــاً بحاجته إلى اســـتطالة الساعة الأولى أو التذكّر بها ، ويتفانى كي يجددها دائمـاً في السـاعات المبعـثرة دونها . فهي وعد للمغامرة . وهي ينبوع قيمته ، ومصدره ، ووحيه . فينصب لها في فـــؤاده تمثـــالاً يعبـــده ، ويخلقه بشــتّى الصــور حــتى إذا غــابت الملهمة تغــذى بذكرها .

والحب يهبط فجـــأة دون مشـــيئة واعية . تلك هي قاعدة الهوى والتي تؤلف تراثاً إبـداعياً ، وأمر واقعي في كل الأعمــار والعصــور . وهــذه الحالة ليست حبّ دمــاغ بل حب كــائن إنســاني بأسره .

والفنان يتجسّـد مثله الأعلى في شـخص مـرئي ، ويحلم بالكائن المحال المشخص بنقـاوة الـذات ، وحين يعجز عن إيجاده يخلقه على هواه . فتجربة الفنان هي مزيج من عشق وترصّـد وجمـال. وهو دور الكشف الـــروحي في الحسّـــي . والملهمة تشعر أول ما تشعر بالمباغتة والاعتزاز النـاجمين عن الاضـطراب الـذي يحدثه حضـورها في نفسه الشاعرة . ثم يزداد شعورها حين تدرك أنها محل عبادة ، وأنها ضرب من آلهة فنه .

وثمّة فارقاً بين قولنا : إننا لا نحبّ شخصـاً ، وبين قولنا لا يمكننا الامتناع عن حبّه .

وتمجيد المحبـوب يعظم ويتّسع كلّما عظم بقاء الحب ذاته مثالياً . إذ أنّ كلّ إرضـاء جسـدي في الحب المشـــترك يعقبه تضـــاؤل في درجة التمجيد الممنوحة لـــه. وتمجيد الفنـــان لملهمته وسيلة يقرّها بوعي على أنها غاية أسمى من غاية الشهوة .

ويبقى الفنان هو الواقع الحقيقي للمغامرة . مغـامرة مولد أثر فـني عظيم والـذي يـدعوه إلهامه .

والمـــرأة والآلهة لا تفترقـــان في نبـــوغ الشـاعر المبـدع لأنه يجعلها كـائن الحلم لبلوغه الجمـال الكامل الـذي يسـتهدف خلقه . والفنـان يزدهر ويزهو مع ملهمته دائماً .

المبدع - مدهش بإبداعه

المبدع يدهش بإبداعه ، بالأفكار والأعمـال التي تستقي أصالتها من التجديد والابتكـار، وذلك بمحاربة الجمـود والتكـرار . لأن تكـرار المـألوف وتقليـــــده يقلّص الشـــــعور ، ويمحو الدهشة والاستغراب . فالإنسان حليف ما يألف .

فالفنان الحقيقي يخلق حالة الدهشة ، في اللوحة أو القصـــيدة أو اللحن ، ولا يجعلنا نـــرى اللوحـة، أو نقـرأ القصـيدة أو نسـمع اللحن ، إنما يولّد لدينا إحساسنا بالجمال ، وشـعورنا بالتواصل الدائم مع إبداعه .

والمبدع الحقيقي يستكشف من عالم ذاته أو ما يسمّى (بلغز الإلهام) ، والوحي ، والإشـراق ، واستشـفاف الجمـال في كل ما خلق من أنـواع

الفنـــون . وهـــذا الإحســـاس يعيد إلى الرواسم بهاءها بالتغيير والتطـوّر . فيبـدع الأصـالة في فنّه ويجعلنا نعيشه ونحيــاه . ويشــعر الفنــان بالغربة عن المـألوف في مجتمعه لأنه مجـدد دائم يكسر بعض القيم ليقيم قيمـاً جديـدة لم يألفها البشر ، فيغدو منفياً عن زمانه وعصره فيبحث عن مصدر إلهامه ، وينشد التواصل والاتحــاد به مهما كــانت الصـعوبات الـتي تعترضـه، لأنه في هـذا التواصل الروحي يحقق الوجد مع سرّ إلهامه .

لــذا كل مبــدع يصــطفي امــرأة ويحبّها ، ويجعلها ســرّ إلهامــه. فالموســيقي والشــاعر والمفكّر والرســام ، يخلّد ملهمته من ســحرها الخاص وأثرها في إبداعه .

ومنذ أقـدم العصـور شـغلت مشـكلة عبقر الذهن العربي وما زالت تــراوح في فهم العبقرية وصلتها بالإلهام .

والعــرب يقولــون : جنّ عبقر . شــيطان عبقر .

ويقول الأصفهاني :

العرب نسبوا كل شــيء في الجــودة
إلى عبقر حــتى أصــبح يقــال : لم أرَ
عبقرياً مثله .

واختلفوا في فهم المعنى ، وتعيين نسـبته . منهم قـــــال: إن عبقر في أرض اليمن ، أو في اليمامـــة. ومنهم قـــال : إن عبقر اسم جبل في الجزيرة يصنع به الوشي .

أما الياقوت – معجم البلدان يقول :

لعل عبقر كان بلـداً قـديماً وتخـرّب . ولما لم يعرفوه نسـبوه إلى الجن .. ونسب كل شـيء جيد إلى – عبقر .

أما المعاجم اللغوية تقول :

إن – عبقر – قرية يسـكنها الجن فينسـبون إليها كل عمل عظيم .

أما الأب الكرملي يقول :

إن – عبقر – يونانية الأصل وهي بمعـــنى – الحامية القوية القديرة . ولقد لقّبت – هيرا – عند اليونانيين بالتفوّق والقوّة .

والشعراء كانت تزعم أن الشــياطين تلقي على أفواهها الشـعر ، وتلقّنها إيـاه وتعينها عليه ، وتدّعي أن لكل شاعر شيطانه يقول الشـعر على لسانه . ومن كان شيطانه أمرد كان شعره أجود.

والفرزدق يقول :

شيطان جرير هو شيطاني
إلا أنه
من فمي
أخبث

والعرب في جاهليتهم عرفوا صلة الشـاعر بمصدر وحيه وهذا المصدر منهل العبقرية.

أما في العصــور الحالية كــان الكشف عن جوهر الإلهام من الناحية النفسية من ذات الفنان المتواصلة مع ذات أخرى هي ربّة شعره .

وحـال الشـاعر في معاناته أشـبه بالأشـياء بحـــال الـــتي تلد . فمعـــاني الشـــاعر وصـــياغته

اللفظية تتمخّض عنها انفعالاته النفسـية – أبياتـاً من الشعر – وهي ميلاد لبنات أفكاره .

قال ميخائيل نعيمة :

هذا هو السبب لتعصّـب الشـاعر لشـعره ، وحبّه إياه ، كما الأم تحبّ أولادها .

المهم عندي أن أخلق ، لا أن أتجسس على كلّ حسّ من أحاسيسي ، وخلجة من خلجاتي .

والثقافة العربية تلتقي بالثقافـات الأخـرى في نقطة عميقة تجعل الشاعر أو الفنان يسـتمدّ إبداعه من ذاته الإنسانية ، وتجربته الخاصة .

أما عند أفلاطـون – مشـكلة الإلهـام وقف على الأنوثة الخالـــــــدة ومفتاحها هو – الحب والتعمّق في طبيعة الحب ، وجوهره وأثره .

الفن كالحب - حالة لا تفسّر

الفن كـالحبّ يسـمو فـوق الواقع ، ويصـنع واقعه الخــاص . والفنــان يلقي غايته في كمــال آثاره ، لأن الفنان يجد في الجمال الفني خلاصه . وهو جمال متنـوّع وغزير . فالرسـام في رسـومه يصـــبح ذاته كلّهـــا. والشـــاعر في قصـــائده . والموسيقار في لحنه .

يقول روجيه :

لا المطر ، ولا الربيع ، ولا العواصف ، يمنعــون قلــبي من التفكــير بالشــعر . والحب يقودني ويسكن قلبي ، ولا شيء غيره يحييني .

أما بودلير :

عــالم الحب هو الخصب المسـتمر لـولادة فن كبـير ، والإنسـان يـرغب ، ويحب ، ويبـدع إن كان فناناً من كيانه الجمال. فالمبـدع ينفق قـدراً من الفن في الحب يعـادل قـدر الحب في الفن . ومعايشة الفن والحب معايشة واحــدة تنشأ عنها تحوّلات عميقة في الطبيعة الخاصة بعناصرها .

وكـلّ ما تنطـوي عليه قصص الفنـانين من إخلاص ، إنما هو إخلاص للفن ، لأنه لا يبتغي الحبّ فقط ، بل يبتغي الأثر الفــني . وفي هــذه اللقــاءات قد يصــاب الحب بجــراح عميقة ، لأن الحب الذي كان يعتبر غاية ينحدر إلى الوسيلة.

يقول موريـاك :

إن الفنـــان يتّخذ من عمله وثنـــاً ، فيلهمَه الوثن . فالفنان محبوس في دائرة – الفن والحب .

قالت ديدمونة : (في مسرحية عطيل)

يــوم لا أحبّك ســيكون العــالم قد عــاد للفوضى من جديد.

وتمجيد الفنــان لملهمته هو وســيلة يقرّها بــوعي، على أنها غاية ســامية . ومغامرته معها تولّد أثراً فنياً عظيماً ، ويجعلها كائن الحلم الــذي يستهدف خلقه وتخليده .

وهنـاك تعـايش مـدهش بين الفن والحب ، وعشق الـروح الجميلة . ويظل وفيّـاً لأنه يـرتقي إلى الحبّ الســماوي . فــالحب هو الــذي ينجب الجمال ، ويصحب الفن ، وكأنّه إيقاعه الموسيقي الطبيعي . والمرأة المحبوبة هي بـذرة الأثر الـتي تنبع من أعماقه.

فالعنـــدليب لا يغـــرّد إلاّ عنـــدما يحب . والطبيعة لا تغـــــرّد إلاّ مع الربيع ، وتمجّد الحب والفرح الناجم عنه . فالإبـداع الشـعري، والإلهـام الموســيقي ، والرسم تلتقي بــأن الفن يتبع بنية النفس المحبّة ، لأن النفس خالدة .

ميكيل أنجلو :

طغى بآثــاره مما لا تســتطيع الصــلاة أن تقوله وحـــدها ألم يكن يتعبّد بيديه ؟ ويصـــلي بإبداعه ؟

عالم الفنان - ملكوت الإنسان

يقول باسكال :

إن عالم الفنان عالم تأمّلي ، وكلّ شيء فيه يخفي سراً ، وكلّ إشارة لها رموز معيّنة، إنه عالم قدسي . الفنان الحقيقي يتنبأ بالقوى الخفية ، والأشياء اللامرئية . والعالم الذي نحيا فيه يختلف عن عالم الفنان ، فالأشياء التي تبدو أغراض نفعية ، الفنان يبحث من خلالها عن إبداع كائنات أكثر حقيقية وأجمل. وعالم الفنان فيه عين سحرية وحدها التي تكشف الجمال .

يقول أندريه جيد :

لم أعد أعرف من أنا ؟.. أو إذا شئت لست أنا أبداً ، بل أنا أصير لأن أناي هي صيرورة . ومن لا يضحّي بكل شيء في سبيل الفن لن يدخل ملكوت السماوات . فالفنان والقديس إنسان واحد .

التضحية . العطاء . المحبّة . الزهد . قبول الأذى والحرمان . وقد يغيب الفكر أو يتعب ، فيمر الفنان بفترات انقطاع وجفاف ، وفترات خصب وعطاء . لذلك الحبّ ينخرط في إنتاج

الأثر الفــني على اعتبــاره طاقة أولية في أكــثر الأحيــان ، ويــدخل في صــميم حكايا المبــدعين . ولكن السؤال : لماذا يبدع الفنان ؟..

هنــاك مؤلف يكتب رغبة في الشــهرة ، أو ليكسب رزقه ، أو ليحـــارب بعض الأخطـــاء أو ليناضل في سبيل قضية . ولكنّ المبــدع الحقيقي يكتب لأنه يجد لـــــذّة ومتعة في الكتابة ، ويحمل في ذاته بذرة حيّة تنمو وتكبر وتتكامل .

يقول برنار :

ليس للشـــــعر أي قيمة إلا إذا انبعث من ســـويداء الفـــؤاد. والفنـــان قد يعشق في كـــلّ الفصـول لأنه يحمل في قلبه تجديـداً مسـتمرّاً أو ســـرمدياً ، والمـــرأة صـــيفه الأبـــدي ، وربيعه السرمدي . والفنـان لا يـرغب أن يعـترف النـاس فقط بالجمـال الـذي يخلقه ، بل يحتـاج أن يكـون هـــذا الجمـــال حقيقيـــاً . أليس الشـــعر النقي والوجـداني صـلاة ؟.. هـذه الصـلاة الـتي تنبع من روح فيّاضة بالحب .

ويبقى الفن النهاية القصوى الذي يقود إلى القداسة ويبقى الحب مع ذات الفنـــان في قلب يحـــترق بـــه. وللفن موهبة دمـــوع القداسة ، لأن الشعر صلاة الروح والحبيبة للشـاعر هي الكشف . وهي المـــرأة الأزلية الـــتي تجسّـــدت فيها آلهة الفن، ويبقى الفنـــــان يحبّ الوعد لا الكشف . والأثر الفني هو إنجاز الوعد.

1) قصص المبدعين - الغرب

1- لور وبترارك

لقد بـدت لـور لأول مـرّة لبـترارك وهي تصلّي في كنيسة أفينيون . وهذا اللقاء خلّف في قلبه شـوكة تـألّم منها زمنـاً طـويلاً . ولـور اسـتحوذت على قلبه . ورضـيت لـور أن تكـون الحبيبة ، وحبّها العظيم له هو الـذي لا يمكّنها أن تمنحه شـيئاً ، لأنها كـانت متزوّجة وأمـاً . ولكن بـترارك أحبّها وبقيت ملهمته عشـرين عامـاً. وحـاول إغراءها واتخاذها خليلة ولكنّه أخفق . وأيقظت عبقريته الغافية ، وأنقذت روحه ، وبقي

بـترارك يـزداد حبـاً لجمـال روحها كلّما شـاخ جسدها . ويمـوت الحبّ الإنسـاني بموتها ، ولكن هل مـات حقـاً ؟ لقد كـانت تعـود إلى فكـره ، وساكنة فيه تلك التي عجز النسيان عن نسيانها . وقطع على نفسه الوفاء لها .

وبقيت لـور مسـتمرّة ولن تمـوت قبل أن يفـارق بـترارك الحيـاة . فمنذ اللقـاء ظلّت هي الوحيـدة الـتي أحبّها مهما شـاخت. فكـانت لـور مغـامرة القلب والفن . وبقيت عشـرين عامـاً تغذّيه روحياً . وخلّدها في ديوان شعر مـازالت _ إيطاليا – ترددده .

2- فاغنر وماتيلد

فـاغنر ، الموسـيقي الشـهير ، تـزوّج لأنه رغب في حياة منظّمة . وبذلت زوجته في سبيل فنّه إخلاصاً رائعـاً . ولكن أثر أزمة نشـبت ، أدّت إلى افتراقهما .

التقى بتاجر ثري صديق للفنانين ، وتعـرّف على زوجته – ماتيلد – وعمرها عشـرون سـنة ، ووافق زوجها أن تأخذ من فـــــــاغنر دروس موسيقية حتى تتوصّل إلى كتابة أوبـرا .. وعـاش معها ســنوات يعــزف لها مســاءً ما يؤلّفه في الصـباح . وعـاش حالة النشـوة وهو يتـابع إنتاجه الفني بوحي منها . وأخبرت زوجها بحبّها لفاغنر . ولكنّ ماتيلد أتلفت رســائل مهمّة من فـــاغنر واتخذت قرار الفراق عنه .

وكتب فـاغنر " إن ماتيلد امـرأة وفيّة ذات إخلاص رائع . وحدها تستطيع أن تمنحني وطنـاً .

وأنا وأنتِ متّحـــدان في البعد والقـــرب ، ونحن واحد . واحتفــاظي بــكِ هو احتفــاظي بــالفن. ومرض فاغنر مرضاً شـديداً وذهب إلى البندقية حــتى يشــفى . وأصــبح يعيش مع فنّه . وتحــوّل حبهما إلى أثر فـــني خالد في لحن – تريســـتان وإيزولت .

3- جوفره رودل

كان أميراً ، وغنى في أشـعاره الأمـيرات ، وامــتزجت حياته بالأســاطير . وآخر حكاياته أنه شغف حبّاً بأميرة – طـرابلس الشـام – الـتي لم يرَها قط ، بل عشــقها لحسن ما ســمع عنها من حجــاج إنطاكية ، وغنّاها في قصــائد كثــيرة . ثم التحق بالصـــليبيين طلبـــاً لرؤيتها وركب البحر ولكنّه مرض في السـفينة ، ونقل إلى فنـدق في طرابلس وهو مدنف.

علمت الأميرة بحكايته وجـاءت لـتراه وهو في ســريره، وضــمّته بين ذراعيها . فلمّا عــرف أنها الأميرة عاد إليه سـمعه وبصـره . وحمد الله لأنه مـــــدّ في حياته ليراها . وفاضت روحه بين ذراعيها ، فـــأمرت بدفنه في احتفـــال مهيب . ودخلت هي في اليوم ذاته إلى الـدير حزنـاً على وفاته .

4- فان كوخ

أحبّ الرســـام ابنة عمه ولكنها لم تبادله مشاعره . كـان يـتردد على أقربائه ليراها . وفي

إحدى المرّات رآها ، فمـدّ يـده إلى شـمعة قريبة وقال : دعـوني أراها طيلة المـدة الـتي أسـتطيع خلالها أن أحتمل هــذا الألم من النــار . وكــادت الشـمعة أن تـذوب وهو ينظر إليها حـتى اختطف أحدهم الشمعة منه . وكان فشله في هـذا الحب قاسياً . وحـاول الانتحـار ثم عـاد ليرسم ويخفف من توتراته العصــبية . وظهر في لوحاته ألــوان غريبة من الفوضى . وتــدهورت صــحته كثــيراً . وكـان يراسل أخيه وكتب له .. لن ينتهي الشـقاء في هـذا العـالم ، وبالنسـبة لأعمـالي الفنية فقد ضحّيت بحياتي من أجلها وفقدت نصف عقلي .

5- روبرت برونتغوإليزابيت

أحبّ الشــاعر الإنكلــيزي – روبــرت – إلــيزابيت – رغم أنها تكــبره بست ســنوات والمرض قد أنهكها . وكان عمر الشاعرة العليلة أربعين سنة ورفضت الزواج منه وكتبت لــه: لقد التقينا في وقت متــــــأخر ، انظر إلى وجهي .. ودعته إلى الاقـتران بـامرأة أصـغر منها . ولكنّه أثبت لها أنه أحبّها هي . وتزوّج شاعر إنكلـترا من أشــهر شــاعرة فيها ، وعاشا بســعادة رغم أنها كـانت غائبة عن آثـاره الشـعرية وكـان شـعره أجمل شعر بعد – شكسبير .

6- أوغست كونت - وكلوتيد

الفيلسوف كونت ، الذي وضع كتاب – الفلسفة الوصفية – كان يزور أحد تلاميذه حين صادف السيدة كلوتيد ، وكانت أخت هذا التلميذ ، وزوجها هارباً بعد اختلاسه مبلغاً ضخماً ولا أحد يعرف مصيره . وبقيت وحيدة بلا مورد ولا يحقّ لها الزواج ثانية . وكانت مولعة بالمطالعة وشاعرة . وروت حكايتها في رواية عنوانها – لوسي – وهي احتجاج ضد الظلم الاجتماعي والعزلة التي فرضها المجتمع والعزوبية على المرأة. وكانت هناك مراسلات بينهما مؤلفة من مائة وثلاث وتسعين رسالة . ويذهب إلى رؤيتها في منزل ذويها. وأحبّته حبّاً صادقاً روحياً ، وأهداها كتابه وعرض عليها الزواج ورفضت . ومرضت مرضاً شديداً ، وقررت أن تمنحه كلّ حبها وهما وحيدان في الغرفة ولكنّها ماتت بين ذراعيه . واحتفظت الإنسانية بهما متّحدين اتحاداً أبدياً سرمدياً روحياً . وكتب كونت كلماته الأخيرة : - وداعاً ابنتي العزيزة .. وداعاً صديقتي الجميلة .. وداعاً أيتها العذراء المقدسة . لقد جسدت الإنسانية .

7- غوته - ليلي

إنه عبقري الهيام . وقد استخدم الحبّ لأغراض الفن العليا .أحبّ ليلي شونمان – وهي المرأة الأولى والأخيرة التي أحبّها حباً حقيقياً ،

وكتب: كنت أحبّها بقدر ما أحبّتني . وعلى الرغم من ذلك لم أستطع الاقتران بها . وخلّدها في رائعته (الأم فرتر) .

وكلّ مبدع أو فنان يتبع قوة شبه خارقة وبدونها يعجز عن أن يأتي بأي شيء عظيم . وتدفّق شعره من عاطفة الحبّ التي كان يشعر بها في شبابه.

رغم أنه أحبّ غيرها ، تظلّ ليلي تعبق بأريج الشباب . أما مرثية (مارينباد) كانت تضمّ البقايا الخالدة لهوى عنيف شعر به – غوته العجوز – تجاه فتاة وهي في السابعة عشرة من عمرها ، وهو في الرابعة والسبعين . ولكنها رفضته ، فهرب مبتعداً عنها ، ومرض مرضاً شديداً. وهذه الأنوثة الخالدة جذبته نحو الذرى .

8- لامرتين - جوليا

تهلل زورق (لامرتين) الهادئ في بحيرة (بورجيا) وهو يتأمل جمال الطبيعة وزوارق المتنزهين ، حين عكّرت زوبعة صفو البحيرة وزورقاً صغيراً تداعى وانقلب . صارع (لامرتين) الموج وأنقذ المرأة وتعرّف إلى (جوليا بوشو) زوجة العالم شارل، عضو مجمع العلوم . وكانت تمضي الصيف على ضفاف البحيرة لتخفف من نهش السل لكبدها . أصبح لامرتين متيّماً – بجوليا – وشاقه محيّاها الشاحب. وكانت تخاف عليه من مرضها مع أنها تكبره بسنوات . وعاد إلى باريس ، وحاول أن يشفيها من مرضها

بـــالحب لكنّ روحها فاضت وطيفه يرنو إليها من ثنايا الـنزاع الأخـير . وفجّـرت ينـابيع إلهامه في ديوان (تأمّلات) .

وسـمّاها في تراتيل حبّه (إلفـيرا) وخلّـدها في قصيدته الشهيرة – البحيرة - .

9- ماركس - بيرتا

فيلسوف المادة – كـارل مـاركس – عـاف الدرس في جامعة (بون) وتراءى شاعراً حالمـاً محبّـاً، وتعتلج أعماقه بصــورة الحبيبة (بيرتــا) ، وتجلّى الحبّ بكل معانيه على محيّاها الوديع وهي ابنة البــارون الألمــاني . ولن تلين – بيرتا – لإرادة والـــــــدها بحرمانها من الحب . فتزوّجها وهـاجر معها إلى بـاريس ، وتبلـورت في فكــرة كتابة (الرأسمال) الذي هزّ العـالم وأقـام الثـورة الحمــراء . وحين تنقّل في أوروبا شــريداً كــانت ترافقه ، وتتجـــرّع معه غصص البـــؤس قانعة . وحين وافتها المنية ، بكاها بـــــدموع نزفها قلبه الجريح حتى تعطّل فكـره وخلد عقله الجبّـار إلى الكسل. وبقيت ذكراها في عالمه الحالم بالعطر والسنى ...

10 - دانتي - بياتريس

يقــول أفلاطــون : (لو صــاغ الله الحقيقة امرأة لعبدها كل الناس) . بياتريس كانت حقيقة كاملة ودفقة إلهام الشـاعر (دانـتي) حين التقاها أول مـرّة صـاعقة حبّ هـزّت بدنه وهو الشـاعر والموسيقي والروائي . وكـانت في التاسـعة من عمرها تتــوثّب مرحــاً وحيــاءً . ولامس الحبّ مشـاعر الصـبي الشـاعر وظـلّ مخلصـاً لهـذا العشق حــتى موته على أنه لم يرها إلا مــرّات قليلــة. ووالــدها ، أحد أشــراف فلورنسا زوّجها لأحد الأشراف ، وخيّل إليه أنّ في الزواج قد يجد كــأس النســيان . ولكنه بقي محترقــاً بحبّه . ومـاتت (بيـاتريس) في روعة صـباها في الرابعة والعشــرين من عمرها . وأصـبح فنّه وقفـاً على بكاء الحبيبة الراحلة . وأتحف إيطاليا في شــعره البــاكي الحــزين ، ونــثره من وردة أحلامه الــتي ذبلت في ربيعها المبكر ...

11- تولستوي - سونيا

ينتفض تولســتوي يعــانق طيف ســونيا ، وصوتها الحزين يغـرّد كبلبل فقئت عينـاه فصـدح صـوته، وأنغامه تسـيل في وديـان الـروح وتنطق بالــدفء والحنــان ، وهي تعشق الأدب والفكــر، وتقدّس الحب . وتطـايرت الإشـاعات تـزعم أنه سيخطب أختها، فغارت الورود في خدّيها . ولكنه أثبت حبّه لها بالزواج . ولكنّ الغـيرة المسـمومة تسللت إلى قلبه وأصبح يغار عليها من كل شيء . وســمّمت الغـيرة حياتها ، وتفـاقم الأمر حــتى رغب في توزيع أملاكه على الفلاحين ، وســونيا تصدّه وتـدافع عن ملكية أولادها فهجرها وانـزوى

في دير . ولما مـات (تولسـتوي) جنّت يأسـاً ، وحاولت الانتحار ولكنّها أنقذت من الغـرق . وفي مذكراتها .. فاضت حروفها بحبّها لتولستوي .

12- فيكتور هيجو – آديل توشيه

هو في العشـرين حين أحبّ آديل ، وكـانت بـاكورة هيامـه. وجثا في هيكل الحبّ يتمثّل في محرابـه. وأرسل على مـذابح حبّها أغاريـده الشـعرية .. ورفضه أبوها متعللاً بفقر الشـاعر. ولكنّ الشـاعر الطمـوح بالمجد والحبّ معـاً أعجب لـويس الثـامن عشر بشـعره ورتّب له معاشـاً سـنوياً . فوافق والـدها على الـزواج، وحقّق فيكتـور هيجو مجـده وطموحه ، وأضـحى بيته كعبة الأدبـاء. وتعـرّف على الأديب والناقد الذائع الصيت (سانت بوف) وتوطّـدت الصـداقة بينهما، وأعجب (سانت) بمفاتن (آديـل) وأعـرب لها عن رغبته الـتي عصـفت به . وغضـبت وأقسـمت لزوجها أنها بريئة ولكنّه بقي ممزّقـاً بين الوساوس والهواجس ، فأحبّ مـدام (رويـه) كي ينسى زوجته . وغـرقت آديل في حزنها الصـامت ووجد فيكتـور في حبّه الجديد كـأس النسيان .

13- اسكندر دوماس - وماري

كـانت مـاري مطمـورة في رمـاد الفقر . هربت من أسرتها وهي صغيرة وأصـبحت لؤلـؤة تشـــــعّ في المجتمع الباريسي . ولكنّ طبيعتها الملتهبة لا تســتقرّ على حبّ ، وغــدت معبــودة العشّاق . لكنّ كونتـاً نمسـاوياً طاعنـاً في السن أغــرِمَ بها وأسـكنها أرقى حي في بـاريس. وفي إحـدى الحفلات رآها الشـاب – دومـاس – وذهل من محاســـــنها الغاوية ، وبادلته الحبّ وأهملت صديقها العجوز ، وهربت مع دومـاس إلى الريف وعاشت معه أجمل أيــام حياتها ، ولكنّها مرضت مرضــاً شــديداً فطفق دومــاس يغمرها – بزهر الكاردينيا – وبقي الكــونت وفيّــاً لها وأحضر لها أمهر الأطبّــاء . وعرضت على دومــاس الــزواج لتنقــذه من عذابه ولكنّه رفض وهجرها وكتب لها :

لست غنيّاً إلى حدّ أن أحبّك كما أريد ..
ولا فقيراً حتى أقــدر أن أحبّك كما تريــدين ..

ومـاتت وحيـدة بعد أن طـردت الكـونت ، وحضر دومــاس ولكنّه لم يســتطع أن ينظر إليها نظــرة الــوداع . وخلّــدها في روايته – غــادة الكاميليا -

14- بودلير - جان

التقى بودلير بالجارية الخلاسية جان والتي تعمل راقصة في ملهى ، فـــــــــترنح بعاطفته المشبوبة واستأجر لها سكناً أنيقـاً وأغـدق عليها المــال الكثــير . خشــيت عليه والدته من هــذه المرأة ورفعت أمره إلى القضاء ، وحجـزت على أمواله . وكان بودلير يشعر بضعفه أمامهـا، وهي تمنعه من قرض الشعر لأنها امرأة عامية التفكير فهجرها . وأحسّ أنه جـــــائع للحب العـــــذري وظهرت (ماري دوبرين) فخفق قلبه لها وسـمت به إلى الأوج وغنّى لها شـعراً عفيفـاً، ولكنه كتب ديوان شعره (أزهار الشر) للخلاسية جان .

15- دوستوفسكي – (أنا ماريا)

انبثقت - ماريا – في حيــاة دوستوفســكي المنفي في سـيبيريا ورمـاد اليـأس والقهر يلـوّن عينيه. وكانت تهتمّ به رثاء وشفقة لأنه طريد من وطنه وينتابه داء الصـــــرع . وماريا الحســـــناء فرنسـية وزوجة رئيسه الضـابط ، فتجـاوبت معه وهـــام في عبادتها وهي تعـــاوده في ســـجنه ، ورســـائلها إليه تشـــكو الفقر ، وســـيرة زوجها الســـيئة ، وأخبرته فجـــأة بمـــوت زوجها وأنها أصـــبحت وحيـــدة مع ابنه ، فجنّ جنونه وهو لا يسـتطيع مسـاعدتها . وببعض المسـاعي حصل على العفو وتزوّجها ماريا وعاد إلى روسـيا وطنه . وكــافحت وتحمّلت الفقر والتشــرّد ، وهاجمها السل، وبدأ جسـمها يهـزل . ثم اختطف المـوت

ماريا . واضطرب دوستوفسكي ومـرّ بصـعوبات قاسية .

16- جون كيتس – فاني براون

لمحها في حفلة راقصة وقد ســـــــــكبت الطبيعة ثمانية عشر ربيعـــاً فراشة زاهية رائعة كالحلم . وكان يتردد عليها بعد أن جاء من الريف إلى لنــدن ليبحث عن المجد . وحين حــدّثها عن رغبته في مشاركتها الحياة أعلنت أنها لا تحبّه بل تعطف عليه . فانسحب وحاول أن ينساها ، وبـدأ المجد يحفّه ، ولكن مرض مرضاً شديداً وانـزوى يكتب لها رسائله ويبثّها نجواه. وبـدأت تـردّ على رســـائله واكتشف أنها تحبّه وســـافرت إليه ، ووجدته نحيلاً يحترق صـبابة ، فاتكأ على ذراعيها حـتى حـاذى النافـذة وهو يقـاوم المـوت معها . ولكنه تساقط بين أحضان فاني . وأحسّت بقيمة هـذا الشـاعر العبقـري وظلّت على ذكـراه حـتى عانقها الموت بعده

17- غوستاف فلوبير - لويز

رآها (فلوبـــــير) وكـــــان في الخامسة والعشــرين ، أشــدّ ما يكــون تفتّحــاً وجمــالاً . ووقعت أسيرة هواه . ورسـائله تتتـابع وفيها أرقّ

عواطفه . وماجت أعطافها كبرياء وهي تضيفه إلى عشّاقها. وحين علم أنها تخونه فتر الحبّ وتعذّب كثيراً في نسيانها وانطوى على نفسه يجترّ همومه ليستلهم روايته الخالدة (مدام بوفاري) .

18- ستندال - آنجيلا

تدفّق ستندال حبّاً حين رأى آنجيلا . وكان يذهب إلى المسرح ويتوارى وراء الناس يلتهمها بنظراته . وعزف عن الإفضاء إليها ، وهي تحلّق كملاك سماوي . وهيامه بها أحاله إلى لوعة خرساء . وعرف أنها متزوّجة . ومضت سنوات على هذا الغرام الصامت ، وانتقل من حبّ إلى حب لينساها . وأخيراً اتصل بها وباح لها بحبّه . ولامته – آنجيلا – لصمته . ونعم معها بالسعادة والعذوبة ، وعرف أنها تخادعه ففرّ منها . وتعزّى بالفن ليهرب وروحه تنتشي من نبض رعشاتها على حروفه الخالدة ..

19- إدكار آلن بو - فرجينا

حين زار عمته أسرعت إليه ابنتها – فرجينا – التي سكبت عليها الطبيعة ثلاثة عشر عاماً . وأراد أن يتطهّر بحبّها . ورفض والدها الزواج لصغر سنّها، ولكنه أصرّ وتمّ الزواج. وبدأ يهدده شبح الجوع والفاقة ، وتحداه القدر حين انفجر

شريان (فرجينا) حين سقطت مهشّـمة . وبقيت طريحة الفراش سنوات. وذاعت شـهرته كفنـان عبقـــري تهـــزّ أمريكا وأوروبا . وحين مـــاتت (فرجينـا) انـزوى وقد هـزّه جلال المـوت الـذي انتزع روح المعبودة .

20- مارك توين - أوليفيا

كادت تهوي الباخرة إلى القاع حين عـبرت عاصفة عاتية (الأطلنطيكي) . وكان توين يتحدّث إلى المسـافرين بذكائه وذكرياته . وتعـرّف على شـاب في البـاخرة وأصـبحا أصـدقاء . وقـدّم له الشـاب إطـاراً محفـوراً على عـاج قـديم يمثّل صـورة أخته (أوليفيـا) ، وروى له أن أخته وقعت وهي تقـــوم برياضة الـــتزحلق وتحطّم عمودها الفقري . وبقيت صورة أوليفيا بـالملامح الحزينة تعيش في أعماقه . وحين عـــاد إلى نيويـــورك تعـرّف إليها وزارهـا. وأثنـاء عودته امتطى عربة خيل فسقط عنها . وكـانت قد بـدأت تشـفى من مرضـها . فأصـبحت تمرّضه وتسـهر على راحته بكل حنانها . وغـــــزا الحبّ قلبيهما ورفض الأب تزويجها من فنـــان بـــوهيمي ثم وافق وأهـــداها منزلاً فخمـاً . ودام غرامهما أربعـاً وثلاثين عامـاً ثم بـدأت صـحّتها تتـدهور وأصـيبت بالشـلل ، فتعطّل إنتاجه الأدبي . وبينما كان يعزف لها على البيـــانو أغنية تحبّها ، حـــدّق في وجهها الجامد وتحطّم قلبه في موتها . ونقلها إلى مســـــقط رأسها . ووضع على قبرها لوحة (ليرحمك الله يا

فرحتي الكـبرى) وكتب في مذكراته : كل مكـان حلّت به كان الفردوس الأرضي .

21- شيللي – وماري جودين

كـان شـيللي متزوّجـاً واكتشف مع الـزمن أن زوجته لا تحبّه ، إنما تطمع في اسـمه النبيل ، وثروته الفياضة ، والمظـاهر البرّاقة . وتـرددت بعض الشائعات عن علاقتها بشخص آخر . وكـان شـيللي يهيم على وجهه في شـوارع لنـدن بين القلق والشك والخـوف والحـزن حـتى التقى – مـاري – فجذبته بروحها وجمالها السـاحر وعقلها الـراجح . ولكن زواجه سـجن يحبس العواطف . حـاول الانفصـال عن زوجته صـدمت وتـدهورت صحتها ثم انتحرت غرقاً . حـزن شـيللي لمصـير زوجته وبقي فـترة يقصي عنه الأشـباح المرعبة الـتي تخنقه . وبعد فـترة هـرب مع مـاري إلى إيطاليا . وبـدأ يسـجل صـفحات بـالفكر والشـعر والإبداع .

22- بلزاك - أفيلينا

بلـزاك ، كـانت الأزمـات تتـوالى حوله ، والخسـائر تكـثر ، وفي أعماقه ظمأ لامـرأة تغيّر طريقـــه. وحين التقى - أفيلينا – طفحت أوراقه

بســـطور الحب ، وتلقّى رســـالة منها وهي في سويســـــرا تنطق بإعجابها بمؤلفاته . وعلم أنها سيدة (بولونية متزوّجـة) وزوجها مـريض مرضـاً مزمنـاً . وبادلها حبّـاً بحب ، فسـافر إليها ونعم معها بعبق الحب ، ثم عاد إلى فرنسا . وصـورتها ومضت وجذبته إلى كتابة أســـــرار الحيـــــاة (الكوميـديا الإنسـانية) . . واسـتمرّ في التـأليف لينال حظوة المحبوبة وإعجابهـا. وبعد ثلاثة عشر عاماً مات زوجها ، وعرض عليها الزواج فرفضت كي يشـــرق الحب بالخيـــال ويتجـــدد ويســـتمر ويقـوى. وبعد إصـراره وافقت ولكن زواجهما لم يــدم طــويلاً فتــوفي. وبقيت على ذكــراه ومع مؤلفاته .

23- جان جاك روسو - مدام دوتو

كـــــان يعيش عزلة هنيّة في معبد الطبيعة مع مدام (دوبنياي) وفلسفته تتسلل ثنايا الأفنان. ولكنّ قلبه يخفق من جديد حين لجـــأت (مـــدام دوتو) إلى عزلتهم بعد أن هجرت زوجهـا.. وحين رآها (روسو) أعجب بجمالها ولم يغب طيفها عن خياله وتفتّحت نفسه للحب والطبيعة وبقيت معه تنعم بحبّ هـــذا العبقـــري الـــذي فتن عصـــره بمؤلفاته واحـــترق بلظى حبّها . وحين تغيب عنه يرسل لها الرســائل العارمة بمشــاعره . ولكنّ هذه الغادة المـراح لم تخلص لـه، هجرته وصُـدِمَ روسو واعتراه اليـأس . وغمر المحبوبة القاسـية برسائله . وأخيراً كفّ عن حبّها المتقلّب.

24- بايرون - تريزا

كانت (تريزا) ترقص في مملكة الاخضـرار حين التقت بالبندقية بالشاعر (بايرون) فأعجبت به وأفضت له بحبّها ، وحطّمت الجـدار الـزوجي وفرّت إليه . وكان زوجها طاعنـاً في السن فنقم على بايرون الـذي عكّر حياته . واكتشف بـايرون فيها عاشـقة متفانية . ولكنّ الخطر محـدق بهما وزوجها يغـري الأشـرار ليفتكـوا بهما ، فكـان لا يخرج إلا مدججاً بالسلاح ليحمي نفسه ويحميها . وحين عمّت ثورة اليونـان ودّع _ بـايرون تريـزا – ليحارب الأتـراك ، فودّعته وكأنّه الـوداع الأخـير . وإذ جـاءت الأنبـاء بمـوت الشـاعر دفاعـاً عن الحرية . فاتّشـحت بثـوب الحـزن الأزلي إلى أن أصبحت عجوزاً تتمشّى في بيت بايرون تحفّ بها الذكريات والآلهات إلى ساعتها الأخيرة .

25- نيتشه - لوسالوميه

كـان نيتشه في إيطاليا عنـدما خفق قلبه ، وعلم أن التفكـير بـالقوة (وإنسـان السـوبرمان) شيْ ، والحب شـيء آخر حين رأى – لوسـالوميه – فأشـعلت النـار في أعماقه وجمالها أقـوى من جلال عبقريته . وكان يضـعف عند رؤيتها وتهـرب العبارات الـتي أعـدّها ليهمس بها فينطـوي على نفسه ويصـدّ الطيف ويضـرب رأسه بقبضة يـده ليتغلّب على ضـعفه. وأدركت لوسـالوميه حبّه وألمه بسببها ، ولكنها لم تشـجّعه لأنها تفـزع من

تفكيره الجبـار . وطلب من صـديق له أن يطلبها له للـزواج ولكنها صـرفت صـديق نيتشه بلطف ولين ورفضت .

وهدّه النبأ فأصبح عدواً للـزواج والأسـرة . وانجـذبت لوسـالوميه إلى الموسـيقار العبقـري (فـــاغنر) ، فـــأوى نيتشه إلى عزلته البـــاردة والمعبــودة مع الموسـيقار وعافته هو العبقــري الجبار

26- شكسبير - ماري فيتون

شكسـبير ، يشـتاق ويتلظّى حبّـاً ، وآفـاق وجدانه ترسم كلمـــات أربع وخمســـين ومئة مقطوعة من الشعر الغنائي يبثّ حرقته وجواه – لماري السمراء – وأصبح قلبه أغـنى قلب عرفته البشـــرية ، وهي تمعن في تيهها ، وينســـكب الفجيع في قلبه لأنها وقعت في هــوى فــتى من النبلاء . هذه المحنة هاضت شكسبير وبدأ يجــرع القصص وانتهى به المطاف إلى تأملات فلسـفية عميقة .

27- بوشكين - روزا

ســبغت الطبيعة على روزا الحسن الخلاب ، وكـانت فقـيرة جـداً تعمل مومسـاً وتحلم بمن ينتشـــلها من هـــذا الجحيم . فعطف عليها – بوشـــكين – وحـــزّ في نفسه حبّها الصـــامت

وإخلاصها له ، فسكنت معه في منزل حقير تحنو عليه حنو الأم والصـــديقة ، ورضـــيت بالقليل . وكان بوشكين قد تعـرّف بـالكونتيس (جروتشـا) صــارخة الجاذبية والجمــال وشــغوفة بــالترف فصـــرف عليها كل ما لديه وأخذ من روزا ثروتها الــتي جمعتها من مهنتها الســابقة . واكتشــفت روزا السر وأن الكونتيس أخذت الـثروة وهـربت مع آخر . رجع بوشــكين نادمــاً إلى روز وأقسم على عـــــدم خيانتها ، لكنها رفضت واختفت من حياته وبقي منطويـــــاً على نفسه يجلله الأسى لفقدانها .

28- مكسيم غوركي - ليزا

اســـتقى منها الطهر والجمـــال والحب ، ووجد فيها الحلم الرائع الـذي حلّق به في سـماء الفن . ففي صوتها المغرّد نعومة ، وفي همستها وداعة . وطافا عاشـقين في الحقـول الزمرديـة، وحبّه لها دفعه إلى تقديسها ولكنّه أراد أن يخلقها خلقاً جديداً بعد قراءته (نيتشه) .

وتلاشت شخصـــيتها حـــتى أصـــبحت متغطرسة ، غليظة القلب ، قاسـية على البشر ، واستحالت إلى منطق بارد ، وعقل صارم . ارتاع منها غـوركي وأصـبحت غريبة عنه ، وهـرب إلى موسكو . فلحقت به وطردها أهله فانطوت على نفسـها ، ونفـرت من النـاس ، وانـزوت إلى دير متّشحة بالسواد . وحين سـمع – غـوركي – بالنبأ الفاجع ، ذهب إليها نادماً محاولاً إنقاذها . رفضت مقابلته ، فـــذعر ، وعـــاد إلى الطبيعة

الأصـــيلة ليكتب عن المنكـــوبين والمحـــرومين والبائسين .

29- توماس كارليل - مس ولش

تعرّف عليها في المجتمعات الأدبية وتحوّل الإعجاب إلى حبّ جارف ثم زواج . وعاشت معه في كوخ منعزل يطحنان الفقر طحناً وهي تغـدق عليه محبّتها وتسهر على راحته ، ولكن إذا أرادت محاورته في الأمـور الأدبية رماها شـذراً صـارخاً بها بقسوة ألا تشوّش أفكـاره . وبـدأت لا تشـعر بإنسـانيتها وكأنها كـائن مهمل ، وأعصـابها تـزداد تـــوتراً ومرضت بشـــدّة . وشـــهرة كارليل استفاضت فانتقل إلى لنـــدن. وكـــان اللـــورد شـيرتون يـزوره ومعه زوجته الحسـناء ، فبـدأت تغـــار منها وتهـــدد بطردها وهو يقسم لها أنها واهمة . ووقعت تحت وطـــأة انهيـــار عصـــبي والمـــوت أراحها من العـــذاب والغـــيرة . ولكن كارليل فجع بموتها واشـــــتدّ جزعه وأحسّ أنه ظلمها وهو المسؤول عن الكارثة .

30 – هايتني - ماتيلد

أحبّ ابنة عمه ولكنّ عمه زوّجها لرجل ثـري، وحرموها من هـايتني لفقـره ، وهيامه بها جعله يجـــوب أودية الشـــعر والفكر والخيـــال . وهجر ألمانيا وانتقل إلى باريس ، وأصـبح اسـمه

على كل شـــفة ولســـان . والتقى بفتـــاة تـــبيع القفازات ، فمسّه الحب والفتـاة رائعة الجمـال ، وعـــــرف أن اســـــمها (ماتيلد) ولكنّها جاهلة ، ورغب أن يســـمو بروحها لتكـــون خليقة بعـــالم الفكر والفن ، وعهد بها إلى مدرسة داخلية ، ولم تتعلّم إلا القليل . ورغم جهلها تزوّجها . وســـقته الســـعادة . وســـنوات مرضه كـــانت ترفّه عن أشجانه ، وتنسيه لوعة المرض ، وبقيت التسرية الوحيدة التي ينعم بها في مرضه الطويل والأخير .

31- لوتاس - إلينور

ملحمة الشـــاعر أذيع صـــيتها في إيطاليا ، فأســبغت عليه الأســرة المالكة ، وأصــبح يعيش في جنـــاح القصر . وشـــقيقة الـــدوق (إلينـــور) بســـطت رعايتها عليه ، فـــأحبّ إلينـــور الصـــبية الرشيقة . وكان حبّه صامتاً يبح به شعره . ولكنّ النظـــــــرات الحبيسة لم تلبث أن أذاعها بعض الحسّـاد . وغضب الـدوق حين قـرأ أشـعاره إلى أخته (إلينـــور) . وفي إحـــدى حفل القصر قبض على الشـــاعر ، وســـيق ســـجيناً ليلاقي مضض الأسر . وكـان هـذا الحبّ الخفي بداية لسلسـلة الاضطهادات التي عاشها في سجنه .

32- شاتوبريان - مدام جولييت

رآها في قصـــرها . فصـــالونها الأدبي فتن رجال العصر والعظمـاء . وجولـييت متزوّجة من الكهل (ريكامييــه) وكأنه أب حقيقي لها . وظلّت

تعيش معه (عـــــــذراء متعطّشة للحب ووفية لزوجها . وحين رآها شـاتوبريان) شـعر بـوجيب الحب يخفق في قلبه وأصـــبح صـــالونها هيكل الحب ، وروحه تحلّق في آفاق الوحي ، والإلهام . وبـرح الحب به حـتى أضـناه . وبعد مـوت زوجها عـرض عليها الـزواج ورفضت ، رغم أن حبّه آخر زهـــــرة في حياتها . رحل بعيـــــداً عن الحبيبة القاسـية كالشـريد يتنقّل من مكـان للآخر ، علّه يتلمّس النسيان وطيفها يلاحقه . وأخيراً عاد إلى محرابها يتعبّد . وتكاثرت عليه الأمـراض وعصف به الشـلل، فيُحمَـلُ إلى صـالونها حملاً . ولفظ أنفاسه الأخيرة وغرامه بها متّقد . وركعت عجوز عمياء متضرّعة إلى الله أن يرحم روحه السامية ، هذه العجـوز العميـاء – جولـييت - فاتنة القـرن التاسع عشر

33- أراغون _ إلسا

يقول أراغون مجنون إلسا :
" أحببت وما زلت أحبّ. نعم إنه السـفر في اللانهائي "

لم تكن إلسا أول حبّ لأراغون ، إنما كانت آخر حبّ وكلّ النسـاء اللاتي أحبّهنّ كنّ قويـات ، صـورة عن أمه الـتي عـالت أسـرة وبقيت وفيّة لـزوج غـير شـرعي ومـتزوّج حـتى موته . وإلسا أتت من موسكو إلى بـاريس بعد أن فصـلت عن زوجها ، وعرفت عن أراغون كـلّ شـيء وأحبّتـه،

وخلقته من جديد . ملأت حياته مـدة 43 عامـاً . وحين ماتت حزن أشدّ الحزن ودفنها في بسـتان بيته تحت أيكة من أشـجار كـانت تحبّها . وألهمته رائعته (مجنون إلسا). وحين مات دفن قربها .

34 - جورج صاند – ألفرد دو موسيه

أورور (جـورج صـاند) لقبها . ولـدت من أب نبيل وتعهـــدتها جـــدتها بالرعاية والثقافة وزوّجتها من مـــزارع نبيـــل، وأوصت لها بكل أملاكها . ولكنّه عاملها معاملة قاسـية . وكـانت تـأنس ميلاً إلى محاكـاة الرجـال والاتشـاح بملابسهم . وأثارت ضجة بتحررهـا، وهـربت إلى باريس مضحيّة بثروتها وأولادها في سبيل حريتها . وعملت في جريـدة وتعـرّفت على الأدبـاء والشعراء . وأحبّت (جول ساندور) وكـان أصـغر منها . وكتبا معاً رواية (رونسو بلانش) ووضعت اسـمها (جـورج صـاند) . وانـدفعت في التـأليف والكتابة وحبيبها خانها مع أخـرى ، فـاعتزلت الرجـال إلى حين التقت بالشـاعر (ألفريد دو موسـيه) فأحبّته ثم أحبّت (شـوبان) وكأنها أمـاً ترعـاه وكـان موته فاجعة لهـا. وودعت حياتها وانعزلت في منزلها حتى ماتت .

35 – عمر الخيام - جنان

رآها الخيــام في أحد القصــور وهي تنشد قصـــيدة، وذابت نظراته في وجهها الفتـــان ، وتجرّأت جنان على انتهاك غرفته وشعرت بقــوّة خفية تشــدّها إليه . وأصــبحا يلتقيــان خلسة في القصر . ونقر عودها وأشــعاره عــبر البســاتين المزهرة . وبقيا عاشقين تسع سنوات وهو يقول لها:

- هاتي خمراً . ولتكن مثل ورد خديك وليكن نـــديمي في مثل خفّة خصـــلات شعرك.

وحين هاجم الأعداء القصر ، طلب منها أن تغـــادر القصر وتـــأتي إلى بيته ويعيشا معـــاً. اغــرورقت عينا جنــان وخشــيت أن يقتلــوه لو اختبأت عنه . وأجابته :

- على المـــــــرء أن يحتفظ بكرامته في اللحظة الأخيرة .

وذبح الجند أهل القصر ومعهم جنان . بكى الخيام بكاء مراً .

36 - غوته ومريانه

عــرفت مريانه في – الـديوان الشــرقي – باسم (زليخا). واهتزّ نشــواناً بحبّها حين رآها في مــنزل صــديق لــه، وأعلنت هي الحب بقصــيدة أرسلتها له . فردّ عليها بأكثر من قصيدة وخلّـدها في كتب عشـــقه . وفي عيد ميلاده الســـادس والســتين ، قــدّمت له مريانه عمامة هندية يحيط بها إكليل من الغـار ، وعصا من خشب لها مقبض

مـزيّن بهدهـد. ولا تـزال العصا موجـودة قـرب مكتبه بعد أن مـات . وهي الـتي أوحت له بأجمل القصـــائد ، وبقيت قـــوّة الحبّ عنيفة وبقيت قطرات الذكرى تترقرق من عـذارى السـحاب ، توحّد معها بـالحب الروحـاني ولأنها متزوجة من صـــديقه ، بقي نورها في روحه حـــتى أســـلمها وتوارى .

37 – هنريم أبسن - روزا

هو الكاتب المسرحي النروجي، كان ضيف شـــرف في احتفـــال كبـــير حين بلغ من العمر السبعين وهو في ذروة شهرته كانت فتاة اسمها (روزا) تـــرقص في الحفل في الـــزيّ الســـويدي الشـــعبي ، وكـــانت في الخامسة والعشـــرين ، واشتعل في قلبه شوق الشباب . كان والدها من النبلاء . ولكن عندما بلغت روزا الثامنة من العمر أفلس ومـات ، وعاشت حيـاة صـعبة . وكـانت تكتب للأطفـال ، وذاعت شـهرتها في السـويد. وكانت ذات جمـال أخّـاذ وتنشر روح الفـرح أينما حلّت. فأهـداها أبسن باقة ورد بعد الحفل . وبعد أيام دعاها إلى بيته وقادها إلى غرفة مكتبه وقال لها : " منذ عرفتك أكتب بغـــزارة " وأصـــبحت ملهمته في عمله المسـرحي (الأشـباح) . ولكنّه بعد عدّة أعـوام أصـيب بمـرض . وكـان يراسـلها وتراسله . وأثر نوبة قلبية مـات أبسن . ورفضت أن تنشر رسائله احتراماً لعائلته وحملت الأسرار

والرسـائل معها إلى القـبر ولم تـرغب أن تجـني مالاً من الرسائل – 1949 –

ماتت روزا وعندما عـاد الأهل من المقـبرة اكتشـفوا وردة حمـراء عند مـدخل الـبيت كـانت أوصت بها من نوع الزهر الذي أهـداها منه أبسن ، لأنه كان يكتب لها : " هذه الزهور هي أنت "

2) قصص المبدعين - الشرق

1 – جميل بثينة

ذاك الفـتى الشـجاع ، والشـاعر المختـال بعـــزّه ، رأى بثينة وبقيت صـــورتها منطبعة في مقلتيه . وذاع حبّه شعراً ، وصارت تلقـاه ويلقاها . وجاءها ذات ليلة بثياب راعٍ فوجد عندها ضيوفاً سألته : من أنت ؟ فقال : مسكين ، ثم أنشد بيتاً

من الشــعر فعرفته من صــوته فشــهقت وانتبه الضـيوف وطـردوه . ولكن بعد ذهـابهم أرسـلت إليه جاريتها وجلسا يتحادثان ويثملان من الشــعر والحب .. وبعض الوشـــــــــاة بلّغه أنها أحبّت (الهلالي) ، حاول أن ينساها ويتحدّث إلى غيرهـا. فغضـبت وسـاد الهجر بينهما ، هـذا الجفـاء كـان فرصة للأهل في تزويجها . وكـــان يزورها خلسة في بيت زوجها . فشـــكاه أهلها إلى الســـلطان فأهـــدر دمه فكـــان يجلس في الليل على أكمة رمل ، يتنسّـم الـريح من حبّها . وأتاها ليلاً غفلـةً فقــالت له : " أهلكتــني وهلكت " فقــال لها : " جئتك مودّعاً " بكيا طـويلاً ثم سـافر إلى الشـام وبقيت تراسله وتلتقي به . وصدّها أهلها وهجموا عليه فــاعتزل في هضــبة . وقبل موته أرسل لها حلّته ، فصـــاحت بـــأعلى صـــوتها وأغشي عليها ساعة .

يقول :

علقتُ الهوى منها وليداً فلم يزل
إلى اليوم ينمي حبها ويزيـدُ
وأفنيت عمري بانتظاري وعدها
وأبليت فيها الدهر وهو جديدُ
وقد تلتقي الأشــتات بعد تفرّق
وقد تدرك الحاجات وهي بعيدُ

2 - كثير وعزّة

تـرنّم كثـير يخفق أوتـار شـعره ، وأرسل قصائده لعزّة الـتي تـربّعت على عـرش أحلامـه. وكثـير من فحـول الشـعراء في الإسـلام ويكـنى (بأبي صخر) . ونسب بكثير لكثرة تغزّله بعزّة. وقال فيها :

نظرت إليها نظرة وهي عاتق

على حين أن شبت وبان نهودها
هي الخلد ما دامت لأهلك جارة
وهل دام في الـــــــدنيا لنفس
خلودها

* * *

وما كنت أدري قبل عزّة ما البكا

ولا موجعات القلب حتى تولّت

خرج يوماً يسوق الغنم ، وكان يسأل بعض النسوة عن الماء ، فأرشـدته عـزّة إليه ثم جاءته ببعض الـدراهم ليـبيع النسـوة كبشـاً من الغنم ، فردّ لها الدراهم وأعطاهم الكبش . وعزّة كـانت ذات دل وجمـــال ، فجعلت كثـــير يتولّه في حبها ولكنها لم تكن تصـدقه الوعد . وعُـرِفَت قصّـتها وشـاعت ، ولم تتح الظـروف لكثـير وعـزّة أن يتزوّجا وتزوّجت رجلاً آخر . وحين مات كثير قيل : - مـات أشـعر النـاس .. وأعلم النـاس. وغلب النساء على جنازة كثير يبكينه، ويذكرن عـزّة في ندبهنّ له .

3 - قيس بن الملوّح وليلى

بربّك هل ضممت إليك ليلى
قبيل الصبح أو قبّلت فاها
وهل رفّت عليك قرون ليلى
رفيف الأقحوانة في نداها

* * *

ألم يبالغ الزمن في تأكيد قسوته معنا ؟..

سأل قيس ليلى ، وعيناها محاصرتان بفيض من ضباب الحزن ، وحروف شعره تلفظ مخارج اسمها ، أحبّها وهما صبيّان يرعيان المواشي ، وظلا معاً حتى كبرا فحجبت عنه . وذات مرّة ألفى ليلى قاعدة بفناء دارها تتحدث مع جويراتها ، فدعونه للجلوس ، فأرادت ليلى أن تعرف مقدار حبه ، فأعرضت عن حديث وتحدّثت مع غيره فامتقع وجهه وتغيّر ، ثم شهق شهقة وأغمي عليه . وتناشد الناس شعره فيها ، فأرغمها أهلها على الزواج من (ورد). وحين علم قيس هاجم ورد ثم سقط مغشياً عليه . وشكاه أهلها إلى السلطان فأهدر دمه وارتحلوا من مكانهم . فكان يمرّغ خديه على تراب خطواتها ويبكي. ولا يثوب إلى عقله إلا إذا ذكروا له ليلى . ويجلس في جبل التوباد حيث كانا يرعيان الغنم ، ثم ينشد أشعاره . واختفى في واد كثير الحجارة ، ووجده أهله ميتاً . ولم تبقَ فتاة إلا وخرجت حاسرة تندبه وشعره يتردد حياً مدى العصور بليلى .

قضاها لغيري وابتلاني بحبّها
فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا ؟
* * *

4 – قيس بن ذريح ولبنى

كــان قيس يتغنّى بأشــعاره إلى – لبــنى – التي سقته حرّ العشق ، وشاع شعره عنها وروي ، واستعان بصديق له (الحسين بن علي) فزوّجه إياها . وأقـامت مع قيس ولكنها لم تنجب ولـداً ، وألحّ عليه أهله أن يطلّقها ولكنه رفض . فكـــان أبوه يخرج في حرّ الشمس ويقف، ويجيء قيس ويظلله بردائه فينصـرف عنه . ويعـود إلى لبـنى ويبكي معهـا. وهجر أبويه عشر سـنين ولحقه ما يشبه الجنون .

وتحت ضـــغط أهله طلّقها وحيث أخـــذها أبوها سقط مغشـياً عليه . وكل ليلة يـأتي موضع خبائها يتمرّغ فيه ويبكي . وحاولت أمه أن تشغله بفتيات الحي لكنّه مرض مرضاً شــديداً . وزوّجه أهله امرأة جميلة اسـمها (لبـنى) وعنـدما عـرف اســمها ســقط مغشــياً عليه وخــرج هائمــاً في المدينة . وعنــدما علمت لبــنى بزواجه غضــبت وتــزوّجت هي الأخــرى ، فجــزع جزعــاً شــديداً وشكاه أبوها إلى معاوية فأهدر دمه . ولكنّ لبنى أرسلت إليه رسولاً لتحــذّره وعلم زوجها فطلّقها وعادت إلى قيس وبقيت معه طيلة حياتها .

وقال :

وما أحببت أرضكم ولكن
أقبّل إثر من وطئ الترابا

إذا نادى المنادي باسم لبنى
عييت فما أطيق له جوابا
* * *
أتبكي على لبنى وأنت تركتها
وكنت كآتٍ حتفه وهو طائع
أقضي نهاري بالحديث والمنى
ويجمعني الهمّ بالليل جامع

5 – علقمة وجيشة

وأنتِ التي أخليت لحمي من دمي
وعظمي، وأسبلتِ الدموع على نحري
* * *

لمح عبد الله بن علقمة جيشة ، فهام بها . حاولت أمه أن تزوّجه ابنة عمه فرفض وراسل الجارية جيشة وراسلته وأحبّها وأحبّته . حجبوها عنه فازداد غراماً بها . وأكثر من قول الشعر عنها. وأرغمها أهله أن تكفّ عن حبّه ولكن كل هذه المضايقات زادتها اقتراباً . فربط علقمة بحبل لقتله في أسفل الوادي فنادى بأعلى صوته : (اسلمي جيش عند نفاذ العيش) فأجابته : (أسلم على كثرة الأعداء ، وشدة البلاء) . فضربنا عنقه فاقتحمت الجارية من خدرها حتى أتت نحوه ، فالتقمت فاه فنزعنا منها رأسه . فظلّت تضرب نفسها حتى ماتت مكانها .

6 – أسماء والمرقش

كـانت أسـماء العاشـقة تمسح مآقيها من رشق الـدمع حين رفض أبوها أن يزوّجها من ابن عمها (عوف) الملقّب بـالمرقش . وطلب مهـراً غـــالي الثمن . فرحل إلى بلاد الحـــيرة ليعمل ويحصل على المهر . وحين عاد بالمهر خفي عنه أمر زواجها وأخبروه أنها مـاتت ، وأتـوا به موضع القبر . وبينما كـان مضّـجعاً ذات يـوم، وابنا أخيه يلعبان علم منهما أن هذا ليس قـبر أسـماء وأنها تزوّجت. ومرض مرضاً أقعده الفـراش ، وأشـيع أن (المرقش) قد مات .

وجاء راعي زوج أسماء يستطلع الخـبر من أخيه . فأعطـاه المـرقش خاتمه ليلقيه في اللبن عنـدما تشـربه أسـماء . وحين شـربت الحليب ، قرع الخاتم . فاستفسـرت من الـراعي فأخبرها أنه بـــآخر رمق . وســـألها زوجها عن الخـــاتم ، فأخبرته . فطلب من الراعي أن يحضر المرقش . فأوصله إلى عشيرة أسماء ومات عندها .

* * *

7 – عبد الله بن عجلان وهند

الفارس الشجاع ، والشاعر البـارز ، التقى على غدير الماء هند الفاتنة . وأحسّ أنه مشـدوه بها . ثم خطبها وتزوّجها ولكنّها لم تنجب ولـــداً . وفي ذات يـــوم شـــرب خمـــراً حـــتى ســـكر، واســتدعاه أبــوه واســتغلّ الموقف ، وطالبه أن يقسم الطلاق . وتعلّقت به هند ألا يقسم فضربها بمسواك وكان في يدها زعفران . فـأثر في ثوبه

مكان يدها . وحين صحا من سكره ندم. حاول الرجوع إليها ولكنّها احتجّت وهي تحسّ بحرقة الوجد . ثم زوّجها والدها . وفي الحج رآها عبد الله مع زوجها ، فنظرت إليه ورنت إلى ثوبه ، ولمحت أثر كفّها . وعاد الشوق يزداد إلى رؤيتها . واشتدّ بها المرض . وخرج في ليلة سرّاً إلى خباء هند ، اقترب منها ورمى نفسه قربها ، وعانق كلّ منهما صاحبه وجعلا يبكيان حتى سقطا على الأرض مغشياً عليهما، وأقبل الزوج غاضباً ولكنّه وجدهما ميتين ..

8 – عروة وعفراء

عروة بن حزام ، أحد المتيّمين الذين قتلهم هوى ابنة عمه. ولا يعرف له شعر إلا في عفراء .

عشية لا عفراء منك بعيدة
فتسلو ولا عفراء منك قريب
وإني لتغشاني لذكراك هزّةُ
لها بين جلدي والعظام دبيب

ويقول :

تحمّلت من عفراء ما ليس لي به
ولا للجبال الراسيات يدان
كأن قطاة علقت بجناحها
على كبدي من شدّة الخفقان
فويلي على عفراء ويلاً كأنه
على الصدر والأحشاء حدّ سنان

تـــربّى معها في بيت عمه بعد أن مـــات والــده ، وعمّه وعــده بــالزواج منها . لكن أمها رفضت لأنها تريد لابنتها المال . سافر عـروة إلى اليمن ليحضر المهر . فزوّجتها والــدتها إلى رجل ثري سافر بها إلى الشـام . وعمد أبوها إلى قـبر عتيق وجدده وأراه لعـروة على أنه قـبر عفـراء . ولكن إحدى الجواري أخبرته الخبر ، فسـافر إلى الشـــام وأرسل لها خاتمه فشـــهقت وأخـــبرت زوجها ، فبعث زوج عفـــــــراء إليه وتركه معها وأوصى خادمه الاسـتماع إليهما . فتشـاكيا وجـداً وبكـــاءً. وأكرمه الــزوج بعد أن عــرف ما بينهما ولكنه رحل وأغمي عليه في الطريق وألقى على وجهه خمــار عفــراء الــذي أهدته إليه . ومــرض مرضاً شـديداً وبقي ينشد أشـعاره ، وبقي سـنة صامتاً حتى يوم وفاته .

وطلبت عفــراء من زوجها أن تقيم مأتمــاً وتندبه، وبقيت تردد ندبها حتى ماتت بعـده بأيـام قلائل.

9 – أنس الوجود وورد

أنس الوجود ، ذاك الشـاب المنـير الوجه ، الضـــــاحك السن ، البهي الطلعة ، يرنو بنظراته إلى شــبّاك قصر (ورد) وهي ابنة أحد الــوزراء . تعشق المنادمة والبهجة والجمال وسماع رقـائق الأشـعار . فوقع حبّه في قلبها ، وعـدمت صـبرها

في هواه ، ورمته بتفاحة كـانت في يـدها ، ومعها رقعة شــرحت فيها حالها . ووقعت رقعتها في يد أحد الخـــدم فأعطاها للـــوزير ، فهـــاج وغضب وأبعدها إلى مكان منعــزل في البريّة في حراسة مشددة .

ولما علم أنس الوجـــود بما حـــدث لها زاد منه الوجد والقلق واهتــدى إلى مكانها ، وهاله ما رأى فيها من شدّة الضعف والهــزال. فاسترضى أباها فـــرقّ له ولها وتزوّجا . وكـــان لا يفارقها لحظة واحدة .

10 – جريح الهوى وزهر الورد

كان جريح الهوى خائفاً مرتعشاً حين نهض من نومه مرعوباً يشرح لأبيه حلمه ومفــاده ، أنه رأى حمامة قربه ، فتقدّم ليأخذها . ولكن سـكيناً ســقطت عليه من الجو وجرحته جرحـــاً بليغـــاً، واحتـار النـاس في تفسـير حلمه . ورأى عجـوزاً سلّمت عليه وسألها: إلى أين ذاهبة ؟ فقالت له: عند صـــبيّة أفسّـــر لها حلمها ، وألحّ عليها فدلّته على بيتها وأعلمته أنها متزوّجة . وحين أطلّت الصبيّة واسمها – زهر الورد – وقع مغشـياً عليه ، وأحبّها وأحبّته وشـــرح لها حلمه وفـــوجئ بأنها حلمت حلماً مشابهاً .

وســـافر زوجها إلى الحبشة ، وحين عـــاد علم أنها تلتقي الحـبيب سـرّاً . طـار الشـرر من عينيه ، وأبعدها إلى الهند .

ضـاقت الـدنيا - بجـريح الهـوى – ورمى نفسه من أعلى شـجرة فجـرح في رأسه ، وبقي أربعين يومـاً ثم مـات . وكتب على قـبره – هنا يرقد جريح الهوى وشهيد الحب – أمّا زهر الورد ، سـجنها زوجها وكبّلها بالحديد تحت الأرض . ومـرّ قـاض سـمع أنينها فأنقـذها وهرّبها إلى ديارهـا. وعـرفت أن جـريح الهـوى قد مـات فـأزاحت الحجارة وانسلّت إلى جانبه تداعب رأسه وتناديه وتجسّ نبضه فأحسّـــت به يتحـــرّك قليلاً قليلاً وكلامه أنين خافت ثم بدأ يصـحو فأخذته إلى دار أبيه وسـمعت العويل والحـزن ولم يمضِ اليـوم على وفاته .وأخـبرتهم أنها ردّت الحيـاة فـانقلب الحزن إلى فـرح . وزفّـوا زهر الـورد إليه وعاشا في سرور وفرح.

11 – أبو النواس وجنان

فـاض قلب جنـان بـالحب ، الـذي شـدّ أبا النـواس من حياته اللاهية . وهي فتـاة حسـناء ، أديبة تروي الأشعار . ولم يصـدق في حبّه امـرأة غيرها ، وقيل له يومـــــاً أنها عازمة على الحج ، فسبقها والتقاها وعاد معها وأنشد :

ألم تر أنني أفنيت عمري
بمطبها ومطلبها عسير

وتبـادل معها الرسـائل وشـهرت علاقتهما وطلبت منه أن يبتعد لفترة وكأنها أطالت هجـره ، فمـرض وعـاوده بعض أصـحابه وهو مـريض

وسألهم عن جنان وعرف أنها عليلة فقال : والله أنكـرت علّـتي هـذه ولم أعـرف سـبباً غـير أني تـــوهّمت أن ذلك لعلّة نـــالت بعض من أحب .. وأكـثر من قــول الشــعر فيها ، ولكنها رحلت مع مولاها (عمارة الثقفي) وهي جاريته

12 – العاشق المجهول وهند

هند ، تلك الجارية الحســـــناء وهي جارية (يزيد بن عبد الملـــك) أجـــادت يومـــاً بالغنـــاء وأطـربت فعظم حبّه لها وسـألها : ويحك أما لك قرابة أو أحد تحــبين أن أســدي إليه معروفــاً ؟ قـالت : ليس لي قرابة ولكن هنـاك شـخص أريد أن يناله الخير . فأحضره وسأله عن حاجته فقال : ما لي حاجة ولكن لي الأمــان ، وأريد أن تغــني جاريتك ثلاثة أصوات بما أقترح عليها من الشــعر فنادى الجارية فغنّت :

مني الوصال ومنكم الهجر
حــتى يفــرّق بيننا
الدهر
والله لا أســـلوكم أبداً
ما لاح بدر أو بدا قمر

فلم تتم الأبيات حتى خرّ ميتاً . فقال يزيد : ابكه .. قالت :

لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حي .

فقـــال لها : ابكه – فوالله لو عـــاش ما انصـــرف إلا بك . فبكت الجارية . وبكى أمـــير المؤمنين . ولم تلبث أن ماتت في أثره

13 – توبة بن حمير - ليلى الأخيلية

انبثقت نفحــات الشــعر من روح – ليلى – الشــاعرة الملهمة الجميلة حين التقت – توبــة- وتمكّن الحب من قلبيهما لكنّ والـــــــدها زوّجها لرجل آخر . أما توبة بقي يكـــثر من زياراته لها ، وتخرج إليه ببرقع وتجالسه ، حتى صارت زياراته تــزعج زوج ليلى . فتظلّم إلى السـلطان فأهـدر دمه . ولكن في إحـــدى الغـــارات قتل توبة ، وظلّت ليلى تبكيه وترثيه طوال عمرها . وأقبلت من ســفر فمــرّت بقــبره ومعها زوجها وهي في هودج فقالت له : لا أبرح حتى أســلّم على توبة . فمنعها زوجها ولكنّها تركته وصـــعدت إلى أكمة عليها قـبر توبة وكـان بقـرب القـبر بومة كامنة ، فلمّا رأت الهـــودج فـــزعت وطـــارت في وجه الجمل فنفر .. ورمى ليلى على رأســها فمــاتت ودفنت إلى جانب توبة.

14 – عتبة وريّا

كان عتبة في مسجد يصلي . ومرّ به نسوة يتهـادين كالأقمـار ، ومعهن جارية بديعة الجمـال

فـوقفت وقـالت : ما تقـول في وصل من يطلب وصلك ؟!

ثم تركته ومضت ، وبقي حـيران ينتقل من مكان إلى مكـان يبحث عنها ، وعلم أن اسـمها – ريّا – وأن أباها ارتحل بها فـــذهب لخطبتها ولكنّ والـدها طلب مهـراً من ألف سـوار من الـذهب فوافق. فحملت على هـودج وسـاروا ، وخـرجت في طـريقهم خيل تريد الغـارة . وانحـرف عتبة وبه طعنة وقضى نحبه فصـــرخوا – واعتبتـــاه – وسمعت ريّا صـراخ الرجـال فـألقت بنفسـها عن الناقة وشهقت شهقة واحدة، وأسـلمت الـروح . فحفـــروا لهما قـــبراً واحـــداً. ونبت على القـــبر شـــجرة عالية عليها عصـــائب لطيفة الألـــوان وسمّيت – شجرة العروسين - .

15 – وضّاح اليمن وأم البنين

بينما كـانت – أم البـنين – زوجة الوليد بن عبد الملك في مكّة ، كتب الوليد الخليفة ، يتوعّد الشـعراء بـألا يـذكرها أحد منهم. وحين تـراءت للنـاس بحسـنها وجمالها ، تصـدّى لها الشـعراء بـــــالغزل، ووقعت عيناها على وضـــــاح اليمن فافتتنت به فذكرها في شعره ومدح أيضاً زوجها . فأكرمه الخليفة وأسكنه القصر بعد أن عـادوا . فكانت ترسل إليه فيـدخل خلسة ويقيم عنـدها ، فإذا خافت وارته في صندوق خـاص بها . وأرسل لها مـــــرّة الوليد لها جـــــواهر هدية مع خادمه ، فكشف الخـادم أمر الصـندوق وأخـبر الخليفة ،

فدخل عليها الوليد وهي تمشّـط شـعرها وجلس على الصندوق ، ثم طلب منها الصـندوق فأعطته له . ودون أن يفتحه أمر بفتح بـــئر في المجلس وقذف بالصندوق إلى البئر ، وهيّل التراب عليه . وما رؤي بعد ذلك اليــوم أثر لوضّــاح اليمن ، وما رأت أم البــنين أثــراً في وجه الوليد حــتى فــرّق بينهما الدهر .

16- مي وجبران

كانت محبّة مي لجبران مؤلمة تسري فيها قشعريرة البعد. جبران ومي والأعوان العشرون بينهما تحلّق ، وينتشي الفكر والروح ، والرسـائل تشعّ بفوح الكلمات . وكتب لها جبران :

إن يوم يجيئني منك رسالة ، لهو من الأيـام بمقام القمّة من الجبل . ذلك اليوم يا مي أتنحّى فيه عن سيل الـزمن ، لأصـرفه متجـوّلاً في أرم ذات العمــاد. ما أجمل رســائلك يا مي . إنها نهر رحيق يتدفق ويسـير مترنّحـاً في وادي أحلامي . وهي قيثارة - أورفيـوس – تقـرّب البعيد وتحـوّل بارتعاشها السحري الحجارة إلى شعلات متّقدة .

17 – ولاّدة وابن زيدون

أمــيرة الأنــدلس – ولادة – الــتي أثــارت الأدبـاء والشـعراء وكـانت فريـدة زمانها سـحراً وجمــالاً. ذكــاء وثقافــة، شــعراً وتحــرراً.. في

مجلســها يجتمع الأدبــاء والشــعراء والــوزراء وينظرون إليها في انبهـار وافتتـان، وهي أول من هتك الحجاب وقد كتبت على عاتقها الأيسر:

أنـا والله أصلـح للمعالــي
وأمشـي مشيتي وأتيه تيهاً
وأمكّن عاشقي من صحن خدي
وأعطي قبلتي من يشتهيها

واقـــترن اسم ولادة – بـــابن زيـــدون المخـــزومي – الشـــاعر وقد ألهمته ولادة أجمل قصــائد الحب . وكــان يصف لها فــرط قلقــه، وضلوعه ملتهب للجمر . ولم تكن أقلّ هياماً منه وكتبت تقول :

ترقب إذا جنّ الظلام زيارتي
فإني رأيت الليل أكتم للسر

ويلتقيا ويفترقا ثم تدخل المنافس الوزير – ابن عبـــــــدوس – وأظهر له المكايد ، واعتقل وسجن وهـرب. وكلّما زاد في بعـده واقترابه زاد شوقه وولعه بولادة .

وظـلّ غريبـاً وبعيـداً عنها حـتى آخر لحظة من حياته.

18 – قطر الندى

تختال قطر الندى يوم عرسـها ، فهي ذات جمــال بــاهر وعقل راجح ودلال وكمــال . حين تقـــدّم إليها الخليفة المعتضد ليختـــار زوجة له .

وكان زفافها حـدثاً لم يعـرف التـاريخ مثله . وقد بنى والدها (خمارويـه) سلسـلة من القصـور بين مصر وبغـــداد لتـــنزل بها ابنته خلال رحلتها مع الخــدم ، والجــواري ترافقها مــواكب الموسـيقا والسفن تمخر عباب نهر دجلة والجـواري يحملن الشـموع لاسـتقبالها . وأحسّ المعتضد بالشـباب يفور داخل شيخوخته وهو يلمح الصبية النضــرة ، ووقع صريع هواها .

هذا العرس الضخم أدّى إلى فـراغ الخزينة وضـعف الدولــة. ولم يسـتطع خمارويه احتماله فتـــوفي بعد زواج ابنته بعـــامين وزالت الدولة الطولانية في مصر بسبب فرح قطر الندى . ولم يمضِ وقت طويل حتى توفيت قطر الندى حزنـاً على أبيها وهي في عمر الزهور فـدفنها المعتضد في الرصافة وبكى أمـام قبرها بكـاءً مـراً . هـذا العرس كان مصدر مأساة تاريخية كبرى ..

19 – رابعة العدوية

رابعة شـــقّت طريقـــاً فريـــداً في الحبّ الإلهي ، وجعلته طريقاً لتطهير القلـوب والسـمو بالحبّ نحو المطلق .وهجرت حياة اللهو والترف واكتشفت أغوار روحها الطافحة .

إلهي .. أغرقني في حبّك ..
حتى لا يشغلني عنك شيء .

* * *

كأسي وخمري والنديم ثلاثة
وأنا المشـــــــوقة في المحبة
رابعة
فإذا نظرت فلا أرى إلا له
وإذا حضرت فلا أرى إلا معه

كـان والـدها العابد الفقـير يكـدح يومه في القارب وليله في العبادة . وبعد أن تـوفي لم يعد في الكوخ إلا أربع بنات يتامى جائعـات خائفـات . فأخــذت رابعة مكــان أبيها على القــارب ، وهي تعدّي بالركاب من ضفّة إلى أخرى فاشـتهرت بـ (رابعة العدوية) حتى حصلت المجاعة في بصرة والتقطها لصّ وباعها لأحد التجار فذاقت العبودية والــرق . وتخلّصت منه بأعجوبة ، ثم اشــتغلت عازفة ناي ثم انصرفت إلى العبادة والتوبة .

ووضعت قوانين الحب والحزن في منــاهج التصــــوّف. وبقي شــــعرها الخالد يطفو على جوانب الأدب الصوفي .

20 - حبابة ويزيد

تسللت – حبابة – الباهرة الجمال إلى قلب الخليفة _ يزيد بن عبد الملك – فانشــغل بها عن شؤون الحكم ، وقد أحضرتها له زوجته – ســعده – التي كانت تحبّه وتبذل جهدها لإرضائه .

واشتهر بميله إلى الغنـاء والشـعر ، وخـرج من قصره معها ونــزلا في بيت في أول الشــام ، وكانا في أهنأ حــــال والطعــــام والشــــراب بين

أيـديهما ، وهي تغـني وهو يـذوب وجـداً . فجـأة شرقت حبابة بحبة الرمان ، فاختنقت وماتت بين يديه . وجنّ جنونه ، وظلّ يعانقها ويبكي . وتدخّل أهله بعد ثلاثة أيـــام والجثّة قد أنتنت ولا يســـمح بـدفنها . ووجد قصـره موحشـاً. ولم تمض أيـام حـتى انطلق إلى قبرها ، اصـرّ على نبش القـبر . ووجدها قد تغيّرت فقيل له:
" يا أمـــير المؤمـــنين اتـــقِّ الله . ألا تـــرى كيف صارت؟ " قـال: " ما رأيت أحسن منها اليـوم " وأعادوا دفن الجثّة . وبـدأ يحسّ بالإعيـاء والتعب ومات بعدها بخمسة عشر يوماً .

21 – الزهراء والناصر

شـــــعّت (الزهـــــراء) في قلب الخليفة (الناصر) فأحبّها وشـغف بها ، وعشـقه لها وصل أبعد الحدود حتى قالت له يوماً : أشتهي لو بنيت لي مدينة تسمّيها باسـمي . فأسـرع لبنـاء أعظم مدينة في الأندلس – مدينة الزهراء - . اسـتغرق بناء المدينة عشرين عامـاً. وكـان بناؤها غاية في الإتقان والجمال ، وهي من عجائب أبنية الدنيا .

ودخلها الناصر ومعه الزهـــــــراء جاريته وزوجته، وسألها : كيف ترين هذا ؟ قالت : حسن لـولا أن هـذا السـواد (جبل قرطبـة) يطـلّ على مدينة الزهـــراء . ولم يمضِ وقت طويل حـــتى شجّر الجبل بأشجار اللـوز والصـنوبر والريـاحين والأزهـار . وتـدور دورة الـزمن ويمـوت الناصر والزهراء ويبقى البناء خالداً أبداً .

قال فيه أحد الشعراء :

وقفت بالزهراء مستعيراً
معتبراً أندب أشتاتا
فقلت: يا زهرا ألا فارجعي
قالت: وهل يرجع من ماتا؟

22- ديك الجن

كان ديك الجن – وهو لقب الشاعر عبد السلام بن رغبان – لم يبرح نواحي الشام قد تتيّم بجارية حسناء وهواها . وفي أثناء غيابه عن بلده وقد أبعده بعض أقربائه بحيلة ، واتهموها بعلاقة مع غلام ، فأثاروا في نفسه نار الغيرة والشك . وحين عاد قتلها ثم اكتشف براءتها ، فاستنفذ كل شعره في مراثيها ، وقضى عمره نادماً حزيناً ، ومن رمادها كان يستقي الوجد فتوارى بين سراديب الألم وأغمض الحزن أحلامه المشوّشة .

لم تبلْ عينك أبيضاً في أسود
جمع الجمال كوجهها في شعرها
وتمايلت فضحكت من أردافها
عجباً ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كأس مُدامة من كفّها
وردية ومُدامة من
ثغرها

23 – محبوبة المتوكل

محبوبة .. مغنية وشـــــــاعرة ، حظي بها المتوكل وملكها . ويومـــــاً غاضـــــبها وهجرها فحبست نفسها في حجرتها تغني . ومرّ المتوكل قرب غرفتها فطرب لغنائها واصـطلحا . وبعد أن قتل المتوكّل أخذها – وصيف - . وكــانت محبوبة كلّما أخذت العود لتغني تبكي ، فاشـتدّ ذلك على وصــيف وهمّ بقتلها ، ولكن أحــدهم اســتوهبها فوهبها له فأعتقها ، فخـرجت من (سـرّ من رأى) إلى بغداد هاجرة كلّ لذّة وغناء حتى ماتت.

24 – عريب المأمونية

شغف الخليفة (المأمون) بـ(عريب) شغفاً شـديداً حـتى أزاله عن وقـاره . من هـذا التعلّق الشديد أخذت عريب نسبتها (عريب المأمونية) . ولم توجد مغنيّة في أي عصر قد نـــــــالت من الحظـوة والجـاه ما بلغته عـريب . وكـانت وفيّة لفنّها ونســيان ذاتها في ســبيله . ويــروى أن المــأمون قــال : أين عــريب ؟ فجــاءت وهي متهالكة من الحمّى ، واســـــتندت إلى الحائط وظلّت تغني حتى سقطت مغشياً عليها .

ومن بديع منطقها أن المـأمون عتب عليها وهجرها أيامــاً وحين مرضت زارها وقــال: كيف وجدت طعم الهجر ؟ قالت : لولا مرارة الهجر ما عــرفت حلاوة الوصل . وبعد وفــاة المــأمون اشـتراها المعتصم وأعتقها وأصـبحت من رمـوز الأدب والغناء.

25 – عليّة بنت المهدي

هي أخت أعظم الخلفاء العباسيين (هارون الرشـيد) وكـانت من أحسن النسـاء وأظـرفهنّ وأعقلهنّ ، ذات صـيانة وأدب وعفّة تنشد الشـعر وتصوغ الألحان وتمارس الغناء .

وكان الرشيد يبالغ في إكرامها ويصـطحبها معه في أســفاره. وحين مــات أخوها هــارون الرشيد جزعت عليه جزعاً شديداً وتركت الغنـاء ، وقيل أن المأمون ضمّها إليه وجعل يقبّل رأسها وكـــان وجهها مغطى فشـــرقت وســـعلت وتحشرجت ، وبعد أيام ماتت. ولها ديوان شعر .

26 – دنانيــر

جارية يحـــيى بن خالد الـــبرمكي ، وهي المغنية الجميلة ذات البهاء والكمـال ، ومن أكـثر الناس قدرة على الغنـاء ورواية الشـعر. سـمعها هـارون الرشـيد وتعلّق بها فكـان يـترك زبيـدة زوجته وقصره ويسهر في دار – يحيى – ليسمعها ويتحـدّث إليها ويفيض عليها من نعمه وهـداياه . وبعد أن حـــدثت مذبحة البرامكة انتقلت دنـــانير إلى قصر الرشـــيد ولكنّها ظلّت وفيّة لمواليها . فقد دعاها الرشـــيد بعد النكبة وأمرها أن تغـــني

فقـالت : يا أمـير المؤمـنين آليت على نفسي ألا أغني بعد سـيدي . فغضب منها وأمر بصـفعها ثم أقيمت واقفة على رجليها وأعطيت العـــــود ، فأخذته وهي تبكي وانــدفعت تغــني . فــرقّ لها الرشـــــيد وأمر بإطلاقها . وبقيت وفيّة لمولاها حتى وافتها المنيّة ..

27 – فرهاد وشيرين

الأمــيرة الأرمنية – شــيرين – زوج الشــاه خسرو الثاني ووشاح جمالها يتراقص مشـعّاً من وراء زرقة غامقة. لمحها فرهاد المعمار وصـعقه جمالها ، وصــوتها بثّ ســحره، واشــتعل الحبّ الوهّـاج بقناديل الـبراءة والنقـاء ولكن جـاءه نبأ وفاتها وكـان كاذبـاً فـألقى نفسه بائسـاً من قمّة جبل (بيتســون) . وحين عــرفت شــيرين بموته انتحرت هي الأخرى .

مـــات كلاهما .. كل واحد من أجل الآخر ، ولم يسعدا بحبّهما .

28 – وامق وعذراء

ارتحل وامق ابن امـبراطور الصـين وراء – عــذراء – ابنة أحد الملــوك وهــام بها غرامــاً . وتعرّض لكثير من الصـعاب والعقبـات واجتازها .

وحين وجد حبيبته وقع في أسر العــدو ، ومن ثمّ أرسل إلى الهند . وأراد الشـعب إحراقه بالنـار ، ومعاقبته لكنّ النـار لم تمسّ – وامقـاً – فعبـده الهنـود (كإلــه) ، ولكنّه تخلّص منهم وهــرب إلى الحبيبة وتزوّجها .

وبقيت نجمة الحبّ مشعّة عبر كل تـاريخ . وهي تزف لحظات اللقاء الأسطورية .

29 – زال وروذابه

التهب قلب – روذابه – بالعشق من الأخبار التي يرويها الآخـرون عن (زال) وكـذلك هو يتتبّع أخبارها . وتلوّنت زرقة الأحلام حـول معبد حبّهما المهجور ، وكلاهما يقول : إنك متواجد في قلــبي ، وتتدفّق شحنات الوله أكثر فـأكثر . وحين التقيا ، وحين تحدّث إليها أحسّ أنها تمتلكه أكثر فأكثر . وكان سكر الحب حنوناً على صدر الحبيب .

30 – زليخا ويوسف

انبثق هذا الحب من رؤية جمـال (يوسـف) الباهر فأصبحت زليخا هائمة ، والعــذارى يقطعن أصـابعهنّ بسـكين الحرمـان. وكـان هـذا الحب عنيفــاً متّقــداً . واهتــدت زليخا من خلاله إلى طمأنينة الإيمان والعبادة ، وكأنها تهتف بيوسف : لأنك رحلت ذبل قلبي حزناً .

31 – دعد - القصيدة اليتيمة والشاعر دوقله المعنجي

تلك الأمـيرة الغافية بين أجفـان الجمـال ، هـذه الأمـيرة من نجد وشـاعرة من شـاعراتها . رفضت الخطّاب والأمراء وقـررت أن تـتزوّج من يكتب أجمل قصـيدة في وصف جمالهـا. فأسـرع شـــاعر من مدينة (منبج) وكتب ثلاثين بيتـــاً في وصفها . وشاءت الأقدار أنّ هـذا الشـاعر ترافق مع شـــــــاعر آخر من تهامة إلى نجد في رحلة صـحراوية، وأنشد كـلّ منهما قصـيدته ، فتـذوّق شـاعر تهامة قصـيدة صـديقه وأحسّ أنه سـيفوز بالأميرة .فأخذها منه وقتله وحـرّف لغتهـا. وحين قرأتها الأمـــــيرة – دعد – انتبهت إلى لغة تهامة وأحسّـت بشـيء غـامض قد حـدث ، واكتشـفت الحكاية فقالت : هذا قاتل زوجي . مات الشـاعر وبقيت القصيدة يتيمة .

القصيدة /65/ بيتاً ، ومنها :

لهفي على دعد وما خلقت
إلاّ لطول تلهّفي دعد
فالوجه مثل الصبح مبيضّ
والشـــــــعر مثل الليل
مُسود
إن لم يكن وصل لديك لنا
يشفي الصبابة فليكن
وعد
وإذا المحبّ شكا لصدود ولم
يعطف عليه فقتله عمد

32 – عنترة بن شداد وعبلة

عنـترة هو أحد أبطـال العـرب وشـعرائهم المشــهورين. كــانت أمه حبشــية فســرى إليه الســواد منهــا. وأحبّ عبلة ابنة عمّه . ولاقى في سبيلها ضروباً من المرارة والعـذاب بسـبب لونه وعدم تمتّعه بحريّته لأنه عبد . وكان عنترة يناجي عبلة في أشـعاره وأكـثر من قصـائده الغزلية بها فهــرب والد عبلة بابنته إلى بــني شــيبان وبقي الصراع مستمرّاً ، وبقي عنـترة متحـدياً . وبقيت عبلة دمع ليالي وجده .

ويقول عنترة :

ولقد ذكرتُكِ والسيوفُ نواهلٌ
منّي وبيضُ الهِندِ تقطُرُ من
دمي
فوَدِدتُ تقبيلَ السيوفِ لأنّهـا
لمعتْ كبارِقِ ثغرِكِ المتبسِّمِ

* * *

هو ...

هي ...

والشجر

ليلى مقدسي

يقظة

الطير : للحريّة

العنب : للخمر

الغصن : للشجرة

الحزن : للمغيب

ينبت الزهر في الربيع ويُلقى
عند باب الخريف بعض ظلاله
لا تلوموا الخريف لو عشق الزهر
وتاقت عيونـه لجمالـه

د. يوسف عيسى

قال بودلير في :

أزهار الشر

تتوافقُ الرمزيةُ مع قوانين الطبيعة
فيتواصلُ معها الانسان...
شعرَ . بودلير . بهذه الصميمية
وعبَّرَ عنها بقوله:

" الطبيعة معبدٌ... من أعمدته النابضة بالحياة
تدع كلمات مشوشة تخرجُ أحياناً

وبها يمرّ الإنسان عبر غاباتٍ من الرموز
تراقبه بنظراتٍ مألوفة "

للشجرة لغتي

هي : حيث أنظرُ إلى الشجرة
أشعرُ أني الشجرة....

هو : نغمسُ لغة الأحاسيس
بخضرةِ اللازوردِ الساهي..

الشجرة : بيننا تنبثق المشاركة السرية...

الأشجار

أشعارٌ تكتبها الأرضُ إلى السماء..

الشعر : حكمةٌ تسحرُ القلب ولغة المخيلة...

الحكمة : شعرٌ يترنَّمُ بنشيدِ الفكر...

قول

" بين العالِم والشاعر .. مرجٌ أخضر

إذا اجتازه العالِم صارَ حكيماً

وإذا اجتازه الشاعر صار نبياً "

أوراق

كما أوراق الأشجار تارةً تسقط ، وتارةً تنبتُ ، كذلك أبناء البشر بعضهم يموت وبعضهم يولد .. وبين الفجر والمساء يتغيَّر الزمان . والقلبُ أصل كل الأفكار. . ومنه تصدر أربعة فروع :

الخير والشر... الحياة والموت

حكمة

سألوا حكيماً : أيهما أفضل : السخاء أم الشجاعة ؟

أجاب : كل من وجد في طبعه السخاء ، ليست به حاجة إلى الشجاعة...

ورقةٌ للخضرة

أعظم تجارب الحب وأنبلها تجربة **الشجرة**

تتعرَّى ... خريفاً

تبكي ... شتاءً

تبتسم ... ربيعاً

تحترق ... صيفاً

* * *

حين تهجر تموت واقفة

حين تحب تزهر وتعطي بسخاء

حين تتألم تحزن بصمت

تحترقُ ، تحيا ، تمنح ...

ترابها حنان ووفاءٌ للأرض

وشعلةُ محبتها معابر الخلود السرية

حيث لا تنطفئ ...

إليك ..

أيتها الشجرة !..

أنت جميلةٌ ، ولغتكِ لغة العطاء ..

أنتِ محبّةٌ دائماً وإن تغيَّرتِ الفصول ..

لماذا لا نجبل بأعراقكِ ،

ونكون مثلكِ ؟

أيتها الشجرة !..

أوراقكِ تلم قلبي العاري .. وحفيفكِ قصيدة يندلقُ منها نبيذُ الحب الشجيّ ..

أنتِ موهبة إيقـاعِ المـاء لمـروجٍ تائهـةٍ .. لسـهولٍ تنتظـرُ سحابات الخضرةِ من أجفانك ...

* * *

خضرة قلب

في الخلف البعيد انحنى قلبُ الشمس حزيناً منطفئاً كالزهور والشحوب الغيمي يمتطي تعرّجات الزرقة ..

قلت : من دفنَ قلبَ الشمس في الرمال الذهبية ؟

قال : الحب المتفاني ..

لفَّنا خشوع الصمت ، وغابة الأشجار تؤنسنا . أفكاري تردد هواجسها لطيورٍ مغرِّدةٍ بين اليقظة والحلم ، وبراعم كلماتي تتعرَّى خجولة .

قلتُ : الحب يغادرنا راحلاً مع الغمامات الناعسة ..

قال : تبقى الأحلام تسامرُ العتمة الشفافة .

قلتُ : وسرُّ القلب يرحلُ أو يهسهسُ ضفاف اللازوردِ .. يقلقُ هذا الهدوء التأمليّ أحاسيسي ..

قال : هل تبقين معي كما الشجرة حقيقة الحب ومعناه ؟

قلتُ : لن أؤكد لكَ .. إني سأبقى أحبك ، فالعاطفة التي تختبئ في سرِّها خُضرَتها لاتدوم .. والحب الصادقُ أصبحَ جريمةً في هذا العالم . وحين تغادرني أوراقي تبقى لغزاً لجراح .

كتبتُ .. الشجرة علَّمتْني :

أن العزلةَ جوهر وجودي ..

وأن أسكنَ جزيرةَ لغتي وأفكاري ..

أوراقها تطهِّرني حين تغيبُ عني كل الأشياء التي أحببتها ...

* * *

لقاءٌ .. للفراق ..

التقينا في ربيع الشعر والحب
افترقنا في خريف الشجر ..
تواصلنا .. مع أوراق الود ..
كتبْنا .. لغةَ أشجارنا ..

* * *

كان اللقاءُ باقةَ غيومٍ حنونةٍ ضمَّتنا .. والوقتُ يتمدَّدُ بين حروفنا النحيلة يضيءُ المسافةَ .. وحين أستعيدُ ماكتبت ، أدركُ أنه مثل الأوراقِ التي تخشخشُ تحت رماد السنين ..

ولكن الفِكر لا يشيب ، مثل ريقِ الحبيب يطيب مع كثرة الحب ..

هذه الحروف لابدَّ أن تحترق ..
حتى لا تموت في ركنٍ مظلمٍ من القلب .. دون شمعة ...

الشجرة والشعر

هي .. الشجرة تجدد الحياة واستمراريتها..

هو .. وتسهر على القبور وترعاها..

هي .. أكثر من شاعر تمنَّى وجودَ شجرة تظلل قبره

هو .. وأكثر من فنان رسمها ..

هي .. الشاعر < آلفريد دو موسّيه >

اختار شجرة صفصاف باكية وتسمى (بابل) ..

وقال : عندما سأموتُ ، اغرسوا شجرة صفصاف يكون ظلها خفيفاً على الأرض التي سوف أنام فيها ..

هو .. والشاعر < أبُولينير >

يشبِّه قلبه حين تخترقه سيوف التعاسة بشجرة السرو. ، وهي شجرة البؤس ..

وقال : أنا شجرة سرو. على قبر

حيث تركع الرياح الأربعة

ويعبرُ أيضاً عن الصرح من الحجر وهو ماشياً على الأرصفة في – باريس – قرب نهر – السين – والأشجار تظلله.

لقد مررتُ على ضفة السين

اندفاقُ الماءِ ، يشبه ألمي

يسيلُ ولا ينضب أبداً ..

تمضي الأيام .. وأبقى ..

تمضي السنين .. وأبقى ..

تحت جسر – ميرابو. –

ينسابُ نهر – السين –

وحبنا ..

تجاوزَ الأيام

تجاوزَ الأسابيع

لا الزمنُ الماضي يعود .. ولا الحب يعود

ولا الأحبّة يرجعون ..

هي .. الشاعر < عمر الخيَّام > يقول :

سيكون قبري في مكانٍ تنشر فيه

ريح الصبا الأزهارَ في كل ربيعِ

* * *

كقطرةٍ عادتْ إلى الخضمّ

كذرةٍ قد رجعتْ إلى الثرى ..

أتيتُ للدنيا وعدتُ حاكياً

ذبابةٌ بدتْ وغابتْ أثرا..

ويقول .. طريقتي في الصلاة :

أتأمَّلُ وردة ..

أتظلَّلُ شجرة ..

أعدُّ النجوم

أتدلَّهُ بجمال الخالقِ ..

بكمالِ نظام الكون والطبيعة

بالإنسان ، أجمل ما أبدع الخلاَّق

بعقله المتعطِّشِ إلى المعرفة

بقلبه المتعطشِ إلى الحب

بحواسه ، متيقظة كانت أم مترعة

هو .. الرسام < فان غوخ > :

غمسَ ريشته بدمه ، وهو يحسُّ أن هذا الدم الملتهب جدولٌ صغيرٌ .

رسمَ الحقول البعيدة من سنابل القمح ، وفي نهايتها تلالٌ متموِّجةٌ كالبحر . هذا الحقلُ الذهبي أحسَّه ناراً تلهبُ أعصابه واجتاحهُ همٌّ مرهقٌ .

ماذا بقيَ لقلبه المعذَّب الذي أعطى كل شيء ؟..

دفن في المقبرةِ التي رسمها بين أبعاد :

حقول القمح ، والأشجار

* * *

أوراق شجرة الروح

أنا .. لم أحجب حوريات البحر عنكَ..
إنما ضيَّعني مجدافُ قلبكَ كمحارةٍ بين الموج والصخر متى كان الحب يتستر بغلالة الوفاءِ إلا في قوافي الشعر ؟
متى كان لبحر الحب زورق ؟..
هو هائمٌ أبداً مع جمال المياه .
وغموضِ الموجةِ الأنثوية سرُّه الغادي ...

* * *

أنا .. لم أسقِ دمع الزيزفونِ شجوَ غربةِ أيامي .. أنت تركتني يمامة تتهدل جراح أغصانها هسيساً للبوح .. مسافرة مع خيالك وشرود آفاقك جعلتني قطرة محبوكة بين الرمل والغيم ...

* * *

أنا .. لم أعترف لعينيكَ إني أحبكَ ، إنما كنت تخالج قلبي برغاءٍ صوفيٍّ ولهٍ .. وتضوءُ قنديل حروفكَ في دفاتري .. وتتأبَّط صرَّة وجعي ، أنت ساكنتَ مدار الفصول تراشفَ بوهم العطرِ رحيقُ زهيراتي ، وتغصُّ بأسماء .. وأسماء .. كمسحورٍ بفتنة الصبا والجمال ..

* * *

أنا .. لم أذلل الدمع كمشتاقة ، إنما طوَّقتُ حانةَ صبري بحائط حزني وكسرتُ أقداحَ حبي ..

أنتَ ..خضَّلتَ لؤلؤَ العنقودِ من داليةِ دمعي وسقيتَ الرمقَ الأخيرَ من زمنِ البوحِ ..

* * *

أنا .. من رموزِ الليلِ المدلهم جمعتُ مفرداتِ اسمي .

أنت .. عسَّلتَ حروفهُ بالوصلِ . ففاضتْ من ثنايا معناه نشوة الخمرة السوداء على كأسك ومنعتَ النديم والساقي ..

* * *

أنا .. لم أضيق بنات القلوب من حولكَ ، إنما بحثتُ عن زاويةٍ ركونةٍ في قلبكَ دون أن أزحزحَ تقلبات القلب، أو منعطفاتِ العاطفة ..

هل كان الحب إلا شجرة غيناءَ في مدار عالم الرجل ؟..

وظلي كان يبحثُ عن غصن الآس ..

* * *

أنا .. لم أجعل خريفي ربيعاً ، والسنوات تزحف على عربة الذبول .

أنتَ .. جمعتَ شحوبَ الاصفرارِ ، وخضَّرتَ زهرَ أشجاري بشاماتِ النور ..

* * *

أنا .. في ذاكرةِ الضوءِ طيوف عتمةٍ أليفةٍ ، أرنّح حروف خيالي على عتبات صفحاتي ..

أنتَ .. هدلتَ شعركَ معللني بأحلام الورد . فالتحقتْ نقاط اسمكَ في ذاكرة قلبٍ لا يشيخ كما عرائسُ صنوبر الحب...

أتعتبُني ؟..

من تركني هدهدة غريبة في فلاة الهيام ؟

تساوى لديها المساءُ والصبحُ ، ومازالت ترشُّ بهارَ رسائلِ حبكَ على أهداب المعاني ..

كنتُ أظنكَ نخلة العمر ..

أتريدُني غادية ترقرق حنان قطراتها ، ويستعزُّ مطرها على أرضِ شموخِ الخريف .

أتبقى عصفورة الشعر في محراب كلماتها ؟

مشردة مع أسفار غربتها ..

ووطن قلبكَ يبخلُ بقشةِ زيتونٍ لغرقى مثلي بين الأفكار والسهاد ..

أغرسُ على شجرةِ روحكَ ملامحَ زاهدة متوحِّدة تغزلُ على أصابعها ضياء الحرف لكل طقوسِ الحبِّ ..

أوراقٌ .. لنا

هي .. أوجعْتِني يا نفسي
أوجعتِ الظمأَ ، الحرفَ ، والورق
أوجعتِ الفجر ، الريحَ ، والعطر
أوجعتِ الوادي المقفرَ من الزهرِ
أوجعتِ الجبلَ التوَّاقَ لرائحةِ المطر
زارتني عرافة الليلُ وقالت :
لا تشي بسركِ للحلم ، للأرضِ ، للبشرِ ، للريحِ ..
قلتُ : عطرُ الحبِّ نفَّاذٌ من سر الخافياتِ ..
قالت : " العاشقِ كالقاتلِ يعودُ دائماً إلى مكان الجريمة "

* * *

قال : أوجعتِني يا شجرةَ المعرفة
تهاجمني خضرتكِ في كل الفصول ، كعاصفةٍ من حنين ، غصنت الحب بسنابلِ البيادرِ ، وعناقيد الكروم وضحكاتِ التينِ والزيتونِ ، وأراك ساهمةً كدوريّ شغوفٍ بالاغتراب ..
قلتُ : سأبقى أشتاقُ لكل الأشياء التي أحببتها ، ولم ألمسها بعد .
نوافذ الليل مغلقةٌ حولي ، وجدراني الهرمة تتآلفني قمر المساءِ معي حين يُغمضُ النورُ عينيْه ..
قال : سأشربُ من كأسِ عينيكِ نخبَ العتمة ..

قلتُ : طيورُ وحدتي تغرِّدُ وتتعثَّرُ على أجنحةِ فرحي الوهمي ..

قال : امضِ معي .. مع الحب المنسابِ عبر الضوءِ والسنين ..

قلتُ : حركةُ الزمن بيننا ، كنهرٍ وحيدٍ أرافقكَ .. ونظراتي .. تعزفُ حلمَ الإنسانية .

قال : " الشعراء يصارعونَ اللاوجود ليرغموه أن يمنحهم الوجود ونحنُ نقرعُ الصمتَ لتجيبنا الموسيقا .. "

قلتُ : ألسنا بحاجةٍ إلى الخيال كي نهربَ من الواقعِ الذي يفرضُ علينا أشياءَ لا نرغبُ بها .

قال : وعراف الحب ماذا قال لك ؟

قلتُ : " الحب يُفقِدُ الإنسانَ المقاومة لأنه يُدخلُه دائرةَ الجذبِ الرهيبةِ التي لا يعودُ فيها سلطانٌ على نفسه ، وينسى الإنسانُ نفسه لو عرفَ الحب . "

ابتسم عراف الحب ..

" الحب يجعلـــكِ واســـعةَ الصـــدرِ كالآلهة .. إن أحببتِ فسيكون في وسعكِ أن تغفري وتقرأي أبجدية السماء .. "

* * *

أوراقنا للشجر

1 – كتبتُ على ورقة **الرمان** :

تمرُّ بنا أحداثُ الحياةِ في آخر لحظةٍ من لحظاتِ الوعي ، ولا يبقى لدينا وقتٌ للتأمل ..

الزمنُ يمضي ، ويبقى الإنسانُ مأخوذاً باتجاه المعرفة ، ويشتدُّ ظمأهُ لأنه يبحثُ عن سرِّ الخلودِ كما فعلَ (جلجامش) ..

ويتبـعُ النـورَ في حركة اللامتنـاهي .. ولكن الحيـاة ظـلٌّ .. والحاضرُ برزخُ عبورٍ إلى الآتي .. والماضي جذور الإنسان وأصله . ويبقى الـزمنُ حركة السر المسـتمرة في هـذا الظل والـذي يتمحـورُ حوله الوجود ..

نور النهار بدأَ يذبلُ ، نور شمعتي القرمزي يتسرَّبُ من أجفانِ زهرِ الرمان العاشقِ ، هذا النورُ يهربُ إليك ، ويلامسُ حزن الغروبِ التي تضمه خُصل الشمس العسلية ..

أناملي النحيلة تكتبُ إليك ، وهمساتُ الحب ترفرفُ على أوراقِ الرمان وتحذِّرُني بمتعةِ النجوى . أنتظرُ أن تذوبَ المسافاتُ لأرى قلباً يحبُّ قلباً آخرَ ، كما أحببتكَ ..

* * *

2 – قرأتُ على ورقةِ **التفاح** :

متى انتهى الأمل هل يبقى لنا ما نعيشُ لأجله ؟

" المحب برزخٌ بين العتمة والنورِ ، بين اللقاءِ والفراق وأفق المحب لا يتحقق وجوده إلا في نقطةِ الوصول ، وهي التي تكشفُ له في البعدِ أكثر مما يكشفه القربُ والارتواء . لأن القربَ لمعة والبعد حركة الكشفِ " ..

عواطفُ المحبِّ تتفتَّحُ كالإيمانِ في خلجاتِ النفسِ ، فرشتُ لكَ خُضرَتي على بساطِ الفصول ، وروحي ترفٌ في معبد خضرة الطبيعة . وزهوري الناعمة تتفتح على أناملِ الأملِ وتوشِّيني بسلامِ الطُمأنينة ..

تعــذَّبتُ كثــيراً من رغبــاتٍ لم تتحقق ، وبقيتُ زبــداً على مجـدافِ حـروفي ومـازلتُ أصـارعُ أمـواجَ الضـعفِ . وبقيتِ التجربـةُ الحيةُ معرفةَ الحبِّ واكتشاف أثره في هذا الوجود المعتم .

ابتسمت ورقةُ التفاح ...

أنا الغوايةُ الأولى ..

أنا جمرةُ الكونِ ..

أزحتُ عن الوجودِ حجبَ العتمة ..

3 – كُتِبَ على ورقة **الزيزفون** :

هذه الحياة الغامضة لِمَ تودّ التأخّر في النوم ؟

ضجيج الصراع يذوب في الموت . وتذوب الأنهار في البحار ، وتذوب النجوم في الليل . ويبقى القمر ساهراً لأن الإنسان لا يستطيع أن ينير كل شيء إذا كان محدداً .

وقد قيل " حين نحدد الشيء ننفيه أي نحصره داخل قوس التحديد ".

الحرية جوهر الإنسان ، وحين يتعمق الإنسان في داخل ذاته يستطيع أن يتعمق في الوجود، يحدوه الفكر والخيال والإبداع. والفكر هو الوحدة العميقة التي تأتي من التجربة ، من الحب ، من التواصل مع الأشياء ، والمعرفة الحقيقية معرفة الآخر من الداخل ولا يمكن معرفته إلا بتجاوز الأنا ..

هديل قلبي يغب لؤلؤ دميعات الزيزفون ويتشرب معنا نور المساء فتصبح الأوراق أكثر فتنة لأن الأشعة الراحلة تتشابك من جسد القمر وتحمل إليك أوراقي المشتاقة والتي تحلم بجدائل أمطارك.

4 – قرأت على ورقة **الصفصاف**

إلى متى يبكي النسيان في النفس الملتاعة ؟

يسترخي دمعي على خدين محروقين ثم ينسال ، ينبت زنابق بيضاء في مروج الوفاء

الإنسان لا يستطيع الإقامة الطويلة في الجزر السعيدة وأوراق الصفصاف تتعب من خضرتها وتتعرى على أرصفة الشحوب. وكل شئ يشارك في الطبيعة كل الأشياء تمنحها لنا بسخاء ، وأجمل ما تمنحه ذلك الذي يعطينا معرفة ومحبة.

الطبيعة كالحب تتغير وتتبدل ، ولا توجد في حالة من الثبات ، هي حركة دائمة التحول.

والحب أحياناً حالة اتصال وتواصل مع محبوب ما لا لشخصه إنما لدوام الاتصال ، وهو اللهفة التي تتواصل أحياناً مع محبوب بعيد ، أو غير موجود والأزهار تتألق في مواسمها ، لكن هل تدوم نضرتها ؟ ... الحب كالزهور عمره قصير.

في حدائق العمر أزرع أوراق محبتي ، تذبل ، ثم تحيا من جديد .. الحب حالة الاستمرار..

5 - كتب على ورقة **اللوز**

الحياة ذاتها فيها المر والحلو ، قصيرة في بعض الأحيان متمادية في القدم أحياناً أخرى

سرها أنها تبقى في ريعان الشباب ، ونحن نهرم ونتغير تمنحنا كل الأشياء وكل فكرة ، وكل منحة منها علينا أن نتأملها ، ونستمتع بها ، ولكن يجب ألا نتعلق بها لأننا لا نستطيع أن نحملها معنا إلى السماء

الأرض تهـتز تحت ثقل أفكـاري ، منتشـية من رائحة الـثرى ورذاذ همس المـاء كهمسك يوقظـني في أصـباح كثيرة تتفتح زهـيراتي قبل الفجر ، يغمرني فرح مفاجئ ، أحس بمعناك ورائحة اللوز ترتحق أغصان أفكاري.

تستفيق الروح وقد أضناها الأرق المحرق. لقد تعبت من الأمل الذي يتيبس على شجرة الانتظار. أين أنت ؟ ... ظلال الوفاء تعرش دالية الحروف وعناقيد اللهفة تصبو إليك...

6 – قرأت على ورقة **القصب**

هل يرغب المحب بشيء غير حبّه ؟

لأني أرغب بلحظة حب خالدة يخنقني التمنّي الجارح وهل يستطيع الليل أن يلفظ أنفاسه على إمكانية حب لا نهائية ؟

القصب انتظاره دائم ، ومحير ، وصبور .

أرغب أن أكون مثله .

مروج حروفي تنتظر قطرات ماء الحب النقي والأرض تتهمني إني عاشقة مثلها

أستغرق في تأمل أشعة الحب التي تتشابك كدخان من ذهب وفضة مع جدائل القمر ... يضمني المساء ككل مساء وتتشرب ينابيع الورق النور المرتعش فتصبح عذبة وفاتنة .

تتداخل متعتي مع جسد الأمامي ، كما الأطفال يرفضون النوم وسط النهار ...

يقترب لخريف ، يلامس برقته سرر حزني نداء الليل التائه يعزف ألحانه على كتف نافذتي ويتراخى الأمل بعودتك إلي قد يطول الانتظار ..

والمحب حين يهجره الحبيب فما حاجته إلى الدنيا ؟

7 - كتب على ورقة **الزعرور**

إن الشعور بكمال الحب ممكن ولكن متى يتاح لنا أن نصل إليه ؟ يقلقني هدوء المسافة بيننا وطيور الحروف ترفرف على أوراق الزعرور ...

مازلت تسفين تراب الكبرياء بأنامل مخملية ، وتمعنين في الهجر ، لابدّ أن أرطّب آثار قسوتك بأصابعي النحيلة ، , أمسح جسد أوراقنا بأنفاس الحب الخاشع أعدّ الأيام على أصابع الملل ، يجتاحني ليل موهن ، والساعات تهرب من جفني الراف ولا تعود

حين غادرتني ذات مساء ، بقي وجهك غائباً في الحضور تعتبين إني نسيت عدد السنين التي أحببت فيها ولم أكبر، ونسيت أنت أنّ قشعريرة الحب الواهي لا تعمّر طويلاً. إنه كسبحة وجد تتفرفط على خيوط النسيان. وتزول الأشياء التي نظنها أبدية.. ونبتة السعادة تجف بسرعة ..

سألمس قلبك المعاند ، وخيالي يتقد بأفكارك الرهيفة ..

8 – قرأت على ورقة **العنبر**

تزورني أحلامك ، وردية في النهار ، بنفسجية عند المغيب ، لازوردية على أوراق النجوى ، رمادية في مآقي الرحيل . وحنانك الشفيف يترقرق على وجهي أنسل من ضجيج العالم إلى هدوء الأحلام ، ووجه نهاري يبحث عن شرفة مساء ساجية..

وحدي أحس بارتعاشة طفل لم يبتسم بعد ..

وحدي أبدو بائسة كمن ليس لديها بيت لتعود إليه تنساح الشمس ثم تبكي على أرصفة الحبّ المعنبرة قلبك التائه كيف نسي الصفاء على وجوه حوريات الينابيع ؟

أحسّ أني لا أحبّ أحداً، وأستمرّ في حبّ الجميع. العاطفة لديّ فيض من الروح ، أمنحها لواحد دون أن أنتزعها من سواه..

حالة الحب الشمولية هذه هي التي تحني عناقيدي على ثقل الأرض وتمنح بسخاء ..

9 – كتب على أوراق **الزيتون**

تتيه أفكاري في مدار الرؤى . وحروفك تزرع زهيرات الزيتون أمواجاً تغسل كآبة الوجوه المعتمة ، كما الفجر يغسل وجه البحر الساحر ..

جمال الأرض عاشق أبداً ، والتراب لا يشبع من قبلات المطر ، أتوق إلى ضفاف مياهنا العميقة التي تغسل عكر الأيام .

ما زلت تسكنين عزلته وديان مبتلة بدموع غمام الشوق ، والمساء يبدو كما لو أن نور النهار يموت فيه، هل نسيت أن الصباح يولد فيه كل شئ ؟

الأيام تمرّ ، كلّ لحظة لا تشابه الأخرى . وطعم حرّاق يذوب بنشوة حبّك في قدحي الشفّاف ألملم غلائل حروفك الخضراء تحت إبط أوراقي الصفراء . النسغ في نفوسنا وفياً لكل ما ينتظره .

10 – قرأت على أوراق **الغار**

المحبّ يدهشه كل شئ ، لأنه عاشق لجمـــال كل شئ ولكن سعادة الروح مستحيلة...

كل معرفة لا يسبقها إحساس لا فائدة منها.. وأجمل معرفة هي التي تنبثق من المبادئ والرغبات فالكون سحابات تغطّي شمس المعنى ، ويصبح الغيب حضوراً بقوة الفكر ... والحلم ... والحب ...

تسكنني غربة الماء ، وضفة روحك هاجرتني من يخلق لي الصور الاشراقية ؟

صورنا ما زالت تطفو فوق عوامة الخيال .

للزهور سرّية اللون .

للأوراق كل الشوق .

للعشب مطر خجول .

للحب لغة القلب .

أحنّ أحياناً إلى اللقاء في جنّتنا الضائعة وراء الواقع ، وأرتعد من وهجك الخافت الذي يسري عبر روحي المرهقة ..

أحنّ إلى همسك الناعم كأجراس النوم .

11 – كتبت على ورقة **سواك . أراك** .

أغرق في صمت نشوتي المقدسة مع حلمي بك..
تناديك روحي :
لنبتسم ، لنحيا ، لنفترق ، لنحب
لنخطئ ، لنتألم ، لنتوحد
ونعيد خلق الحياة من الحياة ..
كلّ ذلك حدث حين تسرّبت صورتك إلى مرايا ذاتي
فراشتي قلقة ، تطير إليك على شرفات سكونك تقف. أليست روحها صافية وعذبة كالطل ؟ أليس نور روحها الوردي ناعماً كروحك ؟

زهر حبك يزهر في دروبي ، ورذاذ اللهفة مازال نقياً يضم شجيراتنا المتعانقة. ما زال المدى مزهراً ببقايا وصلك ..
وأغصان الذات تنتقل مع خطوات الربيع والمطر وطفولة قلبي هادئة تنساب على رفّ طمأنيتك

12- قرأت على ورقة **الآس**

ألا تثقل الروح من جراح الحب ؟

أحسّ بالضجر ، ربما لأنني أطلب من الحبّ ما ليس لي .

روحي تمرض وتذبل .. والحرف يغرف من بحيرة التعب والمعنى يرقص على شعاع النور المتسرّب منك إلي ..

يتموّج كالزبد الذهبي العالق بأغصان محبّتنا وتذوّبني أحاسيسي في ماء الشوق ، وغيوم الورد تتلاشى من سمائي لتحط على لازورد أيامك ..

حين أفتقدك تتوحّد نفسي مع عرائش الكروم وتضفر حروفي تويجات الأزهار .

ويبقى شجر الروح في ذهوله الهادئ ينتظرك ..

طفولة قلبي مثل قلبك ..

زمرّدنا الأخضر يشرب نخب القمر الذي يثمل من نهر السماء ..

والشفق الحالم يرشف خمر الكلمة من دنّ الروح .

13- كتب على ورقة **السنديان**

حروفي باحثة عن شيء تلمسه ، تصبّ فيه فرحها .
وأحاسيسي متيقّظة تنطلق من الظلمة ، مدركة امتداد هذا العالم المادي ..
لا بدّ أن أطفئ الكثير من التفاصيل . وربّما أحتاج إلى حفرها في زمن يشتعل برطوبة عفنة .
أشعر أن الحياة مهدّدة بالفراغ لولا فصول وجهك المتغيّرة كقوس قزح .
أسعى لالتقاط اللحظة المشرقة لأنها تعود كما قطرات الندى على سطح وريقات خضراء ..
يهدهدها الهواء ، تغفو بين أنفاس الشمس الواهنة .
أتألّم .. أخاف .. أحام
ويهرم الزمن تحت ثقل نظراتنا المتباعدة .
هل خريف العمر ، أم خريف آخر يحمل قسماته الأولى غادياً رائحاً في قاربنا المتصدّع وفق إيقاعات مختلفة ..
وتبقى الكلمة أفق اغتراب .

* * *

14- قرأت على ورقة **الليمون**

كي أربح الحبّ ، أتـرك الجميع وشـأنهم . لأنّ الحبّ الـذي يختلج في نفسي ليس كالذي يتحدّث عنه البشر . الحبّ في ذاتي هو النور الداخلي الذي يشعّ في همهمة وردة ، ونظرة ياسمينة ، وحياء نرجسة ، وحزن طفل يتيم ، وجوع قلب فقير . هل الآخرون مثلي ؟

عبق الليمون الحالم يسرح في شفاف الأفق ويرشفني من دنّ روحه النشوى . سرّية لونه جذبتني والنسيم يسرق نجواه ، وهمسه قبلة للفجر الغافي ذكّرني بأحدّ الشعراء الذي قال :

هاتِ لي خمراً أسكبها في ثوبي
إني أترنّح غراماً ويدعوني حكيماً

* * *

15- كتب على ورق **البرتقال**

الأيام ترتعد بدفء أفكار الوجد . وأفكار الليل تختلف عن أفكار النهار . يتسرّب عبق البرتقال رغم برودة الجدران حولي وهي تبرق بألوان أحلامي . أليس الحلم هو المفتاح الوحيد لحياة ما وراء الشعور ؟..

أليس الحلم ضرورة للإنسان ، كيف يحافظ على حياته النفسية حيّة في قاع الروح .

والشعراء يعتبرونه مصدر الإبداع ..

ابتسامات الحبّ حولي تحمل معها خصل غمامتك الرمادية. وشمسك نسيت لون خمرتها على غلالات الجداول المتورّدة .

أيرتوي المحبّ من كأس الشوق ؟

أيرتوي الأمل من قُبَل البحر ؟

أترتوي الأرض من حنان المطر ؟

وأوراق أشجارنا لن ترتوِ من مناجاتنا ..

* * *

16- قرأت على ورقة **الصنوبر**

ندف الثلج تعانق البياض الوحشي ، تذوب فيه صبّة ولهى ثم يحتضن الأرض ، يخاف منها ، يحميها .. ثم يتلاشى بين أعطافها حتى تنبثق منه وتجدد . وكذلك الطبيعة في مخاضها. تتألّم بين ظمأ التعب ، ورواء اللذة ..

أحسّ صدى تعاستها. يتردد في أرجائي المقفرة لأن الفرح أغلق نوافذي وهرب .

جدول حروفي ينساب ، أغسل منها خوابي الحبّ المعتّق. وطائر الليل الحرّ يقلق من شكوى الأشجار وهي تائهة في لهب الفراغ ..

يغيب بعيداً عبر حدود لامتناهية حتى لا يقع في شرك المنفى ، يمتطي صهوة الليل ويستلب أحلام العذارى ويشرد مع أغانيها .

لحظاتي بدأت تخبو وطيفك هارب في فضاء المعنى . ومدّ حروفنا المتهامسة ترسم لمسات الفتنة .. ترك لك بقية من أوراقي .

* * *

17- كتبت على ورق **السرو**

وددت ألا توجدي إلا في زمن لا ينبغي أن تغني طيوري فيه لسواك ...

أراك ... شجرة منزوية بين ثرثرة شتاء بارد

أراك ... بعيدة كالغيب

أستحضرك هجمة في ضجيج الوقت

معك على دروب الأمس أسابق الغد ، الحاضر غير الماضي بين الاثنين حركة الزمن التي تغير وتبدل.

وكل لحظة تبدو لنا ثابتة تتلاشى كظل غيمة فوق البحر أرمي مناديل النسيان بين لجج الحياة ، أغرب ما في الأمر أن نسياني يجدد حضورك ، وتعود إلي طيور المسافة محملة بغابات أفكارك المتشابكة مع أوراقي ...

أرمي رأسي على وسادة الأحلام المرمرية .. ,أراك طيفاً بين مساكب الأفق..

في كل فصل معك ، ألملم أوراقك ، أحاول أن أتذوق طعم العسل لكن خلايا الشمع تكون ذابت.

* * *

18- قرأت على ورقة **النخيل**

صوتك أم تهدج أنفاس العصافير. الشجية إيقاعاً للغروب ؟
أحياناً تغني أكثر مما نتوقع ثم تستريح على حبال النخيل ،
ويطوف حولها قمر خجول وخضرة الأرض تواعد الينبوع الرقراق
فيسقيها. من أنامله النحيلة رشفات حب لا نهائية.

عوّدتني أن ألوّن الوجد بأرجوان الشفق ، وعودتني أوراقك
المتناثرة حولي أن تسري كدبيب الخدر في أوصالي .

أحلامك زائرة حافية ، وردية في نهاري ، شاحبة بين أجفان
الأمل التعبى ...

صدر أمسية اللقاء هاربة منا ..

ربما للحب مواسم ، كما للطبيعة مواسمها ..

أتضيء ظلال أوراقك المخملية ..

صلاتي سكون تغمرني بالهدوء الذي يرشف دميعات تتساقط
.. تسقي أوراق الحرمان.

* * *

19- كتبت على ورقة **الحور**

عودتني أن أتلمس أنامل حروفك الحريرية وهي تنسدل حولي كخيوط الحور الرقيقة. كأنها عقدٌ جميلٌ من خرزات الحب.

أسير كنجمة تائهة ، أتحرك كمريض يتقلب في فراشه تخفيفاً لآلامه ..

تعبت خطواتي من ممرات الحب وقلبي يكتم أوجاعه أحس أني في عالم هرم شاخ حولي ..

روحي تعاني من صمتها ، وحيدة مع رحلة تلافيف الذات أرسم أحلامها وأسترجع ذكرياتها وكل الأشياء تعيش لحظة حية في الحاضر. من خلال الخيال الخلاق.

زهور زمرداتك تتناثر فوق التراب ، ودخان حروفك يلون أحلامي العذبة.

* * *

20- قرأت على ورقة **الأرز**

" مقياس الفن العظيم مدى تغلغله في النفس الإنسانية ، لا مدى قدرته على التقاط الظواهر الخارجية والعوامل الذاتية في حياة الإنسان هي القوة الدافعة التي تستمد أعمق خلجاتها من الطبيعة الفطرية للإنسان "

من خلال هذا القول أحس أن روحي تعود شابة تنبعث للكتابة ، للتغلغل في إنسانية الإنسان وما كان بالأمس غاية في الأهمية يتراءى اليوم عديم الأهمية أو لا يستحق التفكير فيه.

والمبدع الخلاق لا يستطيع تجميد الزمن إنما يحول كل لحظة فيه إلى نهر من الكلمات ، وكما الحياة تبدل حركتها وألوانها هكذا نستطيع أن نبدل كل الأشياء. رغم أن الماضي موجود في الحاضر. والإنسان هو مجموعة ماضيه.

* * *

21- كتبت على ورقة **القرفة**

يقول < **لورانس** > :

" ديانتي الكبرى هي الإيمان بأن الدم واللحم أحكم من العقل ، قد تخطئ عقولنا ولكن ما تشعر به دماؤنا وتعبر عنه صادقاً. دائماً "

والفن هو خلق الحياة ، وتفتحها بما يحمله لها في طيّاته من تراث ، من أحاسيس ، من حاضر ، هو تواجد عصر من جديد ، بأسلوب جديد

الفن يوهم بالحياة لكنه بعيد عنها ، إنها مجرد عالم صامت يدور حوله الفن ، والكتابة هي دائرته السحرية ، وإذا أخرجه أحد منها لا يعود إليها بنفس الانفعال والإحساس.

لابد أن أغمض عيني على ما أراه في هذا الواقع المرير والمؤلم. وحين أهجر الواقع الخارجي وأتغلغل مع واقعي الداخلي أستطيع أن أباشر إنسانيتي.

* * *

22- قرأت على ورقة **الخشخاش**

تنهّد النهار...

شمس تحرق دمعه على جدران الليل ، تمد أوراق العتمة كؤوسها من يده البائسة وتغرف من نبع الصمت ما يقوله الخرير...

مر آخر عاشق يتلمس صدى الأمسيات من عبير حكايته التي لا يسمعها أحد سواه..

هل كان صوته يبكي أم صوت النبع ؟

من منهما الهارب من دروب الحب تحت جنح الليل الهادئ ..

رياح الغياب ترنحني ، توقظني لحظة الحب من سرير الحلم ، ويهامسني الفجر :

ما من متعة تضارع حب القلوب العاشقة فراغ شبيه باللهب يغيبني عن الأشياء ، يدخلني مساحة مجهول غامض من الهدوء ...

هذا المجهول الغامض يشبهني ...

لحظة يذوب الضجيج حولي .. يسكر ويضئ

* * *

23- كتب على أوراق **شوك الجمال**

الأحاسيس العميقة تبقى في منطقة سرية من الذات ولا نستطيع أن نعبر عنها بأي لغة ، هي تشابه لغة الحب التي لا تفسَر ..

عرشت حروفي بين فجوات الليل المهجور ، وهي تسقيني من كأس أشواقي ..

قبضة من طيور الرؤى المغردة حطت فوق خواتم أفكاري ، فتحت لها نوافذ الحب ..

أسمع تراتيلها الهادئة وهي تغادرني بين خطوط السماء اللازوردية.

يبقى صمتك خاشعاً معي ..

فتحت لي نافذة قبل أن تغادرني أسكنتني /وادي الليل/ في الأندلس ، أشجاره الملتفة تحجب ضوء الشمس ، يخيل للجالس في ظلها النهار ليلاً ، وكان مجمعاً للسُمار والعُشاق .

خرجت من بوابة الوادي لأنشد مع الشاعر :

يا صاح لا تلم الميتم في الهوى

هو عاشق لا ينثني عن خله

* * *

24- قرأت على ورقة **الكرمة** ..

حكمة الحيـاة تكـون من طـراوة الحبّ ، وليست من صـرامة العقل الجاف .

أحزم سنابل القمح من كلمات الحبّ وأسقيها من أجفان غمامات عاشقة . جفون الليل العاجية كزهور توقدها النجوم من ألوان أحاسيس الروح .

أرمي أوراقي على نهنهة تراب متعب ومشتاق لحنان المطر ...

قلق لحظاتي يتلصص من ثقوب اللهفة وأوراقك البيضاء رسائل فرح تأتيني تضيء عناقيد عتمتي ويسكرني رحيق قلبك الأخضر. ..

أقرأ كلّ مواجيد حبّك ، هزار الكلمات يلهو بين خمائل وحدتي ...

* * *

25- كتب لها على شجر **العسل** ..

لأنك بعيدة .. أحببتك

لأنك قريبة .. لم ألمسك

تبقين أبعد مسافة مني

وصبوات الروح لا تخدش رقّة الحب

وتغيب لمعة في مشاتل الوجد ..

عنق ألوان حروفي تركت لك اللون البنفسجي وصلاة على أيقونة الذكرى ..

غرّة حروفك تتدلى فوق أوراقي .

لحظاتي موشّحة بالوهن الشاجن .

صدري مازال يتّسع لديمومة الحب .

فالحب كالأثير يملأ الهوّة بين الآلهة والبشر . هل تتحوّل الوردة إلى وردة وردة حقيقية إلا حين تتشرّب نظرة العاشقين ، وهل تتحوّل خمرة الأصيل إلى روعة ، إلا عندما تنعكس على شبكية العين الحاملة ..

أفكار الروح مشتركة بيننا ولا تنتهي من ذات الشاعر ..

* * *

أوراق
من شجرة الحب

لكَ ..

زنبقني ... خطوات للريح . لحدائق الشعر .. للشجر بين مروج وحدتي هفهفة الندى لن تجفّ كما رف طمأنينتك في قلبي .

مطر الوقت مقفقفاً حولي ، مواظباً على الغدو والرواح .

سمائي لم تكن عابسة ، إنّما وجهك يتشرّب ماء حزني .

ناديت باسمك .. مدى الفجر

ناديت باسمك .. همسات المساء الوانية

مداد صوتي متناغم مع دقّات قلبك

وبقيت وريقاتي في عُفرة صباها تثمر تويجة بزهر الحرف المثقل بالنجوى .. وغيومي تبدّل ألوانها وتغمس شريط الروح بزرقة المدى ...

انظر إلى القمر ، هل تراه وهو يغرف رشفات النور من نهر السماء .. لك زنبقة الوعد مضفورة بأوراق سريّة الأحاسيس، وقلبي صامت كبريق يغيب ...

* * *

لكِ نرجسة الحروف ..

الإنسان ورقة شاحبة تسقط حين يمتقع لونها . وورقة الأمل الخضراء وتتحوّل إلى لون الذهب . نرجسة الماء تعكس روح الحبيب على مرآتها وفيها سرّ الخلق .. فالحبّ جسد الإنسانية .

والإنسان الذي وجد في الشباب بهجة ، كذلك يجد في الشيخوخة بهجة . وكلّ شيء في الكون يفنيه الزمان إلا كتب الحبّ كلّ سطر فيها خالد خلود الحبّ نفسه .

قال **فيكتور هيجو** : إذا كنت إنساناً فكن حبّاً ..

أقرع صمتنا بموسيقا الحروف ، وأزهار حروفي ترنو إليك بحنو ، أستوقفك لنقطف ما نهواه منها . ففي الطبيعة ثنائية الإنقباض والانبساط . والشجرة رمز لهذه الثنائية . وهي كائن واحد ينشق إلى اثنين يتحدان في واحد ..

الشجرة رمز للفن ، للحب ، للشعر ، للخلود ..

* * *

لكَ – ياسمينة الشعر

قال **مالارميه** :

"الشعر هو الذي يمنح حياتنا الصدق والأصالة ويكون في حياتنا الرعشة الروحية الوحيدة"

والشعر كالمرآة يهجرك حين لا تعصر. له قلبك هو جمال زمن وسحر لا فكر وتفكير.

وحين يستعيد الشاعر الشعر الذي كتبه يدرك أنه يتململ مثله تحت رماد السنين.

ومهما تمزقت الإنسانية تبقى روحها. متقدة في قلب الشاعر الشمعة تعطينا. نوراً. والزهق عطراً ، والشعر يعطينا. الإحساس بتذوق الجمال ، في التمثال الذي نلمسه واللوحة التي نراها ، والموسيقا التي نسمعها.

والشعر نحياه لأنه جزء من مشاعر الإنسان وأحاسيسه هو كالبرعم المحبوس لا يتفتح ويفرح إلا مع الآخرين ليمنحهم العطر فالشاعر مبدع الجمال ومخلد حلم اللحظة والشعر طائر أسطوري يحمل على ظهره الأفكار. والمعاني والصور ويطير وكتابة الشعر معاناة وقرآته معاناة أكبر.

لكِ ورقة القطيفة

قال **فيلسوف يوناني** :

العناصر الأربعة : الأرض ، الماء ، الهواء ، النار كانت ممتزجة بفعل الحب ، وانفصلت بفعل البغض إلى أشكال مختلفة وتولد منها النبات والحيوان .

وأما **ليو الإيطالي** :

الحب يقسم إلى ثلاثة أقسام : الحب الطبيعي ، الحب الشعوري ، الحب العقلي.

الأول – القوة التي تجذب مياه النهر إلى البحر ، والحجر إلى الأرض ، وتحفظ النظام الشمسي والنجوم في دوائرها.

الثاني – محبة الحيوانات بعضها لبعض وتعلقها بمن يحن عليها ويرعاها.

الثالث – الحب بين الخلائق العاقلة كالملائكة والبشر .

أحس أننا نراقص حروف الأوراق في فراغ الدفء والسكون يثقل حولنا ، وحروفنا تحترق بنور المعرفة كما الفراشة لا تموت في ركن مظلم دون شمعة ، وتلقي نفسها في ضياء الشموع ، ونلقي حروفنا في موقد المحبة الإنسانية ، وزهرة الحب تتكبب بين رنين لهفة الروح..

لكَ .. ورقة البنفسج

زهرة البنفسج البرية تسمى –هناء القلب–

قال أحد المتصوفين :

"الحب الصادق موت العاشق حتى يحيا في المعشوق"

الغادة السماوية تدلق لونها المترامي لرجفة البياض وهمسات البنفسج حزينة ودخان الماء يودع أحلامها العذبة ينحني قلب الشمس حزيناً منطفئاً في طيات أوراق البنفسج. هذا سر قلبي الراحل مع أحلام اللازورد .

انظر إلى الحلم من أجل السر الذي لن أجده ، لأنك تركتني سحابة محلقة بين أمطار أفكاري.

لن أؤكد لك أني سأبقى أحبك ، الحب الحقيقي لا يحتاج للتأكيد ، وستبقى كموهبة ماء لتسقي أنهار حروفي

أحياناً أكون وحيدة .. أحس بحاجة إليك .. لا أجدك .. وحين أحاط بالآخرين تأتي لا أشعر بنفس الإحساس معك...

لنا ورقة الخزامى ..

أحد الشعراء عبّر عن الحب والشمعة بقوله :

الشمع يبكي وما أدري أحرقته
من صحبة النار أم من فرقة العسل
من لم تجانسه فلا تجالسه
ما ضرّ بالشمع إلا صحبة القتل

أبو العتاهية قال :

لو شئت أن أجعل كلامي كلّه شعراً لفعلت . هو أحد مؤسسي التجدد الشعري ، وأطلق نفسه من التقيّد بالمعاني والألفاظ، وأتى بمعانٍ جديدة ونظم على أوزان لا تدخل في العروض ، وكلّما قيل له في ذلك أجاب : أنا أكبر من العروض .

يا من رأى قتيلاً بكى من شدة الوجد على القاتل

وجميل بثينة قال :

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلي

والشعراء يتبعهم الغاوون
ألم ترى أنهم في كلّ واد يهيمون
يقولون ما لا يفعلون

القرآن الكريم

ورقة لقاء

" خير المعاني ما كان القلب إلى قبوله
أسرع من اللسان إلى وصفه"
التقينا – ظللت شجرة اللباب جراحنا الظامئة
عبرنا – بوابة الخرافة ..

عيناك تجوسان وجهي كعاصفة عطر مثيرة .. وقلبي يخفق كعصفور فاجأه الربيع ركضت الريح ، مدت حبال الحب بيننا ..
لكن القلب الذي تسكنه القسوة يهجره الحب. دون أن نودع أحدنا الآخر ، خرجنا من بوابة الخرافة..
ورقة قلبي لم يكفها دمعي ..
هل يتعارض الحب مع العمر ؟ ...
نحن ضعفاء أمام أنفسنا
غادرني يمام الحب وحروفه لثغة شقتيه ، وصوته الحزين يذبح السكون ، هل يسع قلبه كل هذا الحب ؟..
– كل الأشياء التي نظنها أبدية تزول –

نثيث ورقة الحرف

أنا – لم أكلمهم عنك

هم – قرؤوا كتاب الحب ، كان اسمك فثيث حرفي السري
لحظوا شذى حرفك يتزنبق أنفاساً معشوقة بعطري

أنا .. لم ألمع كنجمة خجلى على نور الشجر
هم .. درزوا زمرد خضرتك على عري غصني فتناسلت الخضرة في أوراقنا لوناً بعد لون

أنا .. لم أشعل الصحو حلماً في أصيل يواصل عنقود الشروق مع دالية الغروب
هم .. سقوا الشفق الناعس عقيق الحروف

أنا .. خبأتك في حنجرة الشعر أغنية فريدة
هم .. لمحوك رفيف خيال تزمزم سعف نخيلك حول خريف عمري

أنا .. لم أنتش عطر الروح الخجول من نافذة الزهر
هم .. لحظوا رحيق العسل يتلمس حلقات الخميلة ويرشرش خصلات أيامي

أنا : لم أربد الوقت بشغب لغتك ولغتي
هم : لمحوا نداوة كلماتنا تتناجى على مرايا النور وتسقي سدى الليل ريق الشعر

أنا .. لم أنث الحديث عنك

هم .. أفشوا حسيس الخزامى من قلبك الدافئ ونطفة وجدك نقطت على خدري هالة الإشراق

أنا .. لم أبتعد عنك في الترحال والرجوع ، طيفك ساكن أهداب عيوني

أنت .. خبأت أيام البعد يسائل شوق .. وبهار كلماتك ينعش شجر الوصل ..

أنا .. لم أبح بزمن التجافي والتلاقي

أنت .. فرشت غلائل لهفتك على صنوبري الجافي فاعترش الشوق مثال آفاقي ..وتغاربنا ، نهسهس مناهل الواحات.

أنا .. كنت بجعة حيرى في نهر الحب ، لم ترتوِ وردتي ولم ينضب النهر ..

أنت .. نسجت خيوط الزرقة ثوباً فضفاضاً يستكمل ألوان أنوثتي ..

نفسي تنازع نفسي تغز غمادها في كف الحياة

أنت .. انصببت من دارتك .. كالبرق .. كالرعد .. كالضباب ، تصهب أيامي كل ليلة ليلاء بالمندلى ، بالخزامى ، تشعل أعواد الود على قصب أشهب يتعنى بكل هموم ذاتي.

كنت أظن أن العالم هرم حولي
أنت رممت أشلاء ذاتً مرمية في جزيرة الهجر.

هم تناجوا
شفاههم ولفت عذوبة أسراري

يا شاعري
نويرة الهوى مهما حجبت..
كالبرق تنور الدياجي

شال الحرف

لك ما في القلب مدروزاً على شال النهار
لك ورود الروح حين تطفو على عشبة الضوء
لك الحرف كلما ضاق الوقت على حرائر المساء
أيتها المسافرة في حقول البنفسج
كلما تشعل شموع اللغة ، رعشة حرفك بين جرحين أنت وأنا ، ونرذذ الحلم مع قشعريرة الظل. حزني يضم حزنك ، وأضع أوراقه برفق في أصيص الأيام ، تساكنني أمسياتنا العاشقة كما ساكنت عيون – اليزا – قوس قزح رسمه – أراغون – بأجمل ألوان اللهفة.
قطيفة الشعر تنبثق من غابة صدرينا ، وتستحم بالضوء الأخضر. ..
مازلت أسأل هل كان اسمك بداية النزف ؟ شربت خمرة بنفسجك وينبوع الوجد يغرف من أجفان حروفك .. سيظل قلبي يطلب حرفك لأزرعه في حقول الإنسانية ..
أليست شجرة الحب من رموز الخلود ؟

رعشة الفيروز

كم ارتمت ابتسامة الفيروز ، وكم جفلت من مسافتنا. ، ونحن نحمل حقائب الماضي ، وصرة الآتي ، ودخان فرحنا يعانق السواد والبياض. نجمة الحرف تهرب من أضلع الليالي ، تتشرب رعشة النور المخملية وتمضي إليك ..

مهلاً أيها الحب .. لا تسافر ..

مهلاً أيها الزمن .. لأنك لن تعود

الريح الشغوب تتأبط زادي ، وخبز كلماتك وحزم الأوراق سنابل بيادر صيفية ..

هل هناك أجمل من لمعة نظرة عاشقين ؟

لن نروي شجرة البعد من هدب الندى لأن خطايا الحب تغتسل في جرن الوفاء قبل الوداع ..

لا تنس أن تترفق وتحمي بستان الحب. وخميلة أوراقنا تظلل السطور...

أوراق زرعها الفكر ..

1- ورقة (تولستوي)

ألا يستطيع البشر أن يعيشوا في طمأنينة في هذا العالم البديع تحت قبة السماء الرحبة المطرّزة بالنجوم ؟

إن كل ما يمور في قلب الإنسان من شر ينبغي أن يمحى ويزول حين يفزع إلى الطبيعة ، هذا المجلى المباشر الصحيح للجمال والخير .

والإنسان الذي ينسى ذاته ويهفو إلى سعادة الآخرين يجد سعادته الحقيقية مندغمة بسعادتهم .

انظر إلى الطائر كيف يبسط جناحيه ليتعلم كيف يطير ، إنه ينغمس في الحياة التي وُهبت له .

وخلق للإنسان المحبة ليسمو بها . والمحبة تؤام الإنسانية كلها، ويتسلسل من هذا المعنى أن الله هو في المحبة. وأن المحبة هي في الله .

أحس (تولستوي) بغصّة تصهر روحه وهو يرى مغني إيطالي فقير يستجدي عبثاً بعض الأغنياء . فقال : " ربّاه ! إن الشقاء ليرنّق فوق كل الأرض . ثمة أناس يعيشون من أجل البطن وآخرون من أجل الروح . "

وهو على فراش الموت ردد بزفرة باكية : " إن في الأرض ملايين البشر يتألمون مثلي فعلامَ تهتمون بي ؟.."

2-ورقة (جيمس جويس) - رائد الرواية الحديثة

يقول : التاريخ هو كابوس أحاول أن أستيقظ منه

نشر رائعته < أوليس > وكانت روايته نقطة انطلاق جديدة في أسلوب الرواية الحديثة.

أصيب في مغرب سنه بمحنة تعادل محنته ببصره هي محنته بابنته – لوسيا – التي أحبت الكاتب الإرلندي (صموئيل بيكت) ولم يستجب لحبها ، فألمّ بها يأس عتي فخولطت في عقلها. وصرف أغلب ثروته عليها دون فائدة.

فقال : مهما تكن شرارة الموهبة التي أملكها ، فإنها انتقلت إلى – لوسيا – وأرثت ناراً في دماغها.

سافر. (جويس) إلى دبلن ليستلم نسخ كتابه ، أعلمه الطابع أن شخصاً مجهولاً أتى إلى المطبعة واشترى النسخ كلها ودفع ثمنها ثم أمر بإحراقها. في مكانها.

تأجج في قلبه نار من الأسى. مؤاتياً على نفسه ألا يعود إلى وطنه أبداً .

واختطفه الموت عام 1941 وهو في قمة المجد غريباً عن وطنه. تاركاً أثراً أدبياً خالداً.

3- ورقة (بروست) والزمن الضائع

لقد حبس (بروست) نفسه في حجرته ، مريضاً ، متعباً. لكن فكره الخلاّق المبدع كان يعمل جاهداً ليرقى أكبر قمة في الأدب الفرنسي المعاصر. وتقلّب (بروست) بنفسه المبدع على الزمن ، كما فعلت شهرزاد على شهر أيار الزمن ، ساهرة ، يقظى .

يقول : لقد أضاعت حياتي هدفها وعذوبتها وحبّها الأوحد. لقد فقدت تلك التي كانت رعايتها المتصلة تمنحني في أمن وحنان شهد الحياة .

/ بعد وفاة أمه وأبيه /

- إن عظمة الفن الحقيقي هي في إيجاد تلك الحقيقة التي نعيش بمنأى عنها ، وفي العثور عليها وإدراكها . تلك الحقيقة التي لا نأتلي نبتعد عنها ، في نفس الوقت تكبر وتنمو المعرفة المبذولة التي تحلّ محلها ، وقد نموت ولا نصل إلى هذه الحقيقة، هذه الحقيقة ليست سوى نهر حياتنا المكتشفة التي تسري في كل لحظة كما تسري في أعطاف الفنان . ولكن الناس لا يرونها لأنهم لا يسعون إلى اكتشافها .
- وحين لا يتبقى أي شيء من الماضي البعيد ، بعد موت الأشخاص وزوال الأشياء . فإن الرائحة والنكهة وحدهما يظلان أمداً طويلاً .

4- ورقة لوركا – عندليب الأندلس

وصفه – بابلو نيرودا – بقوله :

" كان برقاً طبيعياً ، طاقة دائبة الحركة ، كان فرحة ألفة حيّة حناناً دافقاً خارقاً . كان شخصاً سحرياً يهب الهناء "

يقول لوركا : لم تنظم بعد القصيدة التي تنغرز في القلب كما ينغرز السيف على الشاعر في عصرنا هذا أن يفتح عروق دمه من أجل الآخرين ، لست برجل ، ولا بشاعر أو ورقة . بل نبضة مجروحة تسبر الطرف الآخر من الأشياء.

يخاطب / ماريانا / المرأة المناضلة التي طرّزت علم الثورة بالموت ..

ماريانا – ما الإنسان دون حرية ، دون هذا النور يتألّق منسجماً ثابتاً .

قولي : أ أستطيع أن أحبّك إن لم أكن حراً ؟ لقد مات – لوركا – في غرناطة التي أحبها وتغنى بها وشقي بها . لقد مات عندليب الأندلس ، وما زال لهاث قصيدته الحزينة يتردد مع زفرات الياسمين :

حين أموت .. ادفنوني مع معزفي تحت الرمال .

دعوا الشرفة مفتوحة .. الطفل يلتهم برتقالاته . من شرفتي أراه .. الحصاد يحصد قمحه . من شرفتي أشعر به .. حين أموت دعوا شرفتي مفتوحة .

5- ورقة ملارميه – راهب الفكر وصائغ الحرف...

أضحى العقل المفكر لحركة الرمزية ، ونجمت من هذه الحركة تجربة جديدة ، تجربة – الشعر الحر – الذي حطم الأوزان التقليدية متعللاً أن على النغمة الموسيقية في كل بيت من القصيدة أن تتغير وتتفاوت بحسب معنى كل بيت فإن تساويها في الأبيات جميعها يجعلها رتيبة ، وكان حانياً على قصيده كما تحنو الأم على وليدها ، وانتخب أميراً للشعراء ، وقبل هذا اللقب مرتبكاً خجلاً. فقد كان يتجانف عن الشهرة وينفر منها. وكان أزهد الناس بالألقاب الرنانة الخاوية.

لقد وهب حياته لشيء وحيد هو القصيدة ، موطئاً قلبه وفكره وعينيه لعبادة الجمال ، فليس ثمة شئ سوى الجمال. وليس له تعبير كامل سوى الشعر. كانت قصائده تنبع من معبده الفكري ولها ألف معنى ومعنى ، وألف صورة وصورة. كان في وعاء فكره الذهبي قليل من العطر المصفى ، وكان كافياً ليضمخ عصراً بأسره ، ولم يتعجل المجد ، إنه راضٍ بعزلته التي تمده بالتفكير والتأمل والعزلة كما يقول :

– تهب القوة للأقوياء فحسب –

لا أريد أن أستعين بالإلهام . ينبغي لنا أن نفكر ملياً.

ورقة حب بريئة

بلغ – هنريك أبسن – السبعين من العمر وهو أشهر كاتب مسرحي في البلدان الاسكندنافية وكان ضيف شرف في احتفال كبير ، وكانت في الحفل فتاة اسمها روزا ترتدي الزي السويدي الشعبي وترقص في الحفل ، وهو يتابع الرقص بارتياح بالغ ، وركز على روزا دون أن يستطيع إبعادها عن تفكيره ، وكانت في الخامسة والعشرين . واشتعل في داخله شوق للشباب ، وخفق قلبه من جديد . ومن هي روزا ؟ والدها من النبلاء وزوجته تصغره بأربعين عاماً عندما ولدت روزا وعندما بلغت الثامنة من العمر أفلس والدها ومات . وكانت حياتها صعبة ومع ذلك استطاعت أن تعمل وتكتب للأطفال , أصبحت مشهورة في السويد . وكانت ذكية وذات جمال أخّاذ ، وكانت تنشر روح الفرح أينما حلت . وكانت تقدس حريتها وترفض قيود الارتباط برجل ، وتتصرف كالأطفال لإثارة انتباه الآخرين إليها . وكتبت في دفتر مذكراتها :

أصبح – أبسن – الرجل الوحيد الذي منح حياتها مشاعر السعادة ، هل هي مشاعر العثور على الأب المفقود ووجدتها في شخصية هذا الكاتب الكبير .. وتابعت .. أي إنسان يملك الضمير ومشاعر الشرف لا يجوز له أن يقرأ هذا الكتاب إلا بعد موتي .

وتروي أن – أبسن – بعد انتهاء الحفل جاء إليها وداعب شعرها ، وأهداها باقة من زهور غغغغغغغغغغغ وقال : "هذه الزهور هي أنت " .

ثم سـافر وبعث لها بطاقة دعـوة لزيارته مع والـدتها . والتقيا في فنـدق وقـال لها : منذ تعـرّفت عليك أكتب بسـهولة ، ثم زارته في مسكنه فقال لها : : أتمنى أن أبقيك هنا كي تجلسي بغرفتي كلّ يوم وأكتب ..

أصبحت روزا ملهمته في عمله المسرحي ، وعند الوداع قبّل وجنتيها. وهو يرتجف من شدة اضطراب مشاعره وكان هذا آخر لقاء لهما . إلا أنهما واصلا تبادل الرسائل :

1900 أصيب بمرض وبعث لها رسالة حب طويلة وقال : " مثل أميرة شابة جاءت من عالم المغامرة " .

1904 تعرّض لنوبتين قلبيتين . وتوقفت الرسائل .

1906 مات أبسن وقد كان متزوجاً لهذا لم تنشر رسائله وحملت الأسرار والرسائل معها إلى القبر ، ورفضت أن تجني مالاً من خلال نشر رسائله .

1949 ماتت روزا واكتشف الأهل والأصدقاء. وردة حمراء عند مدخل البيت . أوصت بها عندما أحسّت باقتراب رحيلها الأبدي ..

أوراق الكلمة

قيل لفولتير : إن كتاباً من كتبه سيصدر حكماً بإحراقه .
أجاب : لا بأس . إن كتبي مثل الكستناء ، كلّما حمصوها ازداد الإقبال عليها .

قال نابليون : النصر الوحيد الذي يدوم ولا يترك وراءه ما يوجب الأسف هو انتصار المرء على نفسه .

قال سقراط : الدهشة مصدر الفلسفة . وكلمة فلسفة مشتقّة من أصل يوناني (فيلو – صوفيا) تعني الأولى المحبة ، والثانية الحكمة . والمعنى هو حبّ الحكمة .

- معنى أخلاقي : سيطرة الإنسان على ذاته .
- معنى عقلي : فهم الكون للوصول إلى المبادئ .

والفلسفة هي تساؤل يثيره العقل الإنساني في المشكلات والحلول .
وفي معابد أثينا حكمة تقول : اعرف نفسك

وسقراط اهتمّ بالإنسان من هذه الحكمة أي تحوّل التفكير من الكون إلى النفس البشرية .

الإنسان – خمرة كأس – جمشيد

في الأساطير الشرقية أن للحكاكم الإيراني جمشيد كأساً ، إذا ملئت خمرة يظهر فيها كل ما يحدث في العالم . لذلك شبّه النسيمي العقل البشري بكأس جمشيد .

يقول نيتشه لمحبوبته : ألا يجب أن نتباغض قبل أن نتحابب ؟

ويقول الماركيز لمحبوبته : أحبّك ليس بسبب من تكونين، بل بسبب من أكون أنا عندما أقف إلى جانبك . ولا أحد يستحقّ دموعك ومن يستحقّها لا يمكن أن يجعلك تبكين . وإذا كان أحد ما لا يحبّك بالطريقة التي تتمنينها فهذا لا يعني أنه لا يحبّك بكل كيانه .

والصديق الحقيقي هو الذي يمسك يدك ويمسّ قلبك وأسوء طريقة لاقتفاء شخص ما أن يجلس المرء بجواره وهو يعلم أنه لن يناله أبداً .

لا تتوقفي أبداً عن الابتسام حتى عندما تكونين حزينة لأن أحداً ما قد يغرم بابتسامتك . وقد تكونين مجرّد شخص في هذا العالم ، لكنك بالنسبة لأحد ما تشكلين العالم برمّته .

لا تضيّعي الوقت مع شخص لا يهمّه أن يضيع الوقت معك ، ربما تلتقي بالعديد من الأشخاص الخطأ قبل أن تلتقي بالشخص الصحيح كي تكوني شاكرة له عندما يحدث هذا .

لا تبكي لأن هذا انتهى .

بل ابتسمي لأن هذا حدث .

* * *

ورقة جبران ..

- المحبّة التي لا تنبع كل يوم .. تموت كلّ يوم .
- روح الفيلسوف عقله .. روح الشاعر قلبه .

- روح المغني حنجرته .. روح الراقصة جسدها .
- الشعر حكمة تسحر القلب ، والحكمة شعر يترنّم بنشيد الفكر ، والتفكير عقبة دائمة في سبيل الشعر ، وجميع كلماتنا فتات يتساقط على مائدة الفكر .
- كلّ رجل يحبّ امرأتين :
واحدة يخلقها بخياله .. والثانية لم تولد بعد .
- قد ترى راهبة تسير إلى يمينك ، ومومساً تسير إلى يسارك فتقول لذاتك : ما أنبل هذه وما أقبح تلك .
- لو أغمضت عينيك لسمعت صوتاً يتردد قائلاً : إن الأولى تنشدني بالصلاة .. والثانية بالألم وفي روح كلّ منهما مظلة لروحي .
- ليس السخاء أن تعطيني ما أنا في حاجة إليه أكثر منك بل السخاء أن تعطيني ما تحتاج إليه أكثر مني . ولا تنسَ وأنت تعطي أن تدير وجهك حتى لا ترى الحياء عارياً أمام عينيك على وجه من تعطيه .

ثمرة الأوراق ..

- إن النور ذاته يتلاشى إذا لم يوجد في العالم سوى العميان .
شارل برنار

– إننا بحاجة إلى الخيال لكي نواجه الفظاعات التي تفرضها علينا الأشياء .

– الشعر هو ما أبدعه الشاعر معبّراً فيه عن شخصيته .

– إن العزلة جبل عالٍ .. ترينى قمّته الناس صغاراً .

ج – مور

أقوال المفكّرين ..

– هدم الماضي يعني هدم الذاكرة .

– عدّ الأخطاء هو الخطأ نفسه .

– الفن وحده لا يموت ينتقل من جيل إلى جيل .

– ينسى الإنسان نفسه لو عرف الحب .

– الحب يجعلك واسع الصدر كالآلهة .

– وإن أحببت فسيكون في وسعك أن تغفر .

– التجربة الصوفية تضمر بحثاً عن ملاذ روحي ، وتتوخّى استعادة دينية مفقودة .

– خير المعاني ما كان القلب إلى قبوله ، أسرع من اللسان إلى وضعه .

– ليس في الوجود شيء أعمق من نفس الإنسان ، والنفس هي العمق الذي ينشد ذاته .

– تقرر القصيدة مصير العالم الذي يقف خلف النيران الشعرية حين نجتازه بخفقة قلب .

سنية صالح

- الفنان الحقيقي هو الذي يخلق ويتصوّر ، ومهمّته هي تجاوز ما هو قائم ومألوف .

جان جنيه

ورقة مفكر ..

أدب المحاولات ..

في القرن السادس عشر ظهر مونتين الفرنسي . كان وحيداً بلا أصدقاء . اخترع قارئ وهمي كتابته كتابته حدّة ليس فيها قاعدة ، وخواطره حالة معرفية لتوصيل أفكاره ..

كان ضدّ التيارات المنهجية والأكاديمية يتمتّع بحرية الكتابة ومناقشتها . وكأنه في نزهة فكرية دون تشنّج ..

تطوّر هذا النوع من الأدب ، ولم يقلّده أحد أكثر تفنناً منه وبقي روح هذا الأدب مستمراً في الصالونات الأدبية الفرنسية ..

الزهرة – آلهة الحب

يتألق تمثال – الزهرة آلهة الحب .

بين النجوم العذارى ، كأنها تشعّ من بين أحضان الشجر ، وعلى جبينها الوضّاء شعاع فضي من سبحات نور القمر الهادئ ، ساكنة

سكونها الأبدي . ويتلو الشجر حفيف صلاته الغامضة لعينيها الساحرتين ، فتلوح لنا الأشجار. المورقة بألوان خضرتها شعلة لهب في الفراغ . ألا تشعرنا بحيوية الحياة ومعناها ؟..

* * *

الرموز

الرموز .. هي العلامة التي تعطينا. طريقاً للمعرفة وأكثر الشعوب تتمتّع بتمجيدها لثلاثة مظاهر من الطبيعة هي – الحجر . النبع . الشجرة .

وهذه الأسطورة هي أول مثال لهذا الرمز الثلاثي – الحجر – النبع – الشجرة .

والإنسان وجد في الطبيعة مادة للتأمل والتواصل معها ومع رموزها ..

أسطورة بيرم وتيسبية

هما الشابان البابليان اللذان أحبّا بعضهما. منذ الطفولة ، وتواعدا أن يلتقيا في غابة مهجورة بالقرب من قبر الملك الأسطوري لبابل ، وزوج الملكة سميراميس. على ضفاف نبع تحت ظل شجرة التوت .

خرجت الفتاة وغطت رأسها بشال جميل مبتهجة إلى الموعد ، رأت لبوة فاختبأت في مغارة لكنّ شالها سقط ، ولوّثته اللبوة بدم فريسة كانت تمضغ بقاياها .

حين رأى بيرم شال حبيبته تيسبية ملوّثاً ، فضرب صدره بحربة فأسرعت تيسبية من مخبئها وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، ورمت نفسها بالحربة ذاتها .

وتوضع الجسدان أحدهما على الآخر ، ودمهما المختلط صبغ بالأحمر – ثمار التوت .

ودفن الحبيبان تحت ظل – شجرة التوت .

* * *

رموز الطبيعة

الحجر – النبع – الشجرة

الحجر : رمز هدوء الموت ، ورصانة صفاء الآلهة .

النبع : رمز التجدد والخصب وهروب الزمن . وهو الصورة المستمرة للحياة والموت .

الشجرة : رمز الطبيعة الواصلة بين :

العالم السفلي – الأرض – السماء

واستمرارية الحياة وهي رمز الخلود وتجسد مع زهورها ، وثمارها ، وأغصانها :

الشباب – الحب – التوالد

* * *

أقدم شجرة – بلوبا

شجرة عجيبة نمت حول معابد الصين

ارتفاعها 120 قدماً . أوراقها تتساقط كل عام .

ناعمة الملمس . وبقيت دون تغيير حوالي عشر ملايين السنين . وهي أقدم شجرة تنمو دون حماية . ونقل منها إلى أمريكا وأوروبا .

رمزية الشرق

الحجر – يتمتّع باحترام كما الينابيع والأشجار

في مكة المكرّمة لحجر الأسود

مغارة بيت لحم من حجر حيث ولد المسيح

وجد الإنســـان في الطبيعة مـــادة للتأمل والتواصل معها ، ووجد فيها رموزه .

أسطورة الأشجار ..

اجتاحت جزيرة مجاعة ، وكان هناك رجل حكيم تضرّع إلى الآلهة لإنقاذ ابنه الصغير ، فاستجابت لدعائه على أن يقدّم حياته عوضاً عنها .

طلب من زوجته عند غياب الشمس ، وحين تفارقه روحه أن تدفن أجزاء جسمه في حفر متفرّقة من الأرض ..

الرأس عند **نبع**

القلب عند **حجر**

ذراعاه وساقاه في **أماكن متفرّقة** من الأرض.

وطلب من زوجته ألا تفارقه ، وإذا سمعت حفيف الأشجار معنى ذلك أن الآلهة وفت بوعدها . وفي الصباح كانت

نبتة **القمح** حيث رأس زوجها

شجرة **الموز** حيث دفن قلبه

شجرات **الكرمة** حيث ذراعاه وساقاه

وبذلك عمّ الخصب ، وتألقت **الأشجار** وأنقذ الطفل الصغير.

* * *

أسطورة القرون الوسطى ..

آدم عجوز مسنّ حين شعر بقرب نهايته طلب من ابنه – شيت – أن يحضر له زيت الرحمة من ملاك الجنة الأرضية . لكن الملاك قال له :

– إن ساعة الرحمة لم تدق بعد

ويعطي – شيت – غصناً من **شجرة الحياة** كي يغرسه في فم آدم عند موته وهو علامة العفو عند البشرية .

* * *

أسطورة جوز الهند ..

فتاة اسمها – أينا – كانت تستحم في إحدى البحيرات عندما أتتها أفعى مزّقت ثوبها ، فظهر تحته شاب جميل اسمه – تونا – أحبّا بعضهما ، وتكررت اللقاءات ، وقرر الفتى تركها غضبت منه ، قتلته ، ودفنت رأسه في التراب ثم ندمت وبكيت لفراقه ، وبقيت تزوره كل يوم ثم لاحظت نبتة صغيرة ، أزاحت التراب عن رأسه فوجدت النبتة تخضرّ وتكبر وتترعرع حتى أصبحت **شجرة** – وكانت أول شجرة جوز هند في العالم .

رموز الشجرة ..

منذ آلاف السنين صوّرت **الشجرة** على أنها شجرة الحياة هي كالطفل تنمو ثم تدك قامتها النهائية . ويتحول النسغ فيها مثل الأمزجة في الجسد . وفي مواجهتها يتأمل الإنسان في الحياة وقوى الطبيعة .

شجرة الحياة ..

تمثّل انتصارات الحياة على الموت ، وهي الطريق بين الأرض والسماء ، واستمرارية انبثاق أجيال من أجيال في الشرق الأدنى والأوسط ، **الشجرة** رمز الخلود .

ولاكتساب الخلود يجب الانتصار على الشر . لذلك نجد أن الإنسان يعارك ضد الحيوانات المفترسة الحارسة **لشجرة الحياة** . والشجرة في الحضارات المتطورة رمز للعالم . والطبيعة الواصلة بين العالم السفلي ، الأرض – السماء . وهي ذات أوراق دائمة لتدل على أن الطبيعة لا تقهر . **والشجرة** تسهر على القبور. وأي شاعر لم يتمنَّ وجود شجرة تظلل قبره ؟

فالشجرة .. رمز الخلود ، الطبيعة ، الكون .

الشجرة والأعياد ...

في العالم أجمع الربيع دائماً رمز الأعياد ، وتجديد الحياة ومازالت الأعياد موجودة لتجديد النبات والشجر موضوع طقسها . **والشجرة** رمز أنثوي لخصوبة الأرض ، وتمثل بكائن نصفه شجرة

ونصفه امرأة ولدى بعض الشعوب تقليد جميل هو : غرس **شجرة** عند ولادة طفل وهو رمز : **لشجرة الحياة** .

شجرة الميلاد :

< المجد لله في العلى .. وعلى الأرض السلام >

ترنيمة ملائكية تردد لطفل ولد في مغارة صغيرة نائية ورمز هذه الولادة –التواضع ، الفقر ، العطاء .

ويوم 25 كانون الأول يحتفل بعيد الميلاد وقد كرّسه اليونان والرومان ، وهو يوم الانقلاب الشتوي حيث تصل الشمس إلى آخر مدى لها في الميلان عن كبد السماء ويبلغ النهار أقصره. هذا اليوم – الشمس رمزه .

وفي هذا اليوم تدفع قوى الشر والظلام أمامها بالصعود إلى كبد السماء . وتجدد قوّتها وتستعيد عزمها ، واعتبر هذا التاريخ يوم **ميلاد الشمس أو النور** ، ويرمز إليه ببرج الجدي . وهو البرج الذي تدخله الشمس وقت الانقلاب الشتوي . فهو برج ميلاد الشمس من جديد في السماء . واعتماد السيد المسيح ممكناً حين يصعد من الماء كما تلد الشمس مجتازة برج الماء .

وطقس العماد تجديد الإنسان وغسل ماضيه . ولقب العذراء هي **آلهة الحب** ، لأنها تعطي محبة لا متناهية وظهور نجمة الصباح فوق المغارة هي بشارة الميلاد أما **شجرة الميلاد** ترمز إلى روح الخصوبة ، وتزيّن لترمز إلى الأجرام السماوية المنيرة ، والشعلة

هي رمز وحدة العائلة ، واجتماعها حول الأم وهي موقد البيت ، وهي شجرة المحبة اللامتناهية .

شجرة الحياة : في وسط الجنة تسمّى طوبى

شجرة المعرفة : هي شجرة الخير والشر

هذا الانفتاح على الحياة والموت يجعل من الشجرة مكاناً للألفة والاستضافة . وقديماً كانت تعطى المواعيد في كافة المناسبات تحت شجرة **الدرداء ، أو السنديان** .

في اليوم الأول من أيار يحتفل الفلاحون في أوروبا **بعيد الشجرة** ويعلّقون على أبواب بيوتهم أغصاناً ، وفي حجر نوم الأزواج الجدد . طيلة شهر أيار وأحياناً عاماً كاملاً .

* * *

رموز الشجرة في العالم

في الفن المصري : الأهرامات رمز لشجرة مقدسة ترضع فرعون لمنحه الخلود . وتوضع سلال ملأى بالعنب دلالة على بعث – أوزيريس . وتزيّن عتبة المقابر بعريشة مثقلة بالعناقيد .

في أوروبا واليونان : يعتقد أن النار ولدت من شجرة الدرداء .

في الهند : زخرفة جامع سيد سعيد من الفن الإسلامي عبارة عن شجرة الحياة ذات الفصول المتعددة وتخريمها بشكل دانتيلا

ويستخرج من نبات – السوما – شراب يسمى فردوسي لأنه يضمن الحياة – الخصوبة – التجدد .

في إيران : يستخرج نبات (الهاوما) من اللشجرة ويعصر وهو شراب يمنح الخلود .

عند الإغريق : الإله – باخوس – إله الخمر دائماً محاطاً بأغصان العنب . والخمر يرمز إلى الفرح .

رمز الرمان ..

علامة الخصب ، ويرمز إلى الذريّة بعدد حبات الرمان والمرأة تقاسم الرجل الرمانة رمز الوفاء حتى الموت . وتعلّق الرمانة على تاج الملكة . وتقدّم الرمانة إلى الزوجة في حفل العرس رمزاً لتأسيس الأسرة . والرمانة كنز المعرفة .

رمز شجرة البن ..

يحكى أن أعرابياً كان يرعى غنمه ، لاحظ نشاطاً غير عادي على غنمه ، ظلّ يراقبها. حتى عرف أنها تأكل من ثمار شجرة دائمة الخضرة . تناول من تلك الثمار وشعر بحيوية ونشاط. أطلق على تلك الثمار **خمر الصالحين** . شرّبها مجموعة من المتصوّفة بقصد السهر للقراءة والعبادة . وأشجار البن تزهر بعد عامها الثالث أو الرابع وتنضج الثمرة بعد ستة أشهر ، وتبقى مغمورة في الماء /24/ ساعة ثم تجفف أربعة أيام تحت الشمس .

شجرة الشاي ..

دراما ، ابن ملك هندي رحل إلى الصين ، وعاش في عبادة متواصلة لترويض روحه . وكان يتغذّى بأوراق الشجر ، ويظلّ ساهراً طول الليل .

في إحدى المرّات تعب فنام ولم يستيقظ حتى الفجر فعاقب نفسه بأن قطع جفنيه بسكينة وألقى بهما على الأرض . وفي اليوم التالي وجد شجرة قد نمت في المكان ذاته ، ولما أكل منها شعر بنشاط وقدرة على السهر ، فذاع خبر هذه الشجرة العجيبة .

شجرة التفاح ..

شجرة مقدّسة كان اسمها – الغالي – ويقال أن التفاحة باعثة للنزاع والفتنة ، وقد تنازعت الربات : **جينون – مينرفا – فينوس** على التفاحة . وحين احتكم – **باريس** – بينهم أعطاها إلى فينوس مما أثار غضب الاثنتين .

وهي رمز الخلود المفقود الذي يسعى إليه الإنسان ورمز إغواء حواء لآدم في الفردوس .

وتفاحة – **نيوتن** – رمز ثقل العالم ، وجاذبية الأرض

وهرقل انتزع تفاحات الذهب في الوقت الذي كان يحمل العالم على كتفيه .

شجرة الزيتون ..

شجر الخير والرخاء والسلام .

وهو رمز – **أثينا** – ويسمّى تاج الشرف ، ويوضع للظافرين في الألعاب الأولمبية .

والحمامة التي أطلقها نوح جلبت إلى الفلك – غصن الزيتون – رمزاً لعودة السلام بعد الطوفان .

شجرة الغار ..

شعار – أبولون – ويرمز إلى النصر في المباريات والحروب . ويقال : أن مراهقاً جميلاً لاحق حورية ماء كي تهرب منه تحوّلت إلى شجرة غار .

شجرة البلح – النخلة ..

شجرة الأديان السماوية ، كثر ذكرها في القرآن الكريم والمسيح ولد تحتها . سمّيت عند اليهود – تامار – من القمر ، لها قوام ممشوق وتتمتّع بالخصوبة والطعم اللذيذ الحلو . وثمر النخلة له عدة أسماء بمراحل نضجه :

يسمّى **بُسراً** مادام غصناً طرياً

يسمّى **بلحاً** مادام أخضر

يسمّى **تمراً** حين يصير يابساً

الفينيقيون اتخذوه شعاراً وطنياً
الرومان اتخذوه شعاراً للنصر
المسيحيون اتخذوه رمزاً لدخول المسيح إلى القدس
ساحل العاج ، يرمز إلى الصياد ، فإذا مات ولم يعثر على جسده يدفن بدلاً عنه غصن النخيل .

* * *

رموز الزهرة

تسمّى مدينة شيراز – مدينة الورود –
الكاتب – رينيه لويس – في كتابه رواية **الوردة** ، حدد رمزيتها وقال :

الوردة – فن الحب ، وتوحي ليس بكونها زهرة بديعة ورائحتها ذكية ناعمة ، إنها أيضاً عالماً تاماً .

والـوردة – رمز للفتـاة الشـابة الـتي نـذر لها حبـاً متيّمـاً . أما الحديقة المغلقة على دغل الـورود هي العـالم الشخصي والسـري لفتـاة شـابة . وحين ينحني الشـاب على نبع الحب يعكس على قعره بلورتين صافيتين هما :

رمز عينيّ الحبيبة . فالحب منذ أقدم العصور يتولّد من تبـادل النظـرات . وحين يمتـدح الحـبيب الـوردة تصـبح **الـوردة** رمـزاً للحبيبة المرغوبة .

والـوردة تتصل بـولادة الكـائن البشـري حـتى موته ، وكـذلك لتجديد الأفكار ، وإحياء الروح .

ويقال عبارة – تحت الوردة – رمز للصمت والرصـانة . ويقال عبارة – هلك في زهرة شبابه .

والسيدة العذراء تسمّى **الوردة** الروحية .

الزنبق رمز الطهارة والنقاء . ورمز ملكية فرنسا

القطيفة ما لا يذبل أبداً .

شقائق النعمان زهر الموت لأنه انبثق من دم أدونيس

ست الحسن يوسّع الحدقة ، ويجعل المرأة جميلة .

رقيب شمس حورية عشقت – أبولون – مسخت نفسها رقيباً للشمس .

أذن الفأر لا تنساني .. رمز الوفاء

خـزامى ، تـوليب : لفظة تركية . وسـمّي القـرن الثـالث عشر قـرن التوليب في ظل محمد الرابع لأنها كانت زهرته المفضلة وزيّن قصوره بها .

البنفسج رمز الحياء ، الخجل ، الحزن .

في الهند تقدّم زهرة البنفسج للحبيب تعني أن الحبيبة موافقة على عروضه .

* * *

هواجس الطبيعة

هو : ماذا تقول الصخرة ؟

ألبستني الطبيعة ثوب قسوتها ، جسدي نزيز كبرياء ، جراحي تتفتّح صمتاً بين حنان التراب .

يصـفعني مـوج البحر ، ويهـلّ مطر السـماء حنونـاً يسـقي شراييني الجافة ، ومرارة آلامي . تبقى الطيور زائرة وفيّة لوحدتي .

هي : ماذا يقول النبع ؟

نحيب الجفـاف يؤلمـني . ومويجـاتي تفـرش أهـدابها موقظة سبات الحصى بين أضلعي ، أذوب مناهل الحنان على ضفاف ناعمة تشـدّني إليها . طفولة المـاء تنعش المـزارع ، وتحـيي الشـجر ، وتعطر سنابل الحقول ..

هو : ماذا تقول الشجرة ؟

قلبي هادئ وسط العاصفة ، قلبي غيمة حنان تنساب عطـاء ، وروحي غيث منعش يتدفّق من رحم ذاتي إلى أوراقي ..

من الفجر إلى الغسق أسامر الريح ..

وتساهرني النجوم الوفيّة لوحدتي ..

* * *

من شجرة الحب

يورق الشعر

قال العرب : حبّك الشيء يعمي ويصم ..

أعانقها والنفس بعد مشوقةإليها ، وهل بعد العناق تداني ؟

وألثم فاها كي تموت حرارتي فيشـتدّ ما ألقى من الهيمان

كأنّ فؤادي ليس يروي غليله سوى أن يرى الروحان يمتزجان
(ابن الرومي)

كتمت اسم الحبيب عن العباد ورددت الصبابة في فؤادي
فوا شوقي إلى بلد خلي لعلي باسم من أهوى أنادي
(علية بنت المهدي)

أغار عليك من عيني رقيبي ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أني وضعتك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني
(شاعرة أندلسية)

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها ويحيا إذا فارقتها فيعود
(جميل بثينة)

فلو تفلت في البحر والبحر مالح
تعاد أجاج البحر من ريقها عذبا
(مجنون ليلى)

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها
وأمكّن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي من يشتهيها
(ولادة بنت المستكفي)

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحبّ إلا للحبيب الأولِ

كم منزل في الأرض يألفه الفتى

وحنينه أبداً لأول منزل

(أبو تمام)

حكمت سيفي في مجال خناقها

ومدامعي تجري على خديها

لكن بخلت على العيون بلحظها

وأنفت من نظر العيون إليها

(ديك الجن)

أنا في الحبِّ صاحب المعجزات جئت للعاشقين بالآيات

كان أهل الغرام قبلي أُمّيين حتى تلقّنوا كلماتي

فأنا اليوم صاحب الوقت حقاً والمحبون شيعتي ودعاتي

فعلى العاشقين مني سلام جاء مثل السلام في صلواتي

(البهاء زهير)

فيك الخصام ... وأنت الخصم والحكم

(المتنبي)

حافظ الشيرازي

عمر الخيام

مزجا الخمرة الإلهية بالخمرة الأرضية

ووجه المحبوب السماوي ، بوجه المحبوب الأرضي

* * *

الفهرس

1	يقظة	15	رعشة الفيروز
2	للشجرة لغتي	16	أوراق زرعها الفكر
3	الأشجار.	17	ورقة حبّ بريئة
4	ورقة للخضرة	18	أوراق للكلمة

5	خضرة قلب	19	ثمرة الأوراق
6	لقاء للفراق	20	ورقة مفكّر
7	الشجرة والشعر	21	الزهرة – آلهة الحب
8	أوراق شجرة الروم	22	رموز الطبيعة
9	أوراق لنا	23	أسطورة الأشجار.
10	أوراقنا للشجر	24	رموز الشجرة
11	أوراق شجرة الحب	25	الشجرة والأعياد
12	لنا – ورقة الخزامى	26	رموز الزهرة
13	نثيث ورقة الحرف	27	هواجس الطبيعة
14	شال الحرف	28	الشجر يورق الشعر

الغلاف الأخير

- أليست الطبيعة نقطة تماس بين الإنسان والمجهول ، والشعر صلاة روحية حين يندمج الخيال مع الطبيعة .
ومنها مغزى الأفكار. والعواطف والتأمل..
الطبيعة لا تعرف الموت

ولو فني النوع البشري
لراحت الطبيعة تراقب ذلك في صمت

* * *

Komcivîna Zanyarên Azad
تجمع المعرفيين الأحرار
bo gelên yên diaxivin bi herdû zimana Kurdî û Erebî
للشعوب الناطقة باللغتين الكوردية والعربية